



مجلة جامعة نزوى

للعلوم الاجتماعية

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تصدر عن مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي

للدراستات العربية والإنسانية في جامعة نزوى

ندوة إمامنا العلامة العنبري في طالعنا يوم

الترقيم الدولي :

0832-2523

منسق التحرير:

خالد علي إبراهيم

باحث في مركز الخليل بن أحمد
الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
- جامعة نزوى

khalid.ali@unizwa.edu.om

التنسيق والإدارة:

خليل بن محمد الحوقاني

اختصاصي في مركز الخليل بن أحمد
الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية
- جامعة نزوى

k.alhoqani@unizwa.edu.om

مدقق اللغة الانجليزية:

د. سيد بشير أحمد

أستاذ مساعد اللغات الاجنبية
تخصص الترجمة-جامعة نزوى

bashir@unizwa.edu.om

التصميم والإخراج الفني:

فخرية بنت خميس المعمرية
دائرة الإعلام والتسويق

fakhriya@unizwa.edu.om

المجلس التوجيهي لمجلات الخليل

بجامعة نزوى

رئيس جامعة نزوى

نائب الرئيس لدراسات العليا و البحث

العلمي والعلاقات الخارجية

مدير مركز الخليل للدراسات العربية

والإنسانية

رئيس التحرير:

أ.د. أحمد بن حمد الربعاني

أستاذ مناهج وطرق تدريس الدراسات
الاجتماعية

رئيس مركز الدراسات العمانية جامعة

السلطان قابوس

arabaani@squ.edu.om

مدير التحرير:

د. سليم بن محمد الهنائي

أستاذ مساعد تخصص التاريخ، قسم
التربية والدراسات الإنسانية،

كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى.

البريد الإلكتروني:

sulayim.alhinai@unizwa.edu.om

الإشراف العام واللجنة العلمية

ندوة إسهامات العلماء العمانيين في الطب والعلوم

المشرف العام: أ. د. أحمد بن سليمان الحراصي

اللجنة العلمية:

- د. سليمان بن سالم الحسيني
- د. ماجد بن خميس السلماني
- د. محمد بن هلال بن ناصر الكندي
- د. حارث بن محمد العزري
- د. حميد بن سيف النوفلي
- د. سليمان بن علي الهاشمي

اللجنة التنظيمية لندوة إسهامات العلماء العمانيين في الطب والعلوم

- د. سليمان بن علي بن سعيد الهاشمي. رئيساً
- أ. أفلح بن خلفان بن محمد الحضرمي. عضواً
- أ. سعود بن ناصر بن علي الصقري. عضواً
- أ. أحمد بن ناصر بن سالم الرواحي. عضواً
- أ. سعود بن سليمان بن ناصر العدوي. عضواً
- أ. خليل بن محمد بن راشد الحوقاني. عضواً ومقرراً
- أ. خالد علي إبراهيم إبراهيم. عضواً
- أ. سليمان بن سيف بن سالم الصبحي. عضواً
- أ. زاهر بن عبدالله بن جمعة الراشدي. عضواً

المحتويات

٩	كلمة العدد	١
١١	كلمة الجامعة	٢
■ أ.د. أحمد بن سليمان بن فاضل الحراصي		
١٧	المملك والملكوت	٣
■ أ. موسى بن قسور بن منصور العامري		
٢١	توصيات ندوة إسهامات العلماء العُمانيين في الطب والعلوم	٤
■ اللجنة العلمية لاسهامات العلماء العمانيين في الطب والعلوم		
٢٥	أهمية شجرة الصمغ العربي (Acacia Senegal) في محافظة ظفار	٥
■ م. سعيد بن مسلم بن بخيت تبوك ■ أ. عبدالعزيز بن أحمد بن علي المعشني		
٦٧	إسهام البحارة العمانيين في تأسيس المنهجية العلمية للملاحة البحرية وتطويرها	٦
■ د. راشد بن حميد بن سعيد الحوسني		
٩١	إسهامات العمانيين في تعدين خامات الأرض	٧
■ د. محمد بن هلال بن ناصر الكندي ■ م. المؤثر بن أحمد بن إبراهيم الكندي		
١٢٣	التعامل مع الأوبئة في عهد السلطان فيصل بن تركي (١٨٩٨-١٩١١م)	٨
■ أ. أماني بنت طالب بن هلال الحضرمية		

١٥٧	الثقافة البحرية للعمانيين من خلال مخطوط «مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين»	٩
-----	--	---

■ د. حاج عيسى إلياس

١٩٥	العلاج التقليدي بالرقية الجماعية (الرعبوت) في ظفار: دراسة لسانية اجتماعية	١٠
-----	---	----

■ د. عامر بن أزيد عدلي الكثيري

٢٣٧	السمات المعرفية والأخلاقية للعلوم الطبيعية عند العلماء العمانيين.	١١
-----	---	----

■ د. محمد الأمين بابزيز

٢٦٩	القواعد والعمليات الحاسوبية عند النواخذة العمانيين	١٢
-----	--	----

■ أ. حمود بن حمد بن جويد الغيلاني

٢٩٧	الممارسات العلمية في فلاحه النخلة عند العمانيين في الفترة من القرن (٣-٦هـ/٩-١٢م)	١٣
-----	---	----

■ د. خالد بن محمد بن عدي الرحبي

٣٣١	النباتات الطبية في سلطنة عُمان واقع الحفظ والاستخدام المستدام	١٤
-----	---	----

■ د. علي بن حسين بن عبد الخالق اللواتي

٣٥١	علم الأرصاد الجوية عند العمانيين من خلال مخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح»	١٥
-----	--	----

■ أ. حارث بن حمد بن حمدان السيفي ■ د. حبيب بن مرهون بن سعيد الهادي

٣٨٩

إسهامات الملاح العُماني أحمد بن ماجد في العلوم الجغرافية

١٦

■ د. هدى بنت مبارك بن حميد الدايري

■ د. حميد بن سيف بن حميد النوفلي

■ أ. خاتمة بن علي بنت خميس الرشيدية

٤٠٩

تاريخ الأمراض الشائعة في عمان ومساهمة العمانيين في علاجها

١٧

■ أ. د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي

٤٥٩

الطب البيطري التقليدي نشأته وتطبيقاته عند مربي الإبل في سلطنة عمان

١٨

■ د. محمود بن سعيد بن سالم العامري

٤٨٣

دراسة لأرجوزة في الطب العماني بعنوان:
"فيما يجب على الطبيب معرفته من شروط الطب" للطبيب العماني راشد بن عميرة

١٩

■ د. ناصر بن علي الندابي

■ د. ناصر بن عبد الله الصقري

٥٢٣

منهج القضاء العماني في دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية
- دراسة لبعض الأحكام ومبادئ المحكمة العليا -

٢٠

■ د. محمد بن سيف بن دويم الشعيلي

كلمة العدد

اشتغل مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية منذ نشأته على إقامة المشاريع البحثية والعلمية المتعلقة بالعلوم الإنسانية عمومًا، وبُعْمان وإرثها الخالد على وجه الخصوص، ومن المشاريع البحثية التي سعى المركز لتحقيقها ندوة " إسهامات العلماء العمانيين في الطب والعلوم " وذلك بالتعاون مع مركز أبحاث العلوم الطبيعية والطبية، التي كشفت بأوراقها العلمية عن مدى اهتمام العالم العُماني بالطب والعلوم الأخرى كالفلك والزراعة والتعدين والملاحة، فأوضحت مدى اهتمام العالم العُماني بذلك، من خلال دراسة المنجز والمخطوط. ومن خلال البحوث التي أنجزت تكشف الندوة أنّ العمانيين أسهموا عبر التاريخ في الطب والعلوم الطبيعية، مثل الفلك والمناخ والكيمياء، فظهر منهم علماء أثروا التجربة البشرية بالعديد من الكتب التي كانت تعدُّ في زمانها إنتاجًا علميًا فريدًا ومفيدًا، فالطبيب راشد بن عميرة يعد من الشخصيات العمانية المؤثرة في مجال الطب والصيدلة، فمع براعته في الطب كان فقيها وأديبا وشاعرا، استثمر شاعريته في نظم قصائد مطولة لتشريح جسد الإنسان كاملاً، وخصص أخرى لتشريح مواضع معينة كالعين فقط، ومن أهم مؤلفاته: كتاب فاكهة ابن السبيل في الطب، وكتاب منهاج المتعلمين وهو عبارة عن جواب لابنه عميرة الذي أصبح طبيباً فيما بعد.

وبالنظر إلى عالم اليوم نجد عددًا من المختصين المعاصرين اهتموا بالتراث العلمي للعلماء العمانيين في الطب والعلوم الطبيعية، فتوجه بعضهم إلى دراسة

وطباعة ونشر المخطوطات التي تركها أولئك العلماء، وأقيمت بعض الندوات ونُشرت بعض الدراسات في هذا المجال، ولا يزال هناك متسع لمزيد من الدراسات والبحوث والندوات للكشف عن كثير من الجوانب التي لم تنطرق إليها الجهود السابقة أو لم تعط حقها من الدراسة والاهتمام، ومن هذا المنطلق يأتي هذا المشروع ليسلط الضوء على ما قدمه العلماء العمانيون في مجال الطب والعلوم الطبيعية، والجهود المبذولة رسمياً وأهلياً لإحياء هذا التراث والتعريف به واستدامته.

فما هي مشروع "إسهامات العلماء العمانيين في الطب والعلوم الطبيعية" إلى "دراسة المخطوطات العُمانية في الطب والعلوم الطبيعية وتحقيقها ومحاولة طباعة غير المطبوع منها واستجلاء المناهج العلمية في مؤلفات العُمانيين في الطب والفلك والمناخ وعلوم البحار ودراسة أنطولوجيا وأبستمولوجيا، وأخلاقيات المعرفة في كتابات الأطباء العُمانيين وتطبيقاتها المعاصرة، وإبراز الطب التقليدي العُماني على أسس معرفية، وتأصيله بمنهجية علمية بشكل مواز للطب الصيني والطب الهندي وغيرهما، ودراسة مدى انتشار الطب التقليدي العُماني والمناطق العُمانية التي لا تزال تمارس هذا النوع من الطب، ومعرفة درجة وعي الناس في هذا الموضوع ودراسة الأدوية المستخرجة من البيئة العُمانية البرية والبحرية، التي ثبتت نجاعتها علمياً في العلاجات والاختراعات الطبية، مثل: القاو واللبن وأعشاب البحر والقشريات المستعملة في مستحضرات التجميل والعناية بالبشرة. أخيراً يخرج هذا المشروع في بحوث محكمة تنشرها هي في عدد خاص من مجلة الخليل للعلوم الاجتماعية التي يصدرها مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية بجامعة نزوى لتصل للباحثين والمهتمين بهذا المجال، على أمل أن يتبع هذا العدد أعداداً خاصة أخرى في مجالات مختلفة تخدم الباحث العماني وتسعى جاهدة لإنتاج العلم وتنميته.

كلمة الجامعة

أ.د. أحمد بن سليمان بن فاضل الحراسي
 نائب الرئيس للدراسات العليا والبحث
 العلمي والعلاقات الخارجية
 aharrasi@unizwa.edu.om

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي شَرَّفَ العِلْمَ والعلماءَ والصلاةَ والسلامَ على مُعَلِّمِ البَشَرِيَّةِ وهاديها
 سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحابته الأَجَلَاءِ.

إنَّ جامِعَةَ نَزْوَى قد شَرَّفَها اللهُ بنَقْلِ المَعْرِفَةِ وإنتاجِها ونشرِها وتطبيقِ البحوث
 وتقديمِ الحلولِ، فتنبأتْ بفضلِ اللهِ ثم بفضلِ رؤيتها مكانةً سامقةً بين الجامعات
 العربية، وحازتْ قِصَبَ السَبْقِ في عددٍ من التصانيفِ الأكاديمية. ولقد كان لهذه
 الجامعة شرفُ المساهمةِ في زِخْمِ البَحْثِ العِلْمِيِّ العالَمِيِّ بمجموعةٍ رفيعةٍ من
 البحوثِ النوعيةِ اللاوصفيةِ تجاوزت ٢٤٠٠ بحثٍ علميٍّ، نُشِرَتْ في أرقى مجلات
 العالم، جميعُها تحملُ اسمَ عُمان، وبواقع أكثر من ٥٠ ألف استشهاد بالبحوث،
 بمعدل ٨١ استشهادًا لكل بحثٍ منشور.

وهذا النتاجُ البَحْثِيُّ جعل مراكزَ الجامعةِ البَحْثِيَّةِ مراجعَ استشاريةً، مؤكدةً
 دورَها المحوري في إنتاجِ ونشرِ المَعْرِفَةِ، ومحوِّلةً غراسَ التربةِ العمانيةِ الطيبةِ
 من خاماتٍ طبيعيةٍ ونباتاتٍ طبيةٍ وأحياءٍ بحريةٍ إلى نواتجٍ تكنولوجيةٍ وطبيةٍ ذاتِ
 جدوى اقتصاديةٍ وقيمةٍ مضافةٍ توشكُ أن تُؤتي أكلها بإذن الله.
 ولقد تنبأتِ الجامعةُ بفضلِ اللهِ مكانةً مرموقةً في التصانيفِ الأكاديميةِ للجامعات،
 سبقت غيرَها في وقتٍ قياسي. ففي ثلاثِ سنواتٍ متواصلةٍ حصلت على المركز

الأول محلّيًا حسب مؤشر ناتشر انديكس، والمرتبة الأولى حسب مؤشر سايماجو ،
 والمرتبة الثانية حسب مؤشر كيو أس. ووضع على مدى سنتين متتاليتين عشرون
 من باحثيها في قائمة ستانفورد لأعلى 2% من العلماء الذين أُسْتُشْهَدَ بأبحاثهم.
 لقد نظرتُ كغيري من المشتغلين بالبحث العلمي إلى المعرفة بأنها قضية
 إقتصادية تُبْنَى عليها الهيمنة السياسية وقوة الدولة، إلا أنني أدركتُ اليومَ وبعد
 قراءتي لكتابات المسلمين والغرب السابقين، أنّ هذه النظرة رغم صحتها نظرة
 ناقصة، وذلك لما شاهدته من واقع مؤلم يعيشه هذا الناس في عالم مضطرب
 يحول بينهم وبين السعادة المنشودة رغم التقدم العلمي الذي نشهده اليوم في عالم
 المعلوماتية الحيوية، ومستهل الثورة الصناعية الرابعة، وهذه الأزمة ليست
 إقتصادية ولا معرفية لكنّها أزمة ضمير ووجدان وأزمة هروب من الله، وبعيد
 عن خالق هذا الكون إذ أصبح كلُّ شيء ماديّ بحت. لقد تعلمنا من عالم المادة أنّ
 المعرفة هي الاقتصادُ فحسب، لذلك خرجنا بمعرفة مبتورة قاصرة ناتجة عن فهم
 قاصر للحياة، فنتج عن ذلك تحسُّن في نمط الحياة الظاهري وتدهور غير مسبوق
 في الإنسان. تلك الهوة الواسعة بين عالم المادة والبشر، وبين خالق المادة والبشر
 أفرزت لنا علماء مجزءاً ومعرفة مشوهة ناقصة، فهي كم هائل من المعلومات غير
 المترابطة. والمتنبع لكتابات علماء الكيمياء والطب والرياضيات والفلك بل والأدب
 واللسانيات في العصور السابقة يجدُ أن هذه المعرفة معرفة مرتبطة بإيمان الفرد
 ولم تكن ماديةً بحتة كما هي اليوم.

ولا ريب أن الخلق يتباينون فيما بينهم تبايناً عظيماً في ملكاتهم العقلية من
 قوة فائضة، وخصوصية ناهضة، وطبع وقاد، وذهن مُنقاد، وقريحة صافية،
 وتأمّل عميق، فلذا نجدُ في كلِّ عصرٍ من العصور النوابع المبتكرين، والمهندسين
 البارعين، والأطباء الحاذقين، والعلماء الراسخين، كما نجدُ الفصحاء والبلغاء
 والأبناة. وفي مقابل هؤلاء نجدُ ممن هم دونهم في المنزلة، وممن دونهم بمنازل.

وهناك من أنصف الحضارة العربية من الغرب، وسيكون من الإجحاف ألا أُشيدُ بما كتبوه في مستهلّ هذه الندوة. ومن أبرز من أمارت اللثام عن حضارة العرب: المستشرقُ الألمانيه سيجيريد هونكه في كتابها "شمسُ العرب تسطعُ على الغرب"، والعلامةُ الفرنسي غستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" الذي سلك مسلكاً لم يسبقه إليه أحدٌ، فجاء جامعاً لعناصر هذه الحضارة وتأثيرها في العالم، شاملاً لعجائبها مفصلاً لعواملها، باحثاً في قيامها، وفي أسباب عظمتها بل وانحطاطها فيما بعد، مبتعداً عن أوهام الأوربيين التقليدية في العرب والإسلام.

وإذا ما رجعنا قرونا إلى الوراء، نجدُ تصدُّرَ العربِ شعوبَ العالمِ على مدى 750 عاماً حاملينِ مشعلِ الثقافة رَدْحاً جاوزَ عصرَ الإغريقِ الذهبي بضعفيه. فقد كان أطباءُ العربِ يُجرون العملياتِ القيصريّة، ويرسُمون بدقّةٍ تفوقُ الوصفَ تشريحَ الجسم، ويصنِّعون أدواتِ الجراحة وكاننا نراها اليوم. ولقد ضرب الكيميائيون العربُ أروع الأمثلةِ حيث أمتلأتِ المجلداتُ التي ترجمها الغربُ بوصفاتٍ علميةٍ دقيقةٍ لعلاج جميع الأمراضِ ورسوماتٍ ملونةٍ بألوانٍ طبيعيةٍ مبهرةٍ حافظتُ على نضارتها الى اليوم. ولا أبالغ أبداً إن قلتُ إنَّ كلَّ وصفةٍ من هذه الوصفات تعادلُ براءةَ اختراعٍ في عُرفِ اليوم.

وكمثالٍ آخرَ على تقدُّمِ العربِ على الغربِ في العلوم والهندسة أثناءَ العصرِ الذهبي للحضارة الإسلامية ما ذكره المؤرخ الفرنسي فولتير "إن أول ساعةٍ عُرفت في أوروبا هي الساعةُ التي أهداها الخليفةُ العباسيُّ هارونُ الرشيدُ إلى شارلمان عام 870 ميلادية، الساعةُ التي صنعها العرب قبل أكثر من ألف ومائتي سنة. هذا مثالٌ من دار الحكمة وعهدِ رُقِّي العرب، وقوةِ العلمِ ودوره في الهيمنةِ السياسية. ولقد تخرَّجَ من دارِ الحكمةِ ثلاثةٌ من أبناءِ الفلكي موسى بن شاعرٍ أصبحوا أساطينَ العربِ في العلم، فالأول عالمٌ ميكانيكيٌّ، والثاني عالمٌ فلكيٌّ والثالث عالمٌ

رياضيات. وفي ركنٍ آخرَ من هذه الدار، كان الخوارزميُّ آنذاك ينهي مقتطفاته ويصحُّ جداولَ بطليموس ويضعُ كتبه في علمي الحساب والجبر.

ولم يكن هذا القِطْرُ بأقل بل أخرج العبقرى الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض وصاحب كتاب العين سيد أئمة اللغة والأدب، وأخرج كذلك الفلكي أسد البحار أحمد بن ماجد السعدي والطبيب ذائع الصيت راشد بن عميرة بن هاشم العيني الرستاقى وغيرهم لا حصر لهم من عباقرة الصيدلة والطب والفلك.

والعالم الموسوعيُّ الطبيب راشد بن عميرة بن هاشم العيني الرستاقى هو أحد رواد الطب التجريبي العماني، الذي جمع بين الطب والصيدلة والشعر والأدب، والتأليف في هذا العلوم كلها. فقد كان طبيباً حاذقاً؛ بل كان الأشهر في زمانه، واستطاع أن يعالج كثيراً من الأمراض المستعصية حتى ذاع صيته وأصبح وجهةً للقاصي والداني، ولم يكتفِ بممارسة الطب؛ بل نقل العلوم الطبية عبر تعليم الطب والتأليف فيه، كما أنه كان صيدلانياً بارعاً، تمكّن من الحصول على العديد من الوصفات الفريدة من الأعشاب الطبيعية النادرة. وقد كان ابن عميرة فقيهاً وأديباً وشاعراً، استعمل هذه المواهب في تعليم الطب ووضع الوصفات الطبية، وخير شاهدٍ على ذلك مخطوطاته وأراجيزه التي ألفها بأسلوب سهلٍ يجمع بين العلم والأدب، وبين الشمولي والتخصصي، فقد نظم القصائد الطوال لتشريح جسد الإنسان كاملاً، وخصص أخرى لتشريح أعضاء الجسم كالعين، وكان يجري العمليات الجراحية بكل ثقةٍ واقتدار.

ومن المناسب أن أشير هنا إلى أبحاث الطبيب الألماني ماكس مايرهوف المتوفى عام 1945م والمتخصص في طبّ العيون والذي درس اللغة العربية واستقرّ بالقاهرة وفتحَ بها عيادةً لعلاج أمراض العيون حيث كان من أهم مراجعِهِ ثلاثُ نسخ خطيةٍ لشرح قصيدة: زاد الفقير وجبر الكسير؛ للطبيب راشد بن خلف القرى الرستاقى وأرجوزة تشريح العين وشرحها للطبيب ابن عميرة.

وها هو يختتم رحلة البحث والتعليم والتطبيق العملي في آخر رمق في حياة حافلة بالريادة والعطاء. فقد جمع طلابه بعدما أصابه المرض الأخير وأحسّ بالوفاة قائلاً لهم: "فرّبوا إناءً كبيراً من الماء الصافي واطرحوا عليه مثقالاً من الأدوية المجمدة، ففعلوا ذلك وجَمَدَ الماء في حينه، فأخبرهم أنّ بطني لم ينقطع استرساله، ولم تجمد رطوبته وأكلت الدواء مراراً عديدة، فاعلموا أنّ الأجل انتهى ولا دواء للموت".

ولا يفوتني أن أذكر وأذكر الباحثين بالمنهج العلمي التجريبي الذي اتبعه هذا الطبيب الحاذق، وكذلك ببعده الأخلاقي وهو ما يُعرف اليوم بحقوق الملكية الفكرية فقد تميّز بالأمانة العلمية التامة في كتاباته؛ فكان لا يذكر أمراً من الأمور اكتشفه غيره إلا أشار إلى اسم المكتشف الأصلي؛ ولذلك امتلأت كتبه بأسماء أرسطو طاليس، وأفلاطون، وديسقوريدس، وأبقراط وجالينوس و أبي بكر الرازي وابن سينا وابن النفيس وغيرهم.

ومن خلال هذا العدد الخاص بمجلة الخليل للعلوم الاجتماعية نحتفل بعباقرة خلدّهم التاريخ، كما يعد إبراز هذه الجهود في هذه الحلة القشبية هي إحدى طرق التقدير والاحتفاء والتوثيق وتعريف العالم بهم وإنجازاتهم. ولا يقتصر هذا النشر للاحتفاء وإبراز جهودهم فحسب، بل بالسير على نهجهم في البحث والتوثيق والأمانة العلمية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

الملك والملكوت

أ. موسى بن تهور بن منصور العامري

في شأن أمر الخلق في الأزمان
رب الخليفة ربنا المنان
والعرش خلق فاق في البنيان
والأرض تشرق باسمه النوراني
وهب الكرامة رفعة الإنسان
وعبادةً للروح والأبدان
تنساق للتسييح في إذعان
كُشفت بسر العالم الروحاني
لبت نداء العلم والإيمان
وهوى العصي بحفرة النيران
من صرح عز النفس والأوطان
سر من والأعشاب والفرقان
صرح المعارف مورد الضمان
فتحت لنا بابا إلى الرضوان
في ندوة ذاعت بخير بيان
ودراسة لطبيعة الأكوان
بالعلم فاقوا كالمنير الساني

النقض والإبرام للديان
الله خالقنا تعطف بالسخا
الملك والملكوت من آياته
سجدت له الأملاك في أفلاكها
الله نور الكائنات باسرها
فالقرب من رب البرية مغنم
في الكون أجرامٌ توقر ربها
وعوالم في الكائنات غوامض
سجدت له وتذلت بسجودها
فسما المطيع بأمره لجنانه
يا أيها الجمع الكريم تحية
جننا لنشهد ندوة في طيها
نسعى لجامعة بنزوى إنها
اليوم نسعى نحو صرح شامخ
قد أسهم العلماء في أبحاثهم
فيها بحوث عن علوم جمعة
جمع من الأخيار فاح أريجهم

الله أكرمهم بعلم نافع
كم بين الحكماء أسرار الهدى
وتجندوا في العلم لم يتكاسلوا
أرواحهم في الواردات مدارج
هم بلسم المهموم حين تصيبه
وغدت روايةً صاحب أحمدَ عندما
مثلا يشد به مقام الإقتدا
فتقدم الراقي إليه برقية
فشفاه رب الكون من آلامه
كم وصفة في الطب للمختار
كالمشتكي من بطنه متألما
كم في البسيطة عالم متبجر
من آية أو عشبة أو كية
كم رقية في الماء أو لمجبر
أو خاطئة جمعت فكانت وصفة
كهف الفراهيدي الذي أبوابه
باسم الخليل له نشاط قائم
وعمان قد سبقت بنور علومها
ولابن ماجد ثورة علمية
في كل قطر ذاع صيت علومه
وأتى الصحاري عالما متخصصا
أهدى (كتاب الماء) سفرا نافعا
ويحق (للذهبي) نشر أريجه

في طب داء العين والشريان
فهم ملاذ المدنف الحيران
حتى غدوا قصدا بكل مكان
في الكشف والأعشاب والقرآن
كرب الحياة بقهرها الطعان
لدع الأمير وبات في الهذيان
بالصالحين لساحة الرضوان
من أي فاتحة الهدى المزدان
فغدا الجميع براحة وأمان
كشفت سدول الجهل والأغيان
اسقيه أري النحل باطمئنان
كشف الدواء في السر والإعلان
قطعت مرور الماء في الشريان
أو حاجم أو واسم الأبدان
أكلا وشربا نفثة بدهان
فتحت بمركزه الرفيع الشأن
أهدي له شعري وصوت لساني
وتربعت عرش العلا كجمان
خاض البحار معرفا بعُمان
ملاك البحار وطاف بالبلدان
بطبائع الإنسان في الميدان
ويجود بالوصفات كالعقيان
فخرت عمان به مدى الأزمان

وترى (لفاكهة السبيل) مطالعا
كم كان لابن (عميرة) من خلطة
وله تجارب خاضها بعناية
ولعالم الأسرار (جاعد) فطنة
وترى نواميس المحقق في العلا
ومحمد ذاك الإمام له الفدى
والفارسي منصور فذ عالم
ولشيخنا العبري ماجد بصمة
كأس المرنجا لا مثيل لسره
للقاؤ أسرار الدواء مفيدة
عيشوا مع الطب البديل فإنه
والختم صلوا ما تعاقب وقتنا
والآل والأصحاب ربان التقى

فزكى بنور سنائها المـلوان
هو راشد في الطب كالقبطان
وصفاته كقلائد المرجان
هو قامة في علمه الروحاني
تردان في الخلوات باللمعان
يصف الدوا للجند والأقران
في وصفه الترياق كالسلطان
فكتابه فيض من الرحمن
والرند أو للصمغ أو للبان
والسدر والجعداء والريحان
سر من الأسرار والعرفان
خير الصلاة على النبي العدناني
أهل السيادة والهدى الرباني

توصيات ندوة إسهامات العلماء العُمانيين في الطب والعلوم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

بعد عرض الأوراق العلمية ومناقشتها خُصت الندوة بمجموعة من التوصيات،

أهمها:

- توحيد الدراسات العلميّة لاستخراج مكنونات العلوم التجريبيّة من المصادر الفقهيّة العمانية، ليسهل على الباحثين الوصول إليها عند الحاجة.
- إعداد أبحاث نوعية لدراسة شجرة الصمغ العربي في ظفار، وإجراء مسوحات ميدانية لحصر أماكن انتشارها بدقة، والاستفادة القصوى من هذه الشجرة لتصبح رافدا للاقتصاد الوطني.
- إنشاء كرسي علمي باسم البحار العماني أحمد بن ماجد، وتأسيس مركز بحثي يعنى ببحوث ودراسات في الملاحة البحرية العمانية.
- إنشاء معجم أو قاموس علمي ولغوي مختص بتراث الملاحة البحرية العمانية.
- رقمنة التراث الملاحي البحري العماني، ورغد مؤسسات التعليم العالي بعلومه ودراساته.
- تخصيص برامج وتخصصات لدراسة منهج القضاء العماني في دراسة دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية.
- استثمار البحث العلمي في دراسة الموارد الطبيعية، واستغلالها في

التطبيقات الطبية المختلفة.

- توثيق وحماية العلاج البيطري التقليدي وتطبيق ممارساته في رعاية وعلاج الحيوانات.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مجلة
الخلييل

البحوث



أ. عبدالعزيز بن أحمد بن علي المعشني
ماجستير تاريخ حديث ومعاصر - أستاذ متعاون
بجامعة ظفار
abalmaashani@du.edu.om
م. سعيد بن مسلم بن بخيت تبوك
مهندس اول زراعي - شؤون البلاط السلطاني
smbtabook@rca.gov.com

أهمية شجرة الصمغ العربي (Acacia Senegal) في محافظة ظفار

المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على أهمية شجرة الصمغ العربي (Acacia Senegal) التي تنفرد بها محافظة ظفار دون بقية مناطق الجزيرة العربية، وتسمى محليا «ثور» /θūr/، ويستخرج منها الصمغ العربي المسمى «مُلخ» /məlɔx/، ذو الجودة الجيدة والقيمة الغذائية العالية. وتشير الدراسات السابقة إلى أنّ الصمغ العربي كان يصدر من موانئ ظفار إلى الأسواق العالمية بكميات كبيرة وبأسعار مرتفعة. علاوة على ذلك، تبيّن من خلال الدراسات المتعلقة بهذه الشجرة أنّ هناك إشكالية في تحديد هويتها من جانب، وخلطا بين صمغها العربي وغيره من الأصماغ والراتينجات من جانب آخر. عليه تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن هذا الخلط، ومقارنة وضع الشجرة الحالي بما كانت عليه سابقا، وتوضيح استخداماتها في المجالين: الطبي والاقتصادي. ومن خلال جمع المعلومات من المصادر التاريخية، والزيارات الميدانية ومقابلة الرواة من كبار السن؛ توصلت الدراسة إلى أن الأرقام التي وردت عن إنتاج الصمغ العربي في القرن التاسع عشر واقعية إلى حد بعيد؛ نظرا لانتشار الشجرة الواسع حاليا في سلسلة جبال

ظفار، واستمرارية إنتاجها للصمغ العربي. لذلك توصي الدراسة بإعداد أبحاث متقدمة لدراسة شجرة الصمغ العربي في محافظة ظفار، وإجراء مسوحات ميدانية لحصر أماكن انتشارها بدقة.

الكلمات المفتاحية: شجرة الصمغ العربي، ظفار، الزيارات الميدانية، الاستخدامات الطبية والاقتصادية.

The Importance of Gum-Arabic Tree (Acacia Senegal) in the Governorate of Dhofar

Abdulaziz Al-Mashani

Master of Modern and Contemporary History - Part-time Instructor at Dhofar University

Email: abalmaashani@du.edu.om

Said Tabook

Senior agricultural engineer

Royal Court Affairs

Email: smbtabook@rca.gov.com

Abstract:

This study aims to identify the importance of the gum-arabic tree (Acacia Senegal), which is unique to the Governorate of Dhofar without the rest of the regions of the Arabian Peninsula. It is called “Tur” /θūr/ locally, and the gum arabic called “Malukh” /mələx/, which has high medicinal and nutritional value. The literature studies indicate that gum-arabic was exported from the ports of Dhofar to international markets in large quantities and at high prices. Moreover, through studies related to this tree, it was found problematic in determining the identity of the tree on the one hand, and a confusion between its gum-arabic and other gums and resins on the other hand. Accordingly, the current study seeks to reveal this confusion, and compare the current situation of the tree with what it was in the past, and clarify its uses in the medical and economic fields. Through collecting information from historical studies, field visits and interviewing with older narrators; The study concluded that the figures reported on the production of gum-arabic in the nineteenth century are

quite realistic; Due to the wide spread of the gum-arabic tree currently in the Dhofar mountain range, and the continuity of its production of gum-arabic. Therefore, the study recommends the preparation of advanced research to study the tree in the Governorate of Dhofar, and to conduct field surveys to accurately confine the distribution of the gum-arabic trees.

Keywords: Gum-Arabic, Acacia Senegal, Dhofar, Field Visits, Medical and Economical Uses.

المقدمة

تهدف هذه المقالة إلى دراسة شجرة الصمغ العربي (*Acacia senegal*) التي تعرف في ظفار بتسميات متعددة⁽¹⁾، هي: «ثور»، و«ثَمَار»، و« ثُمور»، إلا أن التسمية الأولى «ثور» /θūr/ هي الأكثر شيوعاً. ويشيع اسم (الهشاب)⁽²⁾ للدلالة على الشجرة نفسها في بعض الدول العربية.

وهي شجرة من فصيلة البقوليات (*Leguminosae*)، ذات ساق أسطوانية متفشرة حرشفية ولون رمادي داكن، يصل ارتفاعها إلى 6 أمتار، وفروعها ذات عقد، تحتوي كل عقدة منها على ثلاث أشواك، وعلى ظهر أوراقها أشواك دقيقة، تنقسم كل ورقة إلى وريقات صغيرة، وأزهارها سنبلية قشدية بيضاء تميل إلى اللون الأصفر (ملحق 1).

وتنمو هذه الشجرة في المناطق الجافة وشبه الاستوائية، خاصة في مناطق حزام الساحل (*Sahelian belt*) الذي يعرف بحزام الصمغ العربي، الممتد في منطقة جنوب الصحراء الأفريقية من السنغال غرباً إلى الصومال شرقاً، وتمتد عبر شبه الجزيرة العربية إلى الهند وباكستان، وعلى الرغم من هذا الامتداد إلا أنه لم يتم تسجيل هذه الشجرة في شبه الجزيرة العربية إلا في محافظة ظفار (ميلر وميرندا، 1988). ومن خواص هذه الشجرة أنها تتكيف في مختلف الظروف الطبيعية، تحتمل الجفاف وشح الأمطار وارتفاع درجات الحرارة (وزارة الزراعة واكساد، 2015؛ Heuzé et al., 2016).

1 تختلف هذه التسميات باختلاف الجماعات اللغوية الناطقة في ظفار على النحو الآتي: ثور: عند الناطقين باللغة الجبالية، خاصة في المناطق الريفية والمدن الساحلية، وجمعها ثمرن (مسلم هيبس، مقابلة شخصية: جمعان باوزير، مقابلة شخصية) وتعتمد المقالة الحالية هذا المسمى لشيوع تداوله، ورغبة في توحيد المصطلحات. ثمار: في المناطق البدوية من ظفار (سعيد الشعشعي، مقابلة شخصية) ثُمور (بتسكين الئاء وضم الميم): عند الناطقين باللغة المهرية (محمد رعبيت، مقابلة شخصية).

2 الهشاب هو الاسم المحلي الذي يطلق على الشجرة في منطقة كردفان السودانية، وتعد دولة مصدرها للصمغ العربي على الصعيد الدولي (Schindler, et al., 2022).

وقد سبقت الدراسة الحالية عدد من الإشارات والدراسات المتعلقة بشجرة الصمغ العربي في جنوب شبه الجزيرة العربية، هي: كتاب للمظفر الرسولي⁽¹⁾ (ت: 694هـ / 1295م) أورد فيه إشارات عن استخدامات الصمغ العربي في العلاج وصناعة الأدوية (المظفر، 2008)، ومذكرات الضابط البريطاني هاينز (Haines) تناول فيها الصمغ العربي، ذكرا أن سواحل ظفار هي المركز الرئيس للصمغ العربي في جنوب الجزيرة العربية، وأن الإنتاج السنوي منه ومن اللبان المصدرين من موانئ مرباط وظفار⁽²⁾ يتراوح بين (3.1 - 10.5 طن)⁽³⁾ (Haines, 1845). ودراسة هنتر (Hunter) التي أورد فيها إحصاءات رسمية عن المنتجات الاقتصادية الصادرة والواردة من وإلى ميناء عدن، ويأتي الصمغ العربي مع اللبان في طليعة هذه المنتجات (Hunter, 1877). وأشار توماس (Thomas) في أثناء زيارته لجبال ظفار إلى اسم هذه الشجرة، ذكرا أنها تنمو في السهول وبطون الأودية، ويخرج الصمغ من أغصانها بشكل طبيعي دون تدخل بشري (Thomas, 1932).

ومن الدراسات الحديثة التي تناولت هذه الشجرة كتاب ميلر وموريس (1988) ورد فيه توصيف للشجرة والاستعمالات الطبية والاقتصادية لها في الماضي والحاضر، وهناك أيضاً كتاب أعده أحمد الكثيري (1996)، وضح فيه التوزيع الجغرافي لأماكن انتشار هذه الشجرة وكثافتها في جبال ظفار، وكتاب آخر للمؤلف نفسه (2016)، تطرق فيه إلى أهمية هذه الشجرة وموسم إنتاج الصمغ العربي،

1 المظفر: يوسف بن عمر بن علي بن رسول (-1222 1297م)، ثاني ملوك الدولة الرسولية التي امتدت من اليمن إلى ظفار، تولى الحكم من 1249 - 1295م، كان شغوفاً بالعلم وله مؤلفات عدة، من أبرزها كتاب: المعتمد في الأدوية المفردة (اليامي، 1974: الخرجي، 1994).

2 ظفار في المرجعيات التي تعود إلى فترة هاينز وما بعده يعبر بها عن مدينة صلالة المعروفة حالياً، ولا تزال هذه التسمية دارجة عند كبار السن في بيئات ظفار المختلفة (مقابلة شخصية مع سالم بالحاف، في 31 مارس 2022).

3 أوردتها هاينز باليمن، ذكرا أنها تتراوح بين 3 - 10 آلاف من، واليمن هو: وحدة قياس للأوزان كانت تستعمل في الأسواق العمانية حتى سبعينات القرن العشرين، واليمن الظفاري يساوي رطلين وثلاث، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف المن المستعمل في السوق. واليمن الواحد يساوي 1 كجم ويزيد قليلاً (هننتس، 1970)؛ (الموسوعة العمانية، 2013).

وهناك دراسة تناولت كثافة الغطاء النباتي في وادي جرزيز، وضحت فيها الانتشار الكبير لشجرة الصمغ العربي بكثافة عالية في الوادي (El-Sheikh, 2013)، وقُدِّمت دراسة حديثة مهمة عن الصمغ العماني⁽¹⁾، مع مقارنته بالصمغ السوداني، مؤكدة التطابق بينهما بعدد مصدرين مهمين للمضادات الحيوية الطبيعية في علاج الأمراض المختلفة وبخاصة المعدية منها (Al Alawi et al., 2018). ويظهر من الدراسات أعلاه أنها لم تشر بشكل واضح إلى التسميات المتعلقة بهذه الشجرة، كما أنها لم تركز البحث في ظفار، ولم تقدم توضيحات كافية عن أسباب تدهور إنتاج الصمغ العربي في ظفار بعد أن كان يصدر بالأطنان في القرن التاسع عشر (Haines, 1845)، وعليه تقوم الدراسة الحالية بكشف الخلط في هذه التسميات، وتوضيح التداخل بين الصمغ العربي وغيره من أصناف الصمغيات والراتينجات، وتسلط الضوء على أماكن انتشار هذه الشجرة في ظفار، وإبراز أهميتها الطبية والاقتصادية. واعتمدت الدراسة الحالية على الزيارات الميدانية ومقابلة الرواة من كبار السن وعددهم 9 رواة من بيئات ظفار المختلفة⁽²⁾، تمت الاستفادة منهم في كثير من أجزاء الدراسة، وتم توثيق ذلك في المتن باعتماد الاسم

1 ذكرت الدراسة أن عينة الصمغ العربي العماني مأخوذة من محافظة ظفار ويرجح بأنها من شجرة «ثور» بحكم أنها متوافرة لدى العطارين.

2

الاسم	العمر	المنطقة/ الولاية	تاريخ المقابلة
سالم بلحاف	85	هرويب - الريفية	16 يونيو 2022
سالم زعينوت	80	جوفاء - سدح	11 مايو 2022
جمعان باوزير	83	الحافة - صلالة	7 مايو 2022
سعيد البرعمي	64	رخيوت	26 مارس 2022
مسعود الكثيري	67	جبل آيين - صلالة	31 مارس 2022
مسلم هيبس	69	ضلكوت	24 مارس 2022
سعيد الشعشعي	68	روية - ثمريت	2 يناير 2022
محمد رفيف	65	هرويب - المزينة	5 يناير 2022
فيصل اليافعي	49	الحافة - صلالة	24 مارس 2022

الأول والقبيلة فقط، واستدعت الدراسة خروج فريق البحث إلى مناطق انتشار الشجرة⁽¹⁾.

تداخل التسميات المتعلقة بشجرة الصمغ العربي

يكثر الخلط عند الباحثين الذين تناولوا هذه الشجرة وما يتعلق بها؛ ويظهر هذا الخلط بداية من التسمية العلمية لهذه الشجرة، إذ اعتمدت مؤخراً تسمية سينيجاليا سينجال (Senegalia senegal) في الكثير من المراجع العلمية، على الرغم من أن تسمية أكاسيا سينجال (Acacia Senegal) -وهي التسمية العلمية الأقدم- لا تزال تستخدم على نطاق واسع (Kyalangalilwa et al., 2013)⁽²⁾.

ويظهر الخلط أيضاً بسبب تعدد الأشجار التي تندرج تحت جنس الأكاسيا، والذي يشمل 1380 نوعاً⁽³⁾ (Rajvaidhya et al., 2012)، ومن الأنواع الشبيهة بشجرة الصمغ العربي: السمر (Acacia tortilis)، والقرظ (Acacia nilotica)، والطلح (Acacia gerardii)، وشجرة القناد (Acacia hamulosa) المنتشرة أيضاً في اليمن (Maqrem et al, 2021)⁽⁴⁾.

وهناك أيضاً ارتباك واضح في تحديد نوع الشجرة المنتجة للصمغ العربي في المراجع القديمة والدراسات الحديثة ذات العلاقة، فهي شجرة الطلح في المعاجم العربية (الرازي، 1986؛ ابن منظور، 2003؛ الزبيدي، 2011)، وشجرة القرظ المعروفة أيضاً بالسنت عند المظفر (2008)، وشجرتا الغاف والسمر عند ولستد

1 المناطق التي تمت زيارتها هي: سدح: لجا شليون، جوفاء؛ مرياط: شهب، أريدت أرحمد، آشور؛ طاقة: دربات، خشيم، عرام، جيجات، خيرات، خيش، حمران؛ صلالة: جريز، تدبور، قفطوت، ايشات، كور، صلنوت، رينوت، نخير، غير، طيطام؛ فلكوت: ديم، خضرمي؛ رخيوت؛ قيشان، عرفت، دهق، أصعيب، صيق.

2 تعتمد المقالة الحالية الاسم العلمي Acacia Senegal وذلك لوروده في المراجع القديمة؛ ورغبة في توحيد المصطلحات؛ ولاستمرارية تداوله بكثرة في الوقت الحالي.

3 تم تسجيل تسعة أنواع منها في محافظة ظفار، هي: A. tortilis, A. oerfota, A. niotica A. geradii. A. etbaica A. senegal, A. hamulosa, A. Laeta, A. asaK (ميراندا وميلر، 1988)

4 ينفي كبار السن أن تكون شجرة «نور» هي شجرة القناد (A. hamulosa)؛ لأنهما مختلفان تماماً، إذ تنتشر القناد بصورة أكبر خارج محافظة ظفار (سالم بالحاف، مقابلة شخصية؛ سعيد الشعشعي، مقابلة شخصية)، وتبعت الدراسة أسماء أخرى لشجرة النور وردت في بعض المراجع ولكنها ليست متداولة محلياً، مثل: الحريث، قتبة، هشاب، هارير، كمبات.

(walsted,1838) تعادلان شجرتا الصمغ العربي في عمان (walsted,1838)، ويذكر هنتر أن الصمغ العربي يستخرج من أربعة أنواع من أشجار الأوكاسيا، هي: السنط العربي (Acacia arabica)، والقرط (A. vera)، والسمر (A. tortilis)، والسلم (Hunter,1877) (A. ehrenberghii)، وعند مايلز (Miles) في حديثه عن نباتات عمان فإن شجرة الصمغ العربي الحقيقية هي أكاسيا فيرا (Acacia vera)، التي سماها شجرة السمر (1919Miles).

إنّ هذا الارتباك الواضح في المراجع السابقة يبرهن على صعوبة تحديد مسمى شجرة الصمغ العربي. وفي سبيل توحيد المسميات؛ أقرت لجنة دستور الأغذية العالمية عام 1978 -بتوصية من منظمة الأغذية والصحة العالمية- أن شجرة الصمغ العربي هي نفسها الشجرة التي تعرف في ظفار باسم «ثور»، وكذلك يُعرّف الصمغ العربي في السودان على أنه الصمغ المستخرج من شجرة الهشاب (الثور) فقط (عبدالمجيد، 2011)، وأضيف مؤخراً صمغ شجرة الطلح (Acacia seyal) تحت تسمية الصمغ العربي بعد إقراره من قبل لجنة دستور الأغذية؛ وبذلك أصبح الصمغ يُسوّقان معاً بالرمز الكودي (Schindler, et al., E414) (2022).

لم يتوقف الخلط عند هذا الحد؛ بل إن هناك أيضاً تداخلاً بين تسميات الصمغ العربي مع الصمغيات والراتنجات الأخرى، فنجد أن أغلب الدراسات القديمة التي تناولت الأصماغ والراتنجات والبخور تنقصها الدقة والوضوح في الفروقات العلمية بينها، ويؤكد بيردوود (Birdwood) (وهو من أبرز الباحثين في البخوريات أن هناك خلطاً بين مصطلح اللبان ومصطلحات الأصماغ عند الكتاب المتقدمين والمتأخرين (Birdwood, 1870). ووقع الرحالة برترام توماس في هذا الخلط أيضاً؛ حيث صنّف شجرة الثور ضمن عائلة البخوريات مع شجرتي

اللبن وطشقوت (Thomas, 1932).

يعد جيروم من الباحثين الذين فصلوا بدقة بين الأصماغ والراتينجات والبخور، إذ عرّف الراتينج: بأنها الإفرازات التي تخرج من الشجرة ثم تبقى على هيئة سائل ثخين يذوب في الكحول ولا يذوب في الماء كالماسستيك⁽¹⁾، أما الصمغ فهو: الإفرازات التي تجف وتتصلب على عكس الراتينج فإنها تذوب في الماء ولا تذوب في الكحول كالصمغ العربي، والصمغ الراتينجي هو: خليط بين الصمغ والراتينج كاللبن والمر⁽²⁾ (Groom, 1981).

وعلى الصعيد المحلي تتعدد التسميات التي تطلق على إفرازات الأشجار في جبال ظفار؛ فتطلق تسمية «طبق» على إفرازات شجرتي المر (*Commiphora myrra*) والعقر (*Commiphora habessica*)، كما تطلق كلمة «شحز» على إفرازات أشجار اللبان (*Boswellia sacra*) وطشقوت (*Euphorbia balsamifera*)، أما كلمة «ملوخ» فتستخدم للدلالة على إفرازات أشجار الثور (*Acacia senegal*) والطلح (*Acacia gerardii*) والسغوت (*Anogiessus dhofarica*) وأكثورة (*Sterculi africana*) (الكثيري، 2016). وفي الرواية المحلية يشيع استخدام تسمية «ملوخ» للدلالة على الصمغ المستخرج من شجرة «ثور» دون الأشجار الأخرى، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى إيرادها في المعاجم دون بقية الأصناف

1 الماسستيك: أو المصطكا؛ هي إفرازات تستخرج من شجرة صغيرة من عائلة الفستقيات، تنمو في حوض البحر المتوسط، خاصة في إيران، ويقال لها العلك الرومي في المعاجم العربية، ويدخل صمغها بكثرة في الصناعات الغذائية والطبية (Langenheim, 2003).

2 المر: هي إفرازات يتم استخراجها من شجرة متوسطة الحجم، من عائلة البخوريات، تنمو في جنوب الجزيرة العربية والصومال وشمال أفريقيا، أصبحت الشجرة في الوقت الحالي شبه منقرضة ظفار، بعدما تنتشر بكثافة عالية في السابق، ولها تسميات محلية عديدة منها: عقرت، دج، مقل، ضح، لقم، ويخرج الصمغ من الشجرة بشكل طبيعي أو بفعل الجرح، ويميل الصمغ إلى اللون الداكن، قديماً كان المر يوضع في أكياس من الجلد؛ كي لا يتسرب الزيت، لأنه يحتوي على نسبة عالية من الزيت (الموسوعة العمانية 2013؛ الكثيري، 2021؛ الهلالبي، 2021).

(Johnstone, 1981؛ المعشني، 2014)⁽¹⁾.

وبناء على ما سبق ذكره من تحديات وتداخلات حول شجرة الصمغ العربي وتسمياتها فإن خلاصة ما توصلت إليه الدراسة: أن شجرة الصمغ العربي هي شجرة «ثور» فقط لعدة أسباب؛ الطلب العالي على الصمغ العربي المستخرج منها في الأسواق العالمية، بالرغم من أن صمغ الطلح منافس منذ عام 2007م إلا أنه لا يزال يفتقد بعض الخواص التصنيعية التي تحتاجها الشركات المصنعة للأغذية والمشروبات والأدوية، مثل: خاصية حفظ المنتج (البنك الدولي، 2007)؛ الفوارق الكيميائية الكبيرة بين صمغي الطلح والثور كما أثبت عبد الماجد في دراسته (2011)؛ الاستخدام الطبي والغذائي على المستوى المحلي يقتصر على صمغ الثور فقط، في حين يطلق على صمغ الطلح «جست»؛ لأنه غير مفيد للأكل أو العلاج لذلك اشتهرت محليا بعدّها الشجرة المنتجة للصمغ العربي (ميلر وميرندا، 1988).

نطاق انتشار الشجرة في ظفار

تحوي سلسلة جبال ظفار غابات تسمى «غابات السحب الموسمية»؛ نظرا لاعتماد هذا النوع من الغابات على الأمطار الموسمية التي تؤثر على المناخ في ظفار خلال الفترة الممتدة من أواخر يونيو إلى أواخر سبتمبر (Eltahir, 2011)⁽²⁾، ويبلغ متوسط الكثافة النباتية في هذه الغابات ما يعادل 2514 شجرة وشجيرة/ هكتار، وتزداد هذه الكثافة باختلاف النطاقات الجغرافية وفق الترتيب الآتي تنازليا: حشكيك، خطم، أودية جبلية، قطن، جرييب⁽³⁾.

1 للاحظ فريق بحث الدراسة الحالية أن الرواة من مختلف البيئات لا يذكرون كلمة «ملوخ» إلا مع الصمغ المستخرج من شجرة «ثور» فقط، على الرغم من معرفتهم ببقية الأصناف، وقد يكون ذلك لارتباطه عندهم بالاستخدام (محمد رعبيت، مقابلة شخصية؛ سالم بالحاف، مقابلة شخصية؛ بحيث المعشني، مقابلة تلفزيونية).

2 يمتد الخريف بين: 21 يونيو – 20 سبتمبر، وفيه تهب الرياح الموسمية الجنوبية المشبعة بالرطوبة على سلسلة جبال ظفار، وتؤدي إلى سقوط الأمطار المستمرة التي عادة ما تكون خفيفة (الكثيري، 1996).

3 القطاعات التضاريسية الرئيسية في سلسلة جبال ظفار، هي:

ويورد الكثيري (1996) معلومات تتضمن متوسط انتشار أشجار «الثور» في هذه الغابات الموسمية يبلغ 81 شجرة/ الهكتار، تتوزع على النحو الآتي: جبل سمحان 68/ الهكتار، جبل القرا 106/ الهكتار، جبل القمر 69/ الهكتار، وعلى الرغم من كثرة انتشار شجرة «ثور» بحسب دراسة الشيخ (2013 El-Sheikh) التي تناولت الغطاء النباتي في وادي جرزيز مؤكدة أن شجرة «الثور» من أكثر الأشجار انتشارا في الوادي بمتوسط 210 شجرة/هكتار، وأيضا من خلال المسح الذي أجراه الفريق البحثي للدراسة الحالية⁽¹⁾، إلا أن الكثيري لم يضعها ضمن الأنواع النباتية الأكثر انتشارا⁽²⁾؛ الأمر الذي يتطلب مزيدا من تقصي الأرقام والإحصاءات الواردة فيها من خلال دراسات مسحية دقيقة.

وتتركز شجرة «ثور» في أعالي الجريب، والمنحدرات الجنوبية المواجهة للبحر التي تتأثر بالرياح الرطبة، والتي تعرف محليا باسم «فموت»⁽³⁾، كما تتركز أيضا في أعالي المنحدرات الملاصقة للسفوح الجبلية شديدة الانحدار في النطاق المعروف محليا باسم «حشكيك»، وبالقرب من الجداول والعيون المائية، وكذلك في بطون الأودية الجبلية، مثل: نحيز، عربوت، دربات، خشيم، جرزيز وغيرها، كما توجد في الوديان الجافة الواقعة في أطراف سهل ظفار شرقا وغربا (ميلر وميرندا، 1988؛ الكثيري، 1996؛ سبالتون والحكماني، 2022).

حشكيك: يقصد بها نهاية السفوح الجبلية المطلة على البحر، وتفصل بين الجريب والمرتفعات الجبلية، ذات كثافة نباتية عالية. خطم: المناطق الجبلية المرتفعة الوعرة شديدة الانحدار، يمتد ارتفاعها بين -150 700 متر فوق سطح البحر، تتميز بخصوبة التربة وارتفاع معدلات سقوط الأمطار وكثرة الضباب.

أودية جبلية: تقع في المناطق الجبلية، وهي الوديان المنخفضة والتي تحيط بها المرتفعات من جميع الجوانب أو من ثلاثة جوانب على الأقل، وتمتاز هذه الأودية بكثافة الغطاء النباتي.

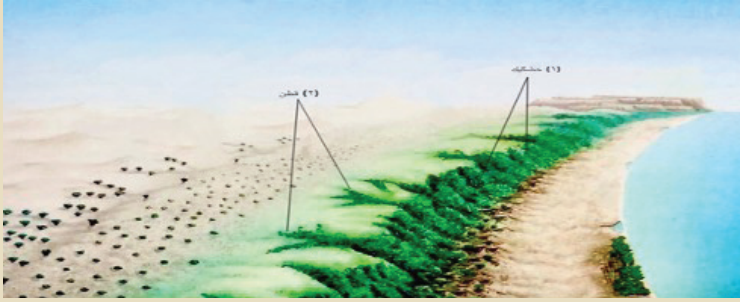
قطن: هي الهضبة الجبلية العليا التي تفصل الجبل عن الصحراء، وهي منطقة رعوية منبسطة، ذات شجيرات وحشائش قصيرة. جريب: هو السهل الممتد من أسفل المنحدرات المواجهة للبحر من مرباط شرقا حتى وادي عدونب غربا. (الحنوشي، 2003؛ المعشني، 2012؛ المعشني، 2014؛ الكثيري، 2016).

1 قام فريق بحث الدراسة الحالية بعدة زيارات ميدانية تم الإشارة إليها سابقا في مقدمة الدراسة، ص 5.

2 الأنواع النباتية مرتبة من الأكثر انتشارا إلى الأقل على النحو الآتي: عقر، عطراء، طشقوت، زيرات، سغوت وغيرها.

3 فموت: جمعها فيوم، ويقصد بها أقدام الجبال، وهي المناطق المرتفعة من المنحدرات المواجهة للبحر، وتندرج ضمن نطاق جريب؛ لأنها تقع في أعالي الجريب الملاصق لنطاق حشكيك (المعشني، 1997).

ويمكن حصر انتشارها إجمالاً على امتدادين أفقيين رئيسيين (صورة 1)، هما: امتداد يقع في قطاع «حشيك»، وتكون الشجرة فيه ذات كثافة انتشار عالية، وامتداد آخر يقع في قطاع «قطن»، وتحديدًا في الوديان الملاصقة للقطن المعروفة محلياً باسم «جيتا»⁽¹⁾. ويقل انتشار الشجرة في المناطق الجغرافية الأخرى، ويأتي نطاق «خطم» في المرتبة الأخيرة من حيث كثافة الانتشار؛ بسبب تعرضه المستمر للرياح القوية التي تقتلع أشجار الثور بشكل كبير، خاصة في الأنواء المناخية (مسعود الكثيري، مقابلة شخصية)⁽²⁾.



صورة 1: توضيح أماكن انتشار شجرة «ثور» في قطاعين: (1) حشيك و(2) قطن. (تم اقتباسها وتعديلها من كتاب نباتات ظفار، لميراندا وميلر، 1988)

وتتباين أحجام الشجرة وأشكالها باختلاف الموقع الجغرافي؛ إذ تتواجد على هيئة شجيرات صغيرة ومتفرقة في السهول الساحلية السفلى، بينما تزداد كثافتها وأحجامها في أعالي السهول والمنحدرات الجبلية⁽³⁾.

مراحل إنتاج الصمغ العربي

الصمغ العربي عصارة صمغية طبيعية لزجة تظهر على جذع الشجرة بفعل

1 جيتا: مفردتها (جا) ويقصد بها الأودية الجبلية وفروعها، وتتميز بالكثافة النباتية العالية من الأشجار والشجيرات والحشائش (الكثيري، 2021).
2 تسببت العاصير والمخفضات الجوية في تراجع الغطاء النباتي، فالرياح القوية التي تصاحبها تنتزع أشجار «ثور» بشكل ملحوظ؛ لأن جذورها ليست قوية، ولذلك تعد من أكثر الأشجار تضرراً بفعل الأنواء المناخية كما حصل في إعصار مكنونو 2018.
3 لاحظ فريق بحث الدراسة الحالية تباين الأحجام في المواقع التي تم زيارتها خلال نوفمبر 2021 - مايو 2022، إذ تبين أن أحجام الشجرة صغيرة نسبياً مقارنة بأحجامها في القرن التاسع عشر التي كانت بين 15 - 25 قدم (Haines, 1845). (ملحق 1).

الخدش والجرح نتيجة العوامل الطبيعية أو البشرية، وبعد أن تجف هذه العصارة تتحول إلى مادة صلبة بيضاء تميل إلى اللون البني، وتتكسر إلى قطع زجاجية، وإذا حفظت بطريقة مناسبة تظل لعقود من الزمن دون تغير؛ لأنها مادة مركبة من الكربوهيدرات (Polysaccharide) والألياف الغذائية. ويمكن تصنيف الصمغ في ظفار إلى نوعين: أبيض بلوري (جوهز أثور) وهو عديم الفائدة، ونوع آخر أحمر داكن يميل إلى البني وهو الشائع والمستخدم (ميلر وميرندا، 1988؛ البنك الدولي، 2007؛ الكثيري، 2016؛ Satti et al., 2020) (ملحق 2).

تبدأ شجرة الصمغ العربي بإنتاج الصمغ بعد 5-7 سنوات من زراعتها، ويرتفع الإنتاج تدريجياً فيكون قليلاً في بدايات عمر الشجرة، ثم يرتفع حتى يصل عمرها 15 عاماً، ويبلغ الإنتاج ذروته حين تصبح في 18 من العمر، ثم يتناقص الإنتاج حتى تبلغ 30 عاماً. وتنتج الشجرة الواحدة من الصمغ العربي كميات تتراوح بين 20 - 2000 جرام، ويبلغ متوسط إنتاج الشجرة الواحدة 250 جرام (عبدالمجيد، 2011؛ أحمد، 2020؛ Schindler, et al 2022).

يخرج الصمغ العربي بطريقة طبيعية، أو بفعل التدخل البشري من خلال الجرح وهي الطريقة السائدة في عملية استخراج الصمغ. وعلى الرغم من شيوع هذه الطريقة إلا أنها لم تعد متبعة حالياً في ظفار⁽¹⁾. وترتبط عمليات الجرح بموسم سقوط الأوراق للشجرة الذي يحدد بشهر ديسمبر⁽²⁾ في ظفار، ومع ذلك فإن الناس يجمعونه طبيعياً في شهري يناير وفبراير (الكثيري، 2016)⁽³⁾.

ويرى رواة الدراسة الحالية أن العوامل المؤثرة في إنتاج الصمغ طبيعياً دون

1 طريقة جرح الشجرة كانت سائدة في ظفار في القرن التاسع عشر. ينظر المبحث الاقتصادي من الدراسة الحالية.

2 تبدأ عمليات الجرح في السودان بعد التساقط الطبيعي للأوراق في شهر أكتوبر، وينتج الصمغ العربي في شهر ديسمبر ويمتد إلى شهر يناير (عبدالمجيد، 2011؛ Schindler, et al., 2022).

3 لاحظ فريق البحث أن إنتاج أشجار الصمغ العربي قد يستمر إلى أواخر شهر مارس في بعض المواقع مثل: عين ايشات الواقعة غرب منطقة ريسوت (ملحق 2).

جرح هي: الرياح الشمالية القوية التي تهب عادة في فصل الشتاء، ودرجات الحرارة العالية، وارتفاع معدل الرطوبة، والأمطار الموسمية. ويقل الاعتماد على خروج الصمغ بشكل طبيعي دون التدخل البشري من فرص الاستفادة من الصمغ العربي، وعليه ترى الدراسة الحالية ضرورة اتباع طريقة الجرح أيضا لتحقيق الفائدة القصوى من إنتاج الصمغ العربي العماني.

الأهمية الطبية

حظيت شجرة الصمغ العربي بأهمية طبية كبيرة في ظفار، سواء صمغها أو الأجزاء الأخرى من الشجرة، مثل: القشرة (قذفت أثور) (ملحق 3)، إذ تستخدم لعلاج الجروح وتطهيرها من التلوث والغرغرينا، ويتم ذلك بعد تجفيفها عن طريق الحرق على نار خفيفة، ثم تطحن حتى تصبح كالمعجون، ثم توضع على الجروح، ويضاف إليها بعد طحنها أحيانا كميات قليلة من الدهن أو السمن ليصبح كالمعجون، ثم يدهن به كامل الجسم؛ لتقويته والوقاية من الأمراض (ميلر وميرندا، 1988). وبحسب الرعاية والنحالين فإن للشجرة استخدامات أخرى غير مباشرة مفيدة لصحة الانسان غذائيا، منها: حليب الإبل التي ترعى من شجرة الصمغ العربي يعد من أجود أنواع الحليب وله فوائد غذائية عالية، وكذلك العسل المستخرج من رحيق أزهارها الذي يتميز بجودة غذائية وطبية عالية (الكثيري، 2016؛ سبالتون والحكماني، 2022).

وقد استفاد الإنسان من صمغها العربي منذ 5 آلاف عام (عبد الماجد، 2011)، وينفرد من بين جميع أصناف الأكاسيا؛ كونه مضافا غذائيا آمنا منذ عام 1998م (Fagg & Alliso, 2004)، مما جعله يدخل بصورة أساسية في العديد من الصناعات الغذائية والطبية كمادة للاستحلاب أو لتثبيت المنتجات (Schindler, et al., 2022). وأجود أنواع الصمغ العربي في ظفار هو الصمغ الأحمر الداكن،

الذي إذا مُضغ ألصق الأسنان ببعض، وجودته وفعالته واحدة في مختلف بيئات ظفار، كما أثبت عبد الماجد (2011) في دراسته أن التركيبة الكيميائية للصبغ العربي تختلف باختلاف نوع الشجرة، وليس باختلاف التوزيع الجغرافي⁽¹⁾. ويتكون هذا النوع من كربوهيدرات وألياف غذائية، ويحوي العديد من العناصر، مثل: الكالسيوم والماغنسيوم والبوتاسيوم والأملاح، ومن أبرز خواصه: قابليته للذوبان في الماء، كما أن الصبغ الجيد هو الذي لا لون له ولا طعم (Nussinovitch, 2009؛ بركة، 2020). بناء على تلك الخواص الغذائية كان الناس في ظفار سابقا يأكلونه لسد رمق الجوع⁽²⁾. ويؤكل مباشرة، أو يتم مزجه بالماء أو الحليب، وذلك بنقعه حتى تمتص فوائده الغذائية والطبية، ثم يشرب.

ويستخدم الصبغ العربي محليا في علاج أمراض الصدر والرئة، مثل: فحج⁽³⁾، ويستعمل أيضا في تنظيف الجهاز الهضمي عندما يشرب صباحا قبل الأكل، ويخفف آلام الظهر والمفاصل، ويوقف نزيف الدم، ويعالج قرحة المعدة، ويعالج مرض السكر وضغط الدم، والإمساك الحاد والمزمن، وأمراض الكلى (الفضل الكلوي)⁽⁴⁾، والمسالك البولية، والضعف الجنسي، وتقوية الحيوانات المنوية، وتقوية جهاز المناعة، وعلاج القولون العصبي وسرطان القولون، ويمسك الكسر من العظام إذا ضمد به، ويقوي عضلات البطن، وينفع لعلاج الرمد في العيون ويصفي الصوت (ميلر وميرندا، 1988؛ المظفر، 2008؛ الكثيري، 2016). ويستخدم في إزالة البقع التي تظهر على الجلد والوجه، ويساعد في تخفيف آلام ما بعد الولادة

1 هناك تطابق بين نتائج دراسة عبد الماجد والرواية المحلية في مسألة جودة الصبغ العربي في بيئات ظفار المختلفة (مسلم هبيسي، مقابلة شخصية).

2 مقدار الاستعمال اليومي للبالغين بين 25-38 جراما، ومقداره عند الأطفال 5 جرامات (باراس، 2021).

3 فحج: مرض شائع في ظفار يحدث جراء تمزق في جدار الصدر للإنسان بسبب حمل الأوزان الثقيلة.

4 يمكن علاج الفضل الكلوي، بتدبيب معلقتين كبيرتين في كأس من الماء، وتركه لساعتين ثم يشرب على الريق أو قبل النوم لمدة شهرين (باراس، 2021).

أيضاً؛ لذلك يكثر استخدامه عند النساء (سعيد البرعمي، مقابلة شخصية). يدخل الصمغ العربي المجفف أيضاً في صناعة الكبسولات والأقراص الطبية والمشروبات الدوائية كدواء السعال (الكحة)؛ القابلية العالية للامتصاص جعلته يستخدم بكثرة في صناعة أدوية مقاومة تسوس الأسنان وأدوات التجميل ودهانات البشرة ومثبتات الشعر. ويعد من المواد التي تحوي سعرات حرارية قليلة جداً؛ إذ يحوي أقل من سعرة حرارية واحدة/ الجرام؛ لذلك ويدخل في برامج التغذية كالحميات الغذائية وتخسيس الوزن، ويعمل أيضاً على خفض الكوليسترول (Satti et al., 2020؛ Schindler, et al., 2022).

على الصعيد الدولي يدخل الصمغ في الكثير من الصناعات التحويلة الطبية وغيرها من الصناعات الاقتصادية، بينما على الصعيد المحلي يكاد ينحصر تداوله بين كبار السن فقط⁽¹⁾. من أبرز أنواع الصمغ العربي شيوماً وجودة على مستوى العالم هو الصمغ السوداني (Schindler, et al., 2022)، إلا أن الصمغ العماني ليس ببعيد عنه، حيث أثبتت دراسة العلوي وآخرون أن الصمغ العماني مطابق للصمغ السوداني من حيث الفعالية بوصفه مصدراً للمضادات الحيوية الطبيعية لعلاج الأمراض (Al Alawi et al., 2018)؛ بناءً على ذلك فإنه لمن الضرورة بمكان الاهتمام بهذا المنتج الوطني، والعمل على الاستفادة القصوى منه.

الأهمية الاقتصادية

شجرة الصمغ العربي من الأشجار الاقتصادية التي تنفرد بها ظفار دون بقية مناطق شبه الجزيرة العربية؛ وكان لها في القديم تأثير في الحياة الاقتصادية لمعظم الفئات الإنتاجية من الرعاة والنحالين والمزارعين والتجار والصيادين والحرفيين؛ لذلك تعددت استخداماتها وفوائدها، ومن صور مظاهر حرص الناس على الاهتمام

1 في أثناء مقابلة أحد الرواة لاحظ فريق البحث وجود قنبلة ماء بالقرب من الراوي فيها ماء ممزوج بالصمغ العربي، يشربها بشكل يومي منذ سنوات عدة بهدف تقوية مناعة جسمه (مسلم هيبس، مقابلة شخصية).

بهذه الشجرة أن من يقوم بقطع أو كسر الأفرع الحية للشجرة يتعرض للعقاب، كما يقوم مربو الإبل والغنم بتقليمها بطريقة تقليدية تدعى (غش) (1) للحفاظ على حيويتها (ميلر وميرندا، 1988؛ الكثيري، 1996).

وتعددت فوائد هذه الشجرة، إذ يستعمل لحاؤها (2) (نفجت أثور) كمادة لدباغة الجلود، فتؤخذ شرائح من هذا اللحاء (ملحق 3)، وتقطع على هيئة شرائح طويلة، ثم يتم لفها حتى تصبح على شكل خيوط، وقد يضاف إليها بعض المواد لتقويتها (ميلر وميرندا، 1988؛ الكثيري، 1996). سيقانها وأفرعها الرفيعة القوية يصنع منها أقفاص لصيد الأسماك (قراقر بالعربية الدارجة، وقربقر بالجبالية)، وتقطع هذه الأفرع طوليا على هيئة شرائح رفيعة تصلح للنسيج، ثم توضع في الماء لمدة تتراوح بين 30 إلى 40 يوما لتكتسب المرونة اللازمة (الموسوعة العمانية، 2013؛ ميلر وميرندا، 1988). خشبها الصلب يستخدم في مجال البناء، كبناء الحظائر (مشددة)؛ أفرعها الكبيرة التي على شكل دائري ذات أشواك قوية يصعب اختراقها (أقلت أثور)؛ لذلك تستخدم بمثابة أبواب قوية للمنازل التقليدية. ويستخدم الخشب أيضا لصناعة المهد للأطفال الصغار (فدت)، وملاقط لحمل الحجارة الساخنة من وسط النار (معذم)، ويتم تكسير الأفرع الميتة ثم يؤخذ خشبها الداخلي الجاف (نكزس) ثم يفتت ليصبح شبيها بالنشارة، ويخزن للاستخدام المستقبلية، وحبها ممتاز للغاية لأنه ينتج حرارة عالية ودخان قليل ويحترق ببطء، ويصنع منه فحما نباتيا مرتفع السعر، ويصنع من أخشابها القوية عصيا (خطارق) (ميراندا وميلر، 1988؛ الكثيري، 1996). الأوراق والأزهار لها قيمة علفية كبيرة جدا

1 تقطع أجزاء من أعنان الشجرة وأطرافها الجانبية؛ بهدف إطعام الماشية والحفاظ على حيوية الشجرة. وتتم هذه العملية في أوقات معينة من السنة، ويقوم بهذه العملية شخص لديه خبرة بأشجار المراعي يعرف محليا: آعش، وهذه الطريقة التقليدية تستعمل مع الأشجار ذات الأهمية البالغة للرعاة فقط، وهي: ثور، وسقوت، وطبق، وغبضيت، وعقر، وشيقوف (ميلر وميرندا، 1988؛ الكثيري، 1996).

2 اللحاء: خشن متشقق، لونه يميل إلى الأصفر أو البني المائل للرمادي، وأفرعه الصغيرة صفراء أو بنية رمادية (Fagg & Alliso, 2004).

للحيوانات، وتساهم في تسمين المواشي ودر الحليب، والجزء المفضل هو تلك الثمار التي على هيئة قرون؛ لأن الأغنام والإبل تقبل عليها بحماس شديد قد يؤدي بها إلى السقوط من المنحدرات (سالم زعنوت، مقابلة شخصية). وتساهم الجذور في تثبيت النتروجين الجوي، والذي يعمل على تحسين خصوبة التربة وزيادة الإنتاج الزراعي⁽¹⁾، وتضيف الشجرة الواحدة عشرين كيلوجرام من النتروجين سنويا للمهتار الواحد(الحاج، 1989؛ عبدالمجيد، 2011؛ Schindler, et al., 2022). ونظرا لفوائدها البيئية الكثيرة؛ فقد ارتفعت مكانتها على الصعيدين المحلي والدولي⁽²⁾.

وبعد الصمغ العربي أهم المكونات الاقتصادية لهذه الشجرة، وقد ظهرت حركته التجارية عالميا في عشرينيات القرن التاسع عشر من خلال التجار الأوروبيين⁽³⁾ (الفتاح، 2017)، بينما ظهرت في ظفار في ثلاثينات القرن التاسع عشر؛ بسبب الاهتمام العالمي بالصمغ العربي من جهة، وتحسن النظم الاقتصادية والسياسية في ظفار من جهة أخرى⁽⁴⁾. فأضحى من المنتجات الرائجة التي تصدر إلى الأسواق الإقليمية والعالمية، وساهم أيضاً قرب موانئ ظفار من طرق الملاحة الدولية في سهولة وصوله إلى الأسواق⁽⁵⁾، خاصة عبر ميناء عدن الذي تتجمع فيه حاصلات الصمغ العربي من جنوب الجزيرة العربية؛ ليصدر إلى مختلف

1 تحوي الجذور عقداً بكتيرية، إذ يمكن مشاهدة نتوءات صغيرة مستديرة متصلة بالجذور تعرف بالعقد، تقطنها البكتيريا التي لا تترس إلا بالمجهر، وتقوم بتثبيت النتروجين الجوي وجعله متاحاً للنباتات كمادة غذائية، ومن فوائد الجذور أيضاً أنها تحافظ على تماسك التربة من الانجراف، والحفاظ على العناصر الطبيعية التي تحويها التربة، وتقليل مخاطر التصحر (الحاج، 1989).

2 تمت زراعتها في السودان وكينيا ومالي لإنتاج الصمغ العربي وتثبيت الكثبان الرملية وصد الرياح، وزرعت في أستراليا وإندونيسيا وسريلانكا للغراض الزينة، وفي شبه القارة الهندية للاحتطاب وتثبيت الكثبان الرملية، وفي موزمبيق لتجارب التقييم الجيني (Fagg & Alliso, 2004).

3 تركز اهتمام الأوروبيين على الصمغ السوداني، ولذلك هيمن الصمغ السوداني على السوق الدولي بنسبة تتراوح بين: 80% - 90% حتى سبعينات القرن العشرين.

4 استقرت أحوال ظفار نسبياً بتولي محمد بن عقيل السقاف الحكم (1806-1829)، بعد اضطرابات شديدة منذ القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر؛ بسبب الاحتلال البرتغالي للسواحل وتدميرهم للتجارة العربية، فتأثر الصمغ العربي محلياً؛ نتيجة قرار منع تصدير البضائع والسلع من ظفار إلى الخارج، ويعرف هذا المنع محلياً باسم التحريج (ورتبات، 1895؛ المشهور، 2009).

5 كانت السفن الشراعية - قبل ظهور السفن البخارية - كثيرة التردد على ظفار أثناء سفرها إلى الهند ومليبار والسند والبصرة، وبعد ظهور السفن البخارية تغيرت مسارات وطرق الملاحة الدولية (الحداد، 1929).

الأسواق العالمية (Groom,1981). وغالباً ما يرسل الصمغ العربي إلى الهند؛ ليتم فرزهِ وتنظيفه، ثم يباع النوع الأجد منه في بريطانيا وإيطاليا وفرنسا ويبيع الأقل جودة في الأسواق الهندية (Hunter,1877)⁽¹⁾. وكان يقام للصمغ العربي معرض سنوي في مدينة بربرة على الساحل الغربي من البحر الأحمر من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل، فتؤخذ كميات كبيرة من الصمغ العربي من مختلف مناطق الجزيرة العربية إلى هذا المعرض (Berdood,1870).

وقد دفعت وفرة أشجار الصمغ العربي الكبيرة السكان المحليين للعمل على إنتاج الصمغ بكميات تجارية، حتى أصبح ساحل ظفار مركزاً رئيساً لإنتاج الصمغ العربي، ويتفاوت الإنتاج السنوي من اللبان والصمغ العربي معاً في مرباط وظفار بين (3.1 - 10.5 طن) تقريباً، وما يتم تصديره قليلاً مقارنة بأشجار الصمغ العربي المنتشرة بأعداد كبيرة على المنحدرات الجبلية والوديان الداخلية (Haines,1845). الإنتاج بهذه الكميات التجارية يتطلب تدخلاً بشرياً حسب وصف هنتر، كما أنه حذر من خطورة جرح (دق) الشجرة أكثر من خمس مرات في الموسم؛ لأنه قد يتسبب بموتها (Hunter,1877). وقد دفعت العوائد المالية المجزية للصمغ العربي السكان في ظفار لاستثمار شجرة «ثور» والأشجار الأخرى المنتجة للأصماغ كاللبان والمر والعقر (الكثيري، 2012)، وظهرت محاولة جادة لاستثمار هذه الأصماغ في العام 1877، ولكنها لم تكتمل لأسباب سياسية (فيليبس، 1989)⁽²⁾. ويؤكد مايلز (Miles) عام 1884 استقرار التجار

1 تركز بيع الصمغ العربي العماني في الهند؛ نظراً لتعدد استخداماته؛ في صناعة المنسوجات والطلاء والحبر والطباعة الحجرية وغيرها، ويتم تصدير الكثير من تلك الأصماغ عبر الهند إلى معاملاً أوروبا وأمريكا (شميل، 1878؛ طاشكندي، 2000).

2 المحاولة قام بها حاكم ظفار السيد فضل بن علوي (1875-1879)، لاستثمار الصمغ والمطاط بهدف زيادة الصادرات، فأرسل وفداً من ظفار إلى الهند عام 1877 بهدف جلب المتخصصين في صناعة الأصماغ، لكن المحاولة لم تستمر بسبب الضغوط البريطانية (فيليبس، 1989). وكان الصمغ العربي والأصماغ عموماً تحظى بأهمية اقتصادية عالية، فقد كان الصمغ أكثر صادرات زنجبار إلى أوروبا عام 1856 في عهد السيد سعيد بن سلطان، حتى أنه أرسل 110 صندوق على متن السفينة «سلطانة» في رحلتها الشهيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية (المحذوري، 2014).

الهنود في ظفار لتحمل سفنهم الأصماغ وغيرها من بضائع ظفار إلى الهند (Miles, 1919)). ولكن من خلال زيارة الزوجان بنت (1894-1895 Bent) لجبال القرا - أكثر مناطق انتشار شجرة ثور- يلاحظ فيها عدم تطرقهما للصمغ العربي مما قد يفسر تراجع (Bent, 1900), (1). ومن الإشارات المهمة على تراجع ما ذكره برترام توماس في زيارته لجبال ظفار، ذكرا أن الشجرة لم تعد تجرح، بل يخرج صمغها بشكل طبيعي ((Tomas, 1932)، فأصبح واقع الصمغ العربي متراجعا، بعد ازدهار تجارته العريقة لقرون عديدة، وتوقف تصديره في حقيقة الأمر، وتراجعت مكانته المحلية أيضا (2)، فاختزل استخدام الشجرة للرعي والاحتطاب باستنزاف شديد (هارتلي، 1950؛ هولي، 1998) (3).

الصمغ العربي له خواص ومزايا تصنيعية عديدة؛ فاستخدمه المصريون قديما في صناعة الحبر والطلاء قبل آلاف السنين (بركة، 2020). مادته اللاصقة تجعله يعمل على حماية الحبر أثناء صناعته، ويعد الصمغ عنصرا أساسيا في الطباعة الحجرية(4)، ويدخل أيضا في صناعة المنسوجات، والأصباغ، وصناعة الورق (Hunter, 1877). في الوقت الحاضر لا يزال يحظى بإقبال واسع في الأسواق العالمية، إذ يدخل بكثرة في صناعة المشروبات الغازية، وكذلك في تركيب مواد النكهة وخلطات التحلية؛ حيث يعمل بوصفه مستحلباً في صناعة الحلويات الطرية ذات الجودة العالية والسعرات الحرارية المنخفضة(5)، ويعمل بمثابة مثبت

- 1 مما يدعو للتساؤل من زيارة الزوجين بنت أنهما لم يتطرقا للشجرة بالرغم من تقديمهما وصفاً دقيقاً لكثير من الأشجار كالمر واللبان.
- 2 إنتاج الصمغ العربي المحلي شحيح جدا، ويكاد ينقطع في الأسواق المحلية؛ باستثناء كميات محدودة كانت تباع في الأسواق المحلية في سلالة والحافة قبل عام 1970. التي تصدر في بعض الأحيان إلى الخارج بكميات محدودة جداً (جمعان باوزير، مقابلة شخصية).
- 3 يذكر هارتلي (1950) في تقريره عن الأوضاع الزراعية والموارد الطبيعية في ظفار بتاريخ 20 مارس 1948: «أن أشجار الأكاسيا تعرضت للاحتطاب باستنزاف، لاستخدامها لوقود النار وبناء مقرات الحكومة في الحصن والحافة».
- 4 الطباعة الحجرية تعرف أيضا بالليثوغرافيا (Lithography)، يدخل الصمغ العربي فيها بصورة أساسية؛ لأنه يمنع الحبر من التفتش على الحجر، ويدخل في مراحل عدة في هذه الصناعة، وفي آخر هذه المراحل يغسل الحجر الجيري بماء فيه صمغ عربي وقليل من حمض النيتريك (أوعزالدين، 1896؛ الموسوعة العربية العالمية، 1999؛ طاشكندى، 2000).
- 5 خاصية الاستحلاب تعمل على توزيع الدهون على أجزاء المنتج ومنع تحركها نحو السطح، فيقوم الصمغ بثبوت النكهة فيكون غشاء لا

أثناء التصنيع؛ فيكون طبقة رقيقة على الحلويات، لتعطيها قواما متماسكا، ويمنع تبلور السكر. ويدخل أيضا في تنقية خامات المعادن وصناعة المطهرات وأدوات التجميل، والمواد المانعة لتآكل الفلزات (البنك الدولي، 2007؛ Nussinovitch, 2009؛ عبدالمجيد، 2011؛ Schindler, et al., 2022).

بلغ إجمالي الصادرات العالمية من الصمغ العربي عام 2018 حوالي 168 ألف طن، وتملك السودان النصيب الأكبر منها بنسبة 66% ثم تأتي تشاد بنسبة 13% ونيجيريا بنسبة 8.5 %، لذلك تعد السودان الأكثر تأثيرا في تحديد أسعار الصمغ العربي العالمي⁽¹⁾. ومن جانب الاستيراد فإن فرنسا والهند⁽²⁾ هما الأكثر استيرادا للصمغ العربي بنسبة 75%، وتأتي أوروبا في طليعة القارات المستوردة للصمغ تليها قارة آسيا⁽³⁾ (Schindler, et al., 2022).

الإنتاج الحالي للصمغ العربي العماني في محافظة ظفار شحيح جدا، حيث يكاد ينقطع، وقلما يحظى بطلب المستهلكين، باستثناء فئة قليلة من كبار السن، وبعض الرعاة الذين يحرصون على الاستفادة منه صحيا ومكملا غذائيا، ويحصلون عليه عادة عن طريق جمعه بأنفسهم. حيث إن الإحصائيات تنفي تصديره إلى الخارج في السنوات الخمس الأخيرة (2016-2021) (شرطة عمان السلطانية، 2021). جدول (1): إجمالي واردات سلطنة عمان من الصمغ العربي حسب المنافذ

للعامين 2020 و2021

المنفذ	2020		2021	
	القيمة (ر.ع.)	الوزن (كجم)	القيمة (ر.ع.)	الوزن (كجم)

يخترق حول جزينات النكهة، مما يمنح ملمسا قويا حول المنتج يصعب اختراقه (بركة، 2020).

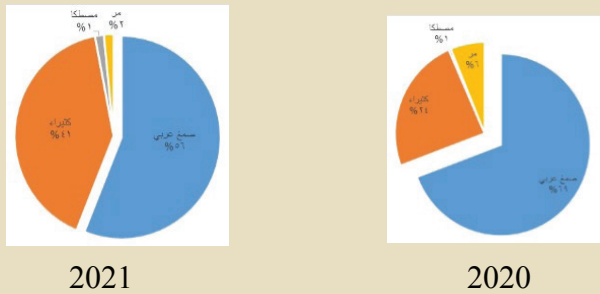
1 اتسمت السنوات العشر الأخيرة حتى عام 2017، بتقلبات كبيرة في الأسعار؛ بسبب الاضطرابات السياسية الواقعة في السودان (ملحق 4).

2 تستهلك فرنسا كميات كبيرة من الصمغ العربي، وتقوم بمعالجته ثم إعادة تصديره، تقوم بإنتاج الثلثين من إجمالي صادرات الصمغ العربي في العالم، شركة «ننكسبريا» وحدها تمتلك 50 % من حصة الصمغ العربي عالميا.

3 إجمالي واردات الصمغ العربي بحسب القارات (ملحق 5).

-	-	170	277	المزبونة
18	134	313	533	الوجاجة
-	-	500	2002	خطمة ملاحه
1465	8875	2790	10747	مطار مسقط الدولي الشحن
-	-	225	3289	مكتب البريد المركزي
2159	3296	4247	4336	ميناء صحار
20	71	25	29	ميناء صلالة
3662	12376	8270	21213	الإجمالي

يوضح الجدول (1) كمية الإيرادات من الصمغ العربي للعامين 2020 و2021 حسب المنافذ البرية والبحرية والجوية لسلطنة عمان، حيث انخفضت كمية الصمغ المستورد في العام 2021 بنسبة تتجاوز 50% عن العام 2020؛ وقد يعزى السبب إلى جائحة كورونا، وما خلفته من آثار سلبية على حركة النقل والشحن الجوي، على اعتبار أن النسبة الأكبر منه تأتي من خلال المنافذ الجوية. وتعد السودان أكبر موردي الصمغ العربي ثم تليها الهند ثم الصومال كما هو موضح في الجدول (2)، وتم إعادة تصدير الصمغ العربي المستورد من سلطنة عمان إلى



الدول الأخرى، مثل: قطر والأردن، ولكن بكميات محدودة جدا (شرطة عمان السلطانية، 2021)⁽¹⁾.

1 أُعيد تصدير 270 كجم من الصمغ العربي إلى الأردن بقيمة 522 ريال، وأعيد تصدير 10 كجم إلى قطر بقيمة 285 ريال (ملحق 6).

في الآونة الأخيرة ارتفع الاستهلاك المحلي للصبغ العربي المستورد من أفريقيا مما جعله متوافرا بكميات كبيرة وبأسعار تنافسية⁽¹⁾، ويوضح الشكل رقم (1) نسبة الواردات إلى سلطنة عمان من الصمغيات للعام 2020 و2021، ومن خلاله يتضح أن الواردات من الصمغ العربي تتجاوز المر، والكثيرا، والمصطكا في كلا العامين⁽²⁾.

إنتاج الصمغ العربي العماني للعام 2022 متراجع جدا، ويكاد ينعدم توافره في الأسواق المحلية، باستثناء كميات محدودة جدا⁽³⁾. لدرجة عزوف التجار عن بيعه لأسباب عدة منها؛ شح الإنتاج وتذبذبه؛ وانخفاض عوائده المالية (شرطة عمان السلطانية، 2020؛ شرطة عمان السلطانية، 2021).

جدول (2): واردات سلطنة عمان من الصمغ العربي حسب بلد المنشأ للعام

2021

الدولة	القيمة (ر.ع.)	الوزن (كجم)
السودان	9,532	1,913
الهند	2,252	931
الصومال	440	798
إيران	134	18
المغرب	17	2
الإجمالي	12375	3662

1 يذكر أحد التجار ممن لديهم خبرة تتجاوز 30 عاما في سوق العطارين بشارع السلام في صلالة، أن الصمغ العربي المستورد من السودان ودول أفريقية أخرى دخل إلى الأسواق المحلية في صلالة منذ قرابة خمسة أعوام فقط، وبياع حاليا الكيلوجرام الواحد بسعر يتراوح بين: 3-4 ريال.

2 المصطكا والمر: تمت الإشارة إليهما سابقا في مبحث: تداخل التسميات المتعلقة بشجرة الصمغ العربي من الدراسة الحالية. الكثير: Astragalus gummifer ، شجرة صغيرة جرداء، من جنس القتاد، يتراوح طولها -20 60 سم، موطنها الأصلي في منطقة الشرق الأوسط بخاصة في إيران، ويستخدم صمغها لعلاج التهابات الحلق والسعال، وموسم إنتاج صمغها يمتد بين: مايو- أغسطس (Nussinovitch, 2009).

3 للتحقق من عرض الصمغ العربي للبيع في الأسواق المحلية قام الباحثان بزيارات ميدانية إلى الأسواق الآتية: الحافة، القوف، شارع السلام، منذ ديسمبر 2021 وحتى شهر مايو من العام 2022، تم فيها زيارة أكثر من (30) محلا، ولم يجد فريق البحث إلا سوقا واحدا يعرض فيه الصمغ للبيع هو سوق «بن عسكر» بكمية مقدارها 4 كجم فقط، وبياع الكيلوجرام الواحد ب 7 ريالات (فيصل اليافعي، مقابلة شخصية) (ملحق 2).

شكل 1: نسبة واردات السلطنة من الاصماغ للعام 2020 و 2021

عسل الصمغ العربي

ساهم الانتشار الكثيف لأشجار الأكاسيا في سلسلة جبال ظفار في إنتاج العسل وتصديره منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (Miles, 1919)؛ هولي، (1998)، ومن أشهر الأنواع المنتجة للعسل في ظفار يأتي عسل الصمغ العربي المسمى محليا «آنشور» أو «دبش آنشور» أو «دبش أثور» في مقدمة هذه الأنواع (الكثيري، 2008)⁽¹⁾. والأزهار هي الجزء المفضل للنحل، ويطلق على براعمها الصغيرة «سوق»، ثم تتطور هذه البراعم لتصبح رؤوسا طويلة ومتدللية يطلق عليها «طي»، وعندها تصبح الأزهار جاهزة لإنتاج عسل الصمغ العربي (ميراندا وميلر، 1988).

وحسب مربّي النحل، فإن موسم التزهير يبدأ مع اشتداد درجات الحرارة مطلع فصل الصيف (القيظ)⁽²⁾، ويمتد إنتاج عسل الصمغ العربي من منتصف شهر مارس إلى منتصف شهر أبريل غالبا⁽³⁾، ويظهر التزهير تدريجيا بدءا بالمناطق ذات درجات الحرارة الأعلى مثل: الجرابيب وأقدام الجبال (فيوم) في منتصف شهر مارس، ثم ينتقل التزهير إلى المناطق التي تنخفض فيها درجات الحرارة في المناطق الجبلية، وآخرها منطقة القطن التي يظهر فيها التزهير أواخر شهر مارس؛ لذلك يحرص مربو النحل على نقل خلايا النحل إلى أعالي الجرابيب أولا، ثم إلى القطن والمناطق الباردة الأخرى؛ لتحقيق الاستفادة القصوى من الموسم. ويتأثر التزهير بعوامل عدة، من أهمها: قوة موسم الخريف وما يصاحبه من أمطار

1 آنشور: التسمية التي تطلق على أزهار شجرة "ثور" بالجبلية. دبش: تعني العسل بالجبلية (ملحق 7).

2 القيظ: هو فصل الصيف في ظفار، ويمتد خلال 20 مارس - 21 يونيو، وترتفع فيه معدلات الرطوبة وتجدف الأعشاب (الكثيري، 1996).

3 الموسم الرئيس لإنتاج العسل في ظفار حاليا يكون بعد موسم الخريف ويدعى موسم «الزهور». أما المواسم الأخرى فهي: موسم السدر من نوفمبر إلى فبراير، وموسم اللبان من مارس إلى مايو، وموسم الصمغ العربي والسمر من إبريل إلى مايو (سبالتون والحكماني، 2022)

ونمو خضري، ودرجات الحرارة، والرياح الجافة التي تؤثر على تماسك العسل ورطوبته (المعشني، 2017).

ويبلغ إنتاج عسل الصمغ العربي لهذا العام 2022 ما لا يقل عن ثلاثة أطنان تقريباً⁽¹⁾، بأسعار تتفاوت بين (-20 35) ريالاً للكيلوجرام الواحد، بمعدل متوسط 25 ريالاً⁽²⁾. ويتميز عسل الصمغ العربي ببطء التبلور، والمذاق الفريد، وجمال اللون، وبأنه ذو جودة عالية تطابق المواصفات المحلية والخليجية، وذلك يجعل إمكانية وصوله للأسواق العالمية واردة؛ إذ يعد من المنتجات الوطنية التي تحمل الهوية العمانية⁽³⁾.

عوامل تراجع إنتاج الصمغ العربي العماني

هناك مجموعة من التحديات تصعب على الباحثين تتبع عوامل تراجع إنتاج الصمغ العربي في ظفار منذ أواخر القرن التاسع عشر، أبرزها: عدم توفر المراجع التي توضح مراحل ازدهاره وانحداره، الفارق الزمني الطويل منذ تراجعه، مما أحدث فجوة معرفية كبيرة عند كبار السن حالياً⁽⁴⁾، التخبط الواضح في تسميات الأشجار التي يستخرج منها الصمغ العربي كما تم التطرق إليها سابقاً. بناء على ماورد أعلاه من تحديات، لعل من الأسباب التي أدت إلى تراجع إنتاج الصمغ العربي العماني؛ هو توقف الطلب في الأسواق الهندية عليه، مما تسبب في توقف الإنتاج المحلي؛ لأن السوق الهندي هو المحرك الأساسي لتجارة

1 قدرت هذه الكميات من الإنتاج؛ بناء على مقابلات مع عدة نكاليين، وذكر أحدهم: أنه أنتج 600 كجم، وذكر آخر: أنه أنتج أكثر من 200 كجم من إجمالي خلايا النحل لا تتجاوز مئة خلية، وبناء على مقابلات النكاليين؛ يقدر فريق البحث أن الإنتاج السنوي من عسل الصمغ العربي لا تقل عن 3 أطنان.

2 قام فريق البحث بعدة زيارات إلى منافذ بيع العسل في الفترة بين: مارس - مايو 2022، ولاحظ الفريق تفاوتاً في الأسعار كما ورد أعلاه، وخلال معرض سوق العسل العماني الرابع عشر الذي أقيم في مسقط بين: 28 يونيو- 12 يوليو 2020، تراوحت الأسعار بين: 30-35 ريالاً للكيلوجرام الواحد (وزارة الزراعة والثروة السمكية، 2020).

3 نتيجة فحص عسل الصمغ العربي من إنتاج شهر أبريل 2022 (ملحق 8).

4 يستغرب الرواة ويستنكرون عندما نخبرهم عن أرقام هاينز وهنتر التي تتحدث عن الكميات الكبيرة للصمغ العربي المصدر من موانئ ظفار في القرن التاسع عشر، وقد نكرر هذا المشهد في عدة مواقف.

الصمغ العربي في المناطق المطلة على المحيط الهندي⁽¹⁾؛ ومن العوامل التي قد تكون سببا في تراجعها أيضا هي العوامل الطبيعية كتذبذب الأمطار ودرجات الحرارة والرياح (شريف، 2018)⁽²⁾. ويؤثر الخريف في مفاصل الحياة في ظفار بأدق تفاصيلها، فتأثرت الشجرة بتراجع الخريف وانحساره في بعض السنوات⁽³⁾؛ أيضا تتأثر بانتشار الفطريات والآفات الزراعية⁽⁴⁾؛ وساهمت الأنواء المناخية كالأعاصير المدارية والمنخفضات في هذا التراجع؛ ومن أبرز العوامل الطبيعية ذات التأثير المباشر هو التصحر وآثاره الكبيرة في تراجع الغطاء النباتي (المشيخي، 1996)⁽⁵⁾؛ وتعد العوامل البشرية المتمثلة في الاحتطاب الجائر، والرعي الجائر، والحرائق، والتوسع العمراني من أسباب تراجعها؛ ومن الأسباب أيضا التضاريس الوعرة ذات الانحدار الشديد التي تنتشر فيها أشجار «ثور» مما يشكل صعوبة بالغة على الذين يجمعون الصمغ العربي⁽⁶⁾؛ وطبيعة المجتمع الرعوي أيضا دفعته للاهتمام بالأشجار المحلية لأجل المرعى فقط، فنجدهم يقلمون شجرة الصمغ العربي وأشجارا أخرى للاستفادة منها لعلف الماشية متجاهلين صمغها العربي؛

1 تتعدد استخدامات الصمغ العربي في الهند؛ إذ يدخل بصورة أساسية في الطباعة الحجرية التي برزت في القرن التاسع عشر إلى أن فقدت مكانتها مع بدايات القرن العشرين (طاشكندى، 2000). ويدخل أيضا في صناعة المنسوجات والطلاء والأحبار وغيرها، ونظرا لمكانة السوق الهندي؛ فقد كانت تصدر إليه مختلف أنواع الصمغ من مختلف المناطق المطلة على المحيط الهندي بما فيها زنجبار وشرقي أفريقيا (المحذوري، 2014)

2 كانت الأمطار في السابق تصل إلى منطقة «صلوت» في شرق محافظة ظفار وحاليا لا تكاد تتجاوز مدينة مرياط (الشحري، 1994).

3 الروايات المحلية تحتفظ بذكريات مؤلمة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر عن القحط والجذب (أعين أحييت بالجبالية والمهرية)؛ بسبب توقف الخريف، وساد الجفاف، ولجأ الرعاة إلى إطعام مواشيهم لحاء الأشجار الجافة والفحم النباتي، حتى أصبحت تدر حليباً أسوداً نتيجة تناولها الفحم، وقد تكررت مثل تلك السنوات القاسية في أواخر القرن التاسع عشر، وكذلك في منتصف القرن العشرين تقريبا (المهري، 2014).

4 لاحظ فريق البحث من خلال الزيارات الميدانية إلى عدة مواقع تنتشر فيها شجرة «ثور» وجود أقامت طبيعية، مثل: الفطريات، والحلزونات، والنمل الأبيض، وبعض الأشجار التي تعيق نمو الشجرة، مثل: شجرة عطر المتسلقة (*Cissus quadrangularis*) التي تلتف على جميع أجزاء الشجرة المدروسة بشكل كثيف، فتحجب عنها الماء والضوء (ملحق 9).

5 كانت أشجار «ثور» في السابق تنمو بوفرة في السهول والسفوح والوديان الجبلية، ويذكر الرواة أن وادي عربوت ووادي جرزيز كانا من أكثر الأودية وفرة بالصمغ العربي، وتراجعت الشجرة تراجعاً حاداً في العقود الأخيرة، خاصة في أعالي الجبال «قطن» كما تراجع أيضا الغطاء بشكل مريب مثل: أشجار اللبان والصمغيات بما فيها شجرة «المر» التي أضحت شبه منقرضة حالياً، بعدما كانت تنتشر بكثافة عالية في مختلف مناطق سلسلة جبال ظفار (الشحري، 1994؛ الكثيري، 2012؛ جمعان بلوزير، مقابلة شخصية).

6 انتشار شجرة الصمغ العربي في الأماكن الوعرة مرهق جدا لجامعي الصمغ؛ عليه يوصي أحد الرواة بعمل مسورات طبيعية لزراعة الشجرة في المناطق المفتوحة، مثل: السهل؛ لتسهيل العناية بالشجرة وإنتاج الصمغ العربي بكميات أوفر (مسلم هيبس، مقابلة شخصية).

وفي الآونة الأخيرة مع ظهور الطب الحديث والتغيرات الكبيرة في الصناعات الطبية والغذائية تأثر الطب التقليدي الذي له ارتباط بالصمغ العربي.

النتائج:

خلصت الدراسة الحالية إلى مجموعة من النتائج على النحو الآتي:
شجرة «ثُور» (Acacia Senegal) المنتشرة في سلسلة جبال ظفار هي ذاتها شجرة الصمغ العربي، والتي تنفرد بها دون بقية مناطق سلطنة عمان.
دقة الأرقام التي أوردتها الدراسات السابقة عن إنتاج الصمغ العربي في ظفار في القرن التاسع عشر؛ يؤكدها اتساع النطاق الجغرافي لانتشار الشجرة حالياً في سلسلة جبال ظفار، واستمرارية إنتاجها للصمغ العربي وإن كان بكميات قليلة.
هناك فجوة معرفية واضحة لدى كبار السن فيما يتعلّق بالمكانة التجارية للصمغ العربي في ظفار قديماً؛ مما يبرّج انقطاع تصديره منذ فترات زمنية بعيدة.
إنتاج الصمغ العربي العماني مستمر ولكن بكميات شحيحة ومحدودة، على الرغم من أن جودته لا تختلف عن الأصماغ المتوافرة في الأسواق العالمية كما تؤكد الدراسات العلمية.

ارتفع استهلاك الصمغ العربي المستورد من أفريقيا في الأسواق العمانية مؤخراً؛ مما جعله متوافراً بكميات كبيرة وبأسعار تنافسية.

الإنتاج المحلي للصمغ العربي يأتي بشكل طبيعي دون تدخل بشري (الجرح)، ويتأثر بعوامل طبيعية، أبرزها: الرياح الشمالية القوية التي تهب عادة في فصل الشتاء.

اختلاف الموقع الجغرافي لشجرة الصمغ العربي يؤثر في مظهرها الخارجي وعلى موسم التزهير، ولكنه لا يؤثر في جودة الصمغ.

عسل شجرة الصمغ العربي ينتج في ظفار بكميات كبيرة وجودة عالية؛ يمكنه

من الوصول إلى الأسواق الإقليمية والعالمية بعدّه من المنتجات الوطنية ذات الهوية العمانية؛ لخصوصية شجرة الصمغ العربي في سلطنة عمان. يمكن رصد أبرز العوامل التي أدت إلى تراجع إنتاج الصمغ العربي العماني في الآتي: توقف الطلب عليه في الأسواق الهندية، والعوامل الطبيعية، مثل: تذبذب الأمطار ودرجات الحرارة، والأنواء المناخية، والتصحر.

التوصيات:

توصي الدراسة بضرورة:

إعداد أبحاث نوعية لدراسة شجرة الصمغ العربي في ظفار، وإجراء مسوحات ميدانية لحصر أماكن انتشارها بدقة. تذليل الصعوبات أمام الباحثين، من خلال توفير بيانات دقيقة ومحدثة بناء على نتائج الأبحاث في الحقل الزراعي والحقول البحثية ذات العلاقة. الاستفادة القصوى من الصمغ العربي ليصبح رافداً للاقتصاد الوطني.

الشكر والتقدير:

الشكر للدكتور عامر الكثيري والأستاذ عمر الشحري لدورهما الكبير في التدقيق اللغوي والمنهجي للدراسة، والشكر موصول للمهندس بخيت تبوك لتوفيره الكثير من المراجع التي كان لها عظيم الفائدة، والشكر موصول للمهندس أحمد المعشني، الذي قدم لنا مدوناته عن عسل الصمغ العربي، وساهم في إعداد بعض المقابلات مع كبار السن، والشكر موصول لكل الباحثين والرواة الذين تمت مقابلتهم أو تم التواصل معهم؛ لما قدموا من معلومات في غاية الأهمية للدراسة، والشكر للدكتور سليمان الحسيني لتعاونه الجم، وللقائمين على مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي والصرح العلمي الرائد جامعة نزوى، فلهم منا جزيل الشكر والثناء.

المصادر والمراجع:

أولاً: العربية

ابن منظور، محمد بن مكرم. (2003). لسان العرب. ج: 5. دار الحديث. القاهرة.

أبو عز الدين، سليمان. (1896). الليثوغرافيا أو طبع الحجر. مجلة المقطف. القاهرة. العدد 1، يناير 1896، ص 39-41.

أحمد، ملوك أدم عبدالله. (2020). التقييم الاقتصادي لصنع الهشاب في السودان خلال الفترة 2002-2019م. (بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس)، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

البنك الدولي. (2007). مذكرة عن سياسات تسويق وصادرات الصمغ العربي بالسودان. الخرطوم.

الحاج، بخيت أحمد. (1989). وزارة الزراعة والأسماك. مشروع المراعي والغابات، الدورة التدريبية الثانية في مجال المراعي والغابات. 9-20 ديسمبر 1989. صلالة.

الحداد، علوي بن طاهر. (1929). العلويون في ظفار ومرباط. مجلة الرابطة العلوية. بتاوي(جاوه)، أندونيسيا. السنة الثانية، ج3، مج 2، ذو الحجة 1347هـ. ص 92-116.

الحتروشي، سالم محمد. (2003). تدهور بيئة المراعي في جبال محافظة ظفار. جامعة الكويت.

الخرجي، علي بن الحسن. (1994). العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية. ط1. دار صادر. بيروت.

الرازي، محمد بن أبي بكر. (1986). مختار الصحاح. مكتبة لبنان. بيروت.

- الزبيدي، محمد مرتضى. (2011). تاج العروس من جواهر القاموس. ج 6. دار صادر. بيروت.
- الشحري، علي أحمد. (1994). ظفار كتاباتها ونقوشها القديمة. ط1. دار الغرير للطباعة والنشر. دبي.
- الفتاح، أحمد بلال. (2017). المواصفات الدولية للصمغ العربي وانعكاساتها على إنتاج وتجارة الصمغ العربي. الصمغ العربي الأهمية الإستراتيجية والأمنية. منتدى الفكر الاستراتيجي رقم (2). الأكاديمية العليا للدراسات الاستراتيجية والأمنية. الخرطوم.
- الكثيري، أحمد محمد. (1996). غابات ومراعي جبال ظفار. مطابع ظفار الوطنية. صلالة.
- الكثيري، — (2008). نظم الزراعة التقليدية وجمع الثمار بمحافظة ظفار. مطابع ظفار الوطنية. صلالة.
- الكثيري، — (2012). أشجار البخوريات واستخداماتها في محافظة ظفار. مطبعة المصنع الوطني العماني. صلالة.
- الكثيري، — (2016). نظم إدارة الرعي التقليدي في جبال ظفار. مطبعة المصنع الوطني العماني. صلالة.
- الكثيري، — (2021). الرعي التقليدي وتربية الحيوانات بجبال محافظة ظفار. مطبعة المصنع الوطني العماني. صلالة.
- المحذوري، سليمان بن عمير. (2014). زنجبار في عهد السيد سعيد بن سلطان (1804-1856). دار الفرقد. مسقط.
- المعشني، أحمد محاد. (1997). فنون العمارة التقليدية في ظفار. مطابع ظفار الوطنية. صلالة.

المعشني، — (2014). معجم لسان ظفار (جبالى. عربى فصيح). مكتبة المنارة. بيروت.

المعشني، أحمد مسعود. (2012). الإبل ورعايتها في ظفار. مطابع ظفار الوطنية. صلالة.

المعشني، أحمد سهيل. (2017). مدونة غير منشورة.

المعشني، بخيت سعيد. (2021). النباتات البرية المثمرة في ظفار، قناة البيداء،

<https://www.youtube.com/watch?v=2xse9ZdhM8Y>.

المهري، سعيد سالم. (2014). ظاهرة الخريف في ظفار. مجموعة البيان للصحافة والنشر. صلالة.

المشيخي، محمد سالم. (1996). وزارة الزراعة والثروة السمكية. الندوة القومية حول تطوير المراعي وحماية البيئة. 11-14 مايو 1996. طرابلس.

المشهور، حسين بن علي. (2009). تاريخ ظفار التجاري -1800 1950. مطابع ظفار الوطنية. صلالة.

المظفر، يوسف بن عمر. (2008). المعتمد في الأدوية المفردة. تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي. ط1. دار المعرفة. بيروت.

الموسوعة العربية العالمية. (1999). ط2. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع. الرياض.

الهاللي، أبرار أحمد. (2021). نباتات جنوب الجزيرة العربية من خلال الآثار والمصادر الكلاسيكية من القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن الأول قبل الميلاد. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طيبة.

اليامي، بدر الدين محمد بن حاتم. (1974). السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من غز باليمن. تحقيق: ركس سمث. جامعة كامبردج. لندن.

باراس، سالم محمد. (2021). الأعشاب والنباتات بمرتفات هضبة حضر موت.
دار الوفاق. الرياض.

بركة، أمين إسماعيل. (2020). مقومات ومعوقات إنتاج الصمغ العربي في
تشاد. مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة الملك فيصل. الرياض.

سبالتون، أندرو؛ والحكماني، هادي. (2022). ظفار من الجبال الموسمية إلى
البحار الرملية. تر: عبدالله الحارثي. ديوان البلاط السلطاني وشركة جلجامش
للنشر. لندن.

شريف، أبوبكر الصديق. (2018). تأثير بعض الخصائص الجغرافية على
انتاج الصمغ العربي بمحلية النهود خلال الفترة (1994-2014). (رسالة دكتوراه
غير منشورة) جامعة غرب كردفان.

شرطة عمان السلطانية. (2020). إحصائيات التجارة الخارجية 2020.

شرطة عمان السلطانية (2021). إحصائيات التجارة الخارجية 2021.

شميل، شبلي، الصمغ الهندي - المغيط، مجلة المقتطف، القاهرة، العدد 7،
ديسمبر 1878، ص 180-183.

طاشكندي، عباس صالح. (2000). الطباعة العربية في الهند: دائرة المعارف
العثمانية و دورها في إحياء التراث العربي الإسلامي. مركز الملك فيصل للبحوث
و الدراسات الإسلامية، الرياض.

عبد الماجد، عبد القادر عبد الماجد. (2011). اقتصاديات إنتاج وتسويق الصمغ
العربي في ولاية القضارف - السودان. (رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة
الخرطوم.

فيليبس، وندل. (1989). تاريخ عمان. تر: محمد أمين عبدالله. وزارة التراث
القومي والثقافة. مسقط.

ميلر، أنطوني ج ؛ وميراندا، موريس. (1988). نباتات ظفار، المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان: الاستخدامات التقليدية والاقتصادية والطبية. ديوان البلاط السلطاني. سلطنة عمان.

هارتلي. (1950). مسح أولي لموارد الأرض في محافظة ظفار، سلطنة مسقط وعمان. وثائق بريطانية غير منشورة. سجلات مكتب بومبي. رقم الملف: 282/6/IOR/R/15 . مكتبة قطر الرقمية.

هننس، والتر. (1970). المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري. تر: كامل العسلي. ط1. الجامعة الأردنية. عمان.

هولي، دونالد. (1998). عمان ونهضتها الحديثة. تر: فؤاد حداد، وعادل صلاحي. مؤسسة ستايس الدولية. لندن.

وزارة التراث والثقافة. (2013). الموسوعة العمانية . مج6. وزارة التراث والثقافة. مسقط .

وزارة الزراعة والثروة السمكية وأكساد. (2015). الدليل الحقلي المصور للنباتات البرية في سلطنة عمان. مسقط.

وزارة الزراعة والثروة السمكية. (2020). سوق العسل العماني الرابع عشر، 28 يونيو-12 يوليو 2020. مسقط.

ورتيبات، يوحنا. (1895). بلاد المرو اللبان – ظفار وجبالها. مجلة المقتطف. القاهرة. العدد 12، ديسمبر 1895، ص906-914.

ثانيا: الانجليزية

Al Alawi, S. M., Hossain, M. A., & Abusham, A. A. (2018). Antimicrobial and cytotoxic comparative study of different extracts of Omani and Sudanese Gum acacia. Beni-Suef

university journal of basic and applied sciences, 7(1), 2226-.

Bent, J. T., & Bent, M. V. A. (1900). Southern Arabia: With a Portrait, Maps, and Illustrations. Smith, Elder [and] Company.

Birdwood, George. (1870). On the Genus *Boswellia*, with Descriptions and Figures of three new Species. Transactions of the Linnean Society of London .

El-Sheikh, M. A. (2013). Population structure of woody plants in the arid cloud forests of Dhofar, southern Oman. *Acta Botanica Croatica*, 72(1), 97.111-

Eltahir, E. A. B. (2011). "Desert cloud forests: adapting a unique ecosystem to climate change." Working draft. PROFOR, Washington DC (2011).

Fagg, C. W., & Allison, G. E. (2004). *Acacia Senegal and the gum arabic trade: monograph and annotated bibliography*. Oxford Forestry Institute, University of Oxford.

FAO, (1996). A Review of production, markets and quality control of gum Arabic in Africa. Project No. TCP/ RAF/4557. FAO, Rome .

Groom, N. (1981). *Frankincense and myrrh: a study of the Arabian incense trade*.

Haines, S. B. (1845). *Memoir of the South and East Coasts of Arabia. Part II. The Journal of the Royal Geographical*

Society of London, 15, 104160-.

Heuzé, V., Thiollet, H., Tran, G., Hassoun, P., Bastianelli, D., & Lebas, F. (2016). Gum arabic tree (*Acacia senegal*).

Hunter, F. M. (1877). An account of the British Settlement at Aden. Arabia.

Johnstone, T. M. (1981). Jibbāli lexicon. Oxford University Press, USA.

Langenheim, J. H. (2003). Plant resins: chemistry, evolution, ecology, and ethnobotany (No. 620.1924 L275p). Oregon, US: Timber Press.

Maqrem, D. A., Bn Qadim, M. S., Kanji, M. M., Ali, A. S., & Pyar Ali, H. (2021). Identifying the Composition of Plant Vegetation in Wadi Amed-Hadramout–Yemen: A Field Study. Hadhramout University Journal of Natural & Applied Sciences, 18(1), 7.

Miles, S. (1919). The countries and tribes of the Persian Gulf (Vol. 2). London: Harrison and sons.

Nussinovitch, A. (2009). Plant gum exudates of the world: sources, distribution, properties, and applications. CRC Press.

Satti, N. M. E., Ahmed, F. A. M., Bawadekji, A., & Eltahir, S. E. H. (2020). Gum Arabic (*Acacia Gum*): A Review. Journal of the North for Basic and Applied Sciences Volume, 5(1).

Schindler, C., Heral, E., Drinkwater, E., Timoshyna, A., Muir, G., Walter, S., Leaman, D. & Schippmann, U. (2022). Wildcheck–Assessing the risks and opportunities of trade in wild plant ingredients.

Thomas, B., Lawrence, T. E., & Keith, A. (1932). Arabia felix (pp. 301333-). Cape.

Wellsted, J. R. (1838). Travels in Arabia (Vol. 2). J. Murray

الملاحق:

(ملحق 1): شجرة الصمغ العربي وأجزائها في محافظة ظفار



ج



ب



أ



د

(أ): شجرة الصمغ العربي في وادي شليون بولاية سدح، (ب): رسمة توضيحية لأجزاء الشجرة مقتبسة من كتاب نباتات ظفار (ميراندا وميلر، 1988)، (ج): شجرة الصمغ العربي في وادي خيش بولاية طاقة، (د) كثافة انتشار أشجار الصمغ العربي في كلا من: عقبة قفطوت بولاية صلالة (الصورة في الأعلى) وكذلك في وادي شليون بولاية سدح (في الأسفل)

(ملحق 2): صور الصمغ العربي العماني (أملخ)



ب



أ



د



ج

(أ): الصمغ العربي العماني، (ب): كميات من تم استخراجها من سلسلة جبال ظفار معروضة للبيع في محل بن عسكر في سوق القوف بصلالة، (ج) الصمغ العربي عالقا على بعض الأشجار بالقرب من عين إيشات غربي ولاية صلالة، (د): الصمغ العربي الأبيض المسمى محليا " جوهز أثور " عالقا على بعض الأشجار في جبال ولاية طاقة.

(ملحق 3): قشرة ولحاء شجرة الصمغ العربي



ب



أ

(أ): قشرة شجرة الصمغ العربي (قذفت أثور)، (ب): لحاء الشجرة (نفجت أثور).

(ملحق 4): تقلبات سعر الصمغ العربي في الأسواق الدولية
جدول 1: سعر الصمغ في الاسواق الدولية (Schindler, et al., 2022)

السنة	السعر (دولار/طن)
2005	3628
2010	1435
2014	1598
2017	2400

(ملحق 5) إجمالي واردات الصمغ العربي حسب القارات
جدول (2): إجمالي واردات الصمغ العربي حسب القارات (Schindler, et al., 2022)

القارة	نسبة الاستيراد
أوروبا	58%
آسيا	30%
أمريكا الشمالية والوسطى	11%
أفريقيا ودول أخرى	1%

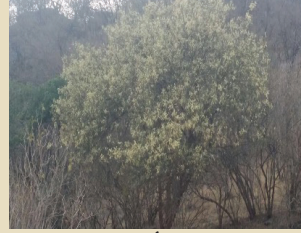
(ملحق 6) نموذج من إحصائيات التجارة الخارجية 2021

الرمز (ب.ع.)	الرمز (د.ع.)	القيمة	العدد (ب.ع.)
12110000		12110000	
		12110000	
424	3,495	12110000	
		12110000	
40	114	12110000	
		12110000	
900	116	12110000	
		12110000	
127,764	88,141	12110000	
8	817	12110000	
		12110000	
30	141	12110000	
		12110000	
30	19	12110000	
		12110000	
270	124	12110000	
10	280	12110000	

(ملحق 7) صورة الشجرة في أثناء موسم التزهير وإنتاج عسل الصمغ العربي



ب



أ



د



ج


(أ) أزهار شجرة الصمغ العربي (أنشور)، (ب): اكتمال نمو الأزهار وجاهزيتها لإنتاج العسل، (ج) بداية تكوّن الأزهار. (د) عسل الصمغ العربي.

(ملحق 8) نتيجة فحص عسل الصمغ العربي

نتيجة فحص عسل
الصمغ العربي العماني
بتاريخ 17 / أبريل /
2022 لأحد مربّي
النحل في محافظة
ظفار المتوافقة مع
المواصفات الخليجية
2008/147

الرقم	اسم التحليل	الطريقة	وحدة	النتيجة	الحد الأقصى للتلوث	المواصفة القياسية رقم
Sl. No.	Test Parameter Name	Method	Unit	Result	LOD	GSO Spec.147/2008
4.0	Heavy Metals Content Analysis					
4.1	Copper النحاس	AOAC 2011.14	مليغرام / كجم	0.26	0.05	تتفق النتائج مع المواصفات القياسية
4.2	Arsenic الزرنيخ	*CHMDHMF011 HM ICPOES*	مليغرام / كجم	ND	0.025	
4.3	Tin القصدير	*CHMDHMF011 HM ICPOES*	مليغرام / كجم	ND	0.05	
4.4	Cadmium الكاديوم	*CHMDHMF011 HM ICPOES*	مليغرام / كجم	ND	0.05	
4.5	Lead الرصاص	*CHMDHMF011 HM ICPOES*	مليغرام / كجم	ND	0.05	
4.6	Mercury الزئبق	*CHMDHMF011 HM ICPOES*	مليغرام / كجم	ND	0.025	

ملاحظة: وفقاً للمعيار الخليجي مطابق المواصفات القياسية رقم 147/2008.

التحقق من قبل: (Authorized By): 
الرئيس الفني (Technical Head)

(ملحق 9) شجرة العطاء المتسلقة على أشجار الصمغ العربي الصغيرة



د. راشد بن حميد بن سعيد الحوسني
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والابتكار
الكلية المهنية للعلوم البحرية بالخابورة
rashid@ftiK.edu.om

إسهام البحارة العمانيين في تأسيس المنهجية العلمية للملاحة البحرية وتطويرها

الملخص :

يُعدّ التاريخ البحري الملاحي العُماني من أكثر الجوانب التي يجب أن تعطي اهتمام من قبل الباحثين والمهتمين بالتاريخ العماني؛ لأنّ العمانيين أمة بحريّة، وتاريخ عُمان وحضارتها مرتبطة بالإرث البحري والملاحي بالمقام الأول. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أثر البحّارة العُمانيين في تطوير المنهجية العلمية للملاحة البحرية، وذلك في مجال عمارة السفن، واكتشاف المسارات الملاحية، والاهتمام بمجموعة متنوعة من العلوم المرتبطة بالملاحة البحرية مثل علم الفلك والجغرافيا. ولقد كان للعمانيين أثر كبير في تأليف مجموعة واسعة من المؤلفات في مجال العلوم البحرية، وكذلك الصناعات المرتبطة بالملاحة البحرية. اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي وتوصلت إلى مجموعة من النتائج منها: دور البحارة العمانيين في إرساء أسس علم الملاحة البحري، والتأليف البحري، واكتشاف المسارات الملاحية البحرية، وتطوير عمارة السفن، ومساهمة العمانيين في مساعدة الأمم الأخرى في اكتشاف المسارات الملاحية البحرية، وتطوير بناء السفن، واكتشاف العلاقات بين علم الملاحة وعلم الفلك وعلم الجغرافيا. كذلك كان للعمانيين إسهام كبير في تطوير التأليف في مجال الملاحة البحرية من حيث إخراج

مجموعة متنوعة من الكتب والدراسات التي كان لها دور كبير في تأسيس منهجية علمية للعلوم البحرية.

الكلمات المفتاحية: الملاحة البحرية، سنن البحر، المسارات الملاحية، أنواع السفن، الثقافة الملاحية.

The Contribution of Omani Sailors to Establishment and Development of Scientific Methods in Marine navigation

Dr. Rashid Humaid Said ALhosni

rashid@ftik.edu.om

Abstract:

The Omani maritime history is one of the most important aspects to which researchers and those who are interested in the Omani history should give attention because, Oman is a maritime nation, and its history and civilization are associated with maritime cultural heritage in the first place. This study aims to highlight the impact of the Omani sailors in developing the scientific methods in marine navigation, shipbuilding, discovering maritime navigational paths, paying attention to astronomy and geography. The Omanis have had a great influence in writing down a wide range of literature in the field of marine sciences and marine navigation-related industries. The study adopts the historical approach. It reaches a set of results related to the role of the Omani sailors in establishing the foundations of marine sciences, writing down maritime literature, discovering maritime navigational paths, developing shipbuilding, and highlighting the Omani's contribution to helping other nations discover maritime navigational paths, develop shipbuilding, and discover the relationships among navigation science, astronomy and geography. Besides, Omanis contributed greatly to developing the written literature in the field of marine navigation, in terms of producing a variety of books and conducting various studies which have a major role in establishing a scientific methodology for marine sciences.

Key Words: Marine navigation, sea customs, navigational paths, types of ships, maritime culture.

المقدمة

تأتي الشهرة التاريخية لعمان من تاريخها الملاحي وقوتها البحرية بالدرجة الأولى؛ حيث إنّ ارتباط عُمان بالبحر جعل من أهلها أرباباً للملاحة منذ ما قبل التاريخ بعدة قرون. وأمجاد عُمان ومفاخرها التاريخية وريادتها إنما تكونت نتيجة للنشاط الملاحي والبحري، وليس عن طريق الأنشطة البرية. ونستطيع أن نصف أهل عمان بأنهم أمة بحرية.

تُعدّ إسهامات البحارة العمانيين في تطوير وتأسيس المنهجية العلمية للملاحة البحرية من أكثر الإسهامات ذات الأثر الكبير في ازدهار الحضارة العمانية عبر العصور، وفي تطور البشرية في الجوانب المتعلقة بالملاحة البحرية (الغيلاني، 2015).

تمثلت إسهامات العمانيين في تأسيس علم الملاحة والإبحار في وضع قواعد علمية منهجية للخطوط الملاحية وتحديد المسارات الملاحية التي تربط الشرق بالغرب. ويبرز إسهام البحارة العمانيين كذلك في الاختراعات المتعلقة في إيجاد أفضل الخطوط الملاحية، وصناعة السفن بطرق حديثة، وصناعة مجموعة متنوعة ومتعددة من الأدوات التي تستخدم في الملاحة البحرية، التي لم تكن موجودة قبل اكتشاف البحارة العمانيين لها.

ومن حيث التأليف، فإنّ المؤلفات البحرية العمانية تعتبر من أقدم وأهم المؤلفات التي وضعت في مجال العلوم البحرية والملاحية، إذ لم يقتصر محتوى تلك المؤلفات على الأساليب الملاحية، بل تعدى إلى علم المناخ والفلك والرياضيات، ومختلف أنواع العلوم والمعرفة المتعلقة بالملاحة البحرية. توجد كذلك مؤلفات تشرح كيفية صناعة السفن، وصناعة الأدوات الملاحية البحرية. وتعد تلك المؤلفات قاعدة أساسية في دراسة وضع الملاحة البحرية عبر العصور.

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعرف على دور وأثر البحارة العمانيين في إرساء الأسس العلمية الصحيحة للملاحة ودورهم في اكتشاف الخطوط الملاحية، وأدوات الملاحة الحديثة، وكذلك دورهم في تأليف الكتب والمخطوطات التي تتعلق بعلوم البحار، والكشف عن إسهامات العمانيين في تطوير الملاحة البحرية عبر العصور. يتبع البحث المنهجية المطبقة في العلوم التاريخية من حيث التنقيب عن المعلومات والبيانات وتنظيمها وترتيبها وصياغتها بما يتوافق وأهداف البحث وغاياته.

أبرز النتائج التي توصل إليها البحث التعريف بدور البحارة العمانيين في تأسيس منهجية علمية حديثة للعلوم البحرية وإسهاماتهم الفكرية من حيث التأليف في العلوم البحرية والصناعات المتعلقة بالملاحة البحرية من حيث بناء السفن وصناعة الأدوات المستخدمة على ظهر السفن والأدوات المستخدمة في الملاحة البحرية وأثر تلك الإسهامات على تطور البشرية في مجال الملاحة البحرية.

تاريخ الملاحة البحرية العمانية:

إنّ رسم صورة واضحة وجليّة الأركان للتاريخ البحري و الملاحي العماني ونشاط أهل عمان الملاحي والبحري عبر الحقب التاريخية المختلفة بدءاً من عصور ما قبل التاريخ بعدة آلاف من السنوات إلى العصور التاريخية الحديثة يتسم بالصعوبة الواضحة؛ وذلك بسبب قلة وندرة المصادر العلمية التي تعين على رسم تلك الصورة وتحديد جميع مكوناتها، خاصة ما يتعلق بالبدايات الأولية لعلاقة العماني بالبحار خلال العصور القديمة؛ بحيث لا يوجد تسلسل زمني مربوط بالأحداث أو بالاختراعات والإنجازات يسهل مهمة الباحث في التاريخ الملاحي القديم لعمان (الحمداني، 2002). غير أن الموجودات الأثرية والكتابات الأوربية المتأخرة واكتشافات بلاد الرافدين ومصر والصين والأراضي الإفريقية وغيرها



من الحضارات القديمة تعطي بعضاً من الإشارات التي يمكن أن توضح شيئاً من التاريخ التليد للبحرية العمانية. من خلال تلك الإشارات والموجودات يمكن بلورة صورة أكثر وضوحاً وقبولاً لتاريخ عمان البحري والملاحي.

التراث المادي والثقافي للحضارات السومرية والأكادية المتمثل في مجموعة واسعة من اللوحات التي تعود الى ما يقارب 4000 سنة قبل الميلاد، يقدم معلومات لا تقدر بثمن عن دور العمانيين الملاحي وتفردهم منذ تلك العصور الغابرة في علوم الملاحة وفنونها. لعب العمانيين دوراً حيوياً ومحورياً في التجارة العالمية منطلقين من مجان (سلطنة عمان اليوم)، وقاموا من خلال الإبحار بالسفن بربط أراضي آسيا المترامية الأطراف مثل الصين وشرق وجنوب آسيا والبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وشواطئ الهند وفارس وشواطئ شرق إفريقيا وأوروبا والأراضي الأمريكية (أبو العلاء، 2015).

ومن بين مجموعة من المكتشفات اليونانية الأثرية القديمة يوجد نص يشير إلى عمان وإلى دور العمانيين في الملاحة البحرية منذ حقب زمنية سحيقة، إذ ذكر أحد النصوص اليونانية والذي كان يحمل عنوان (رحلة في البحر الأريتيري) أن السفن العمانية كانت تبحر من سواحل وموانئ عمان الطويلة إلى الهند وسواحل شرق أفريقيا، تحمل البضائع والركاب. وكان الأسطول البحري العماني في عصور ما قبل الميلاد يبحر بين الشرق والغرب، يحمل أنواع مختلفة ومتعددة من البضائع مثل اللؤلؤ والذهب والمنتجات الزراعية والأقمشة بمختلف أنواعها واللبن والتوابل والطور والأخشاب والخيول والمجوهرات، حيث كانت تلك البضائع هي السائدة، ويتم نقلها والإتجار من خلالها بين مختلف الأمم والشعوب (الجرو، 2015). وتذكر المصادر التاريخية أنّ الأسطول البحري العماني كان يصل إلى (300) سفينة وأكثر، أغلبها ذات الحجم الكبير والمصممة للإبحار لمسافات طويلة، كما

ذكر المسعودي (896-957) في كتاب مروج الذهب ومعدن الجوهر الشهير. اتخذ العمانيون العديد من الموانئ والبلدان البعيدة عن الأراضي العمانية مراكز تجارية لهم، وكذلك مراكز لصناعة السفن وصيانتها. ومن تلك الموانئ جزيرة (كانبلو) القريبة من شرق إفريقيا التي اتخذها العمانيون مركزاً تجارياً خاصاً بتجارة العاج مع الصين. وكذلك اتخذ العمانيون من المالديف مركزاً صناعياً مهماً وذلك من أجل بناء وعماراة السفن العمانية ولعل ذلك بسبب توافر الأخشاب هناك أكثر من توافرها في عمان.

وقد ورد اسم مجان في لوح أثري من التراث البابلي القديم يعود إلى (2300) عام قبل الميلاد، دون في تلك اللوحة أنّ ملك أكاد سارجون، الذي يعد أول إمبراطور في التاريخ، يعتز بالعلاقات البحرية مع العمانيين، ويفتخر بالدور الذي يقوم به العمانيون في تسهيل وتيسير التجارة ونقل المؤن والبضائع بين الشرق والغرب وصولاً إلى أمم وحضارات بلاد ما بين النهرين (كرار، 2007). تذكر العديد من المصادر التاريخية مثل الأمين (1990) والجرو (2011) أن العمانيين هم أول العرب الذين وصلوا إلى الأراضي الصينية وعملوا في التجارة هناك وأسسوا نظام تجاري وقضائي خاص بهم؛ مما يدل على قوة نفوذ البحارة العمانيين في الصين منذ تلك الأزمنة البعيدة.

تعطي الموجودات واللوحات الأثرية صورة عن ما كان عليه وضع عمان الملاحي منذ ما قبل التاريخ، وأن العمانيين كانوا ماهرين في الملاحة والتجارة البحرية العالمية، وكانوا يعتمدون على الأنظمة العلمية والمعرفية في مجال الملاحة البحرية، وكان لهم السبق في الربط بين مناطق العالم المختلفة، وكان هناك حضور وتطور ملاحي كبير منذ تلك الحقب الزمنية (الجرو، 2011).

إن الأمم البحرية على مر العصور تتوفر لديها ميزة فريدة وهي الموقع

الجغرافي. والموقع الجغرافي لعمان على اختلاف اتساعها السياسي على مر العصور لعب دوراً مهماً وحيوياً في ترسيخ وجود العمانيين الملاحى. وحتم موقع عمان الجغرافي على أهلها الاندفاع نحو البحر وسبر أغوار أعالي البحار والمحيطات وإقامة علاقات تجارية وسياسية وعسكرية مع أمم وكيانات من قارات مختلفة وشعوب بعيدة جداً عن السواحل العمانية. وهذا ما أثبتته العديد من الاكتشافات الأثرية والكتب التاريخية لا سيما كتب الرحلات.

يعتبر تمركز عمان جغرافياً، تمركزاً استراتيجياً؛ إذ تشرف على مخرج الخليج العربي، ولها امتداد نحو بلدان الجزيرة العربية والعراق وفارس، وتشرف على المحيط الهندي وشرق إفريقيا، وتشرف، بل تتحكم في بعض الفترات التاريخية على الطريق التجاري الرئيسي الرابط ما بين سواحل شرق إفريقيا وسواحل الهند صولاً إلى الصين شرقاً، وأوروبا وأمريكا غرباً (كرار، 2007).

تعتبر العلاقة بين الإنسان العماني القديم والبحر علاقة وجودية أزلية، حيث إن الاكتشافات الأثرية والتراث الأدبي والعلمي يقدم العديد من الأدلة والبراهين على أنّ علاقة العماني بالملاحة البحرية قديمة جداً تعود الى عدة آلاف من السنين؛ حيث تم تسجيل دليل على تلك العلاقة منذ الألف الخامس قبل الميلاد.

وتذكر العديد من المصادر التاريخية بأنّ الأسطول البحري العُماني مع نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد كان من أعظم الأساطيل في العالم إذا لم يكن هو الأسطول الأعظم والمتفرد بالسيادة على البحار والمحيطات.

حيث كان الأسطول البحري العماني في تلك الحقبة الزمنية السحيقة يعمل كحلقة وصل بين بلاد وحضارات الرافدين ومصر والهند وفارس، ومن خلال البحارة العمانيين تم نقل البضائع وكذلك نقل العلوم والمعرفة مثل علوم الفلك والفلسفة والرياضيات والطب ونقل مظاهر الحضارة والتمدن بين الشرق والغرب.

وإن تلك المكتشفات تقود إلى العلم اليقين بوجود علاقة تفاعلية بين الإنسان العماني من مختلف المواقع الساحلية العمانية وبين البحر من حيث الاعتماد على البحر كمصدر رزق وغذاء من خلال الصيد والاعتماد على المكونات الغذائية البحرية في الثقافة الغذائية العمانية بدرجة رئيسية وبعد ذلك الاعتماد على البحر في التنقل والابحار إلى مواقع مختلفة وبعيدة جداً عن التراب العماني في شرق الأرض وغربها (الامين 1990).

ولقد أقام البحارة العمانيين علاقات قوية جداً من خلال التبادل التجاري ونقل البضائع بين مختلف الحضارات والأمم القديمة من حضارات بلاد الرافدين وحضارات جنوب شرق آسيا المتعددة والحضارة الفرعونية في بلاد مصر القديمة وحضارات بلاد الشام والأمم الأفريقية مروراً بالكيانات الأوربية القديمة والولايات المتحدة والحضارات الإسلامية المتأخرة في العراق والشام. وهكذا كانت عمان وأهلها همزة الوصل بين الشرق والغرب منذ فجر التاريخ.

إسهامات العمانيين في اكتشاف المسارات الملاحية البحرية:

للعُمانيين مساهمة أساسية ودور كبير ومهم ومحوري في تطوير الملاحة البحرية ليس على المستوى المحلي فقط، ولكن على المستوى العالمي وإن تأسيس مفهوم الملاحة البحرية بجميع جوانبها من بناء وعمارَة السفن والمراكب وإنتاج الأدوات المستخدمة في الملاحة البحرية سواء كانت تلك الأدوات والأجهزة تستخدم بصورة مباشرة في عملية الإبحار أو تلك التي تستخدم في النواحي الفلكية التي تحدد المسارات البحرية والاتجاهات جميعها تطور عبر فترات وحقب تاريخية طويلة وممتدة وعديدة، ومن أبرز وأكثر الشخصيات العمانية ذات الشهرة العالمية في مجال الملاحة والذي يعد أحد أهم وأعظم المؤسسين لما يعرف بعلم الملاحة البحرية هو شهاب الدين أحمد بن ماجد (الغيلاني، 2015).

إن للبحارة العمانيين دور مهم وحيوي فيما يعرف بتحديد مسارات الملاحة البحرية التي تربط الشرق بالغرب وإنّ تلك المعرفة تستند إلى الإلمام بمجموعة متنوعة من العلوم والمعارف حيث إن الملاح الذي يقود السفينة يجب أن يكون على دراية كبيرة بعلم الفلك والجغرافيا ومعرفة تامة بالأنواء المناخية وتوقيتات المد والجزر وتوقيتات هبوب الرياح الموسمية وتمركز النجوم وغيرها من العلوم والمعارف التي تساند الدراية بالملاحة البحرية.

وإن البحارة العمانيين كان لهم السبق في تأسيس ووضع مناهج علمية لجميع الفنون البحرية التي ترتبط مباشرة بالإبحار أو التي تساعد في عملية الإبحار وتحديد الاتجاهات وصناعة الأدوات والأجهزة الملاحية(صراي،2009).

وإن من ما يثير الدهشة والفضول ويدلل على دور الملاحين العمانيين في الاكتشافات الجغرافية وتحديد المسارات الملاحية الأكثر صلاحية للأبحار والأكثر أماناً هو قول مجموعة من الباحثين بأن الملاح العالمي كريستوفر كولمبوس اعتمد على مجموعة من خرائط البحارة العمانيين في اكتشاف القارة الأمريكية، ويذهب أولئك الباحثين بأن تلك الخرائط كانت موجودة بخزانة في قرطبة وعثر عليها الأوربيين بعد خروج المسلمين من تلك النواحي وسقوط الأندلس عام (1492م) (أبو العلاء2015).

وتوجد بعض الأدلة التاريخية بأن البحارة العمانيين قد مدوا يد العون والمساعدة للأوربيين وساعدوهم في اكتشاف جغرافي مهم ومحوري أحدث نقلة نوعية عالمية في تاريخ العلاقات الدولية والملاحة البحرية وهو اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

من تلك الآراء والاكتشافات التاريخية والأثرية نستطيع القول بأن الخرائط والمسارات الملاحية العمانية هي التي قادت الأوربيين إلى الخروج من نطاق

القاره الأوربية والتوجه نحو الشرق والغرب في حملة اكتشاف ضخمة استمرت لعشرات السنوات ومهدت لما بات يعرف بعد ذلك بالاستعمار الأوربي في مختلف مناطق العالم(شهاب،2001).

وإن الفضل في التقدم العلمي الملاحي يعود إلى العمانيين من حيث سبق الابتكار والاختراعات والاكتشافات البحرية ومن ذلك اكتشاف الطريق البحري الرابط بين الشرق والغرب حيث إن للعمانيين دوراً كبيراً في اكتشاف خطوط ملاحية بحرية جديدة، إن لم يكن بالصورة المباشرة والصريحة فإنها كانت عن طريق الانتاج العلمي في مجال الملاحة البحرية وإنتاج الخرائط والكتب التي تحتوي على معلومات حول الفلك والجغرافيا وتسخير تلك العلوم والمعارف في عملية الملاحة البحرية(عبدالحليم،1989).

وإن من أكثر العلماء والمؤلفين في مجال الملاحة البحرية ومنظم علم البحار هو أحمد ابن ماجد حيث كان له دور كبير في تعريف الأوروبين على المسارات البحرية الرابطة بين الشرق والغرب عدا عن الاكتشافات في مجال الأجهزة والتأليف والممارسة العملية للملاحة البحرية(الحاج،2003).

إن التاريخ البحري الملاحي العماني لم يقتصر على الاسهام والتأسيس لما يعرف بالتجارة العالمية ونقل المؤن والبضائع بين أصقاع الأرض شرقاً وغرباً، بل إن للعمانيين مساهمة حضارية كبيرة في نقل المعارف الحضارية والثقافية والتأثير والتأثر بمختلف الأمم والشعوب حول العالم في النواحي الثقافية والحضارية واللغوية(البسام،2009).

لذلك عندما بزغ نور الدين الإسلامي في الجزيرة العربية وبعد دعوة الرسول محمد عليه السلام لأهل عمان للدخول في الدين الاسلامي الحنيف من خلال الرسالة الشهيرة المنقولة عبر وفد دبلوماسي بقيادة عمرو بن العاص إلى ملوك

عمان في تلك الفترة عبد وجيفر ابني الجلندي، الذين دخلوا الإسلام طواعية، وكذلك باقي أهل عمان، وبعدها لعب البحارة العمانيين دوراً مهماً وكبيراً في نشر الدين الإسلامي الحنيف إلى أراضي وشعوب بعيدة كالشعوب الأفريقية وأهل الصين وما جاورهما من بلدان وأمم (كرار، 2007).

وإن العمانيين أسهموا في نشر الإسلام من خلال التجارة وبطريقة غير مباشرة من خلال تعامل العمانيين السموح واتصافهم بالأخلاق الرفيعة التي تدفع باقي من يتعاملوا معهم إلى الاهتمام بمعتقدات البحارة العمانيين وبالتالي الدخول في ذلك المعتقد متأثراً بما رأوه من حسن وصدق في التعامل ومودة وحب وحسن أخلاق. والطريقة الثانية التي أسهم بها البحارة العمانيين في نشر الإسلام كانت عن طريق تنظيم وتنفيذ مجموعة من الحملات البحرية وخاصة في مرحلة صدر الإسلام (ابو العلام، 2015).

ونتيجة لمهارات العمانيين الملاحية وتنامي قوة أسطولهم وخبرتهم في شؤون الملاحة البحرية وتفردهم في هذا المجال استعان الصحابي الجليل عثمان بن أبي العاص بالملاحين العمانيين والأسطول البحري العماني عام (636م) عندما توجه إلى السواحل الغربية للقارة الهندية من أجل نشر الدين الإسلامي في تلك الأراضي وكان نقطة الانطلاق للحملات الدعوية الإسلامية البحرية من موانئ عمان وبالأخص موانئ صحار ومسقط (الغيلاني، 2015).

وما كان يحل منتصف القرن الثامن الميلادي حتى سيطر الأسطول العماني على جميع المسطحات المائية وأبعد جميع المنافسين ومنهم الفرس.

وقد ذكر المؤرخ والجغرافي والراحل المسعودي أنه كان يتنقل في أقصى الشرق من الكرة الأرضية وأراضي الصين وأفريقيا من خلال السفن العمانية وأنه شارك العمانيين في العديد من الرحلات إلى تلك الأراضي حيث ذكر بأن السفن

العمانية كانت تجوب أعالي البحار والمحيطات وتربط التجارة بين الصين والهند وأفريقيا وبلاد العرب وفارس (عبدالحليم، 1989).

وقد ذكر المسعودي كذلك في كتاب مروج الذهب بأن الملاحين والبحارة العمانيين هم من ابتدعوا وأول من مارس أدب قصص البحر والمغامرات البحرية والحكايات الملاحية وأنهم من ابتدعوا قصص السندباد البحرية المشهورة عالمياً والتي تعد جزء أصيل من التراث الثقافي غير المادي العالمي (الحمداي، 2022). وتلك الإشارات تدلل على دور الملاحين العمانيين وأن الفضل كان لهم في ترسيخ مفهوم علوم الملاحة البحرية والسنن النازمة للملاحة البحرية.

إسهامات العمانيين في الصناعات البحرية القديمة:

إن المكون الأساسي لعملية الملاحة والإبحار هو وجود السفينة بمختلف أنواعها وأحجامها ومما لا شك فيه يجب أن تتوفر العديد من المكونات التي تدخل في صناعة السفن منها ما هو متوفر في البيئة المحلية ومنها ما هو مستورد من دول مختلفة، وهذا كذلك يحتم على العمانيين إقامة علاقات ودية وتجارية تبادلية مع مختلف الكيانات السياسية التي كانت متواجدة عبر التاريخ البشري الطويل (الجرو، 2011).

وكان أهل عمان من أقدم الشعوب التي ارتادت البحار وأقامت علاقة تتسم بالجانب التجاري في المقام الأول مع مختلف الشعوب التي تشرف على ضفاف الخليج العربي والمحيط الهندي وشرق أفريقيا، وقد وصفت الاكتشافات السومرية في بلاد ما بين الرافدين مجموعة من الإشارات إلى أهل عمان وقد وصفت تلك الإشارات أهل عمان بأنهم رواد الملاحة البحرية وكانت تلك المصادر تذكر عمان باسم مجان ووجود دليل أثري يدل على مهارات العمانيين في بناء السفن وعمارتها وأنهم بنائين للسفن التي تستخدم في الملاحة وذلك منذ عام (2050) قبل

الميلاد(الجرو،2011).

وإن البحارة العمانيين قد تعرفوا على صناعة السفن منذ ما يقارب الألف الخامس قبل الميلاد وهناك العديد من أنواع السفن التي عرفها أهل عمان واستخدموها في الملاحة والإبحار منها ما هو صغير أو مخصص لعمليات الصيد والتنقل قرب القرى الشاطئية ومنها ما هو كبير مخصص للملاحة الدولية إن جاز لنا استخدام المصطلح وهي سفن عملاقة بمقياس تلك الحقب الزمنية تجوب البحار والمحيطات شرقاً وغرباً تحمل التجارة والمواد اللازمة لبقاء الإنسان وتحمل معها الأخلاق والسمت العماني ومميزات الحضارة العمانية وحملت بعد ذلك بقرون عديدة رسالة الإسلام وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف إلى مشارق الأرض ومغاربها(الحمداني،2002).

وتعتبر السفينة القطمران أقدم نموذج معروف للسفن العمانية القديمة، التي كانت تستخدم في التنقل والتجارة والإبحار بين الشواطئ العمانية وبين شواطئ بلاد الرافدين، وكانت السفينة القطمران مصنوعة بالكامل من مادة الخشب الذي كان معظمه مستورد من بلاد بعيدة عن الأراضي العمانية قديماً (ابو العلا،2015). ولقد مرت السفن العمانية بالعديد من المراحل في تطوير الصناعة من السفن الصغيرة جداً والتي تصنع من سعف النخيل وتحمل شخص واحد وتستخدم لعملية الصيد قرب الشاطئ إلى سفن تعتبر كبيرة بمقياس القرن الخامس قبل الميلاد وتتكون من مجموعة من الألواح عددها لا يتعدى أصابع الكف الواحد(كرار،2007).

وبعد ذلك تطورت الصناعة في مجال بناء السفن إلى صناعة سفن تتصف بالضخامة ذات حجم كبير جداً وتستخدم للملاحة إلى مناطق بعيدة وتحمل بمجموعة كبيرة من البضائع والركاب، ولها مقدمة وبدن ومؤخرة محددة بمقاييس دقيقة جداً، ولها شراع كبير أو أكثر من شراع، ومن أمثال تلك السفن المشهورة في التاريخ

البحري العماني البدن و العويسية والبقارة والبتيل، وكذلك تميزت السفن العمانية في تلك الحقبة الزمنية بميزة فريدة من نوعها في بناء السفن، وهي وجود مؤخرة ذات شكل مربع عكس السائد وهو الشكل شبه المثلث (الامين،1990).

ومع مرور السنوات والحقب الزمنية وزيادة الحاجة إلى سفن أكبر وأكثر تطور وأكبر حمولة ونتيجة كذلك للتفاعل والاحتكاك مع كتل بشرية وحضارية متعددة مثل الأوروبيين، تطورت نماذج صناعة السفن العمانية بحيث أصبحت تتسم بقدر كبير من الضخامة والقدرة على حمل كميات كبيرة من البضائع والمؤن والركاب، حيث يمكن اعتبار القرن السادس عشر قرن التحول الكبير في تاريخ الملاحة البحرية العمانية من حيث صناعة السفن في الحجم والتجهيزات (الحاج،2003).

ومن خلال تتبع نماذج هذه المرحلة التاريخية من السفن يظهر بصورة كبيرة تأثر الصانع والحرفي العماني في مجال بناء السفن بالنماذج الأوروبية لاسيما البرتغالية والإنجليزية والفرنسية فظهرت سفن ذات شكل جديد وفريد مقارنة بالسفن السابقة في الأسطول البحري العماني مثل سفينة النقر التي تأتي متنسقة مع النموذج الأوروبي في عمارة السفن لاسيما الطراز البرتغالي في بناء وعمارة السفن (صراي،2009).

ولقد حدث تغير كبير في الأدوات التي استخدمت في بناء السفن خلال هذه الفترة الزمنية فبعد أن كانت السفينة صغيرة الحجم وتستخدم الألواح الخشبية والحبال وتحمل كميات قليلة من البضائع حدث تحول جذاً مهم ويمهد لثورة سوف تأتي فيما بعد في مكونات الأسطول العماني البحري سواء كان ذلك الأسطول مخصص للعمليات التجارية ونقل الركاب والبضائع أو مخصص للعمليات العسكرية والحربية (الغيلاني،2015).

حيث في هذه المرحلة أو الفترة من مسيرة تطور الملاحة البحرية العمانية تم

استخدام مجموعة متنوعة وجديدة من المواد، على سبيل المثال تم استخدام ما يعرف بالمسامير بدلاً من الحبال في عملية تثبيت الألواح وتركيب أجزاء السفينة ، وتم كذلك استخدام ألواح هائلة الحجم في عملية تغطية ظهر السفينة وتكوين مستودع محمي في قعر وبطن السفينة بحيث تكون البضائع محمية تماماً في ذلك المستودع (شهاب، 2001).

حدث تطور آخر مهم ومفصلي في عمارة السفن العمانية خلال هذه الفترة التاريخية وهو استخدام أكثر من صاري واحد في السفينة، فبعد أن كانت السفن تعتمد على دقل (صارى) واحد فقط أصبحت السفن المصنوعة في هذه الفترة مزودة بمجموعة من الصواري وصل في بعض السفن إلى أربعة صواري وهذا يدل على ضخامة السفن وأنها مصممة للإبحار لفترات زمنية طويلة ولمسافات طويلة جداً ومجهزة للتصدي لجميع عوامل الطقس والتقلبات في أعلى البحار والمحيطات وكذلك مجهزة لحمل كميات كبيرة جداً من المؤن والبضائع والركاب ، لذلك كانت بحاجة إلى أن تكون أكثر قوة ومتانة وأن يكون لديها العديد من المعدات والقطع الملاحية الإحتياطية (الحمداني، 2002).

وهناك تطور آخر جداً مهم في عمارة السفن خلال هذه الفترة الزمنية، وهو استحداث مقود للسفينة وبالتالي استحداث وظيفة أخرى لها مجموعة من الخصائص بالتالي إنّ إدخال المقود على السفن العمانية هو نتيجة للتأثير المباشر لنظام العمارة الأوروبية على السفن العمانية ونتيجة للتبادل الفكري والتقني الكبير الذي حدث في تلك الفترة بين الملاحين العمانيين والملاحين الأوروبيين وخاصة من بريطانيا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وهولندا والسفن الأمريكية بعد ذلك (ابو العلاء 2015).

ومن تأثير الأوروبيين المباشر على بناء السفن العمانية وعلى المعمارين العمانيين كذلك التغيير الجذري على شكل الشراع بحيث تم استخدام شكل جديد

من الأشرعة كان على شكل وصورة مثلث غير مكتمل الأضلاع وذلك بهدف الاستغلال الأمثل لحركة الرياح وتسهيل مهمة البحارة وتقليل المجهود العضلي اللازم لتحريك السفينة وتوجيهها في أعالي البحار وكذلك يسهل شكل الشراع على هيئة مثلث غير مكتمل توجيه السفينة والقدرة على المناورة وقت العواصف والرياح والأمطار وله فائدة من حيث السرعة في نشر الشراع أو ضمه أثناء مراحل الإبحار المختلفة ولمختلف الأحوال الجوية (عبدالحليم 1989).

كذلك حدث تطور كبير في حجم مخازن السفينة حيث تم تجهيز تلك المخازن بحيث تبقى البضاعة في أمان تام طول الرحلة من المطر أو الشمس أو التلف بسبب ماء البحر حيث استخدمت الألواح الصلبة والضمخة لبناء المخازن وتمت تغطية الألواح بمادة القار ودهن الحوت لعزلها عن المياه (الغيلاني 2015).

وكذلك تم تطوير نوع وشكل وحجم ما يعرف بالمرسى حيث أصبح مكون من ثلاثة أجزاء ويتم صنعها من الحديد الخالص وتكون ثقيلة جداً بحيث يمكن الاعتماد عليها في تثبيت السفينة على الماء ومنعها من الانزلاق والحركة في أثناء التوقف في عرض البحر أو في الموانئ (البسام 2009).

تم ادخال تحسين مهم للغاية في السفن العمانية وهذا التحسين ساهم بشكل كبير في زيادة إقبال الناس على استخدام السفن للتنقل بين البلدان ولمسافات طويلة، حيث تم تخصيص مكان أو غرف خاصة للنساء لا يستخدمها الرجال وتراعي الخصوصية التامة للنساء المسافرات على ظهر السفينة (الامين 1990).

مع التطور التقني الكبير في عمارة السفن العمانية أتاح ذلك الفرصة أمام معماري السفن وأمام أصحاب السفن لبناء سفن أكبر حجماً تتوافق مع الازدهار التجاري ورواج التبادل التجاري بين قارات العالم المختلفة في تلك الفترة الزمنية بحيث أصبحت السفن تتمتع بقدرات عالية على تحميل البضائع حيث تصل في

بعض السفن إلى ما يقارب أو يزيد عن 500 طن، ونحن نتحدث عن سفن مبنية من الخشب وتستخدم قبل ما يقارب 1000 عام من اليوم.

لم يقتصر التطور في بناء وشكل وحجم السفن فقط، بل ترافق ذلك مع تطوير أجهزة السفينة المختلفة والمستخدمه في الملاحة وتطوير الأدوات والأجهزة التي تم اضافتها إلى السفن في تلك الفترة، ومنها: وجود مجموعة القيادة والتحكم بالسفينة والتي يتحكم بها الربان أو كابتن السفينة منها دفة القيادة التي تتحكم في اتجاه السفينة والأشرعة التي تتحكم في سرعة وحركة واتجاه السفينة، وهي أدوات تحت سيطرة وأمر قادة السفينة أو فريق القيادة(صراري2009).

التحديث المستمر في شراع السفينة حيث لم يقتصر التطوير في شكل الشراع، بل وصل التطوير والتحديث إلى نوع المادة التي يصنع منها الشراع والحجم وعدد الحبال التي تربط بالشراع وعدد الأعمدة التي يعلق من خلالها الشراع. كذلك تم تطوير الرافعات التي ترفع البضائع والأحمال من بطن السفينة إلى قارب التنزيل والميناء والعكس من رصيف الميناء إلى ظهر السفينة وتحسين مواقع التخزين في السفن والموانئ (الجر و2011).

إن تطوير السفن وتحديثها المستمر انعكس بصورة ايجابية في قوة الدولة العمانية في تلك الفترة بحيث تمكن التجار العمانيين من ربط موانئ السلطنة المختلفة بمجموعة واسعة ومتنوعة من موانئ العالم امتدت من الصين والهند وسواحل شرق افريقيا والعراق والبلدان العربية وفارس وصولاً إلى الموانئ الأوروبية والأمريكية، حيث أسهم ذلك في تسويق المنتجات العمانية ونشر الثقافة العمانية والعادات والتقاليد العمانية بل أكثر من ذلك ساهمت السفن العمانية في إنشاء الإمبراطورية العمانية وفي نشر الاسلام في أقصى الأرض في الصين وأفريقيا وغيرها. ولقد لعبت موانئ عمان بفضل قوة الأسطول التجاري العماني في تلك الفترة دور مهم

ورئيسي في التجارة العالمية من حيث إنّ تلك الموانئ أصبحت محطات ترانزيت عالمية تربط الشرق بالغرب وتسهم في تطوير وازدهار التجارة العالمية.

العلوم التي وضعها العمانيين في مجال الملاحة البحرية:

من خلال المراجع التاريخية نجد بأن للعمانيين تأثير واضح وكبير في وضع الأسس العلمية للملاحة البحرية وتطوير الملاحة بحيث لم يقتصر التطوير على التعديل والتحسين والتطوير على نوع السفن وحجمها، بل تعدى ذلك إلى التطوير في مجال العلوم البحرية النظرية والعملية وفي المؤلفات التي تهتم بجميع شؤون البحر والملاحة وشؤون المشتغلين بالملاحة البحرية (كرار 2007).

وإن البحارة أو العلماء المؤسسين للأنظمة البحرية قد وضعوا ما يعرف باسم (سنة النواخذة) وهي عبارة عن مجموعة متنوعة وواسعة من التشريعات والقوانين البحرية أو نستطيع أن نسمى تلك الأنظمة بالدستور الشامل المنظم لشؤون الملاحة البحرية وشؤون جميع أطراف العملية الملاحية من ملاك للسفن وبحارة ومشتغلين على ظهر السفينة وموظفي الموانئ وأصحاب مصانع بناء السفن وكذلك يعتبر دستور منظم للعلاقات الدولية الملاحية والقضايا والأحداث التي تقع في أعلى البحار والمحيطات، حيث شملت تلك السنن ما يلي (الحاج 2003):

الأنظمة التي تحدد العلاقة بين قائد السفينة ومالك السفينة أو مجموعة السفن.
الأنظمة التي تحدد وتنظم العلاقة بين البحارة بمختلف أنواعهم ومستوياتهم وأعمالها ومسئولياتهم ومالك السفينة.

الأنظمة التي تحدد وتنظم العلاقة بين قائد السفينة والبحارة والملاحين والركاب.

الأنظمة التي تحدد العلاقة بين السفن والموانئ و الدول.

الانظمة التي تحدد العلاقات العامة مثل الضرائب والرسوم ومسارات الابحار.

الأنظمة التي تحدد العلاقات بين أصحاب السفن.

مجموعة من الأنظمة التي تحدد القوانين التي تحكم المنازعات التي تحدث
نتيجة للأنشطة التجارية البحرية

نظام المحاكم البحرية:

من أكثر ما يدهش في التاريخ البحري والملاحي العماني القديم هو دقة التنظيم والاستقلال، حيث كان توجد ما نستطيع أن نطلق عليه بالمحاكم الخاصة والمتعلقة بشؤون البحر والملاحة وكان يرأس هذه المحكمة شخص خبير في جميع شؤون البحر والملاحة والشؤون البحرية المختلفة ويطلق عليه اسم قاضي سنة النواخذة (الغيلاني 2015).

وكذلك كان يعرف باسم شيخ سنة البحر أو أمير البحار وهو من يقوم بالفصل في جميع القضايا والأمور التي تحدث سواء للبحارة أنفسهم أو بين النواخذة والبحارة أو بين مالك السفينة و النواخذة والبحارة أو بين النواخذة فيما بينهم أو بين ملاك السفن وكذلك يتم الفصل في جميع المنازعات البحرية سواء كانت في البحر أو في الموانئ. وهؤلاء القضاة المختصين بالقضايا والمنازعات البحرية هم في الأساس من أهل الاختصاص ومن الممارسين للملاحة البحرية ولديهم خبرات طويلة جدا وواسعة وشاملة في مجال الملاحة البحرية وهم من أصحاب الخبرات في أسرار المهنة ولديهم الدراية التامة كذلك بجميع الأحكام الفقهية الشرعية والتي تكون مساندة للخبرات التخصصية الملاحية عند اصدار الأحكام في المنازعات البحرية. وتكون الأحكام التي يصدرها شيخ البحر ملزمة في التنفيذ على جميع الأطراف أصحاب القضية أو المشكلة (شهاب، 2001).

وهنا لا بد من الحديث عن أحد أكبر العلماء مجال الملاحة البحرية على مر العصور بل هو المؤسس للتأليف في مجال العلوم البحرية والملاحة، ولم يقتصر على التأليف النظري بل كان صانع ومبدع في مجال الصناعات الهندسية

المستخدمة في مجال الملاحة البحرية ولاسيما المتعلق منها بالفلك، وقبل كل هذا فهو ملاح ممارس للملاحة البحرية، هو الملاح العماني العالمي شهاب الدين أحمد بن ماجد أحد عباقرة الملاحة البحرية وصاحب كتاب يعد من أهم وأعمق الكتب والمراجع التي تم تأليفها في تلك الأزمنة في العلوم البحرية والملاحية وهو كتاب الفوائد في أصول علم البحر و القواعد.

الخاتمة:

الحديث عن التاريخ الملاحي البحري العماني والأثر الذي انعكس لذلك التاريخ على التطور البشري في اكتشاف وتأسيس المسارات البحرية واكتشاف الأدوات الملاحية والإبداع في عمارة السفن والحركة البحرية القوية والنشطة والمستمرة التي قام بها الملاحين العمانيين والتي كان لها تأثير مباشر في تنشيط التجارة البحرية والازدهار والرخاء لشعوب الصين والشعوب الأفريقية والعربية وكذلك الشعوب الأوروبية وغيرهم.

وإن الانجازات والإبداعات التقنية التي ابتدعها و اضافها العمانيين إلى الملاحة البحرية العالمية والاكتشافات والتأليف في علوم الملاحة والإبحار رفع ذلك العمانيين إلى مصاف الأمم التي ساهمت في التطور والرقى والازدهار للبشرية وللحضارة الإنسانية.

إن للعمانيين دور تاريخا وحضوريا كبيرا ومميزا في الشؤون الملاحية البحرية والفلكية والجغرافية تنظيرا وتأليفا وتنظيما وممارسة فعلية، وبعد ذلك تطورا وتحديثا وكان لهم أثر على الازدهار البشري بخبراتهم وتجارتهم ومعرفتهم الملاحية وأن للبحارة العمانيين مركز ومكانة مرموقة في تاريخ الملاحة العالمية. وإن الملاحة العمانيين بفضل مهاراتهم الملاحية مدوا جسور التواصل بين مختلف الأمم والشعوب في شرق الأرض وغربها من الصين في أقصى الشرق

إلى الولايات المتحدة في أقصى الغرب مرورا بجميع الشعوب والبلدان بين تلك المنطقتين الجغرافيتين أقصى الشرق وأقصى الغرب.

وإن التراث العلمي والعملية لأسد البحار أحمد بن ماجد يكسر الصورة النمطية حول العرب بأنهم أهل صحاري لا علم ولا حضارة لهم تتعلق بالجانب البحري والملاحي. حيث إن الإنتاج العلمي والتأليف في العلوم البحرية كسر الصورة النمطية للعرب وأصبح العرب بفضل العمانيين من أهم الأمم البحرية في التاريخ البشري.

وإن الموقع الجغرافي لعمان المطل على المسطحات البحرية المفتوحة منها كالمحيط الهندي وشبه المغلقة بالخليج العربي أتاح ودفع أهل عمان ليكونوا مختلفين عن باقي الشعوب العربية الصحراوية، حيث أصبح العمانيين أمة بحرية بكل امتياز عملوا في الملاحة البحرية والتجارة عن طريق البحر، وكانت من مميزاتهم الانفتاح على الآخرين من مختلف الأمم والشعوب من حيث انفتاح الفكر والتأثر والتأثير والاعتدال والتسامح، والتبادل الفكري، والثقافي والحضاري.

التوصيات:

ضرورة الاهتمام بتاريخ عمان البحري والملاحي ونشر دور إسهامات العمانيين في المجال البحري

ضرورة تسليط الضوء على إسهام العمانيين في تطوير الادوات الملاحية مثل السفن و الادوات الملاحية .

ضرورة تنظيم ندوات بشكل دوري حول اسهامات العمانيين في مجال الملاحة البحرية.

ادخال مقررات تتعلق بتاريخ عمان البحري والملاحي في المؤسسات .

قائمة المصادر والمراجع:

- الغيلاني ، حمود بن حمد بن جويد (2015) ، أسياذ البحار ، الطبعة الأولى
- صراي، حمد محمد (2009)، العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا ، الطبعة الأولى، مركز الدراسة و الوثائق ، رأس الخيمة ، الإمارات العربية المتحدة.
- شهاب ، حسن صالح (2001) من تاريخ بحرية عمان التقليدية، الطبعة الأولى المطبعة الشرقية ومكبتها ، مسقط ، سلطنة عمان.
- البسام ، علي بن حسين عبدالله (2009) الأوضاع السياسية والاقتصادية في سلطنة مسقط وأثرها على الملاحة والتجارة في عهد السلطان تركي بن سعيد وابنه فيصل 1914، الطبعة الأولى ، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، لبنان.
- الجرو ، اسمهان سعيد(2011) الموانئ العمانية القديمة ومساهماتها في التجارة الدولية في ضوء الكتابات اليونانية و الرومانية (من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي) ، الطبعة الأولى ، النادي الثقافي بمسقط ، سلطنة عمان .
- أبو العلا ، ابراهيم عبدالمنعم سلامة (2015) عمان معبرا لتجار الأندلس و علمائها الى بلاد فارس وشرق أفريقيا (ق 3-5 ه/ق 9-11م) الطبعة الأولى ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت لبنان.
- أحمد ، جعفر كرار (2007) الدور الحضاري للعمانيين في الصين ، الطبعة الأولى ، مطابع النهضة ، مسقط سلطنة عمان.
- الأمين ، إسماعيل (1990) العمانيون رواد البحار ، الطبعة الأولى، مطبعة رياض الريس للكتب والنشر.
- الحمداني ، طارق (2002) الملاحة العربية في عصور ازدهارها ، الطبعة الأولى المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة.
- العاني ، عبدالرحمن عبدالكريم ، دور العمانيين في الملاحة و التجارة الإسلامية

حتى القرن الرابع الهجري ،المكتبة الشرقية ومكتبتها ،مسقط ، سلطنة عمان .
- الحاج ، عزيز (2003) العلاقات العمانية العراقية عبر التاريخ من سومر
وأكاد حتى الحرب العالمية الأولى ، الطبعة الأولى ، دار الحكمة ، لندن .
- عبد الحلیم ، رجب محمد (1989) العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام
، الطبعة الأولى ، مطابع النهضة ، مسقط ، سلطنة عمان .

د. محمد بن هلال بن ناصر الكندي
 م. المؤثر بن أحمد بن إبراهيم الكندي
 malKindi@gmail.com
 almouthiri@hotmail.com

إسهامات العمانيين في تعدين خامات الأرض

المخلص:

تحتوي عمان على مجموعة من السلاسل الجبلية الممتدة لمئات الكيلومترات في شمالها وجنوبها ووسطها، وتتنوع الصخور البارزة وما تحتويه من معادن وترسبات في هذه السلاسل الجبلية، وقد اعتمد العمانيون منذ آلاف السنين على ما توفره هذه السلاسل من خامات وترسبات في أمور حياتهم المختلفة، إذ إنهم استخرجوا النحاس والملح الطبيعي وذرقة الطيور (ما عرف عندهم بالكدن أو الكتن أو الكعدي) والذهب والأطيان والجابرو والدولورايت ومادة الموميان ومادة اللاصف وغيرها من خامات الأرض الصخرية وترسباتها، بل وتبادلوا كثيرا من هذه المواد مع العالم الخارجي ضمن ممرات تجارية بحرية قديمة جدا، وقد صنع سكان أرض عمان الأوائل منذ عشرات آلاف السنين -بل مئاتها- أنواعا مختلفة جدا من الأدوات الحجرية الرائعة باستخدام أحجار الصوان والصخور الجيرية وأحافير الكائنات القديمة كالمحار وبيض النعام المتحجر، وعضا عن هذا فقد تبادلوا منذ أمد بعيد مجموعة من الأحجار الكريمة مع الأراضي المجاورة، كما هو الحال مع صخور النفرايت أو اليشم، ويهدف البحث إلى إبراز جانب من جوانب إسهامات العمانيين في تعدين خامات الأرض المختلفة والتقنيات المبتكرة في سبيل ذلك، وسيتناول هذا المحور إسهامات العمانيين قديما في مجال التعدين والعمليات

المتعلقة بهذا المجال والتقنيات المستخدمة فيه، مثل نوعيات المعادن التي كانت تستخرج وتستهلك، والطرق المستخدمة من مرحلة الاستكشاف إلى مرحلة الحفر والاستخراج وإلى عمليات التصفية لتجهيزه للاستخدام المحلي أو الخارجي.

Contributions of Omanis in the ancient mining of earth ores

Mohammed Al Kindi & Al Muathir Al Kindi

Abstract:

This paper documents the contributions of Omani people in mining of natural Geo-resources that were utilized and exported throughout various historical eras. The main theme is to document those types of ground resources alongside the landmarks, relicts and tools related to their adjacent processes of exploration, excavation and utilization. The methods applied in this research are descriptive and historical methods, through the study of sites and landmarks indicative of those contributions and efforts. We also attempt to relate the mining techniques to various geological settings in different areas. The main findings are that the Omani people have had efforts and contributions in exploration, mining and exploitation of various ground resources present throughout Oman and concentrated within the domain of Hajar mountain range. The prominent mineral resources include raw copper that is extracted mainly from Ophiolite nappes, with processes of mining, metallurgy industries and exportation of products. There has also been excavation of Guano from caves for some manufacturing and agricultural uses. Rock salt has been excavated from evaporites exposed by salt domes scattered in the interior deserts, for domestic nutritional and medicinal uses. Natural clay has also been excavated from mudstones or from alluvial floodplain silts, to be used in materials such as pottery and Sarooj (traditional building cement). The usage of rocks as building blocks is an indicator of brilliant efforts in architecture and utilization of suitable rocks from geological formations proximal to the host towns and villages. Contributions of lithological usage and artistic skills are present in the usage of softstone from limited localities in ophiolite and its metamorphic, as well as making of chert tools and ornaments. There have also been excavations of Shilajit and Stibnite compounds from Eastern Hajar metamorphic. Key recommendations are the preservation of those sites and landmarks, and facilitation for research, heritage and tourism sections.

المنهجية البحثية

-الإطار النظري للتعرف على المصادر والمعلومات الموجودة والمتعلقة
بالمحاور التي يقوم عليها البحث
-الزيارات الميدانية لتوثيق معالم ومواقع نموذجية للمحاور التي يقوم عليها في
البحث

النتائج المتوقعة

-إبراز تعريف عن إسهامات العمانيين فيما يتعلق باستخراج خامات الأرض
واستغلالها، والعمليات المتعلقة بذلك من استكشاف واستخراج واستخدام للموارد
الطبيعية الأرضية
-التطرق إلى الجوانب التعليمية والتاريخية والتراثية التي يضيفها البحث

المقدمة

تعتبر إسهامات العمانيين في مجال التعدين والعمليات المتعلقة به من استخراج
واستغلال الخامات الأرضية الطبيعية من الجوانب الجديرة بالتوثيق والإبراز
ضمن إسهاماتهم العديدة في العلوم الطبيعية المذكورة في هذه الندوة.
تتمتع أرض سلطنة عمان بالتنوع الجيولوجي، الذي تنعكس تكويناته وأنواعه
المتباينة على وفرة العديد من الموارد الأرضية الطبيعية المتمثلة في الخامات
المعدنية والصخرية، والتي تمكن العمانيون من استخراجها واستغلالها أو تصديرها
عبر العصور المختلفة ووفقا للتقنيات والصناعات السائدة في كل فترة زمنية من
التاريخ منذ بدايات الاستيطان البشري في المنطقة وإلى تكوين المدن والقرى التي
تأسست على شتى الأنشطة الحضارية والصناعات.

تناغم التصميم العمراني لتلك المدن و القرى مع التكوين الجيولوجي لها،
مثلما تناغم نظام الحياة و الأعمال و الحرف مع الخامات الأرضية و الصخرية
المتوفرة حولها فكانت بعض المواقع مراكز حضارية في الفترات التي كان بها
نشاط تعديني حولها، بالإضافة إلى تأثير وفرة تلك الموارد على المستوى المعيشي
على من كانوا يتعاملون معها عبر العصور، و كذلك كان لها تأثير على العلاقات
الدولية لعمان مع الأقاليم الأخرى بفعل التصدير التجاري لتلك الموارد الأرضية
و مشتقاتها و التبادل التجاري الناتج منه، كما أن لتلك العمليات أبعاد من التبادل
الحضاري المتعلق بالاستفادة من التقنيات و الأساليب التي تم تبنيها و استخدامها
لتطوير فاعلية و كفاءة تلك العمليات و منتجاتها.

ومع تعذر الحصول على مؤلفات مستقلة من النتاج العماني في موضوع
التعدين أو الأحجار أو الخامات الأرضية أو العمليات المتعلقة بهذا الصدد على
غرار النتاج المستقل في علوم أخرى كالطب أو الفلك على سبيل المثال، تبقى
أهمية استخلاص و توثيق معالم تلك الإسهامات و الجهود العملية لما يخص تعدين
خامات الأرض، و هذا ما يهدف له هذا البحث من خلال جمع المواد التي تناولت
جزئيات متفرقة عن التعدين القديم في عمان، و من خلال التوثيق الميداني للآثار و
المعالم و القطع و المقننات الدالة على العمليات و الجهود التي تتعلق باستكشاف و
استخراج و استخدام الخامات الأرضية في الأراضي العمانية المتباينة في طبيعتها
الصخرية و الموارد المتنوعة المتوفرة فيها

الموضوع الأساسي للبحث هو إسهامات العمانيين في تعدين خامات الأرض،
وفكرته هي جمع التعريف المتكامل لها، من خلال تناول الإسهامات العمانية
العريقة في مجال التعدين و العمليات المصاحبة له و الأساليب التي كانت تستخدم
في عمليات الاستخراج و المواد التي كانت تستخرج و الصناعات التي قامت عليها،

مع ربط هذا الجانب بالخلفية الجيولوجية المعاصرة للتوزيع الجغرافي ومواقع الحصول على تلك الخامات الأرضية.

تكمن المشكلة البحثية في غياب المراجع المستقلة أو المتكاملة التي تعود للفترات التاريخية التي كانت تلك العمليات والإسهامات فعالة أثناءها في موضوع التعدين واستخراج الخامات الأرضية في عمان، ولهذا يهدف هذا البحث إلى جمع المعلومات عن مختلف الإسهامات المتعلقة بالتعدين والاستفادة من الخامات الأرضية وتوثيق بعض المواقع والشواهد والعمليات المرتبطة التي لم تغطَّ في البحوث المسبقة.

المنهج العلمي المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، حيث يكمن استخدام المنهج الوصفي في الوصف العلمي المدعوم بالخلفية الجيولوجية للمواقع التي تم استخراج الخامات الأرضية منها، والمنهج التاريخي في توصيف العمليات المتبعة من الاستكشاف إلى الاستخراج وإلى الاستغلال والتصدير، من خلال الوثائق والآثار الدالة على هذه العمليات وآلياتها ومجرياتها.

تعدين النحاس

مناجم الطباخات في ولاية نزوى نموذجاً

تتشكل المناجم في الطباخات في منطقة صدع ضمن تتابع البريدوتائيت في طبقة الوشاح من صخور الأفيولايت، وقد تشكلت هذه الصخور في صفيحة محيطية في العصر الطباشيري أي قبل 90 مليون سنة على الأقل، قبل أن يتم دفعها في عُمان في نهاية هذا العصر. ومن المحتمل أن تكون مناطق التمعدن ذات الأصول الحرارية الصخرية تعود لفترة متأخرة أي بعد تاريخ اعتلاء الأفيولايت. وتحتوي

الكهوف على العديد من معادن النحاس بما في ذلك الكالكوبيرايت والمالاكيت والأزوريت، وعلى الرغم من أن نسبة النحاس في مناطق الصدع هذه مرتفعة نسبيًا قد تكون الكمية قد تناقصت لاستمرار التعدين، وهو ما قد يفسر سبب التخلي عن المناجم في هذه المنطقة في النهاية.

وتمثل المناجم في الطباقات أمثلة على مناجم نحاس قديمة كبيرة نسبيًا تحت الأرض داخل سلاسل أفيولايت سمائل على امتداد جبال الحجر الغربية، ويبلغ طول بعض هذه المناجم عشرات الأمتار وعمقها عدة أمتار، وهي توفر فرصة لفهم توزيع العروق النحاسية داخل مناطق الصدع المعدني في الغلاف والقشرة. واسم الطباقات هو جمع كلمة الطباخة، وهي تعني في اللغة العربية مصهرًا أو ما يطبخ عليه أو مكانًا ساخنًا. ويوجد ما لا يقل عن خمسة كهوف تعدين في الطباقات، اثنان منها كبيران جدًا وقد صنعهما الإنسان بأكملها، والثالث يتبع منطقة الصدع الخطي، حيث توسع كهفٌ طبيعي فيما يبدو.

لقد زار أعضاء الفريق العماني لاستكشاف الكهوف المناجم واستكشفتها في مارس 2019، وبسبب عدم وجود أسماء لكل كهف أو منجم على حدة فقد حدد الفريق ثلاثة مناجم، الأول أطلق عليه منجم الأفعى، والذي سمي على الثعبانين الحيين السامين اللذين عُثر عليهما عند المدخل. ويبلغ عمق هذا الكهف عدة أمتار كما هو موضح في الخريطة ثلاثية الأبعاد. أما المنجم فأسماه الفريق منجم الفخار، وقد عُثر الفريق على قطع فخارية يرجح أنها تعود إلى العصر الإسلامي المبكر، وتعرض هذه القطع الآن في متحف قلعة نزوى. ويبلغ طول النفق الرئيس لمنجم الفخار نحو 25 مترًا مع بعض الجوانب التي تمتد لعدة أمتار. أما الثالث فهو منجم الصدع، لوجود صدع طبيعي كبير يميزه عن غيره من الكهوف الثلاثة، ومن الممكن أن يمنح كهف الصدع وصولاً سهلاً نوعاً ما إلى خام النحاس نظرًا لتكوينه

على طول منطقة القص الخطي مع تمعدن النحاس. رُسمت خرائط المناجم باستخدام المساحات الضوئية ثلاثية الأبعاد للمساعدة في فهم الهندسة والأدوات المستخدمة في حفر الأنفاق. كما جُمعت عينات تمثيلية من مناطق القص الم معدنة وتمت مقارنتها بتركيز النحاس والمعادن الأخرى من ترسبات مشابهة لهذه المعادن في عُمان. وعمومًا فإنه وعلى الرغم من أن نسبة النحاس في المناطق المعدنية في كهوف الطباخات تحديدًا كانت مرتفعة نسبيًا إلا أنه من المحتمل أن عمال المناجم القدامى اختاروا التخلي عن الأنفاق المحفورة بسبب التقسيم المعقد لمناطق الصدع الذي عملوا على تتبعه لاسيما ضمن تتابع البريدوتايت. وتحتوي بعض العروق النحاسية في كهوف الطباخات على نسب عالية نسبيًا من الذهب، إلا إن كميات الذهب الضئيلة لن تجعل استخراجها ممكنًا تجاريًا، ومن الممكن أن يكون عمال المناجم القدامى قد استغلوا أيضًا الذهب من هذه المنطقة.

يقع موقع صهر خام النحاس وربما الذهب المستخرج من مناجم الطباخات على بعد مئات الأمتار من موقع التعدين، ولم يتم العثور على مواقع صهر أخرى كبيرة في المنطقة. وليس من الواضح سبب اختيار الناس لصهر المواد بعيدًا عن المناجم، ولكن ربما كان ذلك بسبب وفرة الأشجار والمياه في تلك المنطقة، أو ربما بسبب وجود موقع تعدين آخر، حيث وضعوا منطقة الصهر بينهما.

مع تعذر الحصول على أدلة على الآليات المحددة للاستكشاف المبدئي لخامات النحاس في بدايات العصور التي قامت فيها تلك الأنشطة، لا زال يتضح من هذا الموقع أن عمليات الاستكشاف المبدئي للخامات الفلزية والتعرف على الخامات المستهدفة للتعدين بذلت فيها جهود شاقة وعظيمة، لا سيما أن الكثير من تلك المواقع في أماكن نائية عن المراكز المدنية والحضارية من المدن والقرى أو حتى

عن الطرق الطبيعية التي كانت تصل بينها. وعند النظر إلى تشكيلة واتجاه الأنفاق يبدو أن الاستكشاف بدأ من السطح من الامتدادات العلوية للعروق المحتوية على الخامات البارزة والمميزة بلونها، من خلال بعض الخنادق السطحية المشقوقة على تلك الصدوع المعدنية في مواضع أعلى الأنفاق، ويليه عمليات الحفر التي تتبع زوايا وانحدار الامتداد الرأسي و الأفقي للشقوق المحتوية على الخامات. من بعد عمليات الحفر والاستخراج تأتي عمليات الصهر والتصفية للخامات المتكونة من الكالكوبايرايت (كبريتات النحاس) أو من كربونات النحاس إلى الخلاصة التي تتكون غالباً من فلز النحاس الذي يترسب أسفل الصهارة نظراً للكثافة العالية مقارنة بالمعادن والشوائب الأخرى التي يتم التخلص منها، ويليه نقل المعادن الناتجة إلى المدن المجاورة إما للاستخدام المحلي أو التصدير الخارجي. يظهر من خلال مقارنة مواقع التعدين أنه مع تطور الوسائل عبر العصور نتج تطور في زيادة كفاءة عمليات الاستخلاص وزيادة نسبة النجاح في نسبة النحاس المستخرج من الخامات.

تركيز النحاس والذهب من عروق النحاس في منجم "الأقعى" - الطباخات

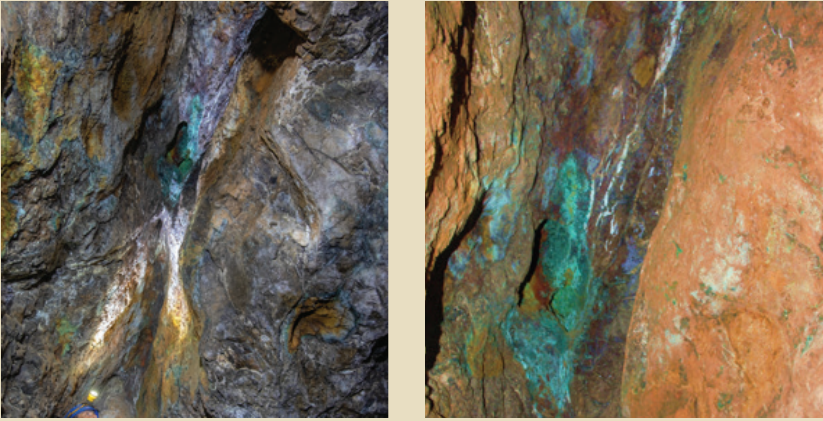
العنصر	آلية الاختبار	الوحدات	النتائج
(Au)الذهب	قياس طيف كتلة البلازما المقترنة حديثاً	ملغ/كغم	٢٣.٠
(Cu)النحاس	EMT-M-OP-CH-MCT-MD1-1B	%	٨,٥

تركيز النحاس والذهب من عروق النحاس في منجم "الفخار" - الطباخات

العنصر	آلية الاختبار	الوحدات	النتائج
(Au)الذهب	قياس طيف كتلة البلازما المقترنة حديثاً	ملغ/كغم	٢٣.٠
(Cu)النحاس	EMT-M-OP-CH-MCT-MD1-1B	%	٥,٢



شكل: مقطع عرضي ومنظر ثلاثي الأبعاد لمنجم "الفخار" في مناجم الطباخات (من كتاب الدليل إلى كهوف عمان، الكندي وآخرون، 2022).



شكل: الصورة على اليمين: منطقة معدنة بها نحاس في منجم "الأفعى" في الطباخات (تصوير نبيل الصقري، الفريق العماني لاستكشاف الكهوف)، عينة من هذه المنطقة كانت تحتوي على 8.5% نحاس، وعلى اليسار: منطقة معدنة بها نحاس في منجم "الفخار". والعينة التي فحصناها من هذه المنطقة كانت تحتوي على 6.7% من النحاس.



شكل: قطع من مخلفات صهر النحاس (خبث النحاس) في موقع الصهر لخام النحاس، ويوجد في الموقع قطعاً للفخار هذا بالإضافة لصخور الصوان التي جُلبت فيما يبدو من مواقع بعيدة.



شكل: قطعة من الفخار في أحد المناجم بالطبائخات.

تعديين ذرق الطيور

كهف الكدن في مسفاة العبريين بولاية الحمراء نموذجاً

توجد العديد من الكهوف التي استخدمت لتعديين ذرق الطيور في عمان، كون أن هذه المادة استخدمت كمخسبة للتربة هذا فضلا عن استخدامها في صناعة البارود، ويطلق على هذه الكهوف "الكدن" أو "الكتن" في جبال الحجر الغربي، و"الكعدي" في جبال حجر الشرقي، ونحن هنا نقدم نموذجاً لأحد هذه الكهوف.

يقع كهف الكدن في مسفاة العبريين بولاية الحمراء داخل طبقات الصخور الكربونية الطباشيرية العليا عند نقطة التلامس بين الحجر الجيري الموحل (الطيني) وطبقات الكربونات السميكة النقية. يتميز هذا الجزء من المسفاة بالعديد من الصدوع التي تساعد في تغلغل المياه وذوبان طبقات الكربونات وتكون الكهوف، وتحتوي المنحدرات المحيطة على كهوف مختلفة الأحجام، ويقع العديد من هذه الكهوف في وسط جروف عمودية وتظل بذلك غير مكتشفة. غير أن العديد من الكهوف التي يمكن الوصول إليها بما في ذلك تلك التي يكون دخولها صعباً قد دخلها السكان المحليون في الماضي القريب، وغايتهم الأولى من ذلك البحث عن الماء.

تعني كلمة كدن في اللهجة المحلية فضلات الطيور، وهذا ما يشتهر به الكهف محلياً. وقد قام السكان المحليون باستخراج طبقات الكدن منه منذ العصور القديمة إذ تعتبر هذه الفضلات سماداً فعالاً للغاية بسبب تركيز الفوسفات العالي فيها، لذلك اعتبر أهل القرية الكدن أفضل من أي نوع سماد آخر، وتوجد في بعض المواضع آثاراً لحفر تعديين قديمة يصل عمق بعضها لعدة أمتار تحت مستوى الأرض، وحتى وقت قريب كان سكان المسفاة يضيئون الكهف بسعف النخيل أو الأغصان المشتعلة لجمع فضلات الطيور في أكياس. أما اليوم فيستخدمون المشاعل في جمع فضلات الطيور التي لا تزال تستخدم في تسميد المناطق الزراعية المحيطة.

الطبقات المترسبة من الكدن والطين تشير إلى تعاقب مواسم ومناخات ممطرة وجافة على الكهف. وتحتوي الطبقات على العديد من الأحافير - المحفوظة في تربتها غير الهوائية نسبيا

- لحيوانات الكهوف والحشرات التي عاشت داخل الكهف منذ آلاف السنين، وقد عثر الفريق العُماني لاستكشاف الكهوف عند عمليات استكشاف للكهف (الكندي وآخرون، 2022) على حفريات لعظام وفكوك وجماجم لخفافيش وقوارض أخرى بعضها ينتمي إلى أنواع منقرضة لم تكن معروفة سابقا أنها عاشت في المنطقة أو في أي مكان آخر في عُمان. وبالرغم من عدم مشاهدة الفريق لأي ثعابين داخل الكهف فقد عثروا كذلك على ما يسلخه الثعبان من جلده.

تستحق رواسب الكهوف والتربة والأحافير المحفوظة في كهف الكدن مزيدا من الدراسة والتقصي لاكتشاف المزيد عن الكائنات السابقة التي استوطنته. ومن المثير للاهتمام أن مدخل الكهف كان يستخدم أيضا كمكان محمي للتخلص من النسخ القديمة من القرآن الكريم، ولا يجذب الناس التخلص من هذه النسخ في أي مكان، ويفضلون الاحتفاظ بها داخل الكهف لتتحلل بشكل طبيعي على مدى فترات طويلة من الزمن.

يمنح كهف الكدن تجربة رائعة في استكشاف الكهوف والتجول على الأقدام. وتمنح مسارات المشي إلى الكهف إطلالات ساحرة على قرية مسفاة العبريين، وهي واحدة من أجمل القرى القديمة في المنطقة وفي عُمان. ويتطلب استكشاف الكهف نزولا وصعودا على منحدرات رأسية، ولكنها قصيرة، مما يجعله سهل الاستكشاف ولا يتطلب قدرا كبيرا من المهارة المطلوبة.

مدخل الكهف عبارة عن فتحة كبيرة نسبيا تؤدي إلى ممر ضيق مرتفع على الجانب الأيمن. في نهاية هذا الممر يوجد نزول بعمق 7 أمتار إلى بداية الجزء

المظلم من الكهف. اعتاد السكان المحليون على تسلق هذا المنحدر دون استخدام الحبال، لكن يعد ذلك غير آمن وينبغي القيام به باستخدام الحبال أو سلاسل الكهوف. يبلغ طول كهف الكدن 600 متر في مسار يتجه من الشمال إلى الجنوب. ويربط ذلك مع صور الأقمار الصناعية نستنتج أن الكهف ربما يستمر حتى أسفل أو يصل ليقارب موقع قرية مسفاة العبريين القديمة. الكهف شبه مستقيم بممرين متوازيين طول كل منهما 200 م ويربط بينهما ممر ضيق. وينحرف الكهف في نهايته في مسار عمودي يزيد طوله عن 100 م. من الممكن أن الفرعين الطويلين للكهف يتبعان صدوعاً أرضية متوازية أو شبه متوازية على غرار الصدوع التي تظهر على السطح في هذه المنطقة. تستوطن الخفافيش معظم أنحاء الكهف وبكثافة أعلى في تجويفه الأخير. وفي الأماكن التي جعلت منها الخفافيش مكاناً معتاداً للتبول تتشكل رواسب بطول بضعة سنتيمترات من البول المتصلب تعرف عادة باسم النقاط اللزجة.



شكل: مقطع عرضي ومنظر ثلاثي الأبعاد لكهف الكدن بمسفاة العبريين (من كتاب الدليل إلى كهوف عمان، الكندي وآخرون، 2022).



شكل: على اليمين: الممر الرئيس لكهف الكدن في مسفاة العبريين. وعلى اليسار: مدخل الكهف.



شكل: على اليمين: حفرة مناجم ذرق الطيور على طول الممر الرئيس لكهف الكدن. وعلى اليسار: طبقات سميكة من الرواسب وفضلات الطيور مع أنواع مختلفة من الأحافير؛ لاحظ جمجمة الخفاش المتحجرة.

تعددين الملح الطبيعي

كف قارة الكبريت بولاية أدم نموذجاً

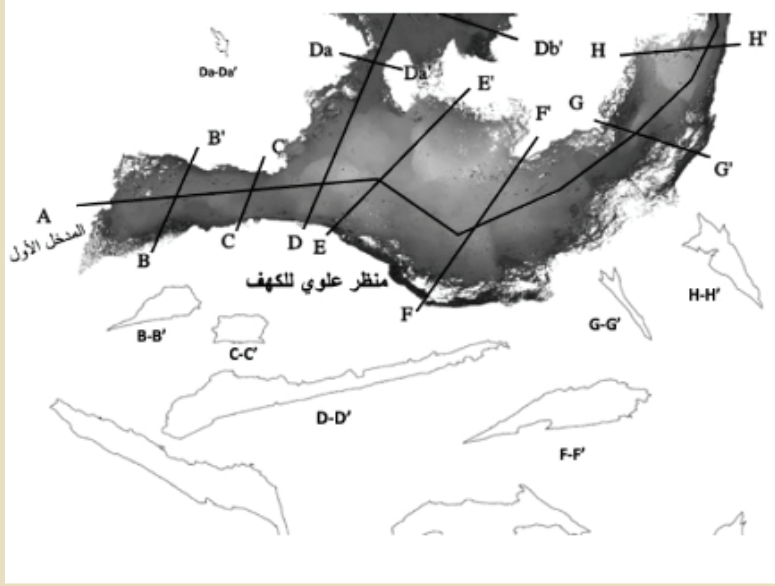
في منطقة وسط عُمان تُشكل ستة قباب ملحية نافذة معالم بارزة على سهل صحراوي منبسطة. تتكون هذه القباب في الغالب من صخور تعود إلى الحد الفاصل بين حقبة الحياة السحيقة وحقبة الحياة القديمة قبل نحو 542 مليون سنة. تشكلت القباب نتيجة لتدفق الملح من عمق نحو أربع إلى خمس كيلومترات، مما دفع الطبقات الصخرية العلوية إلى السطح لتشكل قباب ملحية دائرية. بالإضافة إلى طبقات الملح القديمة جداً التي عُثر عليها واستخرجت عبر التاريخ، تحتوي القباب على صخور دُفعت إلى السطح من أعماق الأرض وهو ما يمثل أهمية كبيرة لصناعة النفط. عادة ما تظل هذه الصخور عميقة جداً في باطن الأرض في المنطقة الغنية بالهيدروكربونات في عُمان، ولكن هنا يمكن تحليلها ودراستها على السطح. وعليه فإنها توفر نظائر مهمة لصخور مصدر النفط والخزانات الموجودة في أعماق الأرض.

وتعتبر قارة الكبريت مصدراً طبيعياً عالي الجودة للهالايت الطبيعي (ملح الطعام)، وتُعرف الصخور التي تتكون أساساً من الهالايت الطبيعي باسم الملح الصخري، وهو الشكل الطبيعي لكلوريد الصوديوم. وتحتوي المنطقة المحيطة بالقبة أيضاً على مصنوعات بشرية بما في ذلك أدوات الصوان المستخرجة من العُقيدات الصوانية داخل صخور الكربونات. وتعود هذه الأدوات إلى عصر الهولوسين المبكر / الأوسط أو العصر الحجري الحديث قبل 7000 عام (روز وآخرون. 2011). وربما كانت المنطقة المحيطة بالقبة مكاناً مثالياً للصيد خلال عصر الهولوسين المثالي للمناخ، حيث تقع وسط نظام تصريف المياه، وربما كانت هذه المنطقة في ذلك الوقت غنية بالحياة في النظام المناخي شبه الرطب.

ويوجد ضمن قبة الملح الصخري في قارة الكبريت كهف متكون بفعل التذويب المائي للأملح، وتوجد داخل هذا الكهف تجويفات وأنفاق صناعية تدل على نشاط قديم لتعدين واستخراج الملح الصخري من هذا المكان. يذكر أن الملح المستخرج من هذا الموقع يسمى محليا -"الملح العريشي"، حيث كان يستخرج ثم يصدر ويتاجر به ليستخدم في الغذاء أو كجزء من الوصفات العلاجية وشتى الاستخدامات، ويذكر بعض من كانوا يعملون على هذه المهنة عن عدة تحديات من ضمنها بعد المسافات إلى المواقع وندرة الغذاء والمياه العذبة حولها، وأيضا توجد مخاطر عديدة في مغارات استخراج الملح نظرا لهشاشته، وعليه قابليته للانهياب والذوبان المائي. ومن ضمن التكوينات المصاحبة للملح الصخري المرتفع للسطح توجد أيضا ترسبات من الطمي الغني بالمواد العضوية مما يعطي ترسبات كبريتية أطلقت منها تسمية المكان، وكانت تستخرج الخامات الغنية بالكبريتات من نفس المحجر، والتي كانت لها استخداماتها أيضا في البارود وبعض العلاجات قديما، وقد تشكل هذه الخامات خطورة خصوصا داخل تجويفات المحجر نظرا لانبعاث الغازات الكبريتية منها.

تصل أعماق مناجم الملح القديمة في قارة الكبريت ومناجم أخرى بقباب الملح في وسط عُمان إلى عدة أمتار. وتعرض المناجم طبقات ملونة بشكل جميل من الرواسب التبخرية (ناتجة عن تبخر الماء) مع أنواع مختلفة من تصدعات الصخور. وحتى وقت قريب نسبياً كانت مناجم الملح القديمة هذه موضع اهتمام مستمر. وكان يمكن استخدام الملح بشكل أساسي كغذاء للقبائل المحلية وحيواناتهم. وتُظهر الصور التي التقطها جورج لورانس في قرن سحمة في الخمسينات من القرن الماضي عاملاً قَبْلِيًّا ينقب عن رواسب ملح قديمة لهذا الغرض. وتظهر صور أرشيفية قديمة أخرى بيع قطع الملح في السوق الرئيس بولاية عبري التي

تبعد أكثر من 200 كيلومتر عن قارة الكبريت و300 كيلومتر عن قرن سحمة. كما تكشف عمليات التعدين داخل كهوف الملح والتقنيات المستخدمة لتقطيع الملح إلى كتل منتظمة مدى مهارة عمال المناجم.



شكل: خرائط ومقاطع عرضية لأحد مناجم الملح في قارة الكبريت. (من كتاب الدليل إلى كهوف عمان، الكندي وآخرون، 2022).



شكل: منظر من الداخل لأحد مناجم الملح في قارة الكبريت (الكندي وآخرون، 2022).



شكل: رجل قبيلة يقوم بحزم مكعبات الملح المستخرجة على الإبل في جبل سحمة لنقلها إلى الأسواق المحلية ولأسيما في نزوى وعبري في الشمال. وقد ظلت مناجم الملح القديمة داخل قباب الملح في وسط عُمان تستخدم باستمرار حتى الآونة الأخيرة. تصوير: جورج لورانس (الخمسينات من القرن الماضي).



شكل: مكعبات الملح المستخرجة (أسفل اليسار) تباع في سوق عبري. الصورة عن طريق ناصر الجساسي.

الصلصال الطبيعي

يعتبر الصلصال الطبيعي من المكونات الضرورية للبناء والصناعات في المدن العمانية، لتوفره ضمن الخامات الرسوبية والمتحولة ولدخوله ضمن وصفات مواد مثل الفخار والصاروج وما سواها من مواد مستخدمة باعتياد قديما.

صناعة الفخار بهلاء نموذجا:

في صناعة الفخار المعروفة التي ما زالت تزاول ضمن إرث الصناعات في المدن العمانية، كانت المواد الخام مستخرجة من مواضع قريبة نسبيا من مدينة بهلاء التي كانت مركزا حيويا لهذه الصناعة، حيث انها تحتوي على نوعين رئيسيين من الصلصال الخام:

-المدر: نوع من الصلصال الرسوبي يستخرج من الطمي الموجود بنفس واحة بهلاء والمناطق المجاورة، يمتاز باللون الحليبي الفاتح والقابلية للتشكل عند الخلط مع الماء، ويتكون عادة في السهل الفيضي لواحة بهلاء من رسوبيات الأودية أو من أنواع الصلصال الناتج من تفاعلات التجوية الكيميائية لتلال الأوفيولايت المجاورة.

-الصبوخ: نوع من الصلصال الأحمر الذي يستخرج من الطبقات الرسوبية والمتحولة، والتي توجد عادة ضمن الجبال الزاحفة المحاذية لجبال الحجر، حيث كان يستخرج من مواضع على سفوح جبال الحوراء عند عقبة المصلة بين نزوى والحمراء أو عند وادي غول بسفح جبل شمس ومواقع شبيهة على قرابة من نفس المجموعة الصخرية.

ويتميز هذين النوعين من الصلصال بالدقة والقابلية على التشكل المائي، وعند تحضيرها لصناعة الفخار كانت تطحن ثم تخلط مع الماء لينتج منه الصلصال بنسب متفاوتة، حيث ان زيادة نسبة أحد النوعين يظهر تأثيره في اللون الإجمالي

للفخار الناتج من الصناعة.



شكل: عينات من أنواع الصلصال المحلي -الصربوخ يمين الصورة والمدر يسار الصورة.

أحجار البناء

ينعكس التنوع الجيولوجي المجاور للمدن والقرى العمانية على أنماط البناء والمكونات المعمارية بالمساكن والمباني والمنشآت العامة فيها قديما، إذ إن وفرة نوع معين من الأحجار وصلابته وقابليته للاصطفاف لها دور في المباني الناتجة لتهيئة أساساتها أو حتى كحجر أساسي بإنشاء المبنى بأكمله وطوابقه المتعددة في بعض المواقع، خصوصا في القرى الجبلية التي يصعب فيها البناء بالطين فنجده الأحجار هي المكون الأساسي.

الحجر الجيري الطبقي بإمطي وبركة الموز نموذجا:

يوجد في قرى إمطي بولاية إزكي وبركة الموز بولاية نزوى حارات تعتبر من النماذج الملفتة لاستغلال الخامات الحجرية المجاورة للمكان. تقع هذه القرى على واحات عند سفوح الجبل الأخضر، تشترك في النمط المدني العام لوجود

الحرارات ملاصقة لسفح الجبل المكون من الطبقات الرسوبية المتحولة (تكوينات سدر وجويزة)، ويليهما منخفضات مستغلة زراعيًا في السهول الموجودة أدنى تلك الحرارات السكنية.



شكل: آثار حصن بامطي بولاية إزكي، مبني من أحجار مسطحة من نفس سفح الجبل.

من أهم مكونات البناء في هذه القرى الأحجار المسطحة، إذ إن خاماتها تتوفر بشكل جاهز يستخرج من السفوح الجبلية المتكونة من الطبقات الرسوبية ذات القوام الصلب و السمك المتوسط، و هذه الخصائص تجعل تلك الأحجار قابلة للاصطفاف بشكل منظم و مستدام لأساسات تلك البيوت و أحيانا للطابق بأكمله في بعض تلك المباني، كما أن الهيئة المستطيلة تجعلها لا تحتاج إلى جهود كثيرة مبدولة في نقل تلك الخامات أو تقطيعها للبناء مقارنة بنوعيات أخرى، مثل الحجر الجيري أو الرخامي الكثيف المستخدم لأساسات المباني أو الحجارة المستديرة من

بطون الأودية و التي يصعب اصطافافها.



شكل: بوابة مبنية من الحجارة المسطحة في إمطي، بالقرب من مبنى له أساسات من نفس الحجر.



شكل: مبنى مشيد بالحجر في مرتفعات وادي كمة بالجبل الأخضر.

الحجر الصابوني

يعرف الحجر الصابوني أو الحجر الأملس بأنه مجموعة من أحجار بها معادن مثل الكلورايت والستيتايت والسربنتين، تكونت بفعل تعرض أحجار بركانية من منظومة الأوفيولايت أبرزها الجابرو والهارزبرجايت للتحويلات الكيميائية والحرارية. ولكونه قابلا للنحت دون تكسر مع كونه قليل المسامية ويقاوم الحرارة والتغيرات الكيميائية فإنه مؤهل للاستخدام قديما في بعض المستلزمات المنزلية فيما كان يتعارف عليه بحجر الرباب.

ومن آثار استخدامات الحجر الصابوني توجد بعض المقتنيات المنحوتة من نفس الحجر في بعض المواقع التي تعود للعصر البرونزي والعصر الحديدي، كما تم العثور على أختام دائرية نصف كروية منحوتة من الحجر الصابوني نظرا لقابليته على نحت تفاصيل مكتوبة على سطح الختم من القوالب الحجرية التي استخدمت عند شخصيات ومؤسسات رفيعة المستوى، ويعود استخدامها للألفية الثانية قبل الميلاد في حضارة مجان وبعض الحضارات المجاورة آنذاك.



شكل: نموذج لختم منحوت من الحجر الصابوني (David-Cuny et al, 2016)

تعدين صخور الصوان

الملاجئ الصخرية ومناطق تعدين صخر الصوان بولاية ثمرت نموذجا تحتوي العديد من المواقع الموجودة في السهول الصحراوية في جنوب ووسط عُمان على قطع أثرية من الصوان تعود إلى العصرين الحجريين القديم والحديث. ويبلغ عمر بعضها أكثر من 100 ألف عام (روز وآخرون، 2011)، وتوجد أدوات من صخور الصوان (ما يعرف بأدوات الصوان النوبي) في المنطقة المحيطة بقرية مضي بولاية ثمرين. وخلال هذه الفترة وخاصة خلال فترات هطول الأمطار وفرت ضفاف الأنهار في هذه المنطقة أماكن مثالية للعيش. وما يشبه الصحراء اليوم كان في الماضي مشهداً طبيعياً من المراعي مع وفرة من الحياة البرية والصيد (الكندي، 2018) عُثر على الأدوات الحجرية والرواسب القديمة للأنهار والبحيرات في منطقة تمتد على الأقل إلى بداية الربع الخالي على الحد الغربي لولاية ثمرت. وقد عُثر على بعض الأدوات ورواسب المياه العذبة بالقرب من الكهوف الصغيرة مما يشير إلى أنها كانت تستخدم على الأرجح كملاجئ. وتعتبر هذه المنطقة جذابة لعلماء الآثار والجيولوجيين على حدٍ سواء وهي تحتوي على العديد من المواقع التي يمكن أن تزيد من الاكتشافات.

الملاجئ الصخرية الموجودة بولاية ثمرت هي إحدى الأمثلة على العديد من الأماكن التي كانت تستخدم على الأرجح للمستوطنات خلال العصر الحجري القديم وكان الأولون يقومون بتعدين النحاس في محيطها. ويبلغ ارتفاع أحد هذه الملاجئ نحو مترين وعرضه 4 أمتار وطوله 30 متراً، ويقع فوق عين جافة حالياً، حيث لا تزال بعض الأشجار تنمو. وعُثر هنا على عدد كبير ومتنوع من الأدوات الحجرية تعود للعصر الحجري القديم. وتشكل الكهف داخل طبقات الكربونات العقدية المسامية المبكرة (تكوين أم الرضومة الأيوسيني)، في حين أن الرواسب

الدقيقة للحبيبات أو الطين التي تشكلت على طول مجرى المياه هي على الأرجح من العصر البليستوسيني. ومن المحتمل أن تكون مصاطب الطين والطين قد ترسبت على ضفاف مجرى متدفق خلال العصور الغزيرة عندما كانت المياه تتدفق باستمرار في الوادي الرئيس وروافده. ويبلغ سمك رواسب المياه العذبة بضعة أمتار في بعض الأماكن وتحتوي على أدوات صوان مختلفة. وعليه يمكن تحديد تاريخ ترسب هذه الرواسب ومنها معرفة صناعة أدوات الصوان التي تحتويها.



شكل: أمثلة لأدوات من العصر الحجري القديم وجدت في المنطقة المحيطة بالملاجئ الصخرية في ثمريت.

تعدين اللاصف بولاية العمارات

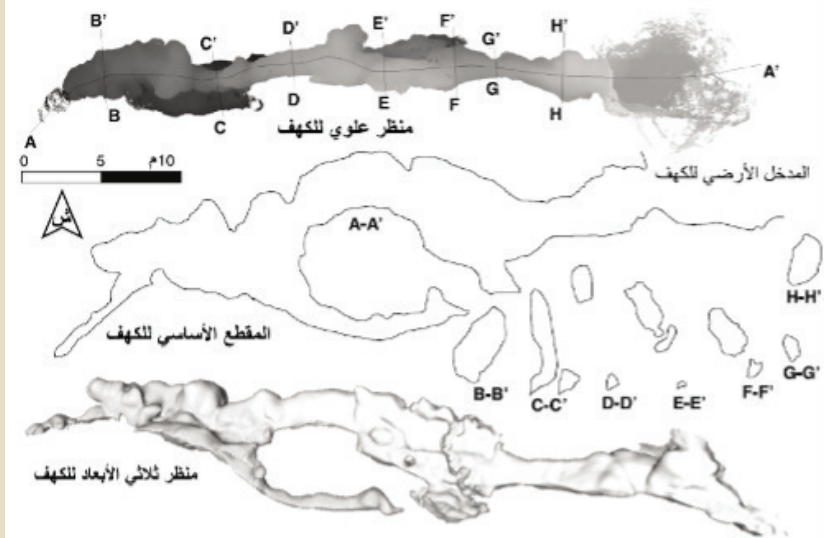
تعد كهوف اللاصف بولاية العمارات من نماذج المحاجر المصنعة لاستخراج مادة الإثمد المتعارف عليها محليا بتسمية اللاصف، وفي اللغة العربية كلمة "اللاصف" تعني اللعان، ويبدو أنه كهف اللاصف بولاية العمارات أخذ اسمه من

المظهر اللامع للطلاء الرمادي والأخضر الناتج من الأحجار الغرينية والأحجار الرملية الصلصالية والميكائية. وقد استخدم هذا الطلاء لإعطاء الأواني الفخارية طبقة واقية من الداخل والخارج مما يساعد في الحفاظ على الطعام المخزن بالداخل وإضفاء مظهر لامع على الجرار. كما عُثر أيضاً على آثار من معادن النحاس التي تتشكل في مناطق الصدوع في نفس الموقع، ولكن ليس من الواضح ما إذا كانت هذه المعادن قد تم تعدينها أم لا.

تقع كهوف اللاصف على مرتفعات مطلة على روافد وادي عدي، وهي مجموعة من حفر تستهدف الترسبات المعدنية لأكاسيد الإثمد (المعروف بمعادن الأنثيموني)، وتشكلت كهوف اللاصف داخل حجر الكوارتز الرملي الأخضر الرمادي لتكوين عمدة التي ترسبت خلال العصر الأوردوفيشي منذ أكثر من 450 مليون سنة. ويعد حجر الكوارتز من أصلب أنواع الصخور وأصعبها للحفر والتعدين، وتطور الكهف على طول منطقة الصدع التي تتجه تقريبا باتجاه شمال-جنوب، ومجموعات أخرى من الصدوع الصغيرة والتشققات الموجهة في اتجاهات مختلفة. ليس من الواضح ما إذا كان الكهف قد تطور بشكل طبيعي أو ما إذا كان ناتجاً عن التعدين، مثل العديد من تجاويف التعدين الأخرى في المنطقة. من المحتمل أنه تشكل كتجويف صغير ثم توسع بفعل أنشطة التعدين. يبلغ طول الممر الرئيس لكهف اللاصف 100 متر على الأقل، وقد فُتحت أنفاق ضيقة أسفل الممر الرئيس بواسطة عمال المناجم.

تم التنقيب في كهف اللاصف منذ العصور القديمة من أجل الطين ومعادن الميكا الموجودة في الحجر الطري الغريني الدقيق والحجر الرملي على التوالي. ووفقاً للسكان المحليين كان التعدين نشطاً حتى أوائل السبعينات. كما يشير وجود عدد قليل من المستوطنات القديمة في الوادي إلى أن الناس ربما قاموا جزئياً بمعالجة

الخامات المجمعة محلياً، وربما نُقل بعد ذلك معظم الخام إلى نزوى وبهلاء ومطرح ومدن رئيسة أخرى.



شكل: خرائط ومقاطع عرضية لأحد مناجم الملح في قارة الكبريت. (من كتاب الدليل إلى كهوف عمان، الكندي وآخرون، 2022).



شكل: إلى اليمين: منظر لمدخل كهف اللاصف من داخل الممر الرئيسي. وعلى اليسار: مدخل الكهف.



شكل: إلى اليمين: جرار فخارية من القرن التاسع عشر مطلية باللاصف (اسم الطلاء) لحماية الطعام المخزن بداخلها وإضفاء مظهر لامع عليها. هذه الجرار من مجموعة خاصة لجمال بن محمد بن سليمان الكندي.

كهف الموميان نموذجاً

يقع كهف موميان في جبال الحجر الشرقي (وادي الميخ) في صخور كربونية ضخمة. يتكون الكهف من غرفتين صغيرتين تمتد كل منهما من 15 إلى 20 متراً. يحتوي الكهف على مدخل كبير يبلغ عرضه حوالي 10 أمتار وارتفاعه حوالي 5 أمتار. يشتهر الكهف بتعدين مادة سوداء تُعرف محلياً باسم موميان. الاسم الأكثر شهرة للمادة هو شيلاجيت (أو موميجو). الشيلاجيت مادة لزجة تحدث بشكل طبيعي، وهي عالية اللزوجة. يُعتقد أن هذه المادة عبارة عن مزيج من الجزيئات العضوية، مع أحماض الهيوميك والفولفيك الغنية بالعناصر الغذائية. وهي ناتجة عن تحلل عضوي أحفوري يستغرق مئات السنين مصحوب بمعادن من الخامات الصخرية في المنطقة. وهذه المادة معروفة جيداً من سلاسل جبال الهيمالايا وأجزاء أخرى من الكرة الأرضية. يتضح تعدين شيلاجيت من الكهف في الكهف خاصة

في نهاية الغرفة الصغيرة المرتفعة، حيث يرشح موميان من الكسور الصخرية. لطالما اعتقد الناس أنه يمكن استخدام هذه المادة للوقاية من أمراض معينة، مثل الاضطرابات المعرفية المرتبطة بالشيخوخة، وإصابات العظام. وتوجد في منطقة الكهف منظومة معقدة من الصدوع والطيات الصخرية نظرا لشدة عمليات التحول من جراء الضغط والحرارة التي تعرضت لها، ويبدو أن لبعض تلك الصدوع دور في الجريان البطيء للمادة من صخور مصدرية ذات مركبات من معادن ومواد عضوية لها دورها في تكون المادة.



شكل: مدخل كهف الموميان في وادي الميخ.



شكل: نموذج من مادة الموميان أو الشيلاجيت.

جوانب حضارية وتعليمية

تشير العديد من النصوص التاريخية والاستكشافات الأثرية إلى أن العديد من الموارد المعدنية والأرضية المذكورة في البحث مع آليات الاستكشاف والاستخراج والمواد والمصنوعات الثانوية الناتجة منه لها دور تاريخي في التبادل الحضاري والتجاري مع الحضارات المجاورة.

من أبرز التبادلات التجارية التي دارت حول المنتجات المعدنية كانت بين حضارة مجان وحضارات مجاورة مثل حضارة دلمون بالبحرين أو الحضارة السومرية في بلاد الرافدين، خصوصا لكون تلك الدول تقع أغلب مساحاتها على تكوينات رسوبية تفتقر إلى الخامات المعدنية الحاصلة على سلسلة جبال الحجر، مثل وقوع دلمون على الجزر والسواحل الجيرية، وحضارات بلاد الرافدين على السهول الفيضية.

تعود أقدم الأدلة على التبادل التجاري لاستخدام النحاس إلى الألفية الخامسة والرابعة قبل الميلاد إبان تطور الأدوات وتزايد الحاجة إلى المكون الذي تدخل فيه الصناعات المعدنية، ومن أقدم المواقع المحتوية على القطع النحاسية موقع رأس الحمراء حيث تم العثور على قطع حادة مصنعة من النحاس مثل السكاكين والصنارات وقطع غير مكتملة تدل على جريان عمليات التصنيع في نفس المواقع، تعود لنهايات الألفية الرابعة قبل الميلاد.

تكمن فرص الاستغلال التعليمي والسياحي في قابلية تأهيل بعض مواقع المحاجر الأثرية والمعالم المرتبطة بها، حيث توجد مواقع بحالة جيدة وجديرة بالتأهيل وإضافة اللوائح التعليمية والتنقيفية، أو إيجاد فرص توظيف القائمين بخدمات مثل الإرشاد والشرح حول تلك المواقع، لتشكل متاحف ميدانية ضمن الوجيهات السياحية للزوار والبحثية للطلاب والمهتمين بمجالات الجيولوجيا والآثار والتاريخ.

المصادر:

الدليل إلى كهوف عمان، محمد الكندي، ناصر الريامي، نبيل الصقري، سيمون كاهيل، نبيل الزكواني، الجمعية الجيولوجية العمانية، 2022.
قصة الأرض والحياة في عمان، محمد الكندي، الجمعية الجيولوجية العمانية، 2018.

DAVID-CUNY, H el ene & Frenez, Dennys & Williams, Kimberly. (2016). 2016 - An Unusual 2nd Mill. BC Stamp Seal from Shokur (Oman) : Identifying a Local Series of Bronze Age Seals ?.

أ. أماني بنت طالب بن هلال الحضرمية
موظفة - بكالوريوس العلوم في إدارة الوثائق
والمحفوظات
alhdmyasrt318@gmail.com

التعامل مع الأوبئة في عهد السلطان فيصل بن تركي (١٨٩٨-١٩١١م)

الملخص:

تتناول الدراسة تحليلاً لوثائق الأوبئة المنتشرة في عهد السلطان فيصل بن تركي في الفترة (1898-1911م)؛ إذ أسهمت هذه الدراسة في معرفة الكيفية التي تم التعامل فيها مع الأمراض والأوبئة آنذاك.

تعتمد الدراسة على المنهجين التاريخي والتحليلي؛ وذلك بمراجعة الوثائق التاريخية المضمّنة في المراسلات الرسمية بين القنصلية البريطانية في مسقط والسلطان فيصل بن تركي؛ للوقوف على الأمراض المنتشرة في تلك الفترة وكيفية التعامل معها.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أولاً: الأمراض الشائعة في عهد السلطان فيصل، التي تطرقت إليها الوثائق الرسمية، وهي: الكوليرا والطاعون والجذري. ثانياً: اتخاذ مجموعة من الإجراءات للوقاية من الأمراض؛ بمساعدة القنصلية البريطانية في مسقط؛ لذا نستنتج أن فكرة الحجر الصحي ليست حديثة العهد. ثالثاً: أثبتت الدراسة أن الهند مصدر لبعض الأمراض التي وصلت إلى عُمان.

الكلمات المفتاحية: الأمراض، الأوبئة، الحجر الصحي، قرية حرامل،

جوادر، قنصل.

Dealing with epidemics during the reign of Sultan Faisal bin Turki (1898-1911)

Amani Talib Hilal Al-Hadramiyya

Employee - Bachelor of Science in Documents and Archives Management

Abstract:

The study deals with an analysis of the documents of the spread of epidemics during the reign of Sultan Faisal bin Turki during the period (1898-1911- AD); Where this study contributes to knowing how diseases and epidemics were dealt with in that period.

The study relies on the historical and analytical method, by reviewing the historical documents included in the official correspondence between the British Consulate in Muscat and Sultan Faisal bin Turki, to identify the diseases prevalent in that period and how to deal with them.

The study reached a set of results, first: common diseases during the reign of Sultan Faisal, which were mentioned in official documents, namely: cholera, plague, and smallpox. Second: A set of measures have been taken to prevent diseases, with the help of the British Consulate in Muscat. Therefore, we conclude that the idea of quarantine is not a new idea. Third, the study proved that India is the source of some diseases that have reached Oman.

Keywords: Diseases and epidemics, quarantine, Haramel village, Gwadar, Consul

المقدمة

تقف الدراسة على حِقْبَة مهمة في تاريخ الأوبئة بعُمان؛ إذ تناولت الأمراض الشائعة في فترة حكم السلطان فيصل بن تركي (1888-1913م)، وما تم اتخاذه من إجراءات وقائية لمقاومة هذه الأمراض بمساعدة القنصلية البريطانية في مسقط. وتهدفُ الدراسة إلى التعرف على موضوع الأمراض الشائعة في عهد السلطان فيصل بن تركي، ودور الوثائق في الكشف عن هذه الأمراض والإجراءات التي اتخذت، والجهود التي بُذلت في مكافحتها.

وتعتمد الدراسة على المنهج التاريخي، الذي "يصف ويسجل وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها ويحللها على أسس منهجية وواقعية؛ للتوصل إلى حقائق ومعلومات تعين على فهم الحاضر على ضوء الماضي" (1). وقد درست الباحثة مجموعة من الوثائق المتعلقة بالأوبئة المنتشرة في عهد السلطان فيصل، المحفوظة لدى هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية.

وتطرح الدراسة الأسئلة الآتية:

- 1- ما الأوضاع الصحية في عهد السلطان فيصل بن تركي؟
 - 2- ما أنواع الأوبئة والأمراض المعدية في عهد السلطان فيصل الذي تعرضت لها الوثائق محور الدراسة؟
 - 2- ما الجهود المبذولة في عهد السلطان فيصل بن تركي لمكافحة الأمراض المعدية؟
 - 3- ما عوامل انتشار الأوبئة والأمراض في عهد السلطان فيصل؟
- تعدّ الوثائق مصدراً حقيقياً لكتابة التاريخ والبحث فيه، فلا تاريخ بلا وثائق

1 المحمودي، محمد سرحان علي، مناهج البحث العلمي، 2019، دار الكتاب، صنعاء، ط3، ص37.

ودون شواهد أو أدلة مؤكدة، ومع نشوء المدارس التاريخية الحديثة وتطورها لم يعد التاريخ حكايات وقصصاً تُروى أو أساطير خارقة، بل أصبح ذاكرة حية للشعوب ومادة علمية غزيرة تحتاج للتعامل معها إلى أمانة متناهية (1). إذ تفيدنا الوثائق التي تمكنت الباحثة من الاطلاع عليها في:

- أ. استخلاص الحقائق الجديدة في الكثير من المجالات.
- ب. تقديم الوثائق مصدراً لمعلومات صحيحة ومؤكدة.
- ج. استنباط القواعد المقيدة في الدواوين للكتاب والإنشاء.
- د. الوصول إلى الأصول والنسخ والمسودات، وتحديد قيمة كل منها ودرجتها من الحجية والشرعية.

هـ. مدّ الباحثين بنصوص صحيحة غير سقيمة (2). للوثائق أهمية كبرى في البحث العلمي، إذ تمثل رافداً من روافد الفكر والمعرفة، وتمد الباحثين بمعلومات قيمة ودقيقة، وتكشف الكثير من الحقائق. وتعدّ إضافة جديدة للمكتبة العمانية فيما يتعلق بطرق التعامل مع الأوبئة ومدى انتشارها في عهد السلطان فيصل. وتعد الوثائق جزءاً مهماً من التاريخ؛ لذا تتطلب فهم سياق نشأتها ومعرفة سياق موضوعها مثلما يأتي:

. السياق التاريخي للوثائق:

نشأت الوثائق محل الدراسة بين الأعوام (1315هـ - 1898م/1329هـ - 1911م). في هذه الحقبة التاريخية كان السلطان فيصل بن تركي حاكماً على عُمان في الفترة (1888-1913م).

1 رحيل، ناصر فرج، أهمية الوثيقة التاريخية لطلبة وباحثي التاريخ، مركز المؤرخ للدراسات التاريخية والأثرية (مقال)، 2013م، (On-Ion)، تاريخ الزيارة: 2022/12/1م، الرابط:

[/https://ar-ar.facebook.com/228060660582202/posts/512947182093547](https://ar-ar.facebook.com/228060660582202/posts/512947182093547)

2 المحمودي، 2019م، ص 37.

السياق الموضوعي للوثائق:

تتضمن الوثائق جملة من المراسلات مع وجود تَرْجمة لبعضها صادرة من قناصل بريطانيين في مسقط إلى السلطان فيصل بن تركي - سلطان مسقط وعمان - تتعلق بانتشار بعض الأمراض والأوبئة، أبرزها: الطاعون والكوليرا، والاحتياطات الواجب اتخاذها للحد من انتشارها. وبعض هذه الوثائق مرممة خضعت للفرز، وبعضها تحمل اللغة العربية واللغة الإنجليزية.

الأوضاع الصحية في عهد السلطان فيصل بن تركي.

لقد ظهرت بعض الأوبئة في عهد السلطان فيصل بن تركي خاصة في مسقط. وقد أوعز الكاتب علي البسام أسباب ذلك في قوله: "إلى ازدهار نشاط الملاحة البحرية في أواخر القرن التاسع عشر، فرغم أثر ذلك إيجابياً على نقل التجارة والأفراد والبريد، إلا أنه كان له أثر سلبي على الحالة الصحية للمجتمع في عُمان" (1).

بدأت الأمراض الوبائية تظهر في عُمان، مثل: الجدري والكوليرا والطاعون وغيرها؛ مما أدى إلى اتخاذ إجراءات وقائية لمقاومة وصول الأمراض إلى حدود الدولة؛ وذلك بمساعدة القنصلية البريطانية في مسقط، "إذ قامت المستعمرات البريطانية ببناء مركز طبي تحت إشراف طبيب الوكالة البريطانية، وهذا ما أدى إلى إعطاء الوكيل البريطاني "بيرسي كوكس" (2) الحق في تنظيم حركة السفن العمانية وتفنيشها، وقد تم استغلال التدخل في بعض الشؤون الداخلية للبلاد من

1 البسام، علي بن حسين، الأوضاع السياسية والاقتصادية في سلطنة عمان وأثرها على الملاحة والتجارة في عهد السلطان تركي بن سعيد وابنه فيصل 1873-1914م (دراسة وثائقية)، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2009م، ص268.

2 بيرسي كوكس: اسمه «بيرسي زخريا كوكس» و«زخريا» تدل على يهوديته، منح لقب «سير» أفضل سياسي في المنطقة، وهو رحالة وقائد عسكري وإداري ودبلوماسي شهير، عاش في الفترة بين (1864-1937م)، تقلد مناصب مهمة عدة، فعين في الهند لأول مرة عام 1884م، ثم عين إلى مساعد للوكيل السياسي في مهمة إلى الصومال عام 1893م، ثم نقل بعدها إلى برية في الصومال عام 1894م وأظهر قدرات فائقة في صنع القرار، وامتاز بقوة الشخصية إلى أن تم تعيينه وكيلاً سياسياً وقنصلاً بريطانيا في مسقط في الفترة (1899-1904م)، بعدها عين مقيماً سياسياً بريطانياً في الخليج العربي. انظر: الشعيلي، محمد بن حمد، عُمان في ذاكرة الخريطة، ط1، طبع بمطبعة مسقط، روي، 2021م، ص166.

خلف بناء هذا المركز⁽¹⁾.

وللتقليل من انتشار الأوبئة في عُمان؛ اتخذ السلطان فيصل إجراءات وقائية، "فوافق في عام 1897م على إصدار قانون -بالاتفاق مع لجنة مؤلفة من موظفين من القنصلية البريطانية وممثل السلطان- بمنع نزول الأشخاص والأدوات، غير البريد، من السفن التي تحمل المصابين أو المشتبه بهم، كما قررت اللجنة بدورها إنشاء حجر صحي بقرية تسمى (حرامل)⁽²⁾ بمسقط يُعزل فيها ركاب السفن؛ إذ تبدأ من تاريخ الوصول إلى مسقط مدة تسعة أيام"⁽³⁾، فيمنع مخالطتهم ويرسل الطعام إليهم بين وقت وآخر، ووفرَ لهم ما يحتاجون من مؤونةٍ وطعام، علاوة على تردد طبيب مع طاقم طبي بين فترة وأخرى. وأما عن سفن النقل فقد حذر السلطان أن مسؤولية تفريغها وإنزال شحنتها تقع على البحارة أنفسهم، ولا يسمح لأحد من عمال الميناء بالصعود إلى السفن، خاصة السفن القادمة من (بومباي)⁽⁴⁾ (وكراتشي)⁽⁵⁾ واتخذت هذه الإجراءات على جميع الموانئ في السلطنة، وقد "رأت حكومة الهند أن مدة الحجر عشرة أيام، ولكن السلطان فيصل لم يوافق على ذلك، وقصّص المدة إلى 7 أيام في أوائل مايو 1897م، وعندما ظهر مرض الطاعون أول مرة في مسقط في أبريل عام 1899م أصبحت مدة الحجر 6 أيام"⁽⁶⁾.

1 مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية المجلد 2، المحرر: عبدالله بن ناصر الحراسي، ط1، وزارة التراث والثقافة، 2013م، ص 168 ص 169.

2 قرية حرامل: قرية صغيرة تقع في ولاية مسقط تحدها من جميع الجهات الجبال عدا جهة البحر، لا يمكن الوصول إليها إلا من طريق البحر، وسميت بهذا الاسم (حرامل) لكثرة وجود نبات الرمل، ويتم عزل المرضى داخل مبنى طيني يطلق عليه الأهالي اسم "كرتينه" وتعني باللغة العربية الحجر الصحي. مجموعة مؤلفين، موسوعة أرض عُمان المجلد 1، مكتب مستشار جلالة السلطان لشؤون التخطيط الاقتصادي، 2005م، ص 60 ص 61.

3 الريحبي، فهد بن محمود، عمان في عهد السلطان فيصل بن تركي، دار الانتشار العربي، بيروت، 2018م، ص 162.

4 بومباي: مهد حضارة السند، وتسمى أيضا. مومباي، كانت سابقاً عاصمة ولاية «ماهاراشترا» الهندية.

5 كراتشي: (بالأردية: كراچی) هي أكبر مدن باكستان، وعاصمة محافظة السند، وعرفت في العصور الإسلامية المبكرة بمدينة الديبل، التي فتحها محمد بن القاسم الثقفي، وهي المركز المالي والتجاري لباكستان، وميناء مهم في المنطقة.

6 لوريمر، جي جي، دليل الخليج العربي (قسم التاريخ)، قسم الترجمة مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، 2008م، ج6، ص 3704.

ويتضح من ذلك أن الحكومة اتخذت بعض الإجراءات الاحترازية للحد من وصول الأمراض بما يتماشى والمصالح العمانية، إذ وجد السلطان أن مدة الحجر المعترف بها من قبل الحكومة الهندية عشرة أيام مدة كبيرة قد تؤثر على حركة النشاط التجاري والاقتصادي في البلاد؛ فأصدر تعليمات أن تكون سبعة أيام.

ويضيف الرحيبي (1) أن السلطان فيصل وافق على إدخال التلقيح ضد وباء الكوليرا إلى مواطنيه، وكانت عملية ناجحة، وفي عام 1903م أصدر السلطان فيصل مرسوماً بإلزام الرعايا البريطانيين المقيمين في أرضين السلطنة باتباع القواعد الصحية، وأوضحت التقارير تخوف الأهالي وتذمرهم من مدة الحجر الصحي المفروض عليهم؛ مما أدى بهم إلى التهرب منه، وهذا ما أدى إلى هلاك أكثرهم وظهور الكوليرا مرة أخرى عام 1904م. وتعد عُمان من أوائل دول المنطقة التي اهتمت بإنشاء مراكز صحية، وبالأخص منذ نهاية القرن التاسع عشر في عهد السلطان فيصل بن تركي، إذ تم "افتتاح عدد من المؤسسات الصحية من بينها مستوصف ولجات التابع لمؤسسة بومباي الصحية، والمستشفى الخيري الذي افتتح عام 1910م، فقد أسهم السلطان في الدعوة إلى إنشائه، ومستشفى الإرسالية الأمريكية (السعادة) الذي افتتح عام 1913م، إذ كان مخصصاً للنساء، ومستشفى الطبيب طومس" (2)، وغيرها من المراكز.

إنجازات السلطان فيصل بن تركي في القطاع الصحي.

إن الأعمال التي اشتغل عليها السلطان فيصل بن تركي لمواجهة الظروف

1 الرحيبي، 2018م، ص 168.

2 العريمي، محمد بن حمد، (2020م)، منها الطاعون والكوليرا: أوبئة في عمان في القرنين الأخيرين، (On-Ion)، صحيفة أثير، تاريخ الزيارة 16 أبريل 2021م، الرابط: <https://www.atheer.om/archives/5180>

الصحية كان لها أثر كبير في الحد من انتشارها، ومن أهم الإنجازات التي تحققت في عهده ما يأتي:

1. مستشفى مسقط الخيري.

اهتم السلطان فيصل بتقديم أفضل الخدمات الصحية للأهالي في عُمان؛ إذ دعا في عام 1909م إلى اجتماع يضم أركان دولته والتجار، "وقد طالبهم بتقديم الدعم المالي لمشروع بناء مستشفى عام يقدم الخدمات الصحية لسكان مدينتي مسقط ومطرح والمناطق المجاورة لهما"⁽¹⁾. وأوضحت التقارير والمخاطبات بداية فكرة إنشاء المستشفى باقتراح المقدم النقيب "نورمان سكوت" (جراج الوكالة في مسقط)، "وروبرت إرسكاين هولاند" (الوكيل السياسي من الإمبراطورية البريطانية) والقنصل في مسقط لإقامة مستشفى جديد في مسقط، ولقى الاقتراح دعم الضابط البحري الأول "فريدريك جودفري بيرد" بعرضه مبلغاً للتبرع، كما عرض مجلس الهند التبرع بمبلغ كبير للتمويل⁽²⁾.

تبرع (53) فرداً وأسرة وجهة من كافة أطياف المجتمع⁽³⁾، وكان السلطان في مقدمة المتبرعين عن نفسه بمبلغ (5000 روبية) وعن عائلته (1500 روبية) وعن شقيقه السيد محمد بن تركي وأبنائه بمبلغ (5000 روبية)، وتبرع الوكيل السياسي "هولاند اسك" بمبلغ (500 روبية)، ثم كبار العرب والهنود والأوروبيين. وذكرت بعض التقارير "أن السيدة زمزم بنت محمد بن سالم تبرعت بمنزلها الواقع على ميناء مسقط لبناء المستشفى الخيري الجديد، وشهد على ذلك السيد علي بن حمود⁽⁴⁾". "قدر ثمن إنشاء المستشفى حوالي ستين ألفاً وسبعمائة روبية - (38 ألف

1 الربحي، 2018م، ص 171.

2 الأرشيف الرقمي للخليج العربي. FO 1016 ، Muscat Hospital (includes copies of correspondence dated 1909).

3 ملحق الوثائق رقم (1) الأرشيف الرقمي للخليج العربي رقم الوثيقة (62/103/FO 1016).

4 ملحق الوثائق رقم (2) الأرشيف الرقمي للخليج العربي رقم الوثيقة (63/103/FO 1016).

روبية) من طريق التبرعات الأهلية، وتبقى حوالي (22 ألف روبية) تكفلت به حكومة الهند البريطانية⁽¹⁾. وتم افتتاح مستشفى مسقط الخيري عام 1910م، وهو أول مستشفى بُني على النمط الحديث في عُمان، إذ كان له دور إيجابياً في تقديم الخدمات العلاجية وإجراء العمليات الجراحية للسكان، فقد تناولت إحدى الوثائق طلب السلطات البريطانية من السلطان فيصل السماح بنقل سجينين إلى المستشفى للعلاج⁽²⁾. أيضاً يقدم المستشفى التطعيم ضد الأمراض الوبائية بأنواعها، كما أسهم في رفع الوعي الصحي للمجتمع العماني بتقديم إرشادات طبية.

2. الحجر الصحي (الكرتينه).

كانَ للحجر الصحي دور كبير وفعال في التصدي للعديد من الأمراض الوبائية الفتاكة، التي حصدت أرواح الملايين من البشر على مر العصور التاريخية؛ فاتجهت حكومات الدول إلى فرض الإجراءات التقليدية، مثل: العزل والتباعد الاجتماعي والحجر الصحي؛ حفاظاً على الصحة العامة وصون الحياة من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية.

ويعتقد كثيرون أن الحجر الصحي فكرة جديدة جاءت مع تطور العلم وسبل الوقاية، ولكن بعض الدراسات تشير إلى أن أول من طبق فكرة العزل أو الحجر الصحي جمهورية تدعى قديما (راجوز) تقع جنوب كرواتيا، الواقعة على الساحل الأدرياتيكي⁽³⁾، إذ يزدحم ميناؤها بالسفن والسلع ويستقطب التجار من جميع أنحاء العالم، وعندما تفشى الطاعون في القرن 14 الميلادي وخشي ملك الجمهورية من الموت المقبل إليهم؛ أصدروا قانوناً ينص على وضع التجار والبحارة والسلع

1 نفسه.

2 ملحق الوثائق رقم (3) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (20.1.8.20-OM-NRAA).

3 الجواهر، هيا إبراهيم، الكرتينه، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، 2020م، (On-lion)، تاريخ الزيارة 20 مارس 2021م، الرابط:

article_1834941.html/25/05/https://www.aleqt.com/2020

القادمة من المناطق الموبوءة بالطاعون في غرف للحجر الصحي شهراً، واختاروا ثلاث جزر خارج أسوار المدينة ليقضي القادمون إلى الجمهورية فترة الحجر فيها، إلا أنها لم تكن مهيأة للعيش؛ لذا رأت السلطات بناء أكواخ خشبية، ثم تطورت في منتصف القرن الخامس عشر، لتصبح مرافق صحية متكاملة محاطة بأسوار عالية وحرس لمنع هروب المحجورين، ووفروا لهم العديد من الخدمات مثل: أطباء لخدمة المرضى، وكهنة للعناية بالنواحي الروحية، وحلاقين للعناية بنظافة المحجورين ومظهرهم، كما لم ينسوا حفر القبور⁽¹⁾.

لقد سنوا قوانين صارمة وعقوبات مشددة بالسجن لكل من يخالف نظام الحجر، ففي البداية كانت مدة الحجر شهراً، وتم تمديدها إلى 40 يوماً؛ لاعتقادهم بعدم كفايتها لاحتواء المرض، ومن هنا أخذ الحجر الصحي اسمه "(الكورنتينه أو الكرننتينه) المشتقة من الكلمة الإيطالية "كورانتين" ومعناها الرقم (40)، وقد أثبتت تلك الأربعون يوماً فاعليتها، وتبين لاحقاً أن مدة الإصابة بالطاعون الدبلي تصل إلى 37 يوماً؛ لذا انخفضت نسبة الإصابة بالطاعون بشكل كبير، واليوم تستخدم مرافق الحجر الصحي للتسليية والاستجمام"⁽²⁾.

ولهذا فالحجر الصحي في عُمان لم يكن وليد اللحظة، بل أشار إلى هذا الموضوع عدد من المراجع الحديثة والوثائق في أن السلطان فيصل بن تركي سارع إلى تشكيل لجنة للتعامل مع مرض الطاعون عام 1898م، إذ قرر إنشاء حجر صحي بقرية حرامل في مسقط، وفرض الحجر الصحي مدة تسعة أيام على السفن القادمة إلى مسقط ومطرح⁽³⁾.

ومن الأسباب التي دعت لاختيار قرية حرامل للحجر الصحي طبيعتها الجغرافية

1 نفسه.

2 نفسه.

3 الربيعي، 2018م، ص162.

في كونها قرية ساحلية صغيرة تحيط بها الجبال من ثلاث جهات والبحر من الجهة الرابعة، وسهولة الوصول إليها من مسقط، إذ تبعد عن ميناء مسقط تقريبا ميلاً ونصف الميل، فهي قريبةً من مركز المدينة، علاوة على سهولة السيطرة عليها ومراقبتها، بالإضافة إلى وجود عدد قليل جداً من السكان. وبعض المراجع تقول إن تسميت حرامل بهذا الاسم نسبة إلى نوع من المرجان يطلق عليه حرملة يلفظه البحر عند الجزر⁽¹⁾. وتحتوي غرف الحجر الصحي على عدد كبير من النوافذ للسماح بدخول الهواء، وتوجد مجموعتين من غرف الغزل: واحدة للرجال والثانية للنساء والأطفال ويطلق عليها (الكرتينات)، وهي غرف مبنية من الطين تقع بجوار الجامع الحالي مقابل البحر⁽²⁾. وذكر الكاتب الرحبي أن المبنى بقي حتى أواخر الثمانينيات من القرن العشرين، إذ تهدم بسبب الأجواء المناخية. "وقد ذكر سليمان المجيني، أحد سكان القرية، أن أجداده يسردون لهم تاريخ القرية في الحجر الصحي والآثار بقيت حتى أواخر عام 1982م⁽³⁾.

الأوبئة التي انتشرت في عهد السلطان فيصل بن تركي:

انتشرت في عُمان العديد من الأمراض الوبائية، ويُقصد بالوباء (Epidemic) حسب تعريف منظمة الصحة العالمية أنه حالة انتشار لمرض معين، إذ يكون عدد حالات الإصابة أكبر مما هو متوقع في مجتمع محدد أو مساحة جغرافية معينة أو موسم أو مدة زمنية. وقد يحدث الوباء في منطقة جغرافية محصورة أو يمتد إل

1 الكندي، أحمد، 2020م، أول منطقة استخدمت للحجر الصحي بعمان ... قرية حرامل تعود إليه بعد 124 عاماً، (On-Iion)، شبكة الجزيرة العربية، مسقط، تاريخ الزيارة 22 أبريل 2020م، الرابط:

22/4/https://www.aljazeera.net/misc/2020

2 نفسه.

3 مقابلة في قناة عُمان الإخبارية مع المواطن: سليمان المجيني من سكان قرية حرامل، بعنوان: قرية حرامل بمحافظة مسقط أول منطقة عمانية تعرف الحجر الصحي منذ أكثر من 120 عاماً، 2020م، المحاور: أحمد الكندي، (On-Iion)، تاريخ الزيارة: 28 أبريل 2020م، الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=zIMwnabi2n4

دول عدة، وقد يستمر لأيام أو سنوات عدة.

عانى العُثمانيون منذ القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين من العديد من الأمراض؛ فهناك أمراض: الجذام والحصبة والملاريا والسل وغيرها، وقد شهدت مدة حكم السلطان فيصل بن تركي انتشار العديد من الأوبئة الخطيرة الفتاكة التي أزهدت أرواح الملايين من البشر، أبرزها الطاعون والكوليرا.

1. الكوليرا (Cholera).

الكوليرا أو الهیضة⁽¹⁾ هي "عدوى معوية حادة تنشئ بسبب تناول الأطعمة أو شرب الماء الملوث، وتسبب الإصابة بإسهال وجفاف شديد ولها فترة حضانة قصيرة، وإذا لم يتم علاجها؛ فأنها يمكن أن تكون قاتلة في ساعات"⁽²⁾. وقد تم القضاء على المرض في البلدان الصناعية بإنشاء شبكات الصرف الصحي ومعالجة المياه، ولكن حسب المؤشرات الصادرة من منظمة الصحة العالمية فالمرض لا يزال موجوداً في أفريقيا وجنوب شرق آسيا.

بينما انتشرت الكوليرا في القرن التاسع عشر في جميع أنحاء العالم؛ انطلاقاً من منشئها الأصلي في دلتا نهر الغانج بالهند، إلى تطورها ونشوب ست سلالات من المرض حصدت أرواح الملايين من البشر في العالم. "وتستوطن الكوليرا الآن العديد من البلدان"⁽³⁾.

تعرضت عُمان لوباء الكوليرا في أكثر من مرحلة تاريخية، منها ما حدث عام 1821م، الذي كان له الأثر البالغ في شتى مجالات الحياة، وسنقف عند هذا المحور مع أهم ظهور لهذا المرض في التاريخ العُماني، وإعطاء نبذة عن كل

1 الهیضة: هو مصطلح آخر لمرض الكوليرا (ورد ذكرها في بعض الوثائق)

2 منظمة الصحة العالمية، 2020م، تاريخ الزيارة: 3 إبريل 2021م (On- lion)، الرابط: <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/cholera>

3 نفسه.

لحظة تاريخية له.

كانت بداية ظهور وباء الكوليرا في عام 1899م بمطرح؛ إذ وفد إليها جماعة من البلوش القادمين من جوادر⁽¹⁾، وقد أصاب الآلاف من السكان، وبلغ عدد الوفيات 700 شخص من سكان مطرح ومسقط⁽²⁾. بعدها أخذ المرض في الانتشار في القرى والمدن القريبة، "ووصل عدد المصابين يومياً أكثر من 300 شخص"⁽³⁾. وتؤكد تقارير الوكالة السياسية في مسقط لشهر أكتوبر 1899م على أن مرض الكوليرا أصاب عددا كبيرا من سكان مطرح؛ نتيجة هروب عدد من بلوش جوادر من الحجر الصحي الذين أسهموا في نشر المرض بين سكان مطرح بالتحديد في قرية "جبروه"⁽⁴⁾ إذ هربوا من طريق السفن البريد البخارية⁽⁵⁾ وبلغ عدد حالات الوفاة 135 شخصاً، ثم أخذ الوباء بالظهور في قرى الداخل سرور⁽⁶⁾ والحاجر⁽⁷⁾،⁽⁸⁾ إذ انتقل إلى هناك من طريق القوافل العائدة من مطرح، وأثار الاجتياح المفاجئ للمرض مخاوفه السكان ففرّوا في كل الاتجاهات حتى انتقل المرض إلى ولاية

1 جوادر: لها تسميات عدة: (جوادر، وغوادر، وجوادور) ومصدر الاسم باللغة البلوشية، ويتكون من مقطعين غوات ودار وتعني باب الريح، وهي مدينة تقع في أقصى الجنوب الغربي لباكستان، وتحتل موقعاً مميزاً على بحر العرب، وتمثل الجزء الساحلي لإقليم بلوشستان القريبة من الحدود الإيرانية، وتقدر المسافة بين جوادر ومسقط حوالي 270 كم (266 ميلاً بحرياً). وكانت جوادر خاضعة لحكم عمان من عام 1784م منحة من حاكمها آنذاك؛ إذ منح قطعة أرض على الشاطئ لتكون قاعدة له. ثم في عام 1958 استعادتها باكستان من العمانيين وفقاً لاتفاقية بين الجانبين تحت إشراف بريطانيا. انظر: الزدجالية، هدى بنت عبد الله، جوادر تحت السيادة العمانية 1913-1958م، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2015.

2 لوريما، 2008م، ص 3665 ص 3666.

3 النبهاني، وليد، 2014م، تاريخ الوباء بعمان في دورية أمريكية، (On-line)، صحيفة البلد، تاريخ الزيارة: 22 مارس 2021م. الرابط: <https://albaladoman.com>

4 جبروه: تسمى حالياً الزاهية، وهي قرية من قرى ولاية مطرح. انظر: موسوعة أرض عمان، 2005م، ص 153.

5 الحارثي، محمد بن عبد الله، موسوعة يوميات المقيمة في الخليج والوكالة السياسية في مسقط (1873م-1910م)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2022م، ص 430.

6 سرور: قرية من قرى ولاية سمائل في محافظة الداخلية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أول من قطن المكان ويدعى «سرور»؛ وقبل أيضاً سميت بذلك لوفرة مياهها وكثرة مزارعها الخضراء التي تدخل السرور إلى قلب الناظر. انظر: موسوعة أرض عمان، 2005م، ص 665.

7 الحاجر: بلدة موجودة في أكثر من محافظة في السلطنة، منها محافظة مسقط (العمارات)، والباطنة (الاستاق) والداخلية (سمائل). والمتوقع أن المقصود محافظة الداخلية بولاية سمائل؛ وذلك لارتباطها ببلدة سرور الواقعة في سمائل. وتعني الأرض المرتفعة ووسطها منخفض، والحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي ومن أيام العرب. انظر: موسوعة أرض عمان، 2005م، ص 658.

Vol. 14 No. 48 (December 1, 1899) p. 2153, (1970-Public Health Reports (1896 8

سمائل .

بلغ العدد الإجمالي للإصابات في مسقط ومطرح في عام 1899م ما يقرب من 1339 إصابة معلنة عنها، فقد سجلت 449 إصابة في مسقط وحدها، أما إجمالي الإصابات في مطرح ما يقارب 890 إصابة، وهذا المعدل يعد الأعلى بسبب الكثافة السكانية⁽¹⁾.

وفي عام 1904م ظهر وباء الكوليرا مرة أخرى في عُمان؛ إذ أشارت التقارير البريطانية إلى انتشاره في المناطق الداخلية بعُمان؛ مما تسبب في نزوح عدد كبير من الأهالي تجاه مسقط، وقد قدرت الإصابات 14 ألف حالة في كل من وادي سمائل ووادي الفرع⁽²⁾ وموانئ ساحل الباطنة، وفي مسقط قُدرت حالات الوفاة 43 حالة، وفي مطرح 12 حالة فقط⁽³⁾. وقد كان السلطان فيصل بن تركي وجراح الوكالة حازمين في تطبيق الحجر الصحي للقادمين من الداخل؛ مما أدى إلى انخفاض حدة انتشار الوباء، إضافة إلى تجاوب أغلب الناس مع الحجر الصحي⁽⁴⁾. ولقد أظهر التقرير الإداري للخليج أن المرض تركز بصورة أكبر بين البلوش الذين جاؤوا من جوار؛ لأن أغلبهم من الفئات الفقيرة التي تعيش في منازل بسيطة تفتقر إلى الشروط الصحية من تهوية وإضاءة وشبكات الصرف الصحي⁽⁵⁾.

اجتاحت عُمان موجة أخرى من وباء الكوليرا في عام 1910م، وقد تناولتها تقارير القنصليات البريطانية في مسقط بالتفصيل، موضحة جهود السلطان فيصل

1 الحارثي، 2022م، ص 437 ص 438.

2 وادي الفرع: يسمى أيضاً وادي الرستاق، وهو وادي مهم بسلطنة عمان، ويقع رأسه في الطرف الشمالي؛ لنجد الفرع في تلال الحجر الغربي على بعد 15 ميلاً إلى الشمال من مسفاة العبريين، وعلى بعد أميال باتجاه الشرق من جبل شام، أعلى قمة في العبل الأخضر، وهو يسير من نجد وادي فرع باتجاه الشمال الشرقي. ويحتوي الوادي على جدول ماء يظهر فوق الأرض في الرستاق، وعشب والوعيل وجمة. انظر: المازمي، أحمد بن يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج 1515-1908م، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، 2012م، ص 74.

3 لوريمر، 2008م، ص 3667.

4 الخنصورية، أمل، الأوضاع الصحية في عمان الساحل 1888-1975م (رسالة ماجستير) - قسم التاريخ جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2020، ص 53.

5 النبهاني، 2014م.

في تفادي الوباء، وأشار التقرير إلى وفاة 4 أشخاص في مسقط، وكان الوباء - هذه المرة - قليل التأثير، ولم يدم طويلاً⁽¹⁾؛ وذلك بسبب الخبرة المكتسبة في التعامل مع هذه الأزمة بعد تكرار اجتياحها، وترسيخ ثقافة الالتزام بالحجر الصحي في المجتمع العُماني، لا سيما في مسقط، وإلزام جميع قائدي السفن والركاب المسافرين بتصريح أو شهادة موضح فيها تاريخ سفرهم من مسقط إلى مناطق الخليج العربي الأخرى وذكر مدة انتشار الوباء⁽²⁾.

2. الطاعون (plague)

الطاعون مرض جرثومي معدي تسببه بكتيريا حيوانية تدعى اليرسنية الطاعونية، وعادة ما توجد في الثدييات الصغيرة، وهي: الفئران أو القوارض، "وينتقل المرض بين الحيوانات من طريق البراغيث، ويمكن أن ينتقل - أيضاً - من الحيوانات إلى البشر من طريق لدغة البراغيث أو مباشرة لسوائل الجسم المعدي أو المواد الملوثة أو استنشاق الهواء المنبعث من الجهاز التنفسي من فم المريض المصاب بالطاعون الرئوي⁽³⁾.

رجح الباحثون والعلماء نشوء الطاعون في آسيا الوسطى وشرق آسيا، قبل انتقاله إلى مناطق أخرى من العالم، وجمهورية الكونغو الديمقراطية ومدغشقر وبيرو، وهي البلدان الثلاثة الرئيسية الموبوءة بالمرض "وقد شهد العالم ثلاثة أوبئة عالمية أصابها الطاعون في أعوام (541 و1347 و1894م)"⁽⁴⁾.

ظهر وباء الطاعون في الهند عام 1897م، إذ أرسل الميجر "فيجن" القنصل

1 البوسعيدي، نصر، 2017م، تاريخ عمان الكوليرا مأساة لن ينساها التاريخ العماني، (on-line)، صحيفة أثير الإلكترونية، تاريخ الزيارة 22 أبريل 2020م، الرابط: <https://www.atheer.om/archives/442572>

2 ملحق الوثائق رقم (4) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (2012-OM.NRAA.A.2.1.8.20).

3 منظمة الصحة العالمية، (2020م)، تاريخ الزيارة 2 أبريل 2020م، الرابط: <https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/plague>

4 الشيباني، سلطان بن مبارك، الطواعين في الذاكرة العمانية، الحلقة الثالثة، محبوب للنشر الرقمي - مسقط، 2021م، ص 22.

البريطاني في مسقط إلى السلطان فيصل بن تركي يعلمه بوصول رسالة من مسؤول ساحل مكران في انتشار الطاعون، ويطلب منه المساعدة وإصدار أمر من جلالته بإرسال طبيب ماهر إلى جوادر للإشراف على إجراءات الحجر الصحي (1)؛ مما دعاء السلطان فيصل تطبيق الحجر الصحي على السفن القادمة من الهند (بومباي وكراتشي) مكان انتشار المرض؛ وذلك بمساعدة القنصلية البريطانية في مسقط، " فوافق في 13 يناير 1897م على إصدار قانون صاغته لجنة مؤلفة من الموظفين البريطانيين وممثل السلطان يطبق في مسقط وجوادر" (2).

كما انتشر مرض الطاعون بصورة سريعة في شهر مايو 1898م في كراتشي؛ لذا طلب السلطان فيصل من الميجر "فيجن" المساعدة في تنظيم الكرنيتين لكثرة أعداد المصابين بهذا المرض في مدينتي مسقط ومطرح، وكان يتعين على السلطان دفع الأموال للمرضى المشتبه بإصابتهم بالأعراض المعدية، فقد بعث الميجر "فيكن" رسالة للسلطان بالمصاريف التي أنفقها العقيد "جايكار" جراح الوكالة البريطانية لعلاج المرضى المحتجزين في الكرنيتين في منتصف عام 1899م، المقدرة بـ 62 روبية 6 أنات 9 بايات (3). وقد كانت وطأة المرض أشد على مدينة مسقط في مارس 1900م، إذ سجل 343 شخصا عدد حالات الوفاة (4). بينما كانت آثار المرض أقل في مطرح، جُند الطبيب الجراح في الوكالة لإدارة الصرف الصحي لاتخاذ التدابير اللازمة في أكتوبر من نفس العام، ووافق السلطان فيصل على إدخال نظام التطعيم ضد وباء الطاعون (5). وفي يوليو عام 1903م صدر بيان بموجب مرسوم 1867 يقضي بإلزام جميع الرعايا البريطانيين المقيمين في عُمان

1 ملحق الوثائق رقم (5) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (20.1.8.20-OM.NRAA.4).

2 البسام، 2009م، ص 268.

3 ملحق الوثائق رقم (6) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (20.1.8.20-OM.NRAA.1).

4 لوريمر، 2008م، ص 3681.

5 لوريمر، 2008م، ص 3705.

بالتقيد بالإجراءات الصحية⁽¹⁾. وبتاريخ 29 ديسمبر 1903م أرسل وكيل وقنصل كوكس رسالة إلى السلطان يخبره أن مدينة بسني⁽²⁾ لا يوجد بها كرنتينه، وهي قرية صغيرة ليست مثل مسقط، كذلك حدثت الأسبوع الماضي إصابات في كراحي بلغت 59 حادثة؛ لذا أظهر تخوفه ما إذا رفعت الكرنتينه من مسقط سوف يتوافد إليها الفقراء والمساكين من كراحي بأعداد كبيرة⁽³⁾.

وقد عاد المرض إلى الظهور في عامي 1909م و1911م؛ ولكن لم توثق أعداد الضحايا الذي خلفها، واختفى المرض في الثلاثينيات من القرن العشرين من أغلب دول العالم. "وذكر قنصل الولايات المتحدة في زنجبار في خطابه بتاريخ 1 فبراير 1900م أن زنجبار معرضة لخطر وصول المرض إليها من مطرح؛ بسبب التواصل المستمر والصلة الوثيقة بين مطرح وزنجبار بسبب العرب"⁽⁴⁾.

3. الجدري (Smallpox)

لم تذكر الوثائق، التي أتيح للباحثة الاطلاع عليها، مرض الجدري رغم انتشاره في فترة موضوع الدراسة؛ وذلك لوجوده منذ آلاف السنين.

الجدري مرض مُعْدٍ حاد، يسببه فيروس الجدري، وهو عضو في فصيلة الفيروسية الجدريّة. وهو واحد من أكثر الأمراض المخيفة في العالم؛ حتى تم استنصاله بواسطة برنامج التلقيح العالمي التعاوني الذي تقوده منظمة الصحة العالمية⁽⁵⁾.

1 نفسه.

2 بسني: باسني (Pasni) (بالأردية) تسمى بسني، وهي مدينة ميناء الصيد في حي جوادر وبلوتشستان وباكستان. تقع في مكران الساحل على البحر العرب بحوالي 450 كم من كراتشي.

3 ملحق الوثائق رقم (7) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (7-OM.NRAA.A.2.1.8.20).

4 النبهاني، 2014م.

5 منظمة الصحة العالمية، (On-line)، تاريخ الزيارة 20 يناير 2022م، الرابط: <https://www.emro.who.int/ar/health-topics/smallpox>

ويعتقد أن الجدري نشأ في الهند أو مصر قبل 3000 عام؛ وذلك عند العثور على مومياء مصرية مصابة به (وهي مومياء الفرعون رمسيس الخامس ت: 1157 ق. م) فقد ظهرت فيها بعض التغيرات البشرية على جلده. وفي وقت لاحق انتشر المرض على طول طرق التجارة في آسيا وأفريقيا وأوروبا، "فتم توثيق أوصاف المرض في الصين في القرن الرابع، وفي الهند ومنطقة البحر الأبيض المتوسط في القرن السابع الميلادي، أما جنوب غرب آسيا ففي القرن العاشر"⁽¹⁾.

ويُعد الجدري من الأمراض الوبائية التي عرفتها البشرية منذ آلاف السنين، وقد انتشر المرض في جوارر في الفترة من مارس إلى مايو عام 1892م، وازداد انتشاره بسبب رفض "الخوجات"⁽²⁾ "والهندوس"⁽³⁾ المصابين عزل أنفسهم عن الأصحاء، "وتسبب المرض في هلاك أكثر من 6000 شخص"⁽⁴⁾.

وقد حدثت إصابات كثيرة لعدد من الشخصيات العُمانية البارزة في شوال سنة 1313هـ/ 1896م، عندما أصيب به سعيد بن حمد الراشدي⁽⁵⁾ الذي توفي في ميناء بولاية مطرح من العمر ستة وعشرون سنة، وكان قاصداً حج بيت الله الحرام، فأصابه المرض قبل الذهاب إلى الحج. وفي سنة 1897م توفي جاره حمد بن سيف بن سعيد البوسعيدي، الذي كان قاصداً الذهاب لأداء مناسك الحج أيضاً، إذ كان

1 المناعمة، يد الرؤف علي، قصة الجدري (On-line)، شبكة الجزيرة الإعلامية، 2017م، الرابط: <https://www.aljazeera.net/news/2017/06/healthmedicine/2017>

2 الخوجة: أو (اللواتيا) هم جماعة من الهنود المسلمين، وسميت أيضا الحيدر آيادية نسبة إلى مدينة حيدر آباد في أقاليم الهند، واستقر الأغلبية في مطرح، وعملوا وسطاء تجاريين بين الساحل والداخل في عمان. انظر: الزدجالي، إسماعيل بن أحمد، تجارة عمان الخارجية في عهد السلطان فيصل بن تركي البوسعيدي 1888 - 1913م، وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان، ط1، 2014م.

3 الهندوس: أو (البانيان) هم جماعة من الهندوس قدموا من ولاية كوتش الهندية. قدمت من كوجرات ونهر السند وجافا واستقرت في مسقط وسيطرت على تجارتها الخارجية. انظر: الزدجالي، 2014م.

4 لوريبر، 2008م، ص 3710.

5 سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدي (1287-1314هـ/1870-1896م): من أعلام الشعر العماني، ولد في بلدة سناو بولاية المضبي، وهو من إباضية عُمان، فكان مسارعا إلى الخيرات معروفاً بالسكينة والوقار ومتصفاً بالكمالات الإنسانية، مجتهداً في تحيل العلم وفي الاستفادة والإفادة فيه. مات وقد ترك منظومتين فنيتين: الأولى نونية في الرد على من يقال بقدم القرآن سماها (فيض المنان)، والثانية لامية في الدفاع والجهاد سماها (علم الرشاد). انظر: السالمي، نور الدين، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (1-2)، منشورات مكتبة

الاستقامة، 2013م، ص 313، ص 314.

سفره من طريق البحر مروراً بساحل الهند فأصابه المرض بالميناء وتوفى في بومباي بالهند⁽¹⁾. ويمكن القول إن تراوح ظهوره بين عامي -1900 1908م، حسب ما جاء في أبيات قصيدة الشاعر عامر بن سليمان الشعبي المعروف بالمطوع ت: (1326هـ -1908م)⁽²⁾، إذ ورد في ديوان شعره بعنوان: (نشيد الجدري)، قصيدة نبطية وفيه يقول:

ما ترك من ربعنا الأمر انقضى إلا سعاد البخت وطوال العمار

روّحوا شبان في حسن الشباب كتّهم ها العوق بُوْحَبِّ صغار

أصبحوا ميتين بعداد الحساب من بلدنا غير باقيت الديار

تسعين ليلة بالعدد لي كلهن ما استراح الهيب ليلة من الحفار

الطعن والجدري جميع تولفن اللي اتقى اليمنى تعطل باليسار! ⁽³⁾

كما أن أبيات القصيدة تدل على أن الجدري تزامن مع ظهور مرض الطاعون. واستمر المرض ثلاثة أشهر مات فيه الكثير من الناس في وادي بني خالد، ونستدلّ

1 تحفة الأعيان، 2013م، ص 314.

2 عامر بن سليمان بن خلفان بن سعيد الشعبي (1265 هـ - 1844م) الملقب بالمطوع: ولد في قرية حلفا في ولاية وادي بني جابر في محافظة الشرقية، فكان فقيها وشاعرا وقاضيا عمانيا، أنشد الشعر في مختلف أراضه: الحكمة والنصيحة والموعظة والفخر والمواطنة والغزل والإخوانيات والأمثال والإرشاد وغيرها، وله مؤلفات عدة: جوابات فقهية متفرقة في المخطوطات، وله أحكام قضائية محفوظة أكثرها ضمن وثائق أوشيف حكومة زنجبار، وثمة مقطوعات من شعره متناثرة في المخطوطات.

3 الشعبي، عامر بن سليمان، ديوان الشيخ عامر بن سليمان الشعبي، تحقيق وتصحيح: محمد بن حمد المسرور، ط 2، 2009م، وزارة التراث والثقافة، ص 70.

على ذلك بكثرة أعداد القبور.

لقد عُرفت في بعض المدن والقرى العمانية بيوت متشابهة يتم فيها عزل المصابين. إذ يوجد في ولاية إبراء بمنطقة الصفح في السفالة حجر صحي قديم بني بجوار مقبرة، ويسمى محلياً بيت المراضا؛ كان يوضع في البيت من كان يعاني من أمراض معدية وخطيرة؛ حرصاً على عدم انتشار المرض إلى الآخرين. وكان طعامه يقدم في أواني خاصة به، وفي حال سبقته المنية ولم يكتب له أن يشفى يدفن في المقبرة التي بجوار البيت، ويغسله ويدفنه مجموعة خاصة من الرجال مزودين بأدوات وقائية⁽¹⁾.

عوامل انتشار الأوبئة والأمراض في عهد السلطان فيصل بن تركي:

لقد أسهمت العديد من العوامل في ظهور الأوبئة، أبرزها جهل الناس بالمرض وقلة الرعاية الصحية، بالإضافة إلى عدم الالتزام بتطبيق إجراءات الحجر الصحي والاستهانة بها، علاوة على الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية في البلاد؛ مما أدى إلى انتشار الأوبئة في أكثر من مدينة. ومن هذه العوامل ما يأتي:

1. العوامل الطبيعية

تقع سلطنة عُمان في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية، مناخها المحلي متنوع، فمن المناخ الصحراوي الجاف شديد الحرارة في صحراء الربع الخالي، إلى المناخ المعتدل شتاء في جبال الحجر، إلى المناخ شبه الصحراوي في السهول الساحلية والسهول المحاذية للجبال. وتصل درجة الحرارة في فصل الصيف إلى 40 درجة مئوية، ويمتد الفصل من شهر مايو إلى شهر سبتمبر،

1 العزل الصحي بيت المراضا، 2020م، أصائل: مجلة الأصالة والتراث، تاريخ الزيارة 11 ديسمبر 2022م، الرابط: <https://www.assayel.com.om/news/view/1946>

وترتفع درجات الحرارة كثيراً، لاسيما في ساعات النهار بمقدار 11 درجة مئوية، ومن أكثر الشهور حرارة شهر يوليو. أما فصل الشتاء فيمتد من شهر نوفمبر إلى شهر أبريل⁽¹⁾. وقد كان لمناخ مسقط أثر إيجابي وسلبي من الناحية الصحية على السكان، وبالتحديد في شهري أغسطس وسبتمبر، إذ يكون الطقس رطباً بسبب الرياح الموسمية جنوبية غربية قوية؛ من شأنها أن تساعد على توسع المرض وانتشاره أو إعاقته في نفس الوقت. وفي تاريخ (8 ربيع الثاني 1329هـ - 8 أبريل 1911م) بعث الميجر "تيور" القنصل البريطاني في مسقط رسالة إلى السلطان فيصل بن تركي يخبره أن مع حلول موسم الصيف يأمل أن يزول المرض؛ لأن حرارة الشمس وضوءها والهواء في أثناء موسم الصيف يساعد في القضاء على المرض⁽²⁾.

2. العوامل الاجتماعية.

إن الأعراف التي يتكون منها المجتمع العماني متعددة، منهم من العرب، والبلوش، والفرس، والهنود، والأفارقة، والإنجليز وغيرهم، وهذا التنوع يعد انعكاساً للمكانة السياسية والتجارية والملاحية التي تتمتع بها السلطنة. وقد اندمجت تلك الشعوب مع بعضها بصورة كبيرة في المجتمع العماني باستقرارهم الدائم فيه؛ مما نتج عنه تنوع في العادات والتقاليد، مثل: الزيارات والكرم والضيافة والزواج من بعضهم، وممارسة المهن الحرفية العمانية. لهذا كان ذلك سبباً في نقل الأوبئة وانتشارها من طريق سفر بعض الشعوب إلى بلدانهم لرؤية أقاربهم والرجوع مرة أخرى. وكان الجهل والفقر منتشرين بصورة كبيرة في عُمان، مع وجود بعض المدارس لتحفيظ القرآن وتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة

1 الحنوش، سالم بن مبارك، الجغرافيا الطبيعية لسلطنة عُمان، جامعة السلطان قابوس. مجلس النشر العلمي، ط1، 2014م، ص75-86.

2 ملحق الوثائق رقم (8) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (20.1.8.20.NRAA.A.2.17-OM).

وقواعد الحساب والفلك، إضافة إلى عدم الوعي بأهمية النظافة الشخصية. كما كان وضع الصرف الصحي في مسقط ومطرح سيئاً للغاية في ذلك الوقت؛ إذ إن وجود أكوام من القمامة والمواد العضوية المتحللة داخل هاتين البلديتين وفي ضواحيهما منتشر جداً⁽¹⁾. وفي تاريخ (8 ربيع الثاني 1329هـ - 8 أبريل 1911م) بعث الميجر "تيور" رسالة إلى السلطان فيصل بن تركي، يلتمس فيها من جلالته إصدار أوامره للعموم بشأن ضرورة تنظيف البلاد والشوارع والسكك من الأوساخ؛ وذلك للحد من انتشار مرض الطاعون، مع وثيقة الإجراءات الوقائية اللازم اتخاذها لرفع مرض الطاعون⁽²⁾.

3. العوامل الاقتصادية.

تعد الأنشطة الاقتصادية من الركائز الأساسية في الدولة التي تعتمد عليها في استقرار سياساتها؛ لذلك كان العامل الأساس والرئيس في نقل الأوبئة، وفي عهد السلطان فيصل لم تتطور السياسة المالية للبلاد رغم حاجتها الملحة لسياسة مالية ناجحة؛ حتى تضمن مورداً مالياً مناسباً لمعالجة المشاكل السياسية⁽³⁾. واشتهرت السلطنة في تلك الفترة بتصدير التمور إلى الخارج وازدهار تجارة السلاح، إذ تعد تجارة السلاح في تلك الفترة مصدراً رئيساً لحصول البلاد على السيولة المالية، كما وجدت الكثير من الأسباب التي دعت إلى ازدهار تجارة السلاح بحضور شركات السلاح العالمية إلى مسقط لفتح وكالاتها، وفي عام 1912م أنشأ السلطان فيصل مستودعاً للسلاح في مسقط بموافقة المقيم البريطاني "كوكس"⁽⁴⁾. وقد ترك ذلك الوضع السلطان فيصل غير متفرغ لإنشاء أي مؤسسة صحية بسبب الأوضاع

1 الخارثي، 2022م، ص 431.

2 ملحق الوثائق رقم (9) هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية (20.1.8.20-OM.NRAA.19).

3 الخنوصرية، 2020م، ص 53.

4 الهاشمي، رحيم كاظم محمد، تجارة السلاح في الخليج العربي (1881-1914م)، دار علاء الدين، ط1، 2000م، ص 112.

السياسية والاقتصادية الداخلية في البلاد وانتشار الأوبئة.

ونستدل بأن مسقط كانت قبلة ومركزاً للسفن التجارية القادمة من القارة الهندية والأفريقية مع كل ما يحملونه من بضائع؛ إذ تكمن الخطورة في تلك الأمراض المعدية التي يحملها هؤلاء البحارة إلى كل ميناء تطأ أقدامهم، ومسقط كانت أول دول الخليج استقبلاً لهذه الكارثة؛ ولذا فإن بداية الاجتياح الأول للكوليرا في عُمان نتيجةً لهذه الأسباب، وقد أشارت التقارير البريطانية آنذاك إلى ما حدث نتيجة انتشار هذا المرض كالذي دونه الكولونيل "جايكار" من القنصلية البريطانية في مسقط بتاريخ 1 أبريل عام 1900م، إذ يقول:

“أثبتت الصحراء العربية الممتدة التي تشكل واحداً من الحدود الطبيعية لعمان وتعزلها واقعا عن شبه الجزيرة العربية، أنها -دون شك- المانع الضخم الذي يحول دون انتشار أي مرض وبائي ناحيتها برأ، أما بحراء، الذي يمثل القناة الوحيدة تقريباً للاتصال مع دول العالم، فقد كانت السفن الشراعية وأنواع أخرى من القوارب الوسيلة الرئيسية التي نقلت وباء الكوليرا لعمان؛ مما جعلها مسرحاً لثلاثة أوبئة عامة كبرى كالكوليرا في القرن التاسع عشر”⁽¹⁾.

الخاتمة والنتائج:

سعت الدراسة إلى إبراز التاريخ الصحي في عهد السلطان فيصل بن تركي في الفترة (1898-1913م) – كونها حقبة مهمة تاريخياً من طريق دراسة الوثائق المتعلقة بالأمراض والأوبئة. وقد أثبت البحث اتفاق الكثير من الأحداث التاريخية مع وثائق الدراسة. فيما خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة بدراستها لموضوع الأوبئة وسبل التعامل معها في عهد

السلطان فيصل بن تركي:

عرفت البشرية الأمراض المعدية منذ القدم، ولا يمكن ضبط فترة زمنية لبداية ظهور هذه الأمراض تحديداً دقيقاً.

لم تكن عُمان بمعزل عن العالم الخارجي، إلا أن التواصل البحري والاجتماعي والتجاري مع الشعوب الأخرى كان له دور في وصول بعض الأمراض المعدية. كان السلطان فيصل بن تركي غير مهتم بمجال الصحة العامة في بداية فترة حكمه؛ كونه مشغولاً بالنزعات الداخلية والتجارة الخارجية بين الدول، وقد أبدى اهتماماً أكبر بقطاع الصحة بعد ضغط شديد عليه من قبل القنصلية البريطانية في مسقط.

لعبت السلطات البريطانية دوراً مهماً في حث السلطان فيصل بن تركي على الاهتمام بمكافحة هذه الأمراض، وإصدار التعليمات والتشريعات للمواطنين والمقيمين للمحافظة على الصحة والحد من انتشار المرض.

لم تكن هذه التوجيهات البريطانية ترمي إلى الاهتمام بالجانب الصحي فقط؛ وإنما كانت تخفي تطلعات وآمالاً أخرى، أهمها الاستيلاء على الأماكن التي ستقام عليها المشروعات الصحية.

اكتسبت الحكومة العمانية في عهد السلطان فيصل خبرة في كيفية إدارة الوباء؛ وذلك بمرور الوقت وتكرار اجتياح هذه الأوبئة.

بسبب ظهور هذه الأوبئة، أبدى السلطان اهتماماً أكبر بتوثيق حركات النقل والسفر والشحن بين عُمان والدول الأخرى؛ تجنباً لوصول العدوى إلى البلاد.

كانت الأمراض المعدية أقل انتشاراً في المناطق الداخلية؛ لبعدها عن السواحل والمدن البحرية التي عادة ما تستقطب الوافدين من مختلف الجنسيات.

ومن التوصيات التي تطلع الباحثة إلى تحقيقها ضرورة إجراء المزيد من الدراسات والبحوث في موضوع الأمراض المعدية التي تعرضت لها عُمان، وكيفية التعامل معها، والخسائر التي خلفتها، وتبادل المعلومات بين الباحثين في المجالات التاريخية والوثائقية والصحية الخاصة بظهور هذه الأمراض في عُمان، حتى تتضح الصورة أكثر؛ وبذلك يسهل معالجتها وتوثيقها، وتضمين المناهج الدراسية في المدارس والجامعات والكليات دروساً عن تاريخ الأمراض والأوبئة التي تعرضت إليها عُمان، وسبل التعامل معها وكيفية الوقاية منها مستقبلاً لا قدر الله.

المصادر والمراجع:

. الكتب المطبوعة:

البسام، علي بن حسين، الأوضاع السياسية والاقتصادية في سلطنة عمان وأثرها على الملاحة والتجارة في عهد السلطان تركي بن سعيد وابنه فيصل 1873-1914م (دراسة وثائقية)، الطبعة التاسعة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2001م.

الحتروشي، سالم بن مبارك، الجغرافيا الطبيعية لسلطنة عُمان، الطبعة الأولى، جامعة السلطان قابوس، 2014م.

حمدي، ناهد، المرجع في علم الدبلوماسية العربي واستراتيجيات النقد والتحليل، الطبعة الأولى، العربي للنشر والتوزيع، مصر، 2001م.

الرحبي، فهد بن محمود، عمان في عهد السلطان فيصل بن تركي، دار الانتشار العربي، بيروت، 2018م.

الزدجالي، إسماعيل بن أحمد، تجارة عمان الخارجية في عهد السلطان فيصل بن تركي البوسعيدي 1888 - 1913م، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2014م.

الزدجالية، هدى بنت عبد الله، جواد تحت السيادة العمانية 1913-1958م، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، بغداد، 2015م.

السالمي، نور الدين، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (1-2)، منشورات مكتبة الاستقامة، 2013م.

الشعبي، عامر بن سليمان، ديوان الشيخ عامر بن سليمان الشعبي، تحقيق وتصحيح: محمد بن حمد المسرور، الطبعة الثانية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2009م.

الشعيلي، محمد بن حمد، عُمان في ذاكرة الخريطة، الطبعة الأولى، مطبعة مسقط، روي، 2021م.

الشيباني، سلطان بن مبارك، الطواعين في الذاكرة العمانية، الحلقة الثالثة، محبوب للنشر الرقمي، مسقط، 2021م.

لوريمر، جي جي، دليل الخليج العربي (قسم التاريخ)، ج6، قسم الترجمة، مكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، 2008م.

المازمي، أحمد بن يعقوب، البلوش وبلادهم في دليل الخليج 1515-1908م، الطبعة الأولى، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2012م.

مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، المجلد 2، المحرر: عبد الله بن ناصر الحراسي، الطبعة الأولى، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2013م.

مجموعة مؤلفين، موسوعة أرض عُمان، المجلد 1، مكتب مستشار جلالة السلطان لشؤون التخطيط الاقتصادي، 2005م.

المحمودي، محمد سرحان علي، مناهج البحث العلمي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب، صنعاء، 2019م.

الهاشمي، رحيم كاظم محمد، تجارة السلاح في الخليج العربي (1881-1914م)، الطبعة الأولى، دار علاء الدين، 2000م.

Vol. 14 No. 48 , (1970-Public Health Reports (1896
(December 1, 1899) p. 2153

. المواقع الإلكترونية:

هيئة الوثائق والمحفوظات، الرابط: <https://archives.nraa.gov.om/detail.aspx?ID=2182>

العريمي، محمد بن حمد، (2020م)، منها الطاعون والكوليرا: أوبئة في عمان

خلال القرنين الأخيرين، صحيفة أثير، الرابط: <https://www.atheer.com/archives/5180>

الجواهر، هيا إبراهيم، الكرنتينه، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، 2020م،
الرابط: https://www.aleqt.com/2020/article_1834941/25/05
html

الكندي، أحمد، 2020م، أول منطقة استُخدمت للحجر الصحي بعمان... قرية
حرامل تعود إليه بعد 124 عاما، (On-lion)، شبكة الجزيرة العربية، مسقط،
الرابط: <https://www.aljazeera.net/misc/2020/22/4>

مقابلة في قناة عمان الإخبارية مع المواطن سليمان المجيني من سكان قرية
حرامل، بعنوان: قرية حرامل بمحافظة مسقط أول منطقة عمانية تعرف الحجر
الصحي منذ أكثر من 120 عاما، المحاور أحمد الكندي، تاريخ 28 أبريل 2020م
الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=zIMwnabi2n4>

منظمة الصحة العالمية، الرابط: <https://www.who.int/ar>
الأرشيف الرقمي للخليج العربي، الرابط: <https://www.agda.ae/%D8%8A%D8%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%A7%D9%A9>

النبهاني، وليد، 2014م، تاريخ الوباء بعمان في دورية أمريكية، (On-line)،
صحيفة البلد، الرابط: <https://albaladoman.com>

البوسعيدي، نصر، 2017م، تاريخ عمان الكوليرا مأساة لن ينساها التاريخ
العمانية، (on-line)، صحيفة أثير الإلكترونية، الرابط: <https://www.atheer.com/archives/442572>

المناعمة، بد الرؤف علي، قصة الجدري (On-line)، شبكة الجزيرة

الإعلامية، 2017م، الرابط: <https://www.aljazeera.net/news/20/6/healthmedicine/2017>

العزل الصحي بيت المراضا، أصايل: مجلة الأصالة والتراث، 2020م،
الرابط: <https://www.assayel.com.om/news/view/1946>

. المقالات:

رحيل، ناصر فرج، أهمية الوثيقة التاريخية لطلبة وباحثي التاريخ، مركز
المؤرخ للدراسات التاريخية والأثرية (مقال)، 2013م، الرابط:

<https://ar-ar.facebook.com/228060660582202/>
[/posts/512947182093547](https://posts/512947182093547)

. الرسائل الجامعية:

الخنصورية، أمل، الأوضاع الصحية في عمان الساحل 1888-1975م (رسالة
ماجستير)، قسم التاريخ - جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2020م.

الملاحق:

List of donors to the new Hospital.

Names	Amount.		Remarks.
	Rs.	As.	
1. His Highness' family	1,500	0	
2. Saliyd Muhammad bin Turki and the sons of His Highness.	5,000	0	
3. His Highness the Sultan of Muscat	5,000	0	
4. R.S. Holland, Esq. I.C.S.	500	0	
5. Saliyd Muhammad bin Hilal	3,000	0	
6. Saliyd Yusuf bin Ahmad Zowavi	1,000	0	
7. Khoja Arab subjects of Butrah	4,000	0	
8. Khoja British subjects	1,500	0	
9. Haji Nasif bin Ghaliib	500	0	
10. Haji Mirza Muselin.	500	0	
11. Saliyd Abdul Jalli	50	0	
12. Saliyd Abdullah bin Akil	50	0	
13. Haji Mahmud bin Abbas	150	0	
14. Saliyd Abdul Gadir	300	0	
15. Abdur Rahim bin Jaffer	150	0	
16. Muhammad bin Abdullah	50	0	
17. Haji Nasib bin Dawood	500	0	
18. Haji Ali bin Hoosein Khan.	1,000	0	
19. Saliyd Muhammad Abdullah al Aidrus	500	0	
20. Seth Donaldii Saljee	2,000	0	
21. Seth Madhujii Jiwandas	100	0	
22. Seth Virjee Ratanssee	1,000	0	
23. Seth Damodar Dharanssee.	1,000	0	
24. Seth Ratanssee Purnhotan	1,500	0	
25. Seth Daulatger Manrunger	500	0	
26. Seth Valabdas Comarssee	500	0	
27. Tricassii Jiwandas	500	0	
28. Seth Dhanjee Horarjee.	1,500	0	
29. Kurasandas Sawar.	400	0	
30. Seth Dayal Purnhotan	400	0	
31. Seth Parasnal Damodar.	100	0	
32. Seth Chupahaldas Khimannal.	500	0	
33. Seth Linsadhd Gokuldas	500	0	
34. Seth Dharanssee Gokuldas	500	0	
35. Seth Wicassii Matransandas.	500	0	
36. Ratanssee Iliadhar.	100	0	
37. Abdul Latif bin Isa Haiman	500	0	
38. Agha Khani Khojas	500	0	
39. Hamza bin Ahmad Asfur.	500	0	
40. Haji Muhammad Hassan.	100	0	
41. Haji Ali el Zahba	50	0	
42. Haji Ali bin Muselin.	100	0	
43. Haji Abdullah bin Ali el Kasani	100	0	
44. Haji Fequb bin Abdullah Goldsmith	50	0	
45. Hon. Firm of Rajest & Co.	500	0	
46. Abdul Karim el Hindi.	100	0	
47. Ahmed bin Muhammad Shubally.	100	0	
48. Captain R. Scott, I.R.S.	150	0	
49. Shaikh Abdur Rahman Hindi.	50	0	
50. Haji Abdullah Jarwanii Goldsmith.	50	0	
51. Ghulag Muhammad.	50	0	
52. Seth Daulat.	100	0	
53. British India Steam Nav. Co. Ltd.	500	0	
TOTAL Rs. 38,016- 0			

الوثيقة رقم (1) قائمة المتبرعين لبناء مستشفى مسقط الخيري لعام 1909م

Enclosure 10
A.

Documents transferring the property required for the site of the new Hospital.

Be it known to all who may happen to see this document of our that we the undersigned have agreed that a hospital, that is, a house in which poor are treated, may be built on the spot which occupied by our house situate at Muscat Fort in Oman. This should be known to all.

Dated 28th Rabea el Thani 1328.

Signed by Khalid, Faima and Alys children of Muhammad bin Saib and Zuzum bint Mohamed bin Saib.

Correct:
(Signed). ALI BIN HAMUD with his own hand.

Translation. Enclosure 10
B.

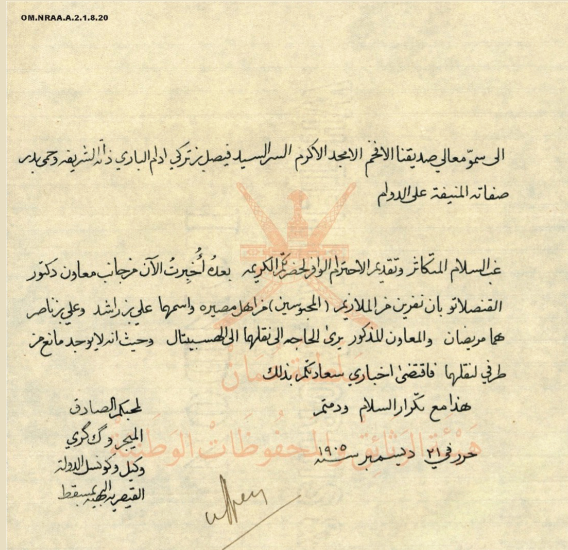
To,
His Britannic Majesty's Agent and Consul General.
Dated 11th Ramathna 1328.
7th October 1908.

After compliments.

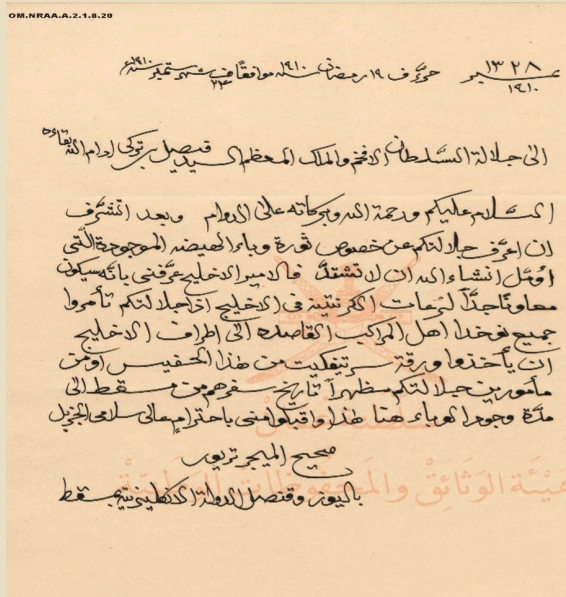
I beg to inform you that your Dragoman Saleh bin Ali came to see me respecting the Wakf house and told me that Sayyid Khalid and his brethren have given their shares in it to you and that there remains but myself. I as a one of them hereby beg to state that I for myself have agreed and consented and am in no need of any rent which such house may yield. I have formerly already informed you that the house is being Wakf and that I have no right to dispose of it - Wassalam.

From Your sincere friend the poor and mean slave of his Low

الوثيقة رقم (2) تبرع بمنزل لبناء مستشفى مسقط الخيري



الوثيقة رقم (3) إلى السلطان فيصل بن تركي من القنصل البريطاني بمسقط
يخبره بنقل سجناء إلى مستشفى مسقط الخيري



الوثيقة رقم (4) إلى السلطان فيصل بن تركي من القنصل البريطاني بمسقط
يخبره بالمصروفات التي صرفت على المرضى

د. حاج عيسى إلياس
المدرسة العليا للأساتذة-الأغواط-الجزائر
i.hadjaissa@ens-lagh.dz

الثقافة البحرية للعمانيين من خلال مخطوط «مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين»

الملخص:

تكتسي الدراسات حول تاريخ البحرية الإسلامية أهمية بالغة ومرتفعة، ويهدف الباحثون من خلال أبحاثهم في هذا المجال إلى توثيق وتأكيد مساهمة المسلمين في موضوع البحر بأبعاده الحضارية المختلفة، ويعتبر العمانيون من أبرز المجتمعات الإسلامية حضوراً وتأثيراً في عالمي البرّ والبحر. وينحصر اهتمام الدارسين، على مجال الغزو البحري (بُعد ديني سياسي عسكري)، والملاحة البحرية (بُعد علمي)، والتجارة البحرية (بُعد اقتصادي)، وهي نفس الأبعاد التي جسّدتها التأليف في موضوع البحرية العمانية، سواءً في مصادرها القديمة النظرية والنظرية، أو في الدراسات الحديثة. بالمقابل لا تزال الأبعاد الاجتماعية والثقافية مغيبّة من دائرة الاهتمام؛ ذلك أن المصادر التي تصف الحياة اليومية على ظهر المراكب البحرية، قليلة. وحتى الدراسات الحديثة حول تاريخ عمان البحري لم تولّ هذا الجانب حقّه من البحث، وركّزت كلها على نظام الملاحة والتجارة ونشر الإسلام. لذلك يعتبر مخطوط «مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين» نموذجاً يعكس حرص المشرّع المسلم العماني على تنظيم تفاصيل الحياة في عالم البحر. ويأتي هذا المخطوط ليثبت مرّة أخرى أسبقية العمانيين واهتمامهم بعلم البحار، فكتبوا حوله

التأليف العديدة، وتناولوه من جوانب عدّة: الخبرة العلمية والتقنية، عوائد البحر وأحكامه، مسائل البحر ونوازلها.

تكمن أهمية هذه الدراسة، أنها تميّط اللثام وتعرّف القارئ المهتم بالشأن الحضاري العماني، على مخطوط جديد غير محقّق، يتناول أحكام البحر، يُضّاف إلى المصنّفات البحرية العمانية المشهورة، مثل كتاب «معدن الأسرار في علم البحار» الذي ألفه ناصر بن علي الخضوري، والذي يعتبر من أهم المرشّحات البحرية، التي تم اعتمادها في برنامج «سجل ذاكرة العالم»، لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو). ويكتسي مخطوطنا أهمية بالغة باعتباره من المخطوطات القليلة على المستوى الإسلامي التي تُعنى بنوازل البحر الفقهية؛ إذ أن أحكام البحر عند المشاركة والمغاربة مبنوثة في مصادر النوازل والمسائل الفقهية العامة، ولم تخصّص لها التأليف إلا نادراً. ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى التعريف بهذا المخطوط، وبجوانبه الحضارية، وفق دراسة علمية منهجية، آمليّن أن يتم تحقيقه ونشره، ليستفيد منه جمهور الباحثين.

توفّر لدينا نصيب من الدراسات التي اهتمت وتخصّصت في البحث عن علاقة العمانيين بالبحر، فقمنا بتوظيف العديد منها؛ لكن الدراسات الشبيهة ببحثنا، أي التي عنيت باستخراج التاريخ البحري العماني من المصادر الفقهية نادرة جداً، وكل ما وجدناه عبارة عن عنوانين لمداخلتين شارك بهما أصحابها في المؤتمر الدولي «تراث عمان البحري» الذي نظّمته جامعة السلطان قابوس خلال الفترة من 2018/10/25-32م، الأولى للباحث ناصر بن سيف السعدي، الذي شارك بمداخلة عنوانها: البحر من خلال كتب الجوابات والنوازل الفقهية العمانية (النظم، والعلاقات والحوادث)، والثانية للباحثة خلود بنت حمدان الخاطريّة، بعنوان: تراث عمان البحري في الفقه الإباضي من خلال كتاب بيان الشرع

للكندي (ت. 508هـ/1115م). ويبدو أنّ الكتاب الذي يضمّ أعمال هذا الملتقى غير متوفر في المكتبات الجزائرية،¹ وباللغة الأجنبية أنجز Serge Cleuziou بحثاً بعنوان: Oman aux origines du commerce maritime vers la Mésopotamie et l’océan Indien

يطرح المخطوط إشكاليات ونقائص عديدة تعيق طريق البحث التاريخي، فهو مثلاً يحجب عنا بعض المعلومات المهمة، مثل تحديد أسماء المواقع وأماكن الانطلاق والوصول، وأسماء السفن وحجمها، ونوعها، وعدد العمال في السفينة. ويمكن تفهّم الأمر واعتباره منطقياً، بحكم أن المخطوط من نوع المسائل الفقهية، وكل ما يرد فيها من معلومات تاريخية أو مصطلحات فنية أو أبعاد حضارية، هو بالقدر الذي يخدم نص المسألة الفقهية. هنا تكمن أهمية البحث في جعل النصّ الفقهي خادماً ومركباً لبحث تاريخي. والهدف هو السعي إلى استكمال تلك الأبعاد في تاريخ البحرية العمانية ضمن تراكمات علمية جدّية.

1 - اجتهدنا في الحصول على الكتاب عبر الشبكة العنكبوتية، ووجدنا إحدى المواقع تتيح تحميله بشرط وجود بطاقة إئتمانية، وهو ما تعذّر علينا حالياً.

The maritime culture of the Omanis Through the manuscript "Issues In the causes of the sea for our brothers Omanis

Haj Issa Elias

Higher Normal School - Laghouat - Algeria

i.hadjaissa@ens-lagh.dz

Abstract :

This paper introduces us to a manuscript written by an Omani scholar and been copied by another from Djerba entitled: "sea issues for Our Omani Brothers" It is a specialized source in the field of Nawazil El Bahr, and of a great importance because of the lack of this kind of sources about the sea in the Islamic heritage. We aim through the research to highlight the maritime culture of the Omanis on light of this manuscript. The manuscript is dominated by jurisprudence, as it includes a number of questions and answers related to the manner of praying on board ships. Despite this, it provides us with precious information in social, economical and cultural fields such as the sitting inside ships etiquette, commercial exchanges on ships, and the mention of some Omani scholars who contributed to the Maritime culture.

In addition to that, it contains a number of technical terms related to ships, such as the "Nakhid" which means ship captain or Master in ancient times, and the "Daql", which means the mast of the ship. The manuscript contains also features of fear of the sea.

Keywords: Sea issues; Omanis; boat; prayer; Nakhid, fear

تعريف المخطوط

يجسد مخطوطنا اهتمام الفقهاء بالبحر، تبعاً لاتساع دائرة السعي عند العماني، فكان للشريعة الإسلامية حضور جليّ في البحار، سعيًا من الفقهاء إلى التصديّ لمختلف الإشكاليات والنوازل التي تعترض ركاب السفن، من تجارة بين الناس والبلدان، ومراكب النقل وكرائها، وحوادث السفر وما ينجم عنها من إتلاف الأمتعة أو الغرق.¹ بالإضافة إلى تأمين جانب العبادات فوق المراكب، وخاصة الصلاة، وتحديد كفيّتها. وبالجملة فالمخطوط يسعى إلى تنظيم وترقية حياة الانسان العماني داخل السفينة.

وفي سياق البعد النوازلي للمخطوط، تحضر وتتقاطع أبعاد أخرى، تبدو على درجة كبيرة من الأهمية، مثل البعد العلمي والتقني والفني الذي يتمثل في التصريح ببعض الآلات والوسائل المستعملة في المراكب والمصطلحات المرتبطة بالبحر والسفن، مثل السنداس، التنور، الناخذ، الفنتاس، الفنار، الخبّ، الدّقل، القفعة. والبعد الاجتماعي؛ إذ ينقل لنا جوانب من السلوكات اليومية على المراكب البحرية، وعن الفئات الاجتماعية الموجودة في المراكب (رجال، نساء، مسلمون، مشركون). والبعد الفكري والثقافي من خلال الإشارة إلى بعض أعلام وعلماء عمان الذين كانت لهم مساهمة فقهية في المسائل المتعلقة بالبحر، مثل أبو قحطان. خالد بن قحطان (ق.3هـ/9م)، ومحمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان (ت. بعد 1104هـ/1692م). وفي البعد الاقتصادي نجد في المخطوط مسائل تتعلق بالمبادلات التجارية بين ركاب المراكب، من بيع وشراء وهبة

1 - بالحيمسي مولاي، البحر والعرب في التاريخ والأدب، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، الجزائر، 2007، ص. 103

وصف المخطوط

العنوان: «هذه مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين»

يقع المخطوط ضمن مجموع، يبدأ من 3/ظهر، إلى 8/ظهر، رقمه في الخزانة البارونية-جربة-تونس: 218، s

المؤلف: عماني مجهول

بدايته: «وذلك لما منّ الله علينا بالسفر إلى بيت الله المشرفة، التقينا مع الشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاق...»
نهايته: «ومن علم بالغريق في البحر من الناس فعليه إخراجة إن قدر على إخراجة وغسله وتكفينه والصلاة عليه.»

ويأتي بعدها فوائد كلها مما وجده عند الشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاق لأنه توجد إشارة إليه في تعليق بهامش 10 و: «قال العُماني لأن ذلك إعانة على ظلمه»، والفائدة التي تليها من سبعة أسطر، في 8 ظ جواب عن سؤال في وصية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان (للتأكد ينظر جوابات ابن عبيدان)

نوع الخط: الخط مغربي بين المجوهر والمبسوط، وهو يميل للمجوهر، وهو واضح وفي حالة جيّدة، باللون الأسود، وجاء عنوان المخطوط وبدائيات المسائل باللون الأحمر: (قلت، قال)، وهو قليل الأخطاء دليل على تمكنه في العلم.
من المؤشرات التي يمكن من خلالها معرفة هل المخطوط تم نسخه في المشرق في بيت الله الحرام، أم في المغرب، يمكن الاعتماد على العلامات المائية التي يحملها الورق، هل تلك العلامات منتشرة في المشرق، أم في المغرب كمؤشر ويوجد طرق أخرى.

تاريخ النسخ: تقديراً بين أواخر ق10هـ وأوائل ق11هـ، ويمكن التأكد من خلال الورق والمداد والعلامات المائية المنتشرة في تلك الفترة

الناسخ: مغربي مجهول، ثبت أن الناسخ مغربي من خلال الجملة الواردة في بداية المخطوط، حيث صرّح الناسخ أنه سافر إلى مكّة والتقى بشخصية عمانية، يفترض أنه هو من عرفه أو مكّنه من المخطوط، كما يعتبر عنوان المخطوط مؤشراً قوياً على الناسخ مغربي، والعنوان هو: «هذه مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين» ولفظ «إخواننا العمانيين» دليل على أن القائل: مغربي. ومن الدلائل الكوديكولوجية: يبدو أن الناسخ جربي، واستنتجنا ذلك من مقارنة أسلوب خطه بالنساخت الجربيين، واعتمدنا في ذلك على مخطوطات المكتبة البارونية، وكون المخطوط موجود في المكتبة البارونية، يعتبر عاملاً إضافياً في حدّ ذاته.

المخطوط نسخه أحد المغاربة (مجهول) عندما ذهب إلى الحجّ والتقى بأحد العمانيين، يدعى إبراهيم بن عبد الله الرستاقى،¹ فسأله المغربي عن صاحب مسائل البحر، وأجابه العماني أنها لعالم مسلم يدعى أبا سعيد، وتبدو مهمّة البحث عن الناسخ ومعرفة اسمه، مسألة معقّدة، فالمغاربة الذين سافروا إلى المشرق في النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي، قليلون في المصادر، ويعتبر الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكرياء الجربي المغربي، الشخصية الأبرز، وهو الذي زار عمان في زمن حكم السلطان بلعرب بن سلطان اليعربي الذي حكم في الفترة (1679-1692م)، وكان عمر بن سعيد هذا، قد أبدى إعجابه بما رآه من أحوال عمان وظهور العدل فيها وإحياء السنن وإماتة البدع، ولكنه لاحظ قلّة مجالس العلم فيها فقدّم نصيحة للإمام بأن يهتم بمجالس العلم ويحثّ الرعية عليها، ونصّ

1 - لم نجد له ترجمة أو أثراً في مصادر ومراجع العمانيين، التي قمنا بالاطلاع عليها

النصيحة موجود كاملاً في «تحفة الأعيان» للسالمي.¹

نستبعد أن يكون هذا العالم الجربي المغربي هو ناسخ مخطوطنا، وإن توافق وجوده زماناً مع بعض الأعلام العمانيين الذين ذكروا في متن المخطوط، ومؤثراً في ذلك أن الناسخ المغربي قد حدّد مكان التقائه مع الشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاقى، في مكّة، وذلك في قوله: «وذلك لما منّ الله علينا بالسفر إلى بيت الله المشرفّة التقينا مع الشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاقى فسألته: لمن هذه المسائل...»² فالسياق يوضّح لنا أن الناسخ المغربي اكتفى بالتقاء الشيخ العماني في مكّة، ولم يزر عمان، ومعروف منذ التاريخ الوسيط، أن مكّة كانت مركزاً من مراكز التقاء المغاربة بإخوانهم العمانيين، وأن الكثير من المغاربة تواصلوا مع إخوانهم من أهل عمان، من دون أن يصلوا أرض عمان.³

ويبدو وأن الناسخ لم يكتف بنسخ «مسائل البحر» فقط، بل نسخ فوائد أخرى بعدها، فمن 9 إلى 10 مسائل في اللقطة، وفي هامش 10 وتعليق نصه «قال العُماني لأن ذلك إعانة على ظلمه»، يدل أنه ما زال لم ينته ما في نسخة الشيخ إبراهيم الرستاقى، وأنهما كانا يتدارسان هذه المسائل في حلقة علم بدليل هذا التعليق الموجود في الهامش وعلامات «قف» للتنبيه. وفي (5ظ) على الحاشية السفلية تعليق أيضاً من الناسخ (إما ناسخ هذه النسخة أو الناسخ الأول): يسأل فيه الشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاق عن «ما هو المعمول في عُمان في تلك المسألة»؛ ومن هذا التعليق يثبت أن السائل مغربي وأنه التقى به شخصياً في بيت الله الحرام، وأنهما كانا يتدارسان المسائل في حلقة علم، المغربي يسأل والشيخ

1 - السالمي، عبد بن حميد (ت. 1332هـ/1914م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2، مكتبة الاستقامة، (د.م)، ص. 81-84

2 - مجهول إياضي مغربي، مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين، مخطوط ضمن مجموع، رقمه في الخزنة: s:218، المكتبة البارونية، جربة-تونس، (د.ت)، 3/ظ

3 - ابن سلام الإباضي، لواب(ت. بعد 273هـ/887م)، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تح: فريس شقارترز والشيخ سالم بن يعقوب، يطلب من دار النشر: فرانز شتايرز بفيستبادن، ألمانيا الاتحادية، 1406هـ/1986م، ص. 110-111

ابراهيم يجيب. ومن 10 ظ إلى 11 ظ (باب في دية القتل) جاء في آخره: «من كتب إخواننا العمانيين»، والباب بعد البحث عليه وجدنا أنه مقتبس من مختصر علي بن محمد البسيوي، المسمى بسبوع النعم، ويظهر أن هذا الموضوع انتهى فيه نسخة العماني ابراهيم بن عبد الله الرستاقي.

يبدو أن الناسخ جمع مسائل من تراث العمانيين، فجاء المجموع غير متناسق، وإن كان بداية مخطوط «مسائل في أسباب البحر» واضح المعالم، إلا أن نهايته غير واضحة. ومعظم مسائل المخطوط كانت عن البحر، وعدد قليل جاءت خارج وحدة الموضوع، منها ما هو متعلق بحكم الميت من حيث غسله وتكفينه والصلاة عليه، وأخرى جاءت في نهاية المخطوط عن حكم الميت في الحلّ والترحال وفي الحرّم. وهو ما يجعلنا نرجّح نهاية المخطوط عند مسألة «ومن علم بالغريق في البحر... (إلى) ...و غسله وتكفينه والصلاة عليه» والفقرة تقع في 8 وجه، وفي آخر السطر نلاحظ ضغط في الكلمات، وكأن الناسخ يحاول الانتهاء من العبارة في تلك الورقة

نشير في الأخير أن المخطوط لم يُظهر كثيراً الجانب المذهبي ولم يصرّح إطلاقاً بلفظ الإباضية الذي يبدو أنه لم يتم تبنيّه بعد من طرف المدونات الفقهية العمانية آنذاك، ومن الإشارات القليلة التي أوردها صاحب المخطوط عن انتمائه المذهبي، قوله في إحدى مسائل الصلاة على ظهر السفينة: «فقد اختلف أصحابنا في السفينة»¹ ولفظ «أصحابنا» من التعابير المألوفة في المصادر المشرقية والمغربية عند الإباضية.

مصادر المخطوط

تتقاطع مسائل البحر الموجودة في المخطوط مع مسائل البحر التي ضمّها

1 - مجهول إباضي مغربي، مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين، مخطوط ضمن مجموع، رقمه في الخزّانة: s,218، المكتبة البارونية، جربة-تونس، (د.ت)، 7/7 ظ

كتاب المصنّف لأبي بكر أحمد بن عبد الله الكندي (ت. 557هـ/1161م)، وكتاب المصنّف هو أحد المؤلفات الدينية الجامعة لأصول الشريعة الإسلامية وفروعها، من منظور إباضي. وهو كتاب مطبوع - طبعته وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان طبعة حديثة محققة، اعتنى بها الدكتور مصطفى صالح باجو، وجاءت في 24 مجلداً. وجاءت مسائل البحر فيه، ضمن فصل عنوانه «في ركوب البحر وما يجوز في المراكب».

بعد المقارنة بين هذه المسائل ومسائل ركوب البحر التي جاءت في كتاب المصنّف تبين أنها متقاربة ومتقاطعة إلى حدّ بعيد، بل وتتشابه النسبة الأكبر من المسائل، بحيث يتأكد لدينا أن مصدرهما واحد، لكن لم نطمئن إلى الناسخ الأول لهذه المسائل. وكان صاحب المخطوط قد أشار في بداية كتابه أن المسائل هي لأبي سعيد، وهو من علماء المسلمين، ولم يزد عن ذلك. في حين أن الكندي كنيته أبو بكر. ولفظ أبي سعيد في المصادر الإباضية المشرقية يعبر عن الكنية التي اشتهر بها العالم الفقيه محمد بن سعيد الكندي، فغلب على ظننا أنه هو. وليس مستبعداً أن يكون صاحب مخطوطنا قد أسقط اسم الكاتب والكتاب الذي نقل منه المسائل (ربما يكون المصنّف)، وفضّل نسبتها مباشرة لأبي سعيد معتقداً أن المسائل كلها له. أو أنه نقلها من نفس المصدر الذي نقل منه صاحب المصنّف

ومما يزيد الالتباس أن مسائل البحر عند أبي بكر أحمد بن عبد الله الكندي، ليست متطابقة كلياً مع مسائل مخطوطنا وهي تختلف عنه من أوجه عدّة، مما يقلل فرضية: أن صاحب مخطوط مسائل البحر قد نقل مخطوطه من مصنّف الكندي، ويمكن حصر الاختلاف فيما يلي:

أن المخطوط الموجود بين أيدينا ينفرد ببعض المسائل التي لم ترد في المصنّف، كمسائل صفة الصلاة على المراكب.

جاءت مسائل الكندي بعنوانين مختلفة، من قبيل: «باب في ركوب البحر وما يجوز في المراكب»¹ «باب ما يجوز استعماله في المراكب من الآلات»² «باب في طرح الأمتعة في البحر عند الخب»³

جاءت مسائل الكندي ضمن كتاب ضخم، وهو المصنّف، في حين جاءت مسائل هذا المخطوط منفصلة وبعنوان مستقل «هذه مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين» ويعبّر العنوان أن الناسخ مغربي، وأن المسائل هي لمجموعة من العمانيين، عبّر عنهم الناسخ بلفظ «إخواننا العمانيين».

في المخطوط حواشي قليلة تحمل إضافات من الناسخ المغربي، ففي أسفل إحدى الأوراق التي فيها سؤال عن طرق استغلال الماء للشرب الموجود على المركب، كتب الناسخ: «سألت الشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاق، والآن المعمول به بعمان القول الثاني»

وجود اختلاف بين المصنّف والمخطوط، في التقديم والتأخير، وفي التفصيل والايجاز.

تمتاز مسائل المصنّف بكثرة إحالتها إلى أصحابها، والتصريح بهم سواءً بالاسم الثنائي أو بالكنية، ومنهم أبي سعيد الكدمي، الذي ورد هو الآخر بكنيته فقط (أبي سعيد)، وهي الشخصيات التي لم نجد لها أثراً في المخطوط. وقد قمنا بإحصائهم، وهم من فطاحل علماء عمان في القرون الهجرية الأولى، مما يؤكّد على ترسخ ثقافة ركوب البحر عند العمانيين منذ القدم، والعلماء هم:

أبو جعفر سعيد بن محرز بن محمد (حي في: 226هـ/840م)⁴

1 - الكندي السّمدي النّومي. أبي بكر أحمد بن عبد الله بن موسى (ت. 557هـ/1161م)، المُصنّف، مج11 (ج17-18)، تح: باجو مصطفى بن صالح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1437هـ/2016م، ص: 426

2 - الكندي، المصنّف، ج11، ص: 430

3 - الكندي، المصنّف، ج11، ص: 436

4 - ناصر محمد صالح والشيباني سلطان بن مبارك، معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1427هـ/2006م،

أبو معاوية عزّان بن الصّقر (ت. 268هـ/881م أو 278هـ/891م)¹ الذي نقل عنه ابن بركة (ت. 362هـ/972م) في جامعه مسألة «إلقاء بعض المال من السفينة لإنقاذ من فيها»²

أبو المنذر بشير بن محمد بن محبوب بن الرحيل (حي في 273هـ/886م)³
أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمي (305-361هـ/918-972م)⁴
مسعدة بن تميم النزوي (حي في 226هـ/840م)⁵
موسى بن علي، ربما هو موسى بن علي الإزكوي (ت. 278هـ/891م)⁶
أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل (ت. 260هـ/873م)⁷
أبو محمّد، وهي الكنية التي اشتهر بها عبد الله بن محمد بن بركة (ت. 362هـ/972م).⁸

أبو الحسن، وهي الكنية التي اشتهر بها علي بن محمد البسيوي (حي في 363هـ/973م).⁹
محمد بن الحسن، يرجّح أنه محمد بن الحسن بن الوليد السمدي النزوي (ق. 4هـ/10م).¹⁰

رقم الترجمة: 536، ص: 196

1 - الخليلي، سعيد بن خلفان (ت. 1287هـ)، إغائة الملووف بالسيف المذكّر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تح: صالح بن سليم الريحاني، ذاكرة عمان، سلطنة عمان، 1437هـ/2016م، ص: 278

2 - ابن بركة، أبي محمد عبد الله بن محمد (ت. 362هـ)، الجامع (المصطلحات ورؤة المسائل)، تح: محمد كمال الدين إمام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1432هـ/2011م، ص: 48

3 - ناصر محمد والشيباني سلطان، معجم أعلام الاباضية، رقم الترجمة: 97، ص: 70-71

4 - موجود خطأ في معجم أعلام الاباضية أنه كان حيًا في 272هـ/885م، نفسه، رقم الترجمة: 1209، ص: 398-399

5 - نفسه، رقم الترجمة: 1351، ص: 442-443

6 - نفسه، رقم الترجمة: 1417، ص: 464-465

7 - نفسه، رقم الترجمة: 1301، ص: 425-426

8 - نفسه، رقم الترجمة: 833، ص: 285

9 - نفسه، رقم الترجمة: 946، ص: 319

10 - نفسه، رقم الترجمة: 1140، ص: 378

الحسن بن أحمد، ويرجّح أنه أبو علي الحسن بن أحمد النزواني
(ت.536هـ/1141م).¹

من الواضح أن مسائل البحر التي وردت في المصنّف ليست من تأليف الكندي، وإنما نقلها من أقوال الفقهاء الذين سبقوه، بداية بابن محرز (حي في 226هـ/840م)، وصولاً إلى الحسن بن أحمد النزواني (ت.536هـ/1141م). ويبقى السؤال مطروحاً إن كان الكندي هو الذي قام بعملية الجمع، أو أنه وجدها مجموعة فاكتفى بنقلها، والسؤال الثاني يتعلق بصاحب مخطوطنا الذي نسب المسائل لأبي سعيد، والمعروف أن أبا سعيد الكدّمي عاش في القرن 4هـ/10م، في حين أن الكندي نسب المسائل لمجموعة من الفقهاء، يعتبر الشيخ الكدّمي واحداً منهم فقط، ومنهم الذين عاشوا بعده بفارق زمني كبير. بما يرجّح لدينا أن المسائل ليست حكراً على الشيخ الكدّمي، بل هي مجموعة من الأحكام حول البحر اجتهد فقهاء عمان في الإجابة عنها، ثم قام علماء آخرون بتوثيقها وتدوينها.

مواضيع المخطوط

أحصينا مسائل البحر الواردة في المخطوط وجعلناها في جدول، واعتمدنا إحصاء المواضيع؛ علماً أن الموضوع الواحد قد يأتي فيه السؤال من زوايا عدّة، لذلك نجد الموضوع الواحد قد يحتوي على أكثر من مسألة.

1 - نفسه، رقم الترجمة: 176، ص: 97

طبيعة المسألة	نص المسألة	الموضوع	الورقة
اجتماعي	- الرجل يركب السفينة ولا يعرف صاحبها -آداب الجلوس في السفينة بعد الصعود إليها -تغيير المكان بحثاً عن الظل أو عن البرد في فصل الحرّ - الحجر على الراكب الذي يسبب ضرراً	آداب الركوب والجلوس في السفينة	3/ظ 4/و
ديني	هل للراكب أن يتوضأ بالدلاء الموضوعة على السناديس	آداب الوضوء في السفينة	4/ظ
ديني	-إذا نجس ثوبه، هل يجزيه بأن يطرحه في البحر، أم هل يجب عليه عركه - هل يجوز له أن يعرك ثوبه على الخشب المعروف في السفينة المقدم في البحر	غسل الثياب في السفينة	4/ظ 5/و
اجتماعي/قانوني	هل على الراكب تبعة، إن هو أسقط الدلو الذي على السنادس من دون تعمّد	إسقاط الدلو في البحر	5/و

اقتصادي/تجاري	إذا أراد أحد من الركاب شراء شيء من الطعام وشراء شيء من المتاع في السفينة	أحكام البيع والشراء في السفينة	5/و
فقهي/	أحقق له أن يمرّ إلى الوضوء والتنوير والفتاس والقنبار	أجزاء السفينة	5/ظ
اجتماعي	-حكم الماء الذي في الفتاس، ومسؤولية صاحب المركب في توزيعه على الركاب بالعدل - الراكب في السفينة له أن يشرب من الفتاس -حكم الرجل أصابه الضمأ وخشي أصحابه عليه الموت. والمسؤولية على صاحب المركب في العدل	قواعد وآداب تقسيم الماء في المركب	5/ظ 6/و 6/ظ
اقتصادي/تجاري	في كراء الركبان من السفينة إلى البر أو من البر إلى السفينة، يكون حسب سنة (عرف) المركب. ¹	كراء السفن	6/و 6/ظ

1 - في هذا المجال أورد أحد علماء المغرب، حيث وضع مؤلفاً كاملاً عن أكرية السفن، جاء في مقدمته: «ولما اتفق أهل العلم على إجازة كراء السفن من بلد إلى بلد، جاز اكتراء النواتية (النواخذة) وإجارتهم في السفن كذلك، لأن السفن هي الأصل والنواتية، الفرع، لأنه لا تحري سفينة إلا بهم.» ينظر: ابن أبي فراس القروي الإفريقي. أبي القاسم خلف (من أهل ق. 4هـ)، كتاب أكرية السفن، درا وتح: الجعماطي عبد السلام، منشورات دار الأمان، الرباط-المملكة المغربية، ط2، 1438هـ/2017م، ص. 61.

اجتماعي	-ينزل الراكب مع باقي الركاب من السفينة في القارب بمعرفة صاحب المركب -صاحب المركب يريد أن ينزل الركاب في ساحل غير الساحل الذي اتفقوا عليه، ويطلبه الركاب بالجدّ في السير إلى الساحل المتفق عليه. ²	نزول الراكب وحكم التوقف في غير الساحل المتفق عليه	ظ/6
قانوني	-جائز للركاب أن يلقوا من الحمولة إذا خشوا على أنفسهم والضمان على الجميع، لأن الهدف هو سلامة الجميع -(مسألة: وإذا أصاب الخبُّ في البحر وطرح التجار أمتعتهم) ³ -لا يضمن المضارب لربّ المال ما طرحه من متاع في البحر، طلباً للسلامة، وقيل يضمن لوجود عقد مضاربة. ⁴	الخوف من البحر وإنقاص الحمولة من السفينة، إذا خشى الركاب على أنفسهم	ظ/6

2 - وردت عند المغاربة مسألة مشابهة، وهي: «تغيير اتجاه المركب وحكم فسح العقد». ينظر: ابن أبي فراس القروي، نفس المرجع، ص. 140؛ بالحيمسي مولاي، المرجع السابق، ص. 106

3 - مسائل في أسباب البحر، ظ/6. وردت مسألة مشابهة عند المغاربة وطرحها علي الفقهاء، وهي: «في أهل سفينة هال عليهم البحر واضطربهم البحر إلى أن يخفوا ويطرحوا ما فيها». ينظر: ابن أبي فراس القروي، نفس المرجع، ص. 127

4 - حول نفس الظاهرة ألف المغاربة وأفتوا، وأجاب صاحب أكرية السفن عن سؤال: «إذا زعم رب السفينة أنه رمى متاعاً لهول البحر، ولا يتنة له». ينظر: ابن أبي فراس القروي، المرجع السابق، ص. 156؛ بالحيمسي مولاي، المرجع السابق، ص. 107

يضمّ المخطوط 31 مسألة، تتوزع على 12 موضوعاً، وتضمّ بعض المواضيع أكثر من مسألة، وتختلف درجة الاهتمام بالمواضيع، تبعاً لطبيعة السائل والمجيب، وإذا اعتبرنا أن الأسئلة كانت موجهة الى عالم فقيه، فالطبيعي أن تكون المواضيع ذات الصبغة الفقهية هي الغالبة.



تأتي المواضيع الفقهية في المرتبة الأولى وعددها ستة عشر مسألة حيث ورد في موضوع صفة الصلاة على ظهر السفينة، اثنا عشر مسألة، ووردت مسألتين عن الوضوء، ومسألة عن غسل الثوب النجس، ومسألة عن تغسيل وتكفين الغريق. وتليها مواضيع عوائد وأحكام البحر بعدد 8 مسائل، منها ثلاث مسائل عن هيجان البحر وإسقاط الأمتعة، ومسألتين عن موضع نزول المسافر، ومسألة عن كراء السفينة، ومسألة عن أحكام البيع والشراء في السفينة، ومسألة عن إسقاط الدلو في البحر. وفي المخطوط ما يدلّ على حضور العرف والعادة في أحكام البحر، حيث ظهر الفقيه في جوابه عن الخلاف بين صاحب السفينة والركاب حول تغيير وجهة السفينة، غير حاسم وقد فسح فيه المجال لعوائد البحر، حيث عقّب واستدرك بعد الجواب قائلاً: «إلا أن يكون لأصحاب المركب سنة معروفة» وقوله في موضع

آخر «كلما كان معروفاً في السفينة» وقوله: «إلا ما هو معروف في المركب»¹ وبقية المسائل تتعلق بآداب الركوب والجلوس وأمور أخرى، منها أربعة مسائل في آداب الركوب والجلوس في السفينة، ومسألتين عن تقسيم الماء العذب في السفينة، ومسألة عن غسل الثياب في السفينة.

إذا يمكن الحديث عن ثلاثة أقسام من المواضيع في هذا المخطوط: فقهية، وأخلاقية، وعرفية. مع الأخذ بعين الاعتبار شدة الترابط والتقاطع بين كل هذه المواضيع.

أعلام المخطوط

ورد في المخطوط مجموعة من الأعلام، منهم المشهور، ومنهم المغمور. والتعرف على هؤلاء الأعلام يسمح لنا بوضع تصور زمني للمسائل الموجودة، وهي تتعلق في مجملها بالفقهاء الأوائل لعمان، المنتمين للقرون الهجرية الثلاثة الأولى. والمخطوط بهذا يتيح لنا مراجعة أعلام عمان، وإضافة علماء جدد لم يسمع عنهم من قبل. وفيما يلي الأعلام الذين ورد اسمهم في المخطوط

إبراهيم بن عبد الله الرستاقي

هو الرجل الذي التقى به الناسخ المغربي في موسم الحج، وسأله عن صاحب مسائل البحر، فأجابه أنها لأبي سعيد، وقد رجّحنا أنه أبو سعيد الكدمي، العالم العماني الاباضي المشهور، أمّا هذا الرستاقي فلم نجد له تعريفاً، واكتفى الناسخ أن وصفه بالشيخ إبراهيم بن عبد الله الرستاقي²، وربما يكون هو من مدّ الناسخ المغربي بالمخطوط، أو أن الناسخ كانت له معرفة مسبقة بالمخطوط، فأراد أن يعرف صاحبه، فسأل الشيخ العماني الذي التقى به في الحجّ، أما عن الإطار

1 - مسائل في أسباب البحر، 4/5، 6/5، 6/6

2 - مجهول، مسائل في أسباب البحر، 3/3

الزماني لهذا العلم، فمرَّح أنه عاش في النصف الثاني من ق. 11هـ/17م، اعتماداً على معاصرته لمحمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان (ت. بعد 1104هـ/1692م). ويعتبر هذا الموقف بحق، مظهرًا لافتاً من مظاهر التواصل الحضاري بين المغاربة والمشاركة في موسم الحج.

أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمي

نسبت إليه مسائل البحر، ووصفه صاحب المخطوط أنه رجل عالم من علماء المسلمين،¹ والراجح لدينا أنه أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمي (305-361هـ/918-972م)². لأن بعض المسائل سبق ذكرها في كتاب المصنّف للكندي، وهو الذي عاش في العصر الوسيط بعد وفاة الكدمي، ويرتكز ترجيحنا له، باعتباره الشخصية العمانية المشهورة في العصر الوسيط باسم أبي سعيد، رغم ذلك فقد سبق وشرحنا أن نسبة المسائل كلها للكدمي أمر غير مرجّح لدينا، حتّى وإن كان بعضها منقولاً عنه، فهو من كبار علماء عمان والاباضية، وأثاره كثيرة، ولا يكاد يخلو مصدر اباضي مشرقي من أجوبته، ولا تكاد تقرأ مصدرًا من تلك المصادر إلّا وتجد فيها جوابا له، وبخاصة في كتاب بيان الشرع للكندي. في حين أن مسائل البحر هي لمجموعة من علماء عمان، وثقّتها المدونات الفقهية العمانية.

أبو قحطان

ورد في المخطوط: «قال أبو قحطان: إن مات في الحلّ دُفِن في الحلّ، وإن مات في الحرم دفن في الحرم»، ويرجّح أن المقصود به هو أبو قحطان. خالد بن قحطان عاش في القرن 3هـ/9م، من أهل هجار الواقعة بوادي بني خروص، أحد أبرز علماء عمان في عهد الإمام الصلت بن مالك الذي حكم في الفترة من (237-272هـ/788-851م)، وكان ممن كره عزل الصلت وتولية راشد، وكان

1 - مجهول، مسائل في أسباب البحر، 3/ظ

2 - معجم أعلام الاباضية، رقم الترجمة: 1209، ص: 398-399

من شيوخه محمد بن جعفر وعبد الله بن محمد بن محبوب. له سيرة جمع فيها الأحداث الواقعة من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زمن الامام الصلت وراشد بن النضر، تسمى سيرة أبي قحطان، كما ضمّنه آراء في العقيدة والفقهاء¹ ونشير أن الناسخ قد أورد في مخطوط مسائل البحر مسألة أبي قحطان، وهي ليست من مسائل البحر، وإنما هي مسألة عن حكم الرجل الذي يموت في الحلّ والترحال وفي الحرّم. وجاء ترتيبها ما قبل الأخير.

محمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان

هو الفقيه والقاضي (محمد بن عبد الله بن جمعة بن عبيدان - النزوي) (ت. بعد 1104هـ/1692م)، تولى القضاء للإمامين (سلطان بن سيف بن مالك وبلعرب بن سلطان اليعربيين) ، وكان يكثر الإقامة عند الامام في حصن جبرين . كان (ابن عبيدان) أعمى فلأزمه عدد من الكتّاب لنسخ الكتب وقراءتها عليه. ولقد ترك جوابات كثيرة متناثرة في كتب متعددة جمعها تلميذه (سعيد بن عبد الله البراشدي) في كتاب سماه (جواهر الآثار) طبع في أربعة أجزاء² ويبدو أنه كان معاصراً للعالم العماني إبراهيم بن عبد الله الرستاقى، الذي التقاه الناسخ المغربي في مكّة. وضمن مجموع المخطوط، الذي نسخه المغربي، يلي نهاية مخطوطنا، فائدة، عبارة عن سؤال من الرستاقى وجواب من الشيخ ابن عبيدان، ممّا جاء فيه: «فسألت الشيخ الفقيه محمد بن عبد الله بن جمعه بن عبيدان رحمه الله»³

مصطلحات المخطوط

على الرغم من غلبة الجانب الفقهي على المخطوط، وهو بمثابة تشريع قانوني لتنظيم الحياة داخل السفينة، إلا أنه ثريّ بمصطلحاته الفنيّة، التي تكشف عن بعض

1 - معجم أعلام الباطنية، ص: 120

2 - معجم أعلام الباطنية، ص: 414

3 - مسائل في أسباب البحر، 8/ظ

محتويات السفينة ومسمياتها خلال العصر الوسيط؛ إذ المعروف أن السفينة تحتوي على مرافق، منها: السكان (مقود السفينة)، والمخازن، وأماكن الإيواء، والكُنْف (المرحاض)، والمطبخ، والمقاعد، وحمار البحار، وهو خشبة يجلس عليها البحارة للاستراحة، والفوانيس، والبوصلة البحرية (الديرة)، وصندوق النوخة.¹ ويرجّح من خلال مسائل المخطوط أن الأمر يتعلق بسفن نقل المسافرين والبضائع، ولا يوجد ما يشير أنها ذات غرض عسكري. ومما لاحظناه غياب التآليف حول المصطلحات التقنية ومحتويات السفينة العمانية. أمّا المصطلحات التي جاءت في المخطوط، فهي:

السُّدَّاس:

عندما وصف ابن بطوطة المراكب الصينية والمصرية، وذكر من بين محتوياتها، قائلاً: «يكون فيها البيوت والسداس» والسداس هو الكنيف والمطهرة.² والسناديس تكون في البرّ كذلك، وقد أورد ابن المجاور هذا اللفظ، عندما تحدّث عن كلاب عدن فقال: «يأكلون ما يجدونه مرميا في السناديس، لأن سناديس القوم على وجه الأرض.»³ وورد السناديس في المخطوط، في سياق سؤال عن الدّلاء الموضوع عليها والتي تستعمل للوضوء.⁴

التَّنُوز:

التنور نوع من الكوانين، وهو الذي يخبز فيه، فهو الذي يستخدم في صناعة الخبز تحديداً سواءً عرف بالكانون أو بغيره. والتنور في عمان هو الموضع الذي تنضج فيه اللحوم بطريقة معينة وتوجد أمثلة منه في حارات عمان ما زالت باقية

1 - الموسوعة العمانية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1434هـ/2013م، ص. 1801.

2 - النعيمي سليم، ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، (القسم الثاني)، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 25، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1394هـ/1974م، ص. 29.

3 - ابن المجاور، تاريخ المستبصر، مرا: ممدوح حسن محمد، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة-مصر، 1996، ص. 156.

4 - مسائل في أسباب البحر، 4/ز

إلى الآن.¹

النَّخْذُ:

جمعها النَّوَخِذَةُ، وهم ملاك السفن أو وكلائهم عليها، واللفظ أصله فارسي.² واشتهرت عمان بمجموعة رائدة من النواخذة في مختلف العصور، منهم أبي عبيدة عبد الله بن القاسم الذي أبحر إلى بلاد الصين حوالي سنة 133 هـ/750م، وأحمد ابن ماجد (ت.906هـ/1500م) الذي يعتبر أول من استخدم البوصلة للاهتداء بها في الرحلات البحرية، وصاحب التآليف العديدة منها «الفوائد في علم البحر والقواعد»، وتلميذه سليمان بن أحمد المهري (ت.962هـ/1554م) صاحب كتاب «المنهج الفاخر في علم البحر الزاخر»، والنوخذة ناصر بن علي بن ناصر بن مسعود الخضوري (ت.1388هـ/1968م) الذي ألف كتاب معدن الأسرار في علم البحار، وهو الكتاب الذي تمكنت السلطنة من تسجيله في برنامج سجل ذاكرة العالم بمنظمة اليونسكو، باعتباره واحدة من أهم المخطوطات العالمية في علم البحار ومن أهم المرشحات البحرية.³ كما يعبر عن الناخذ باسم «الربان»، لقول ابن ماجد في نظم:⁴

وَكُلُّ مَا جَرَّبْتَ يَا رَبَّانَا اَعْمَلْ بِهِ فِي كُلِّ مَا تَعْتَانَا

وتشترط في الناخذ صفات، منها: 1. سلامة العقل والدين، 2. الخبرة البحرية،

1 - عثمان محمد عبد الستار، المصطلحات العمرانية والمعمارية في مصادر فقه العمران الأباضي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1436هـ/2014م، ص.85

2 - الجعماطي عبد السلام، المرجع السابق، ص.87؛ العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية، ضمن سلسلة المجموعة التاريخية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1437هـ/2016م، ص.22

3 - الخضوري، ناصر بن علي، معدن الأسرار في علم البحار، تح: شهاب حسن صالح، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1436هـ/2015م؛ السيابي، صالح بن محمد، العمانيون والعلوم التجريبية، مؤسسة رؤى الفكرية/ مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، (د.م)، ط1، 1439هـ/2018م، ص.211؛ السيابي، صالح بن محمد، العمانيون والعلوم التجريبية، مؤسسة رؤى الفكرية/ مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، (د.م)، ط1، 1439هـ/2018م، ص.214-218؛ عبد الحليم رجب محمد، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط-سلطنة عمان، ط2، 1431هـ/2010م، ص.54-58

4 - السيابي، صالح بن محمد، نفس المرجع، ص. 225

3. الصفات القيادية، 4. الأمانة والصدق، 5. الشجاعة والإقدام.¹

الفُنَاطِسُ:

فُنَاطِسُ السفينة: حوضها الذي يجتمع فيه نشافة الماء، والجمع الفناطيس.²
يصنع من الخشب أو من معدن لا يصدأ، ويسمّيه البعض «تانكي»، يجلب إليه الماء الصالح للشرب من اليابسة بواسطة القرب، حتّى تمتلئ الفناطيس.³

القَنْبَارُ:

القَنْبَارُ: هو ليف جوز الهند (النارجيل)، يجلب من الهند ثم يدبغونه في حفر على السواحل، ثم يضربونه بالمرازب، ثم تغزله النساء وتصنع منه الحبال لخياطة المراكب، والدافع وراء استعمال حبال القنبار في خياطة المراكب، أنها تعطي الرطوبة للمراكب فلا تنكسر عند مواطن الحجارة، على خلاف المراكب المصنوعة بالمسامير، حيث يسهل تحطّمها عند احتكاكها بالحجارة. والقنبار الوارد في المخطوط يقصد به حبال ألياف النارجيل التي تثبت الأشرعة، والتي يمسك بها الراكب في حالات الضرورة.⁴

الخَبْتُ:

الخَبْتُ: هيجان البحر واضطرابه، يقال أصابهم خَبْتُ، إذا هاج بهم البحر، وإذا اضطربت أمواج البحر وأتوت الرياح في وقت معلوم، تُلجأ السفن فيه إلى الشطّ. والخِبَابُ: ثوران البحر. وفي الحديث أن يونس عليه السلام، لما ركب البحر أخذهم

1 - الغيلاني حمود بن حمد والعريمي محمد بن حمد (جمع وإعداد)، التاريخ البحري المروي لولاية صور، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2012م، ص. 69

2 - ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، مج11، طبعة جديدة محقّقة، (د.ت)، مادة: فنطس، ص. 229.

3 - شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، هيئة أبو ضبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2009م، ص. 85-86.

4 - الموسوعة العمانية، ص. 1800-1801؛ شهاب حسن صالح، من تاريخ بحرية عمان التقليدية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1422هـ/2001م، ص. 31؛ العاني، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص. 18-19.

خَبٌ شديد¹ وجاء اللفظ في المخطوط بنفس المعنى، حيث قال: «مسألة: وإذا أصاب الخبُّ في البحر وطرح التجار أمتعتهم»² ويعني أن البحر هاج واضطر التجار إلى رمي بعض أمتعتهم ليضمنوا سلامتهم

الدَّقْل:

الدقل هو جذع النخلة، يقول صاحب كتاب «من تاريخ بحرية عمان»: «واستعمل فيها جذع النخلة دقلاً، فالدقل هو في الأصل إسم جذع النخلة»³ ويفهم من سياق وجوده في المخطوط أنه جزء خشبي من السفينة، قد يصلّي فوقه أحد الركاب قائماً أو قاعداً «مسألة ولو كان الرجل يصلي فوق دقل السفينة»⁴ ثم أورد أحد الباحثين أن المقصود به هو الصاري، ويسمّيه العمانيون «دقلاً» وهو جذع شجرة ساج ضخمة، وورد في دراسة أخرى بلفظ «دكل»، ويكون للسفن الكبيرة صارينين، أمامية وخلفية، وللدقل عشرة أجزاء عشرة، وسبع حبال⁵ ومع تطور الملاحة العربية، تعدّدت مهام البحارة في السفن الكبيرة، وكان منهم البحار المتخصّص في تسلق الدقل (الصارية)⁶.

القَفَّعة:

القفّعة: (قفعة) القفّعة: نقل ابن منظور عن الأزهرى قوله: هو شيء كالقفّة يتّخذ واسع الأسفل ضيق الأعلى، حشوها مكان الحلفاء عراجين تُدقّ، وظهرها خوص على عمل سلال الخوص. وفي المحكم: تتّخذ من خوص، لا عرى لها،

1 - ابن منظور، لسان العرب، مادة: خب، ص. 6

2 - مسائل في أسباب البحر، 6/ظ

3 - شهاب حسن صالح، من تاريخ بحرية عمان التقليدية، ص. 29

4 - مسائل في أسباب البحر، 7/و

5 - تراثنا، عمان في أمجادها البحرية، ضمن سلسلة المجموعة التاريخية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1437هـ/2016م، ص. 83؛ الغيلاني حمود بن حمد والعريمي محمد بن حمد، المرجع السابق، ص. 36-38، 80، 124

6 - شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 56

يجنى فيها التمر ونحوه.¹ ويبدو من خلال المخطوط أنها تستعمل كذلك لحمل الماء على السفن. كان نصيب النواخذة (الغواصين) "قفعة" واحدة من الماء يومياً، والقفعة مقدار ثلث لتر ماء تقريباً.² ومن استعمالاتها الأخرى، أنها تصلح كموضع يسجد عليها المصلّي على ظهر السفينة، ممّا يرجّح أن المقصود بها هنا، هي القفّة.³

العمانيون والبحر

تقوم عديد المؤشرات شاهداً على عمق الارتباط التاريخي والحضاري بين العماني والبحر، سواءً من حيث الآثار المكتشفة واللقى الأثرية، حيث عثر بقلهات على 295 لوحاً مطلياً بالقار، كانت تستعمل لسدّ حوزو السفن، كما عثر على حصائر من نسيج قطني مضلّع، وفي المخطوط ذكرت الأفرشة أكثر من مرّة. كما تشكّل منظومة الأمثال الشعبية العمانية حول البحر مؤشراً على رسوخ البحر في ذهنية العماني، منها قول: «اللي يركب السفينة ما يامن الغرق» والقول: «محمل بلا ربان»، والقول: «نوخذايين غرقوا مركب» أو «المركب بو نواخدين يطيع (أي يغرق)». ⁴ ومن التفسيرات المقنعة والمقدّمة عن ارتباط عمان بالبحر قول أحد الباحثين: «وفي الوقت الذي توافر لعمان كل هذه المميزات البحرية موقع جغرافي ممتاز، ومن سواحل طويلة، ومن موانئ صالحة لرسو السفن واستقبالها، كان ظهيرا طارداً لأهلها تجاه البحر... ذلك أن معظم أراضي عمان إما صحراء أو جبال جرداء غير خصبة، تحيط بها من الخلف أو الغرب رمال الخالي الفسيحة، تلك الرمال التي تكاد تعزل عمان عن باقي أجزاء الجزيرة العربية وتدفعها دفعاً

1 - ابن منظور، لسان العرب، مج11، مادة: قفعل، ص.161

2 - هي الإشارة الوحيدة التي عثرنا عليها حول علاقة القفعة بالمراكب. انظر: بالصور.. أهل البحر الإماراتيون يشكلون لوحة فلكورية بالجنادرية، صحيفة المواطن الإلكترونية، صحيفة سعودية، 18-02-2014 الساعة 15:43، الرابط: <https://www.alwatan.net/2014/02/>؛ جناح الإمارات بالجنادرية يرسم لوحة فولكلورية شكلها أهل البحر الإماراتيون ويستقطب الزوار، جريدة الفجر، يومية - سياسية - مستقلة تأسست عام 1975، 17 فبراير 2014، الرابط: <https://alfajr-news.net/index.php/details/>

3 - مسائل في أسباب البحر، 7/

4 - الموسوعة العمانية، ص.1801-1802

للاتجاه إلى البحر الذي يحيط بها من الشمال الشرقي والشرق والجنوب، ولذلك كان طبيعياً أن يشتغل العمانيون بالملاحة والتجارة البحرية.¹ فقرب عمان من الهند والصين، وعمق مياهها، وكون شواطئها محاطة بجبال تحميها من الرياح القوية، ساعدها ذلك على نشوء الموانئ على طول سواحلها.²

المعاملات الاقتصادية

اشتهرت السفن العمانية بممارسة التجارة مع الموانئ الصينية والهندية، ومن السلع التي كانت تجلبها من هناك، العنبر واللؤلؤ والعود والكافور.³ ويكشف لنا المخطوط عن مبادلات تجارية تقع على المراكب، وي طرح المخطوط إشكاليات في هذا الشأن، كأن يعمد أشخاص على البيع والشراء على المركب من دون أخذ إذن من صاحب المركب، أو أن يختلف شخصين حول بيع وشراء، كأن يبيع الأول شيء في السفينة ليس له، وهي مخالفات تستوجب معرفة رأي الفقيه، فتم توثيقها في المصادر العمانية، ومما جاء في المخطوط حول الموضوع، قوله: «فإن أراد أحد من الركاب شراء شيء من الطعام وشراء شيء من المتاع في السفينة، وأراد أحد غير صاحب السفينة أن يبيع ويهب ويقول»⁴ ومن مؤشرات البعد الاقتصادي للمخطوط، أن عبّر صاحبه في بعض المحطّات عن الركاب باسم التجار، ففي مسألة الاضطرار إلى رمي الأمتعة في البحر عند هيجان البحر، قال: «وإذا أصاب الخبُّ في البحر وطرح التجار أمتعتهم»⁵ وهي إشارة صريحة إلى أن التجار هم أكثر الفئات ركوباً للبحر.

1 - عبد الحليم رجب، محمد، المرجع السابق، ص. 46-47

2 - العائني، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص. 11

3 - السعدي، ناصر بن سيف، ظفار من خلال بعض المدونات العمانية، مجلة الذاكرة، تصدر عن ذاكرة عمان، العددان 7 و8، سلطنة عمان، ص. 86

4 - مسائل في أسباب البحر، 5/و

5 - مسائل في أسباب البحر، 6/ظ

يعتبر هذا المخطوط بتصنيفه ضمن المسائل الفقهية، رافداً مهماً من روافد الدراسات الاقتصادية العمانية خلال العصر الوسيط؛¹ كما حفظت لنا مختلف المسائل البحرية التي وردت على فقهاء عمان، سواءً من الساحل، أو من الداخل المرتبط بالساحل.

البعد الاجتماعي

عندما سئل عن الراكب في السفينة، أين يجلس؟ كان جوابه: «فإذا دخلها استأذن من قاضاه أن يقعد، فإذا أذن له أن يقعد في موضع، مضى إليه من غير أن يؤدي أحداً»² ولهذا النص دلالة أن العمانيين لهم اعتياد على ركوب السفن، حتّى وصل بهم الأمر إلى وضع آداب الجلوس فيها كما وضع آداب الجلوس في المجالس الأخرى، ويفصّل العالم حول مسألة الجلوس، حتّى يعتقد القارئ أن المسألة هي لآداب الجلوس في البرّ. وكذلك يفترض السائل أوجه مختلفة للمسألة الواحدة، كأن يسأل عن تغيير الراكب لمكان جلوسه بحثاً عن الظلّ أو بحثاً عن الشمس في زمن البرد.

حرص المشرّع العماني من خلال مخطوطنا على ضمان حسن العلاقات بين ركاب السفينة، ومراعاة حقوق كل مسافر من تجار وشركاء،³ ويعتبر الماء الصالح للشرب من أكثر الأشياء التي قد تسبّب الخلاف والنزاع بين الركاب، لشدّة الطلب عليه، على الرغم من أن المركب تحيط به المياه من كلّ جانب، لكنها مالحة مضرّة بالصحة، ويقال الماء المخزّن بسبب توقف حركة الهواء، فتزيد مدّة بقاء السفينة في عرض البحر، وتكون الحاجة ملحة لاقتصاده.⁴ ومن الإشكاليات التي عالجها

1 - السعدي، ناصر بن سيف، المرجع السابق، ص. 88.

2 - مسائل البحر، 3/ظ

3 - بالحيمسي مولاي، المرجع السابق، ص. 103.

4 - الغيلاني حمود بن حمد والعريمي محمد بن حمد، المرجع السابق، ص. 80.

المشرّع، حكم الماء الذي في الفنتاس، لمن هو؟ وكان الجواب أنه «للشاربين منه لأنهم شركاء فيه»¹ ولا يجوز لهم يجوز لهم استعمال الحيلة فيه، بل الواجب هو الرأي. كما أكد المشرع على مسؤولية صاحب المركب في توزيع الماء بالعدل، لأن ذلك من صميم مسؤوليته على ركاب سفينته.²

كما يطرح المخطوط وجود أشخاص في السفينة من غير المسلمين، فقد طرح الأطر الشرعية لصلاة المسلم في السفينة وأمامه مشرك جالس، ووجود مثل هذه الفئات في المراكب مؤثر على تواصل العمانيين مع أجناس آسيوية وأفريقية من غير المسلمين. كما يعبر عن مساحة التعايش والتسامح التي تكون في مثل هذه الفضاءات الضيقة،³ وفي سياق ذي صلة، يشير المخطوط إلى وجود النساء في المراكب، وربما وجدت امرأة بين رجلين يصليان جماعة، ولا شيء عليهما، ويذهب المشرّع بعيدا عندما يفترض ملامسة الرجل للمرأة من فوق الثياب، ولا شيء عليهما.⁴

ذهنية البحر

يكشف المخطوط عن جانب من تاريخ الذهنيات في العصر الوسيط، يتمثل ذلك الجانب في نظرة الانسان للبحر، فهو ينقل لنا ما يمكن اعتباره واقعا غالبا على أكثر ركاب البحر، عندما وصف ركوب البحر قائلاً: «انها سفينة الصبر واليقين، فإن ركبته فقد صحب الهّمّ والبلاء، فهو له مقارن»⁵ والحقيقة أن هذا الشعور هو نفسه المنتشر عند عموم المسلمين شرقا وغربا، تكشف عن ذلك النصوص

1 - مسائل البحر، 5/ط

2 - مسائل البحر، 6/و

3 - تبخروا المنظومة الفقهية الإسلامية حازمة ووفية لمبدأ المساواة، عند المسائل الحرجة، كالحالة التي يضطر فيها الركاب إلى إلقاء بعض الأشخاص في البحر لشدة هيجانه، طلبا لسلامة السفينة، يقول أبو القاسم خلف: «وإن لم يكن في المركب إلا الأدميين = دون المتاع تقارعوا على من يرمى منهم، والرجال والنساء والعبيد وأهل الذمة في ذلك سواء.» ينظر: ابن أبي فراس القروي، المصدر السابق، ص. 130

4 - مسائل البحر، 7/و

5 - مسائل البحر، 4/و

المصدرية المتعلقة بالبحر. وعنه نظم ابن ماجد قائلاً:¹

يا أيها الناس ماذا شئتم قولوا الأرض معلومة والبحر مجهول
من أجل ذا قالوا إنه خطر وراكب البحر مفقود ومحيول

وطرح الكاتب إشكالية جدلية، تتعلق بالفرق بين الخوف في البر والخوف في البحر، ثم اختار زاوية الدين ليحكم أنه لا فرق بين الخوفين، وبالتالي فإن الذين يفرقون بينهما، هم -حسبه- ممن ضعف يقينه ورقّ دينه. ثم نراه يستدرك بما يفهم منه أنه يبرّر لواقع الناس الذين يخافون من البحر، بالقول: «وإنما خاف أهل البحر لما قد جرّبوه من الغرق»². فالكاتب يقدم لنا ذهنية موجودة في واقع الناس، قائمة على حقيقة الخوف من البحر، وذهنية افتراضية يدعو من خلالها إلى جعل الخوف من البر كالخوف من البحر، من منطلق الدين واليقين. لكن نتساءل لما لم يحارب الكاتب مبدأ الخوف بالكلية.

يوميّات الراكب في السفينة

سنسعى من خلال مسائل المخطوط إلى رسم صورة تقريبية ليوميّات المسافرين على السفينة العمانية خلال العصر الوسيط، منذ صعودهم إليها وإقلاعها إلى غاية وصولها، ونركّز على التحركات داخل السفينة، انطلاقاً من المواضيع التي صرّح بها المخطوط، ونستعين ببعض الدراسات ذات الصلة بمسائل المخطوط، وهدفنا هو محاولة توثيقية ليوميّات الركاب على السفن العمانية خلال العصر الوسيط. يركب المسافر أو التاجر في السفينة، ويكون قد تعرّف إلى صاحب السفينة، ويسمّى الناخوذة، وهو صاحب السفينة أثناء الرحلة إمّا تملكياً أو كراءً. بعد دخوله السفينة يستأذن من صاحبها في الجلوس فيأذن له، فيتجه إلى مكان جلوسه من دون

1 - أحمد بن ماجد، النونية الكبرى؛ نقلًا عن: السيابي، صالح بن محمد، المرجع السابق، ص 223-224

2 - مسائل البحر، 4/و

أن يؤدي أحداً. وله أن يقعد في مكان يستظل فيه من الشمس، أو يقعد في الشمس من البرد.¹

ويكون جلوسه على فراشه الخاص، أو ربما جلس مع أحد الركاب في فراش واحد. وإن صدر من الراكب عدم التزام بتعليمات الناخوذة، ككثرة حركته وعدم التزامه بالجلوس في المكان المخصّص له، وجب تنبيهه وتحذيره، وإن تهادى جاز لباقي الركاب التحجير عليه،² حفظاً للمصلحة. وخوفاً من الغرق. وإن استشعر الناخوذة خطر تصرفات الراكب، أمر بربطه بخشبة (القاضي) وهي عود صلب يسند عود الدقل، ويحدّد الناخوذة مدّة العقاب، ويتعرض لنفس العقاب الراكب الذي تثبت عليه السرقة داخل السفينة.³

عندما يحين وقت الصلاة، يجوز للراكب أن يستعمل الدلاء الموضوعة على السناديس للوضوء. وإذا أراد الراكب أن يغسل ثيابه أو أوعيته، فبإمكانه طرحها مباشرة في الماء، أو استعمال الدلاء الموجودة على السفينة ليملاً فيها ماء البحر، ثم يقوم بعرك ثوبه على الخشب المعروض في السفينة، وهي قطعة مثبتة على أحد جانبي المقدمة من الخارج، تستعمل لغسل الأوعية والملابس، تسمى المغسال. وتتم عملية الغسل في العادة على سطح مقدمة السفينة، حيث تكون على جانبيها إلى جهة البحر ثقب تسمى ميازيب يخرج منها الماء إلى البحر،⁴ وعليه أن يجتهد في الحفاظ على الدلاء؛ لأنه سيحاسب عليها إن هو أسقطها في البحر.⁵

بالنسبة للأكل، يسمح للراكب بالبيع والتبادل، أو يعمدون إلى تحضير وجباتهم

1 - مسائل البحر، 3/3

2 - مسائل البحر، 4/9؛ التحجير: حَجَّرَ الشيء: ضَيَّقَهُ وَفِي الْحَدِيثِ: حَدِيثُ شَرِيفٍ حَجَّرَتْ وَاسْعًا، صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم: 5687، موقع أرشيف الإسلام، الرابط: <https://islamarchive.cc/H-182283>، تاريخ الدخول: 12 جويلية 2022م، الساعة 08:20؛ وجاء اللفظ في المخطوط بمعنى: التضييق على المسافر الذي يهذد سلامة المسافرين، والحدّ من حركته وحرّيته داخل المركب.

3 - شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 72، 77

4 - شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 84، 86

5 - مسائل البحر، 5/9

على موقد السفينة،¹ وهو المعروف باسم «التنور» الذي يستعمل أكثر في طهي الخبز. ويتولّى صاحب السفينة توفير أدوات الطبخ، وبعض المواد الغذائية قبل الإبحار،² حسب الاتفاق الذي يكون بين ناخذ السفينة والركاب. ومن مهام صاحب المركب أن يسهر على توفير الماء الصالح للشرب، قبل الإبحار، ويتم تخزينه في الفناطيس بواسطة قرب الماء حتّى يمتلأ، والفنطاس عبارة عن حوض وسط السفينة يصنع من الخشب أو من معدن لا يصدأ، يلجأ إليه الركاب للشرب. وتعتمد السفن أحياناً إلى الاقتراب من السواحل لجلب الماء العذب، ويتكفل بذلك مجموعة من البحارة أو الركاب، حيث يذهبون على قارب السفينة ومعهم عدد من القرب، لا تقل عن أربعين قرية، فيقصدون الآبار القريبة أو الينابيع المنحدرة من بعض الجبال القريبة، ومن الجبال التي تقصدها السفن، جبال منطقة ظفار بعمان، ويعودون بالقرب المملوئة إلى السفينة، ويفرغونها في فنطاس السفينة، ويعاودون الكرة حتّى يمتلأ.³ ثم تقع على صاحب المركب مسؤولية توزيع الماء بين الركاب بالعدل، خاصّة إذا شحّت الكمية.⁴

يحرص الراكب على أداء صلاته مهما كانت الظروف، وللصلاة على ظهر السفينة صفة مختلفة، من مظاهرها: أن يصلي الركاب قعوداً إذا لم يقدرُوا على القيام، ويصلون جماعة وليس عليهم صفوف في السفينة، ويجوز لهم أن يصلوا بجانب الامام أو خلفه أو أسفل منه، كما يصلي الرجل فوق دقل السفينة (الصارية) بصلاة الامام قائماً أو قاعداً. أو يسجد على القفعة (القفة) في السفينة. ومن كان يصلي فهبّت الريح فلا بأس أن يمسك خشبة أو حبلًا. ولهم أن يصلوا بصلاة الإمام

1 - مسائل البحر، 5/5؛ شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 83

2 - الغيلاني حمود بن حمد والعريمي محمد بن حمد، المرجع السابق، ص. 80

3 - شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 85

4 - مسائل البحر، 5/5، 6/6، 6/6؛ شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 85-86؛ الغيلاني حمود بن حمد والعريمي محمد بن حمد، المرجع السابق، ص. 80

سواء بالإيماء أو بالحركة. وإذا حدث أن أحرموا إلى القبلة، ثم تحولت السفينة، فلا يتحولون في وسط الصلاة، ولا يدخل أحد معهم في الصلاة والسفينة مدبرة عن القبلة. كما يجوز لهم أن يصلوا جماعة بعد جماعة. ويحرص ألا يصلي المصلي وأمامه مشرك. وإن وجدت امرأة بين رجلين، صحت صلاتهما جماعة؛ إذ أن أحكام صلاة البحر مختلفة عن صلاة البر.¹

تعرض ركاب السفينة مخاطر كبيرة، أهمها هيجان البحر وما يسببه من خوف وهلع وقلق، قد يصل إلى الغرق. وفي مثل تلك الظروف يعتمد الركاب إلى رمي متاعهم أو بعضه في البحر، طلباً للسلامة والنجاة، وربما عمد ناخذ السفينة إلى القيام بذلك، بصفته العارف والخبير بخبايا البحر والمسؤول عن السفينة، لكن يحدث أن يقع في تبعات قضائية مع أصحاب الأمتعة بسبب اتلاف أمتعتهم، وقد وردت أسئلة على فقهاء المشرق والمغرب في هذا الشأن.² ويعتبر الغرق من أخطر عواقب ركوب البحر، ويحدث في الغالب بسبب هيجان البحر، فتحدث البلبلة وسط السفينة ويشتد القلق، وربما انزلق أحد الركاب وسقط في البحر، فيأمر الناقوذة بإيقاف السفينة ويجتهد الجميع في إنقاذه، بأن ينزل البحارة الخبراء بالسباحة في قارب السفينة، وهم يصيحون وينادون باسمه في زخم الأمواج المتلاطمة، وقد ينجحون في مهمتهم بإخراجه حياً إن كان البحر هادئاً، وقد يخرجونه ميتاً إن لم يقوى على المقاومة وخارت قواه وابتلع كمية كبيرة من الماء، فيتوجب عليهم حينها القيام بتغسيله وتكفينه، وإذا كانوا قريبين من الساحل، نزل بعضهم في قارب السفينة إلى البر ليؤدوا واجب الصلاة عليه ودفنه، أما إذا كانت السفينة في عرض البحر وبعيدة عن الساحل، فإنهم يصلون عليه ويربطونه إلى ظهر ألواح، ثم يذفونها إلى

1 - مسائل البحر، 7/9

2 - مسائل البحر، 6/ظ

البحر آملين أن يسحبه التيار إلى الساحل، ليتكفل بدفنه الناس في البرّ. أو يربطون الجثة بشيء ثقيل من حجارة أو حديد، ويقذفونه إلى قاع البحر، فيما يشبه الدفن في الماء، وفي حالة عجزهم عن إنقاذه، اعتبروه ميّتاً مفقوداً، فيقرّون عليه الفاتحة، ويواصلون سيرهم.¹

على الراكب أثناء سفره أن يعرف جيّداً الجهة التي يذهب إليها، ويستحضر اتفاقه مع ناخذ السفينة، فقد يحدث أن ينزلهم في مكان غير المكان الذي اتفقوا عليه، فيلزّمه الركاب على الجدّ في السير مرّة أخرى، وربما اضطرّ الناخذ إلى تغيير وجهة الوصول لسبب قاهر؛ إذ هو صاحب الحق في تحديد الجهة التي تسافر إليها السفينة.²

خاتمة

يعتبر مخطوط «مسائل في أسباب البحر» بمثابة نصوص قانونية تضبط مختلف العلاقات وتحلّ مختلف الخلافات، وتعبّر عن درجة عالية من الانضباط والنظام والتحضّر لدى المجتمع العماني في الفترة الوسيطة المبكرة، وربما كان هذا الانضباط غائبا عن مجتمعات أخرى في حياتها اليومية على البرّ. وفي النص دلالة أن العمانيين اعتادوا ركوب البحر، وتجلّى ذلك في إيلاء الاهتمام لكلّ تفاصيل الحياة على ظهر السفن

تبيّن من خلال عديد الظواهر البحرية، وحدة الذهنية الإسلامية المشرقية والمغربية، حيث رأينا استقبال المنظومات الفقهية لمسائل ونوازل متشابهة بل ومتطابقة، منها مسألة أكرية السفن، ومسألة رمي الأمتعة لهول البحر، مرة من طرف ركاب السفينة، ومرّة من ربّ السفينة، ومسألة تغيير اتجاه المركب.

1 - مسائل في أسباب البحر، 8/و؛ حول تقنيات إنقاذ الغرقى خلال العصر الوسيط، ينظر: الجعماطي عبد السلام، المرجع السابق، ص. 101 وما بعدها؛ شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 128

2 - شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، ص. 41

لقد عبّر وأثبت العمانيون عن ثقافتهم البحرية من خلال ممارسات ومظاهر وروافد، تعبّر في الحقيقة عن مجالات اهتمامهم وعلاقتهم مع البحر، وهي:

الخبرة العلمية والتقنية: من خلال التحكم في قواعد الملاحة البحرية، وطرق صناعة السفن، ومعرفة الطرق والمرشحات البحرية. وَوَضَعَ العمانيون خبرتهم بالتأليف في هذا المجال، وساهم أرباب البحر العمانيين في إثراء التراث البحري العالمي، منهم أسد البحار ابن ماجد، وناصر الخضوري الذي حاز مؤلفه «معدن الأسرار في علم البحار» على سجل ذاكرة العالم لمنظمة اليونسكو عوائد وأحكام البحر، وهي عبارة عن عادات وتقاليد وأحكام أخلاقية، تعارف عليها ممتهنوا الملاحة البحرية في السواحل العمانية وغيرها، وهم يحتكمون إليها في حال الخلافات الطارئة، وقد وجدنا في مخطوطنا نماذج منها.

نوازل ومسائل البحر التي تمثل المرجعية الدينية ودورها في حفظ النفس والمال وتأمين الجانب التعبدية والمصلحي لراكب السفينة، ويعتبر مخطوطنا نموذجاً مُكتشفاً في هذا المجال

ختاماً، نستنتج أن مخطوط «مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين» يمثل تراثاً علمياً يضاف إلى التراث البحري العماني المتراكم، ويستحقّ هذا المخطوط اهتماماً إضافياً ونوعياً، بالدراسة والتحقيق، نرتقي به إلى مرحلة الكتاب المحقّق، وهذا ما سنعمل على تحقيقه مستقبلاً.

نقترح في نهاية هذا البحث توصيتين آملين أن تتحقّق، في سبيل خدمة التاريخ البحري العماني:

إخراج مخطوط «مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين» إلى النشر، بعد دراسته وتحقيقه، (وهو ما سنسعى إلى القيام به في المستقبل القريب).

أن ينظّم مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية والإنسانية ومركز

العلوم الطبيعية والطبية بجامعة نزوى، مؤتمراً حول «أحكام ونوازل البحر عند المسلمين» لإبراز اهتمام المسلمين بالبحر وبتفاصيل الحياة على ظهر السفن والمراكب، في أعالي البحار والمحيطات.



المصادر والمراجع

ابن بركة. أبي محمد عبد الله بن محمد (ت.362هـ)، الجامع (المصطلحات ورؤوس المسائل)، تحر: محمد كمال الدين إمام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1432هـ/2011م

بالحميسي مولاي، البحر والعرب في التاريخ والأدب، وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007، الجزائر، 2007م

ابن بركة. أبي محمد عبد الله بن محمد (ت.362هـ)، الجامع (المصطلحات ورؤوس المسائل)، تحر: محمد كمال الدين إمام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 1432هـ/2011م

تراثنا، عمان في أمجادها البحرية، ضمن سلسلة المجموعة التاريخية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1437هـ/2016م

الجمعاطي عبد السلام، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1433هـ/2012م

الخصوري. ناصر بن علي، معدن الأسرار في علم البحار، تح: شهاب حسن صالح، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2، 1436هـ/2015م

الخليلي. سعيد بن خلفان (ت.1287هـ)، إغاثة الملهوف بالسيف المذكر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تح: صالح بن سليم الربخي، ذاكرة عمان، سلطنة عمان، 1437هـ/2016م

السالمي. عبد بن حميد (ت.1332هـ/1914م)، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2، مكتبة الاستقامة، (د.م)

السعدي. ناصر بن سيف، ظفار من خلال بعض المدونات العمانية، مجلة الذاكرة، مجلة تهتم بالتراث العماني تصدر عن ذاكرة عمان، العددان 7 و8،

سلطنة عمان، (ص ص. 84-93)

ابن سلام الإباضي. لواب(ت. بعد 273هـ/887م)، كتاب فيه بدء الإسلام
وشرائع الدين ، تح: فيرس شقارتز والشيخ سالم بن يعقوب، يطلب من دار
النشر: فرانز شتايز بفيسبادن، ألمانيا الاتحادية، 1406هـ/ 1986م

السيابي. صالح بن محمد، العمانيون والعلوم التجريبية، مؤسسة رؤى الفكرية/
مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، (د.م)، ط1، 1439هـ/2018م

شهاب حسن صالح، الأعراف البحرية وأحكامها في السفن العربية، هيئة أبو
ضبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2009م، من تاريخ بحرية عمان
التقليدية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1422هـ/2001م

العاني. عبد الرحمن عبد الكريم، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية،
ضمن سلسلة المجموعة التاريخية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط2،
1437هـ/2016م

عبد الحليم رجب محمد، العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة
المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، مسقط-سلطنة
عمان، ط2، 1431هـ/2010م

عثمان محمد عبد الستار، المصطلحات العمرانية والمعمارية في مصادر
فقه العمران الإباضي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1،
1436هـ/2014م

الغيلاني حمود بن حمد والعريمي محمد بن حمد (جمع وإعداد)، التاريخ البحري
المروي لولاية صور، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 2012م

ابن أبي فراس القروي الإفريقي. أبي القاسم خلف (من أهل ق. 4هـ)، كتاب
أكرية السفن، درا وتح: الجعماطي عبد السلام، منشورات دار الأمان، الرباط-

المملكة المغربية، ط2، 1438هـ/2017م
الكُندي النَّزوي. أبي بكر أحمد بن عبد الله (ت.557هـ)، المصنّف،
مج11(ج17-18)، تح: باجو مصطفى بن صالح، وزارة الأوقاف والشؤون
الدينية، سلطنة عمان، ط1، 1437هـ/2016م
ابن المجاور، تاريخ المستبصر، مرا: ممدوح حسن، ج1، مكتبة الثقافة الدينية،
القاهرة-مصر، 1996،

مجهول إباضي مغربي، مسائل في أسباب البحر لإخواننا العمانيين، مخطوط
ضمن مجموع، رقمه في الخزانة: s،218، المكتبة البارونية، جربة-تونس، (د.ت)
ابن منظور. أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت-
لبنان، المجلد 5، 11، طبعة جديدة محقّقة، (د.ت)

الموسوعة العمانية، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1434هـ/2013م
ناصر محمد صالح والشيباني سلطان بن مبارك، معجم أعلام الاباضية، قسم
المشرق، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1427هـ/2006م
النعيمي سليم، ألفاظ من رحلة ابن بطوطة، (القسم الثاني)، مجلة المجمع العلمي
العراقي، مج 25، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1394هـ/1974م
المواقع الالكترونية

بالصور.. أهل البحر الإماراتيون يشكلون لوحة فلكلورية بالجنادرية، صحيفة
المواطن الالكترونية، صحية سعودية، 18-02-2014 الساعة 15:43، الرابط:
/02/https://www.almowaten.net/2014

جناح الإمارات بالجنادرية يرسم لوحة فولكلورية شكلها أهل البحر الإماراتيون
ويستقطب الزوار، جريدة الفجر، يومية -سياسية - مستقلة تأسست عام 1975،
17 فبراير 2014، الرابط: https://alfajr-news.net/index.php/details

العلاج التقليدي بالرقية الجماعية (الرعبوت) في ظفار: دراسة لسانية اجتماعية

د. عامر بن أزيد عدلي الكثيري

aa.alKathiri@sct.edu.om

جامعة التقنية والعلوم التطبيقية - صلالة

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بالرقية الجماعية بعدّها نوعاً من أنواع الطب التقليدي في ظفار، ويعرف هذا الطب الذي يؤدّى بشكل جماعي لمريض واحد بعدد من التسميات، هي: رعبوت /raʿbót/، و "رعباه" /raʿbāh/ و "عزيت" /ʿarráyt/، و "نعروت" /nʿirót/ بحسب اختلاف الجماعات اللغوية الممارسة له. ولم يدرس هذا النوع من الطب التقليدي في ظفار دراسة علمية من قبل في حدود ما اطلع عليه الباحث، وعليه تأتي مشروعية الدراسة الحالية؛ بغية رصد مجالات استعماله وأدواته والموروث الشفهي المصاحب له، وتحديد الجماعات اللغوية المستعملة له. ويستعمل هذا الطب بأنواعه الثلاثة: الـ "حموت" /ħmút/، والـ "حمرة" /ħamrəh/، والـ "حلم" /ħlúm/ في علاج الحالات الآتية على التوالي: لدغ الأفاعي، وانتفاخ البطن، وتورم الأطراف. إلا أن ظهور الطب الرسمي الحديث مع بداية 1970 أسهم في تراجعها؛ بسبب عدم تعقيد الحالات المرضية التي تعالج بالرقية الجماعية، وتفضيل كثير من المرضى العلاج الحديث على العلاج التقليدي؛ مما يستدعي التعجيل بدراسة وتوثيق ما تبقى من

هذه الممارسات الطبية التقليدية قبل اندثارها. واستعان الباحث في دراسته بالمقاربة الوصفية والزيارات الميدانية لمقابلة الممارسين لهذا النوع من الطب التقليدي في مناطق ظفار المختلفة. وخلصت الدراسة إلى أن هناك تأثيراً عضوياً ونفسياً للألفاظ المرتبطة بهذه الممارسة الطبية في شفاء بعض الحالات المرضية المعالجة. كما يُرجَّح ارتباط أصل هذا الطب بقبيلة المهرة، ذلك لأنه يؤدَّى باللغة المهرية، ومع ذلك فإنه يستعمل عند غير المهرة من الناطقين بالانواع اللغوية الآتية: اللهجة البدوية الكثيرية، واللغة الشحرية (الجبالية)، ولغة الهوبيوت. وتوصي الدراسة بضرورة تضافر التخصصات في تناول عناصر الطب التقليدي المتعددة في ظفار، مثل: التاريخ، والانثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.

الكلمات المفتاحية: الرقية الجماعية، ظفار، الطب التقليدي، الموروث الشفهي، اللغة المهرية.

Group incantation of “*raʿbət*” in Dhofar: a sociolinguistic study

Dr. Amir Azad Adli Al Kathiri
Dhofar University
ABSTRACT

This study seeks to introduce the traditional group incantation of /*raʿbət*/ in Dhofar, which is also called: /*raʿbāh*/ and /*nʿirót*/ according to the different speech communities who practice it. It is practiced by a group of people to heal one patient. To the knowledge of the present researcher, this type of traditional medicine has not been studied scientifically before in Dhofar. Accordingly, the legitimacy of the current study comes; In order to explore the geographical areas of its use, its tools and the accompanying oral tradition, and to identify the speech communities which use it. This traditional medical practice is used in three types: /*ħmūt*/, /*ħámrah*/, and /*ħlúm*/ in the treatment of the following cases, respectively: snakebite, flatulence, and swelling of the extremities. However, the emergence of modern medicine at the beginning of the 1970s contributed to its decline. This is because of the non-complexity of medical cases that were treated with *raʿbət* group incantation, and the choice of modern medicine by many patients, which calls for an expedited study and documentation of the rest of the remainder of these traditional medical practices before their extinction. In his study, the researcher used the descriptive approach and field visits to interview the practitioners of this type of traditional practice in the

various regions of Dhofar. The study concluded that there is a psychological and physiological effect of the words associated with this practice in the healing of some treated pathological conditions. It is also likely that the origin of this traditional practice is related to the Mahra tribe, because it is performed in the Mahrī language. Nevertheless, it is used by the non-Mahrī tribes among whom are the Jabbālī (Shehrī) and Hobyōt speakers, and the colloquial Al Kathīrī Bedouin. The study recommends the need to combine disciplines in dealing with the various elements of traditional medicine in Dhofar, such as: history, anthropology, psychology, and sociology.

Keywords: group incantation, ra'bot, Dhofar, traditional medicine, oral tradition, Mahri language.

مقدمة

من بين أنواع كثيرة من أنماط الطب التقليدي في ظفار تقدّم الدراسة الحالية وصفا تفصيليا لنمط محدد منها، يعتمد على الرقية بمجموعة من التعويذات الكلامية بصورة رئيسة مع التدخل الجراحي في حالات معينة، ويعرف هذا النمط محليا بتسميات عديدة تختلف باختلاف الجماعات الكلامية في ظفار، على الرغم من أن "رعبوت" /raʿbōt/ هي التسمية الشائعة في ظفار للدلالة على الرقية التقليدية بشكل عام. ويستعمل هذا الطب بأنواعه الثلاثة¹ في الاستشفاء من أنواع مختلفة من الأمراض والعلل، مثل: الحمى وآلام البطن والصدر والحلق والأسنان، وحالات التورم وأوجاع الأطراف، وحالات اللدغ المختلفة من الأفاعي وبصورة أقل من العقارب. وأغلب هذه الأمراض والحالات كانت تتكرر بشكل شبه يومي قبل انتشار الطب الحديث بعد نهضة 1970، الأمر الذي أكسب هذا الطب مكانة وأهمية في المجتمع. ويعدّ هذا الطب صورة من صور الطب التقليدي الجماعي، إذ يؤدي من مجموعة من الأفراد² تحت إشراف قائد للمجموعة يتولّى إنشاد كلمات الرقية، ويمكن تبادل الأدوار بين القائد وأعضاء المجموعة، وهو ما يختلف به هذا الطب عن غيره من الأنواع الطبية التقليدية الأخرى التي تؤدي بشكل فردي بين مريض وطبيب مختص. ويرتبط هذا الطب التقليدي في ظفار بقبائل المهرة البدوية، وتستعمله أيضا قبائل بيت كثير البدوية، وبعض الأفراد من قبائل أرياف ظفار الذين لديهم ارتباط اجتماعي وأسري مع قبائل المهرة (Tabook, 1997)، وتؤدي الرقية المصاحبة لهذا الطب بشكل عام باللغة

¹ ينظر المبحث (رقم 2) من هذا الدراسة الذي يتناول أنواع هذا الطب التقليدي.

² في حالات نادرة جدا يمكن للمريض الذي يعاني من بعض الأعراض مثل الحمى أن يرقى نفسه منفردا بريقة "رعبوت ذحمة" /raʿbōt d̥əḥamrah/، ولا يمكن أن يرقى الشخص نفسه في الحالات المعقدة، مثل: لدغ الأفاعي (محمد الشعشي)، ولكن يمكن أن يؤدي شخص واحد هذه الرقية على اللدغ في حالات طارئة لا تحتمل التأجيل ويستمر في الرقية حتى يلتحق به أشخاص آخرون (محمد رعبوت).

المهرية، مع ظهور بعض الكلمات والجمل ذات خصائص ممثلة لهجة البدوية الكثيرة، ومع ذلك فإن اللغة المهرية تعدّ شرطاً لإتقان هذه الرقية حتى وإن لم تكن هي اللغة الأم للراقي (محمد ر عفيت، ومحمد الشعشي).

وعلى الرغم من أهمية هذا الطب وانتشاره في ظفار، إلا أنه لم يدرس دراسة علمية من قبل، بحسب المراجع التي وقف عليها الباحث، بل وردت بعض الإشارات عند برترام توماس في كتابه³ (العربية السعيدة: عبور الربع الخالي في الجزيرة العربية)، ذكر فيها التمييز بين طقسين من الطب عند بدو بيت كثير، هما: "ر عباه الحمرة"، لعلاج إصابة العين والحمى ولدغات الأفاعي، والآخر نوع من التنجيم يعتمد على القرابين التي يقدمها المريض (Thomas, 1938).

وفي المقابل فإن هناك عدداً من الدراسات العلمية الغربية لهذا الطب عند المهرة في اليمن، إذ أورد هارين في كتابه⁴ نصاً فيه إشارة عن "رعبوت نحرمة"، ذكر فيه أنها تستعمل لعلاج آلام الصدر والجسد باستثناء الرأس، وتعالج أيضاً لدغات الثعابين (Hein, 1909)، ونشر الفرنسيان لونييه وسيمون سينيل مقالة بعنوان⁵ (تعاويذ الرعبوت في الطب الشعبي المهري)، قدّم فيها وصفاً مفصلاً لنوع واحد فقط من أنواع هذا الطب، هو "رعبوت نحرمة" التي وثقها في قشن عام 1987، وفرّقاً بينها وبين "رعبوت نحرمت" التي يعالج بها لدغ الأفاعي دون الخوض في التفاصيل الدقيقة، أو تحليل نصوص هذه الأخيرة كما فعلاً في تحليل نصوص "رعبوت نحرمة" (Lonnet & Simeone-Senele, 1987)، وقامت سيمون سينيل بعد ذلك

³ عنوان الكتاب باللغة الإنجليزية هو: *Arabia Felix: Across The Empty Quarter of Arabia* 1932 (published in 1938).

⁴ طبع الكتاب باللغة الألمانية ضمن إصدارات فريق البعثة النمساوية إلى جنوب الجزيرة العربية (1898-1899)، وقد كان هارين عضواً في البعثة على الرغم من أنه لم يسافر مع البعثة ولكنه سافر بعد ذلك في عام 1907، ونشر كتابه الذي يتضمن نصوصاً من اللغة المهرية واللهجة العربية لحضرموت عام 1909 تحت

عنوان: Mehri- und Hadrami-Texte. Gesammelt im Jahre 1902 in Gischin

⁵ عنوان المقالة باللغة الإنجليزية هو: Rabut: Trance and Incantations in Mehri Folk Medicine

بنشر مقالة بعنوان⁶ (التعويذات السحرية العلاجية للطب التقليدي في المهرة) فرقت فيها بين أنواع الرعبوت الثلاثة، وفصلت الحديث في "رعبوت ذحلوم" التي حضرت لها جلسة علاجية في جادب عام 1989، من حيث نصوصها وكيفية أدائها والمحظورات التي تعيق الاستفادة منها (Simeone-Senelle, 1995)، وقدّم بعد ذلك سالم تبوك (Tabook, 1997) أطروحة دكتوراة في جامعة إكستر بعنوان⁷: الطقوس القبليّة والفلكلور في ظفار، ذكر فيها أن طب الرعبوت عند المهرة غير مرتبط بالسحر، ويعالج لدغات الأفاعي وبشكل أكبر لدغات العقارب، وادّعى أن تعويذات "رعبوت ذحموت" تعالج الحمى الناتجة عن الجن الذي يسكن جسم الإنسان، وأخيرا جمع النمساوي سيما مجموعة كبيرة من نصوص اللغة المهرية المسجلة من أفواه الرواة، نشرت في كتاب⁸ بعد موته - عام 2004 - بخمس سنوات، تضمن الكتاب نصين معنونين بالرعبوت هما: (1، 67) فيهما معلومات عن هذا الطب، ونصين آخرين في طرائق العلاج التقليديّة، هما: (25، 106) وردت فيهما إشارات مقتضبة عن الرعبوت (Sima, 2009).

ويظهر في هذا الاستعراض للإشارات والدراسات السابقة أن أغلبها اعتمد تسمية "رعبوت" للدلالة على هذا الطب، ولم تشر إلى تسميات أخرى له، كما أن أغلب الدراسات العلمية لهذا الطب لم تكن في ظفار بل في مناطق المهرة اليمنية.

وعليه تروم الدراسة الحالية تقديم وصفا دقيقا لهذا النوع من الطب من خلال دراسة تسمياته، واختلافها باختلاف الجماعات الكلامية في

⁶ عنوان المقالة باللغة الفرنسية هو:

Incantations thérapeutiques dans la médecine traditionnelle des Mahra du Yémen.

⁷ عنوان الأطروحة باللغة الإنجليزية:

Tribal practices and folklore of Dhofar, Sultanate of Oman.

⁸ قام الباحثان: جانت واطسون وأرنولد بإخراج النصوص التي جمعها سيما في كتاب منشور عام 2009 تحت عنوان:

Mehri-Texte aus der jemenitischen Šarqīyah.

بيئات ظفار المختلفة، ومقارنة مفردات الحقل المعجمي لهذا الطب مع ما ورد في معاجم التراث العربية، والتفريق بين طب الرقية الجماعية والرقية الفردية بعدهما نوعين مختلفين من أنواع الطب التقليدي، وتسييل الضوء على مشروعية الرقية والتعويزات في الإسلام، وتحليل نصوص هذه الرقية واستجلاء بعض الظواهر اللغوية والاجتماعية المتعلقة بها، مثل: الاعتماد على السجع، والتأثير الإسلامي فيها، ودور المرأة ومشاركتها في هذا الطب، والمحظورات التي تبطل فاعلية هذه الرقية.

واستعان الباحث في جمع مادة الدراسة بالزيارات الميدانية ومقابلة المعالجين بهذا الطب في بيئات ظفار المختلفة في الفترة من 15 سبتمبر 2021 إلى 1 إبريل 2022، حصل خلالها الباحث على تسجيلات⁹ من 9 أشخاص¹⁰، وتوثيق ثلاث جلسات تمثيلية بطلب من الباحث؛ نظرا لصعوبة حضور جلسة علاجية حقيقية، بسبب التراجع الواضح لهذا الطب في الوقت الحالي. وتم التسجيل بواسطة جهاز من نوع Olympus LS-14، وباستخدام هاتف من طراز iPhone 12 Pro. وقام الباحث باقتباس بعض الجمل من التسجيلات لناطقين بنوعيات لغوية مختلفة، هي: المهرية والشحرية (الجبالية) واللهاجة البدوية الكثيرة، وتفريغها في مواضعها من البحث بوضعها بين خطين مائلين / / وبعتماد الرمز اللاتيني¹¹.

⁹ يشكر الباحث الأستاذ محمد بن أحمد رغيث على الجلسات المطولة التي منحها من وقته لمساعدته في شرح ما استغلقت من جمل الرقية المسجلة من الرواة.

¹⁰ الأشخاص هم: 1. محمد بن أحمد رغيث، 2. سعيد بن أحمد رغيث، 3. سالم بن أحمد رغيث، 4. سالم بن تمان عدلي الكثيري، 5. محمد بن مهدي الششعي، 6. سالم بن سعيد (فعموم) بالحاف، 7. محمد بن علي بالحاف، 8. تسلم بنت سالم الكثيري، 9. منى بنت سالم المهري. سيتم الإشارة إليهم في متن هذه الدراسة بذكر الاسم الأول والقبيلة.

¹¹ الرموز الصوتية اللاتينية المستعملة في هذه الدراسة هي: أولا: الصوامت: 1. ؟: همزة، 2. ؟: عين، 3. h: هاء، 4. h: حاء، 5. ġ: غين، 6. x: خاء، 7. k: قاف طبقية انفجارية منجزة، 8. ž: جيم لثوية غارية احتكاكية، 9. š: شين، 10. š: شين مدورة، 11. š: ضاد لثوية جانبية احتكاكية منجزة، 12. š: شين لثوية جانبية، 13. t: طاء، 14. s: صاد لثوية احتكاكية منجزة، 15. ž: ظاء، 16. ž: ذال، 17. θ: ثاء.

ثانيا: الصوائت: 1. i: الكسرة القصيرة، 2. e: الكسرة الممالة إلى الفتحة، 3. a: الفتحة القصيرة، 4. u: الضمة القصيرة، 5. o: الضمة نصف مغلقة، 6. o: الضمة نصف مفتوحة، 7. a: حركة مختلطة، 8. -: هذه العلامة إذا رسمت فوق الصائت فإنها تعني أن الصائت طويل.

2. الرقية الجماعية في ظفار: طبيعتها وأنواعها

تبدأ الرقية الجماعية عندما تشتد الحاجة إليها بعد أن تستمر أعراض المرض لعدة أيام، فيتفق مجموعة من الناس على ضرورة إجراء العلاج بالرقية للمريض، ويتقدم الفريق من لديه القدرة على العلاج بالرقية، فيقال: فلان "ذيقودم" /ði-ḳōdəm/، لوصف الراقي الذي يقود الفريق، وقد تختلف رقية اللدغ قليلا عن بقية الأنواع؛ إذ إنها تستدعي التدخل العاجل والرقية الفورية وهو ما يستضح عند الحديث عن أنواع الرقية أدناه.

يتجمع فريق الرقية في حلقة دائرية حول المريض الذي يكون مستلقيا على الأرض، ويجلسون على ركبهم، مع قرب قائد الفريق من العضو المصاب في جسم المريض. وفي حالة اللدغ فإن القائد يكون عند مكان اللدغ مباشرة، الذي يكون مكشوبا لامتناس السم منه في أثناء أداء الرقية (Lonnet & Simeone-Senele, 1987)، وقد يُمتص السم من أماكن أخرى يعرفها من له خبرة في هذا العلاج.

يبدأ قائد الفريق بالنقل على المكان المصاب دون إخراج الريق باستعمال كلمة النقل: /tfó/ مع ترديد اسم العلة التي يعانها المريض، قائلا: به حمرة /béh ḥamráh/، أو به حموت /béh ḥmūt/، أو به حلوم /béh ḥlūm/، ويشاركه في ترديد ذلك جميع أعضاء الفريق، الذين يقتصر دورهم الإنشادي على ترديد هذه الجملة الافتتاحية فقط بعد مجموعة من جمل الرقية التي ينشدها الراقي، ويمكن لواحد من هؤلاء الأعضاء أن يقود الفريق عندما يتعب القائد الأول، ويكون ذلك عادة في الرقية التي تطول. يستمر قائد الفريق في إنشاد جمل الرقية التي يبدأها بصوت هادئ، ثم يزداد الصوت حتى يصل إلى ذروته، ويقوم جميع أعضاء الفريق بتحريك أيديهم للأعلى وبشكل سريع.

وتتعدد موضوعات جمل الرقية بين الموضوعات المحفوظة الجاهزة والموضوعات التي يبدعها الراقي بشكل آني، ومن هذه الموضوعات: ذكر مقدرة الراقي وتمكّنه من العلاج بهذه الرقية، وذكر توارثه الرقية

من الآباء والأجداد، وذكر بعض الأسر المعروفة بالرقية، وذكر حالة المريض وتأثره، وذكر أعراض المرض من حمى شديدة في "الحمرة"، وآلام قوية في "الحموت" و"الحلوم"، وتشبيه المرض بأشياء كثيرة، مثل: الناقة والعجوز والبرق والرعد والمطر، ودم المرض أحياناً ومدحه أحياناً، والاستعانة على هذا المرض بالله سبحانه تعالى، والاستتجاد بالصغار والشباب وكبار السن والعبيد وبعض الرموز الدينية في المنطقة.

ويتضمن العلاج بالرقية الجماعية ثلاثة أنواع، تعالج حالات مرضية وعللاً مختلفة ينتج عنها سمومٌ في جسد المريض، وتعرف هذه السموم عند مستعملي هذا الطب "بالصفرة" /háy lá sáfrəh/ "إن هي إلا صفرة" (محمد ر عفيت)؛ إشارة إلى المادة الصفراء التي يفرزها الكبد وتكون سامة¹²، وتخرج من الجسم بعد الرقية في حالة الشفاء على شكل قيء أو إسهال، وقد ذكر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) أن من أسباب القيء "غلبة المرّة الصفراء وطفؤها على رأس المعدة؛ فتطلب الصعود" (د.ت، ص 102). وهذه الأنواع على النحو الآتي:

أ. رعبوت ذحمرة

يعالج بها أوجاع البطن والحلق والأسنان (محمد الشعشعي)، ويخالف هذا ما ذكر من أن "الحمرة" لا تكون في الرأس (Hein, 1909, p. 191)، وما ذكر من أنها تكون بسبب لدغ الأفاعي (Hein, 1909, p. 145; Thomas, 1938, p. 191)، وتسبب تلك الآلام حمى وغثياناً في جسم المريض؛ ناتجة عن سموم أفرزها الجسم بسبب طول فترة المرض (سعيد ر عفيت)، وتتم المعالجة في هذا النوع بالرقية فقط، مع إمكانية أن يسقى المريض لبن النوق الطازج، وتمتدّ جلسات هذه الرقية بين جلسة واحدة وثلاث جلسات حتى يبرأ المريض، وفي حالات معينة لا يستجيب المريض للشفاء؛ إذا كان يعاني من أوجاع

¹² يطلق على هذه العصارة "سيت" /sīt/ في اللغة الشجرية (الجبالية)، وتخرج من جسم المريض مع القيء، وفي حالة خروجها يشفى المريض من الآلام التي كان يعاني منها.

سببها الأورام الخبيثة (محمد ر عفيت). وتبدأ كلمات هذه الرقية بقولهم:
/béh ḥamráh/ " به حمرة".

ب. رعبوت ذحموت

تستعمل هذه الرقية في حالات لدغ الأفاعي وبصورة أقل عند لدغ العقارب، وقد تستعمل لغير حالات اللدغ، إذ يمكن أن تتم الرقية بالقرب من جحر الأفعى عند رؤيتها تدخل إليه؛ خوفاً من خطورتها على المارة؛ إذا كان جحرها على طريق عبور الناس، وحدث أن تمت الرقية للأفعى حتى خرجت، ثم ماتت¹³ (سالم بالحاف). وتسبق الرقية بعض الإجراءات التي يقوم بها من يصل إلى اللديغ أولاً، إذ يربط يده أو ساقه بقطعة من القماش تمنع انتشار السم إلى بقية أجزاء جسم اللديغ، ثم يقوم من له خبرة بامتصاص السم من مكان اللدغ بعد أن يتم فتحه بأداة حادة (الموسى أو السكين)؛ تسهل خروج السم، وقد يتم امتصاص السم أيضاً في أثناء أداء الرقية بعد أن يتجمع في مناطق معينة من الجسم كالبطن أو الجبهة، يعرفها من له خبرة بذلك (سعيد ر عفيت)، ويستعين من يمتص السم على ذلك بشرب لبن النوق، وأحياناً بسمن البقر¹⁴ (سالم الكثيري). وهذا النوع من الرقية يتم في وضع طارئ وعاجل بعد اللدغ مباشرة /arráyt ḏímah ḏa-ḥmūt ár šláḥkət/ " هذا النوع من العريّت (الرعبوت) تتم في وضع عاجل" (سالم بالحاف)، وقد يستعان أيضاً في علاج اللدغ بسائل شجرة المرّ ولبن النوق الطازج؛ تساعد جسم المريض على إخراج ما تبقى من سموم (سعيد ر عفيت). وهذه الرقية قد تستمر جلساتها إلى ثلاثة أشهر بحسب حالة اللديغ ونوع الأفعى ومكان اللدغ، وتتناوب عليها مجموعات من الفجر حتى العشاء، وتقطع الرقية لأداء الصلاة أو النوم، وإن كان وضع اللديغ

¹³ يورد الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه (الحيوان) أن الحوّاء (الذي لديه خبرة بالحيات) يحتال على من كان عنده بقدرته على إخراج الأفعى من جحرها بالرقية، ويعللّ الجاحظ خروج الأفعى بأنها من الكائنات التي تنكر الصوت، مثل: الضب والضبع، فتخرج استجابة لأي ارتفاع في الصوت حتى وإن رفع الشخص صوته ببيت شعر أو بخرافة (1966، ص ص 188-189).

¹⁴ يورد الرازي (ت 313 هـ) في كتابه (الحاوي في الطب) دور سمن البقر في منع سم الأفاعي من الوصول إلى القلب (2000، ص 157)، وفي ظفار لا يعطى السمن للديغ، ويستعين به من يمتص السم حتى لا تحرق شفتيه.



يستدعي الاستمرار في الرقية، فإنها قد تؤدي أيضا من بعد صلاة العشاء حتى الفجر (محمد رعبوت). وتبدأ كلمات هذه الرقية بقولهم: /béh ħmūt/.

ت. رعبوت نحلوم

تستعمل هذه الرقية في علاج بعض الآلام في أطراف الجسم، التي قد يكون سببها حالات التسمم الناتجة عن جرح خلفه دخول مسمار أو شوكة في القدم أو اليد، فينتج عنه تورم أو خراج، يعبر عنه في المهرية بكلمة "مهيلوت" /muhīlōt/، أو نتيجة آلام شديدة في الأطراف سببها جرح داخلي غير ظاهر على سطح الجلد.

وجاءت كلمة (حلوم) في تسمية هذه الرقية من أسطورة مفادها أن الأفعى حلمت أنها لدغت شخصا، وسبب له ذلك تلك الآلام: bér /taħlóm tikbós/ "قد حلمت أنها تعضه" (محمد الشعشعي)، وعليه فإن رقية هذا النوع تشبه إلى حد كبير رقية اللدغ وتختلف عنها في قولهم: /béh ħlúm/ "به حلوم" مع هذه الرقية بدلا من /béh ħmūt/ في رقية اللدغ، وفي نهاية الرقية التي قد تستمر إلى ثلاثة أو أربعة أيام يخرج القيح من الجرح أو الخراج، ويبرأ المريض ويشعر بالتحسن.

3. تسميات ومقارنات معجمية

يعرف هذا الطب بعدد من التسميات تختلف باختلاف الجماعات الكلامية المستعملة لهذا الطب في بيئات ظفار المختلفة، وهذه التسميات هي:

أ. رعبوت /ra'ḇōt/، ورا بوت /rābōt/: بالعين أو دون العين¹⁵، هو الاسم الشائع عند عامة الناس للتعبير عن أنواع الرقية الجماعية الثلاثة: "حمرة" و"حموت" و"حلوم"، على الرغم من اتساع دلالة هذه الكلمة، إذ تشمل الأنواع الثلاثة من الرقية بالإضافة إلى دلالتها على رقية

¹⁵ لمعرفة وضع صوت العين في اللغة المهرية يرجع إلى: روبن (Rubin, 2018)، وصابرنا وفيليب (Bendjaballah & Philippe, 2017).

الشعوذة التي تقدّم فيها القرابين (سالم بالحاف). وعند مقارنة هذه الكلمة مع ما ورد في المعاجم العربية نجد في مادة (رعب) هذين المعنيين: أولاً: "شدة الصوت ورفع" (العين، ج2؛ المُحْكَم والمحيط الأعظم، ج2؛ لسان العرب)، ثانياً: "رقية من السحر تعتمد على السجع" (جمهرة اللغة، ج1). وعند النظر في المعاني التي وردت لهذه الكلمة في المعاجم نجد أنها تتفق بشكل كبير مع ما يتمّ في الرقية المدروسة، التي يظهر تأثيرها الإيجابي على المريض عند رفع الصوت بهذه الرقية (محمد رعبيت)، كما أنّ هذه الرقية تقوم بشكل كبير على السجع، وهو ما سيظهر في تحليل نصوص الرقية في المبحث (10) من هذه الدراسة. أما أنها يرقى بها السحر فهذا قد يوافق الجزء الآخر من هذا الطب الذي يعالج به المرضى من خلال الرقية وتقديم القرابين، وهناك أيضاً اعتقاد شعبي يؤمن به العامة مفاده أن السحر والأرواح الشريرة سبب لكثير من الأمراض (محمد رعبيت).

ب. رعباه /ra'bah/: تستعمل هذه الكلمة عند قبائل بيت كثير في بادية ظفار، ولا يستعملون -بعكس الجماعات الكلامية الأخرى- إلا كلمة واحدة للدلالة على هذه الرقية.

ج. عرّيت /'arráyt/، وأرّيت /'arráyt/: بالعين أو دون العين، يفضّل الأطباء من قبيلة المهرة استعمال هذه التسمية، مخصصين بها الرقية الجماعية فقط لعلاج أنواع العلل الثلاث (حمرة وحموت وحلوم)، إذ إن بين هذه التسمية وتسمية "رعبوت" عموماً وخصوصاً، فكل عرّيت رعبوت وليس كل رعبوت عرّيت. وترد هاتان الكلمتان معاً في نصوص الرقية المسجلة لهذه الدراسة:

- يهاريرم /yəhārīrəm/ "يستعملون العرّيت": اشتقت من كلمة "عرّيت".
 - هيس رعب مشندوم /hēs ra'ōb məšandōm/ "لها ناس متخصصون فيها؛ أي الرعبوت".

وعند مقارنة هذه الكلمة مع ما ورد في مادة (عرر) في المعاجم العربية نجد أن من معاني هذه الكلمة "الصياح" (لسان العرب).

د. **نعروت** /n'irót/: ترد هذه الكلمة عند مستعملي الرقية الجماعية من الناطقين باللغة الشحرية (الجبالية) في أرياف ظفار، ويشعرون أنها أخصّ من كلمة "رعبوت" التي تتسع لتشمل أيضا الرقية الفردية التي يُتّكسب منها وتقدّم فيها القرابين. ويذكر أحد الرواة أن عامة الناس من غير المشتغلين بهذا الطب في أرياف ظفار يطلقون كلمة "رعبوت" على الرقية الجماعية، وهو ما ينكره عليهم الأطباء المختصون، الذين يفضلون تخصيص هذا الطب بكلمة "نعروت". (سالم الكثيري).

وعند مقارنة هذه الكلمة مع ما ورد في المعاجم العربية، نجد في مادة (نعر) إشارة إلى أن معنى هذه الكلمة يتضمن "شدة الصوت والصياح" (العين، ج2؛ لسان العرب).

أما التسميات الدالة على أنواع الرقية الجماعية، التي يعبر عنها بالمعنى العام "رعبوت"، أو بالمعاني الخاصة: "عريّت" عند الناطقين بالمهرية، و"نعروت" عند الناطقين بالشحرية (الجبالية) فهي على النحو الآتي:

هـ. **حمرة** /hámrah/: لا يعرف بالتحديد المقصود بهذه الكلمة، وإن كانت ترد عند البدو من المهرة وبيت كثير في الدعاء بالضرر، إذ يقولون: علّك حمرة /'állək hámrah/ بمعنى تصيبك "الحمرة"، ويرى البعض أنها قد تعني الإصابة بمرض معين أو الإصابة بمسّ من الجن (محمد الشعشي). وقد أورد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) في مادة (حمر) أن "الحمرة داء يعتري الناس فتحمرّ مواضعها، يُعالج بالرقية" (العين، ج3)، ويتفق ما ذكره الخليل مع هذا النوع في أن العلاج يتم بالرقية؛ لوجود عارض صحي يصيب الشخص.

و. **حموت** /hmút/: تأتي كلمة حموت في اللغة المهرية بمعنى سم الأفاعي والعقارب، وفي المعاجم العربية يرد في مادة (حمو) أن الحمة "سمّ كل شيء يلدغ أو يلسع (لسان العرب).

ي. **حلم** /hlúm/: تعني هذه الكلمة بحسب الرواة معنيين، هما:

- المعنى الأول: الحلم، أي أن الأفعى تحلم بأنها تلدغ المريض؛ فيعرض له الألم والورم جراء هذا الحلم.

- المعنى الثاني: الورم، ويقال في الشجرية (الجبالية): أحليم /^ʔahlím/ بمعنى تورّم بدنه (سالم الكثيري).

ويرد في مادة (حلم) في المعاجم العربية بالإضافة إلى الحلم والرؤيا، أن (تحلم) تعني " السمنة والاكتناز " (لسان العرب).

4. بين الرقية الجماعية والرقية الفردية

يطلق على الرقية في ظفار بشكل عام اسم "رعبوت"، وتدلّ هذه التسمية على نوعين متميزين من الرقية على النحو الآتي:

أ. الرقية الفردية

تتم بزيارة المريض إلى طبيب يعالج حالات المس من الجن، وفي حالات معينة فإن الطبيب نفسه يعرض على مريض معين أن يعالجه بالرقية /^ʔthám la-rʔób lók?/ " هل تريدني أن أربع عليك؟" (محمد رعيت). وفي مقابل ذلك فإن الطبيب في هذا النوع من الرقية يطلب من المريض مبلغاً من المال /^ʔyəṣáyṭəm lís dfáʔ/ " يأخذون مقابل العلاج مالا"، كما أن الرقية قد تتم بكلمات غير مفهومة في بعض الأحيان، مع استعمال كلمة "وهوف" /whóf/ وإصدار أصوات مزعجة مع تحريك الشفتين بشدة، ويعقب ذلك أن يصل الطبيب إلى حالة الإغماء، وربما يقوم بذلك من باب التمثيل (سعيد رعيت)، وبعد ذلك يسأل المرافق الطبيب عن وضع المريض، ويذكر له اسم المريض مقروناً باسم والدته لا والده، فيصف له الطبيب وصفة علاجية؛ كأن يطلب إليه أن يذبح شاة سوداء أو ناقة أو بقرة أو ديكاً، ويترك المذبوح بعد ذلك في مكان معين عند غروب الشمس (سالم رعيت).

ونتيجة لهذه الوصفات والرقية غير واضحة الكلمات أحياناً، فإن رواية الدراسة الحالية ينظرون إلى هذا النوع من الرقية على أنه شعوذة وفعل

آثم، يتعارض مع الإسلام /rābót hēs sákk/ "الرعبوت فعل آثم". وقد استطاعت الدراسة الحالية أن ترصد بعض كلمات هذه الرقية¹⁶، مثل:

كلمات الرقية الترجمة

1. whóf whóf وهوف وهوف
2. wəṣ-šalín ṭawwóh وصل صلّين ليلا (صلّين: اسم بغير أو جني)
3. bér ših šaθáyt wəṣáh كان يسير لمدة ثلاثة أيام
4. bəθ-θróh wərádf ويمطيه راكبان

ب. الرقية الجماعية

تتم بشكل جماعي في معظم حالاتها، سواء أكانت بدعوة من أهل المريض لمجموعة من الناس ممن يجيدون الرقية، أم بإحساس مجموعة من الناس أن شخصا معيناً به علة معينة تستدعي الرقية /gədón nar'ób léh/ "ها نرعب عليه"، ولا يطلب الطبيب في هذه الرقية مالا مقابل ما يقوم به، ومع ذلك فإن الرقية التي تستمر لفترة طويلة، قد تصل إلى أيام تستوجب أن يُكرم أهل المريض من يقوم بالرقية، بإعداد وليمة لهم وإعطاء قائد الفريق ومن معه مبلغاً من المال دون أن يطلبوا ذلك (سعيد ر عفيت، وسالم الكثيري).

ويطلق على الرقية بشكل عام في ظفار مصطلح "رعبوت"، ويتضمن هذا المصطلح الدلالة على نوعي الرقية: الفردية والجماعية، وعليه فإن الأطباء من قبيلة المهرة يفضلون أن يخصصوا الرقية الجماعية باسم "عريّت" /'arráyt/، ويخصص الناطقون بالشحرية (الجبالية) لهذا النوع اسم نعروت /n'irót/. ويشعر الرواة أيضاً أن هذه الرقية

¹⁶ كلمات الرقية الفردية بحاجة إلى دراسة مستقلة؛ لأن نماذجها كثيرة ومتنوعة بالإضافة إلى أنها تؤدي في بيئات ظفار المختلفة، كما أنها قد تؤدي بكلمات من اللهجة العربية لبدو بيت كثير، على الرغم من أغلب كلمات هذه الرقية تؤدي باللغة المهرية.

الجماعية -بعكس الرقية الفردية- ليست من السحر أو الشعوذة أو الطيرة (سعيد رعفيت).

5. مبطلات الرقية الجماعية

يرى القائمون على هذه الرقية أن هناك جملة من الأشياء إذا توافرت كلها أو بعضها فإنها تقلل من فاعليتها ونتائجها، أو قد تدفع بالراقي إلى عدم التشجع لأداء الرقية ومن ثم الاعتذار عنها، أو أنها تؤدي إلى عدم القدرة على الاستمرار في أدائها من خلال تأثيرها المباشر على الراقي؛ إذ يصاب بألم في الحلق، ولا ينطلق لسانه بالرقية (محمد رعفيت). وتكمن هذه الأشياء في العناصر الآتية:

أ. المعدن

يجب أن يتجرّد المريض وجميع المشاركين في الرقية من المعادن بكافة أنواعها، كالحديد والذهب والفضة (سعيد رعفيت)، وعليه يجب نزع الساعات والمفاتيح والمجوهرات (Simeone-Senelle, 1995). ويزعم المتخصصون في العلاج بهذه الرقية أن وجود المعدن يؤثر في الراقي ولا ينطلق لسانه بالرقية.

وللمعدن وظيفة أخرى في الثقافة الشعبية اللفارية، إذ يُنصح المختون والنساء بإمسك الحديد في أيديهم عند الخروج؛ لقضاء حاجة خارج المنزل، كما يترك الحديد عند الرضيع في فترة نفاس أمه؛ بحجة أن الحديد يمنع وصول الأرواح الشريرة إليهم في فترة عدم الطهارة والاعتسال (تسلوم الكثيري)، ومما يروى أيضا في الثقافة الشعبية أن هناك نبتة تدعى "عذفير" /*adfer*/ تستعمل في علاج آلام الأرجل، ولكن مفعولها يبطل إذا كانت مطلة على البحر، وللحد من تأثير البحر في إبطال مفعولها يتم وضع الحديد بجوارها (منى المهري).

وللمعدن حضور أيضا في الثقافة العربية؛ إذ يرد في كتب التراث أن اللدغ تعلق عليه الحلي من الأساور وغيرها، حتى لا ينام؛ فينتشر السمّ فيه (ابن طباطبا العلوي، 2005)، وقد تفسّر ضرورة التجرد من الحلي والمعادن في الطب الشعبي المدروس بفاعلية الرقية وقدرتها على نزع السم، بالإضافة إلى ما يقوم به المختصون في رقية اللدغ (رعبوت



ذحموت) من امتصاص السم، وفتح مكان اللدغ وأماكن أخرى تساعد على خروج السم من اللدغ.

ب. النجاسة

من الواضح أن الطهارة من النجاسة عنصر مهم في الثقافة الشعبية الظفارية؛ تقي من تأثير الأرواح الشريرة، وهي عنصر مهم وأساسي في الرقية المدروسة، ولا تؤتي الرقية مفعولها إلا مع طهارة كل أعضاء الفريق المشاركين في أدائها (محمد رعفيت)، ويزعم الراقي أن الحلق يصاب بالجفاف ولا تنطلق اللسان، إذا كان بين الحضور والمشاركين شخص به نجاسة.

ث. العلاج الحديث (المستشفيات)

قلص ظهور المستشفيات والطب الحديث مكانة الرقية الجماعية وأهميتها، وفضل الناس الاستفادة من أدوية المستشفى؛ مما جعل العلاج بالرقية مهمّشا إلى حدّ ما، ولكن يحدث أحيانا ألبيرأ المريض المعالج في المستشفى بشكل كلي، فيطلب الرقية وعندها لا يكون للرقية الفاعلية العلاجية المطلوبة؛ بسبب حصول المريض على العلاج والأدوية من المستشفى كما يزعم المعالجون بالرقية.

وفي هذا الصدد يذكر أحد الرواة أن معالجا بالرقية من قبيلة المهرة كان منوما في مستشفى صلالة عام 1979، وأحضر إلى جواره رجل ملدوغ؛ لتلقي علاج المستشفى، وعند معرفة الراقي أن الشخص ملدوغ لم يهدأ له بال، ودفعه الحماس إلى أن يطلب من الحضور تأدية الرقية، وشاركهم في ذلك، ولكنه لم يشعر بفاعلية الرقية ونجاعتها؛ بسبب ادعائه أن الملدوغ عولج بأدوية المستشفى قبل الرقية (محمد رعفيت).

د. الأمراض الخبيثة وحالة المريض الحرجة

تعالج الرقية عددا من العلل، ولكنها لا تستطيع علاج الأورام الخبيثة (سعيد رعفيت)، وتؤثر حالة المريض أيضا في دافعية الراقي لأداء الرقية في حالات اللدغ، فإذا كانت حالة المريض ميؤوسا منها، فإن الراقي قد يتوقف ولا يكمل الرقية (سالم بالحاف).

5. مشروعية الرقية في الإسلام

كانت الرقية من الطقوس العلاجية التي تستعمل لعلاج بعض الأمراض والعلل عند العرب في الجاهلية، مثل: اللدغ والقروح والإصابة بالعين، وعندما جاء الإسلام ارتاب المسلمون من الرقية بغير القرآن وسنة النبي ﷺ، فكانوا يعرضون أدويتهم وما لديهم من رقى وتعاويذ على النبي ﷺ؛ خوفا من الوقوع في محذور الشرك (النجار، 1995)، وذلك بعد أن ورد حديث عن رسول الله ﷺ ذكر فيه الذين يدخلون الجنة بغير حساب، و"هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون" (البخاري، 2016، رقم 5752). وأحدث ذلك حرجا واضحا لدى المؤمنين ممن كانوا يرقون قبل الإسلام¹⁷؛ مما جعل عددا منهم يطلبون الإذن من النبي قبل الرقية كما يظهر في الأحاديث الآتية:

- "كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك" (القشيري النيسابوري، 1991، رقم 2200).
- "كان لي خال يرقني من العقرب، فنهى رسول الله ﷺ عن الرقى. قال: فأتاه، فقال: يا رسول الله إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقى من العقرب، فقال: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل." (المرجع نفسه، رقم 2199).
- حدث "أن رجلا من الأنصار خرجت به نملة¹⁸، فدل أن الشفاء بنت عبد الله ترقى من النملة، فجاءها فسألها أن ترقيه، فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت فذهب الأنصاري إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بالذي قالت الشفاء، فدعا رسول الله ﷺ الشفاء، فقال: "اعرضي علي" فأعرضتها عليه، فقال: "ارقيه وعلميها حفصة كما علمتها الكتاب" (الحاكم النيسابوري، 2002، ص 63).

¹⁷ ورد عن الداودي وطائفة من العلماء "إن المراد بالحديث الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة؛ خشية وقوع الداء وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا" (ابن حجر العسقلاني، 2013، ص 572).

¹⁸ نملة: قروح تخرج في الجنين.

ويفهم من الأحاديث أعلاه عدم تحريم النبي ﷺ للرقية إلا إذا كان فيها شرك، كما أنه ﷺ أجاز الرقية التي جُربت منفعتها للمسلمين، وورد عنه ﷺ أن العلاج بالرقية من قدر الله بعد أن سئل ﷺ إذا كانت الرقية تردّ من قدر الله شيئاً (ابن ماجه، دبت، رقم 3437).

ومن صور الرقية التي أجازها الإسلام الرقية من الوجع والقرحة والجرح والحية ولدغة العقرب وإصابة العين¹⁹ ووجع الأذن، والنملة (ابن حجر العسقلاني، 2013)، مع تشديده ﷺ على أهمية الرقية من العين والحمة، إذ لا رقية أولى وأنفع منها في هاتين الحالتين (المرجع نفسه)، ويظهر ذلك في الأحاديث الآتية:

- " رخص رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار من كل ذي حمة²⁰" (القشيري النيسابوري، 1991، رقم 2193).
- " رخص في الحمة والنملة والعين" (المرجع نفسه، رقم 2196).

وقد أجاز النبي ﷺ أخذ أجره على الرقية بالقرآن:

- حدّث: أن ناساً من أصحاب رسول ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحيّ من أحياء العرب، فاستضافوهم فلم يضيّفوهم. فقالوا لهم: هل فيكم راق؟ فإن سيّد القوم لديغ أو مصاب. فقال رجل منهم: نعم. فأتاه فرقاها بفاتحة الكتاب، فبرأ الرجل فأعطي قطيعاً من غنم فأبى أن يقبلها، وقال: حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب. فتبسّم وقال: "وما أدراك أنها رقية؟" ثم قال: "خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم" (المرجع نفسه، رقم 2201).
- وعلى الرغم مما ورد من جواز بعض صور الرقية الجاهلية التي جُربت منفعتها، ما لم يكن بها شرك، فقد انشغل المسلمون عنها

¹⁹ "يلتحق بالعين جواز رقية من به خبلٌ أو مسٌ ونحو ذلك لاشتراكهما في كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنسي أو جني، ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قُرْح ونحوه من المواد السميّة" (ابن حجر العسقلاني، 2013، ص 542).

²⁰ الحمة: ذوات السموم كلها.

بمجموعة من الرقى الإلهية استعملوها في التحصين والتداوي حضّ عليها النبي ﷺ، منها:

- قال أنس: ألا أرقبكم برقية رسول الله ﷺ قال: بلى قال: " اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً" (البخاري، 2016، رقم 5742).
- قال رسول الله ﷺ: " خير الدواء القرآن". (ابن ماجه، دبت، رقم 3501).
- كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها: "باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيمنا بإذن ربنا"²¹. (القشيري النيسابوري، 1991، رقم 2194).

وقد شدّد عدد من العلماء على ضرورة توافر ثلاثة شروط لجواز الرقية، هي: أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله وصفاته، وأن تكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وألا يعتقد بقدرة الرقية على الشفاء دون تقدير الله تعالى (ابن حجر العسقلاني، 2013)، وإن كان هناك أيضا من أجاز كل رقية جُربت منفعتها ولو لم يعقل معناها شريطة ألا يشرك بالله شيئا (المرجع نفسه).

وعند النظر إلى الرقية الجماعية المدروسة، فإنها بإجماع رواة الدراسة الحالية قد ثبتت منفعتها لعدد كبير من الناس، ومع ذلك فثمة حالات ذات علل صعبة لم تبرأ بعد الرقية وفارقت الحياة، كما أن هناك إيمانا واضحا لدى المشتغلين بهذه الرقية بأنها قد تكون سببا في الشفاء بقدرة الله (سعيد رعفيت)، وأخيرا فإن كلمات هذه الرقية وإن كانت ليست باللسان العربي المبين، إلا أنها بلسان عربي جنوبي؛ أي باللغة المهرية، وكلماتها مفهومة وواضحة على الرغم من أن معناها قد لا يعقل أحيانا، ومثال ذلك قولهم في الرقية: / káwt-i mán-s /

²¹ ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل ويقول هذا الكلام في حال المسح. (القشيري النيسابوري، 1991، ص 1724).

/mūklēt/، بمعنى أنني أقتات من المرض الذي أعالجه بالرقية، ولا تتم الرقية إلا بعد وقوع العلة أو الداء كما سبق توضيح ذلك، ويظهر فيها أيضا التأثير الإسلامي في كلماتها وجملها.

أما الرقية الفردية فإن جملها قد تكون رمزية وأحيانا تؤدي بتمتمات غير واضحة المعنى مع إصدار أصوات مزعجة من الراقي نفسه، وتتم أحيانا بأن يعرض الراقي على شخص ما أن يقوم برقيته بعد أن يوهمه منجما بأنه مصاب بمرض يستدعي الرقية، ويذكر في أثناء الرقية أن المريض يعاني من العلل كذا وكذا، ويؤكد عليه بأنه لن يشفى إلا بتقديم القرابين ورميها في مكان بعيد بعد ذبحها (محمد ر عفيت).

6. التأثير الإسلامي في الرقية المدروسة

يبدو التأثير الإسلامي واضحا في الرقية الجماعية في ظفار، وهو بخلاف ما أشارت إليه سينيل من أن المعجم الديني يبدو غائبا في كلمات الرقية، بما في ذلك البسمة (Simeone-Senelle, 1995). وقد استطاعت الدراسة الحالية أن ترصد عددا من الظواهر التي تجسد الحضور الإسلامي في هذه الرقية على النحو الآتي:

- هناك نوع من أنواع الرقية المدروسة، وهو النوع الخاص باللدغ (رعبوت ذحمت) عادة ما تستمرّ فيه جلسات الرقية لمدة أيام، وفي اليوم الواحد يستريح أعضاء فريق الرقية عند حلول وقت الصلاة، ويذكرون أن هذه الرقية تتم من صلاة فريضة إلى أخرى / mən fārṣ /
/lə-fārṣ /

- وردت غير جملة في تسجيلات الدراسة الحالية يظهر فيها التأثير الإسلامي بشكل واضح وجلي، مثل: /káyɾəb fārṣ ḏə-ṣalót/ "اقترب وقت صلاة الفريضة"، /bísm illáh bar-rəḥím/ "بسم الله الرحيم"، /lhés bul-láh ba-lə-ʔaḏím/ "نستعين عليها بالله العظيم".

- الطهارة عنصر أساسي للاستمرار في الرقية الجماعية، ولا يمكن الاستمرار فيها إذا كان بين المشاركين من كانت به نجاسة، إذ يزعمون أن الراقي يستشعر النجاسة، ويظهر ذلك واضحا عليه من خلال عدم قدرته على الإنشاد؛ بسبب عارض يعرض له في حلقه فلا ينطلق لسانه

بالرقية (محمد رعفيت)، وتعدّ الطهارة من مقتضيات الدين الإسلامي وشرطا لصحة العديد من العبادات، وهي أيضا من الطقوس الدينية القديمة المستعملة في العلاج (يحيى، 2019).

- الرقية الجماعية ليس فيها إلا النفث والسياح، وأحيانا المص في حالة اللدغ (محمد رعفيت)، وهو ما لا يتعارض مع الرقى التي أجازها الإسلام، ويعدّ النفث من عناصر الرقية الإسلامية التي ثبتت في غير حديث روي عن الرسول ﷺ. والتفل والنفث يأتیان في مقدمة رقية كل نوع من أنواع الرقية الجماعية المدروسة باستخدام كلمة /tfó/.

- هناك إشارة إلى بعض الرموز الدينية في هذه الرقية، مثل الإشارة إلى أحد الأولياء، وهو الشيخ الجوهري²²، ويرد في نص الرقية قولهم:

/l-hís bə-šáyx gawhrí/ " نستعين على العلة والمرض بالشيخ الجوهري"، وقد كان لأضرحة الأولياء مكانة دينية واجتماعية معتبرة في المنطقة، وهناك الكثير من الأساطير التي نسجت حول قدرة هؤلاء الأولياء على إلحاق الضرر بمن يأتي فعلا مذموما، مثل: السرقة أو الزنا أو الكذب (سالم الكثيري)، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن من عادة الناس في ظفار أن يطلبوا النجدة والمساعدة الأنية من شخص يرون فيه القدرة على ذلك، وفي المقابل فإنهم يذمون من يعتذر عن منحها بقولهم: /bhár-k bé-š bó šabhér ló/ "طلبته النجدة وامتنع عنها". وفي الرقية المدروسة فإن الراقي يطلب النجدة بالمعنى المحلي الخاص بالنجدة من الله سبحانه وتعالى، ومن الشيخ الجوهري ومن الأطفال والشباب الأقوياء والشيوخ الكبار، ومع ذلك فإن جملة طلب النجدة من الشيخ الجوهري لم تعد محبذة في نصوص الرقية في الوقت الحالي (سعيد رعفيت).

7. دور المرأة في الرقية المدروسة

للمرأة حضور في الرقية الجماعية سواء بالمشاركة في أداء الرقية في حالات خاصة، أو بالقيام بامتصاص السمّ إذا كانت أول الواصلين إلى

²² يوجد ضريح الشيخ الجوهري في بلاد المهرة، وكان الناس في المنطقة قديما يقسمون عند الضريح في حالة التهم والسرقات (محمد الشعشي).

الشخص اللديغ، وعلى الرغم من هذه المساهمات التي تقوم بها المرأة في الرقية الجماعية وما يتعلق بها، إلا أنّ بعض الإشارات التي وردت في الدراسات السابقة تنفي هذا الدور للمرأة نفيًا مطلقًا (Tabook, 1997, p. 120)، وقد جاء النفي أيضا في النص الأول من النصوص التي جمعها سيما من أحد الرواة (Sima, 2009, p. 44). ورصدت الدراسة الحالية بعض المظاهر التي تدلّ على هذا الحضور والمشاركة للمرأة على النحو الآتي:

- يذكر أحد الرواة أن ثمة رجلا بدويا لدغته أفعى وكان أول الواصلين إليه امرأة، فقامت بامتصاص السم من مكان اللدغ، وكان السم يفقدها الوعي ولكنها تستفيق بعد ذلك مواصلة الامتصاص، قبل أن يصل مجموعة من الرجال إلى اللديغ ليقوموا بريقته، ولم تشارك المرأة في الرقية (محمد ر عفيت).

- مشاركة المرأة في الرقية محدود؛ بسبب حيائها وعدم قدرتها على المشاركة أمام رجال من غير محارمها، ولكنها تشارك في الرقية التي يكون المشاركون فيها من محارمها (محمد ر عفيت).

- وردت جملة في التسجيلات التي جمعها الباحث من نصوص الرقية تثبت بشكل جلي الدور الواضح للمرأة في الرقية: /bét hažlén / "بيت حجلان (فخيدة من المهرة) قادرون على أداء الرقية رجالا ونساء" (محمد ر عفيت).

8. الأسر المعروفة بالرقية الجماعية في ظفار

هناك مجموعة من الأسر التي عُرفت بقدرتها على أداء الرقية الجماعية، وأغلب هذه الأسر تنتمي إلى قبيلة المهرة؛ لأن أغلب صور هذه الرقية تؤدّى باللغة المهرية، وهناك أيضا عدد من الأسر البدوية من قبيلة بيت كثير عُرف عنها قدرتها على أداء هذه الرقية.

ويطلق على الشخص الذي لديه سرّ هذه الرقية؛ بمعنى الذي لديه القدرة على أدائها بالصياح وإبداع الجمل المسجوعة الجديدة، يطلق عليه في اللغة المهرية كلمة "مشندم" /mšandím/، والجمع "مشندم" /mšandúm/، ويختلف تأثير الرقية على المريض باختلاف الراقي،

وعادة ما تكون النتائج جيدة إذا كان الراقى من الأسر التي عرفت بالرقية، ويخبر أحد المرضى بعد تلقّيه الرقية وشفائه من المرض، أن تأثير رقية كل شخص فيه كان مختلفاً، ومن بينهم شخص (ذكره بالاسم) إذا بدأ الرقية فإنه - أي المريض - يشعر بألم شديد جداً؛ إشارة إلى قرب خروج السم من الجسم، ومن ثم التعافي (محمد رعفيت). ويعبّر عن قدرة الأسرة على أداء الرقية وتاريخها في هذا المجال في نصوص الرقية باستعمال ألفاظ من قبيل:

- /ší bés sárx, ší snég/ "الذي جذور أسرية تعرف هذه الرقية".

- /bét... mšandúm/ " أسرة كذا وكذا معروفة بالرقية".

- /sós wə-sós ʿawdín/ " نتوارث هذه الرقية أبا عن جد".

أما الأسر التي عرفت بالرقية فأغلبها من المهرة، ويرد ذكر اسم الأسرة مقرونا بكلمة "مشندُم" في نصوص الرقية، مثال: /bét /hamdín mšandúm/ "بيت حمدين (فخيدة من بيت رعفيت المهريّة) معروفون بالرقية". وهذا تفصيل لبعض الأسر المعروفة بالرقية من قبيلة المهرة على سبيل المثال لا الحصر:

- بيت عامر جيد، ومنهم: فخيدتا: بيت دمريك وبيت حجلان.

- بيت بالحاف، ومنهم: فخيدة بيت شنّاف.

- بيت رعفيت، ومنهم: فخيدة بيت حمدين

- بيت السليمي.

- بيت كدّة، ومنهم: فخيدة بيت خميس (سعيد رعفيت).

كما أن هناك عدداً من الأسر من قبائل بيت كثير البدوية التي لديها القدرة على الرقية والإبداع فيها؛ إذا يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، وبعض هذه الأسر تذكر في نصوص الرقية مقرونة بكلمة "مشندُم" تأكيداً لهذه المقدرة التي يمتلكونها، وهذه الأسر هي:

- بيت شعشع (الشعاشعة).

- بيت غوّاص. (محمد الشعشعي)

9. لغة الرقية المدروسة

يعتمد هذا الطب بصورة كبيرة على قوة كلمات الرقية في شفاء المريض بمشيئة الله من خلال إبطال تأثير السموم المتراكمة في الجسم، سواء أكان ذلك بسم مباشر من لدغ الأفاعي أم بتأثير الحمى والأورام التي تشكّل سمًا في جسم المريض (Tabook, 1997, p. 119).

وتتسم كلمات الرقى والتعاويذ بشكل عام بطابعها الثابت، وعدم إمكانية التغيير فيها أو تحريفها لدرجة أنها قد تؤدي بلغة أجنبية كما ورد في بعض تعاويذ مصر القديمة؛ حفاظا على خصوصية كلماتها، وإيمانا بقوتها في تحقيق النتائج المرجوة منها، إذ إن منطوق هذه التعاويذ لها قيمة تعلو مدلولاتها (غليونجي، 1999، ص 13).

أما كلمات الرقية الجماعية المدروسة فإنها تؤدي باللغة المهرية، التي لا يشعر الناطقون أنها لغة أجنبية²³، أما من حيث الثبات والجمود في الكلمات والجمل فإن هذه الرقية تجمع بين الجمل الثابتة المحفوظة والإبداع الآني، الذي يختلف بين راق وآخر، بل إن الإبداع وعدم تكرار الجمل المحفوظة من علامات تمكّن الراقي:

bár hārēš, hér essūr bēs ár ḥa-túngəh bár ḥat-/ -

ابن حارث (من بيت دمريك المهري) إذا بدأ الرقية فإنه لن يكرر الجمل مطلقا حتى وإن

طوّل بالرقية لمدة يوم كامل ليلا ونهارا".

وعلى الرغم من أن لغة الرقية الجماعية بشكل عام هي المهرية عند كل الراقين في ظفار، بما فيهم قبائل بيت كثير البدوية، إلا أن انتشار الرقية بشكل كبير عند البدو من بيت كثير أثر في ظهور بعض

²³ أغلب الناطقين بالنوعيات اللغوية المختلفة في ظفار - وبخاصة قبل اتساع انتشار التعليم النظامي عام 1970 - لا يجدون صعوبة في التواصل مع المهرة والنطق باللغة المهرية؛ بسبب التداخل الاجتماعي والاقتصادي الكبيرين بين الناس في ظفار، مما ينتج عنه القدرة على التواصل بين أبناء ظفار على اختلاف النوعيات اللغوية التي يستعملونها (عامر الكثيري وآخران، بحث غير منشور، بعنوان: الوضع اللغوي في ظفار: مقاربة لسانية اجتماعية).

خصائص لهجتهم²⁴ في كلمات الرقية وجملها، بداية من تسمية هذا الطب فهو عند بيت كثير: رعباه /raʕbāh/ فقط، وعند غيرهم: رعبوت /raʕbōt/، ورابوت /rābōt/، وعرّيت /ʕarráyt/ وأرّيت /arráyt/، ونعرّت /nʕirót/، كما أن هناك تباينا في بعض الكلمات والجمل بين رقية بيت كثير ورقية غيرهم من المهرة ومن له ارتباط بهم من سكان أرياف ظفار:

نماذج من الرقية باللغة المهرية	مقابلاتها في اللهجة الكثيرة المعنى بالعربية	الفصيحة البدوية
/ðékər rább massəblət/	/bísm illāh bar-rəḥīm/	البسمة
/lís šəbāb wāfyín/	/l-hís šubōn mazahḥəyén/	نستجد بالشباب
أو /hís šbōb gazəyín/		الأقوياء على
		سموم هذه العلل.

10. ظواهر لغوية متفرقة من نصوص الرقية الجماعية

يروم هذا المبحث رصد بعض الظواهر اللغوية الواردة في نصوص الرقية المدروسة، وتفصيل ذلك في الآتي:

أ. الاقتراض اللغوي

أشارت الدراسات السابقة إلى ظاهرة الاقتراض اللغوي من اللغة العربية في نصوص الرقية (Lonnet & Simeone-Senele, 1987; Simeone-Senelle, 1995)، ويظهر الاقتراض بشكل واضح في نصوص الرقية المدروسة على النحو الآتي:

المعنى	نص الرقية	الكلمة المقترضة
الأفعى فيها خطوط بانئة واضحة	bís maxtút baynín	1 baynín
للأفعى أماكن خافية.	hís lagfóf xāfín	2 xāfín
أستعين بجيشي وصفي عليها	gáyši lís, šáffi lís	3 gáyši, šáffi

²⁴ من مظاهر اختلاف الرقية بين بيت كثير والمهرة أن لغة الرقية الفردية التي تعتمد على التتجيم – بحسب النماذج التي اطلع عليها الباحث- يؤديها بدو بيت كثير باللهجة الخاصة بهم.

نستعين عليها بجيش عمرم.	lís	bə-gés ʿarmím	bə-gés 4 ʿarmím
نستعين عليها بأطفال صغار	lís	ḵanyún ṣağurín	ṣağurín 5
هي (العلة) عجوز مغبرة.	sáh	ḏā-gúz ğabbarót	ğabbarót 6
أسقيها سما		ʾaḥayáḵə-s sámm	Sámm 7
هي (الأفعى) تلدغ	sáh	ḵábṣt ʾalidóg	ʾalidóg 8
وتجعل منه مصروفا.	wə-tāmalá-h	maṣrōf	maṣrōf 9

ب. السجع

يعدّ السجع عنصراً رئيساً في هذه الرقية، وتكون أغلب جمل الرقية مسجوعة، وينتقل الراقى من روي إلى روي آخر بعد جملتين مسجوعتين أو أكثر (أمثلة 3، 2، 1 أدناه)، وهنا تكمن مقدرة الراقى وتمكنه، ومع ذلك فإن الراقى قد لا يساعده الإبداع الآني على الإتيان بالجمل المسجوعة المنضبطة في كل المرات، ومن ثم تظهر بعض الجمل التي تخرج عن دائرة السجع (أمثلة 5، 4 أدناه)، ولكن الراقى يعود سريعاً إلى الجمل المسجوعة بعد ذلك، والأمثلة الآتية توضح طبيعة السجع في الرقية المدروسة:

المعنى

نماذج للجمل المسجوعة وغير
المسجوعة من نصوص الرقية

السم (أي المرض) مذاقه غير
جيد، وكذلك منظره يبدو سيئاً.

tāmə-s áwf ḵarhərah
séni áwf śarhərah

1

نستعين على المرض بالأطفال
الصغار والشباب البالغين
والشيوخ الذين اختلط سواد
شعرهم ببياض الشيب.

hes ƙanyōn ʃaƣorīn
hes šbōb ƣazayīn
hes hixār zaxxəmīn

2

نسمل ونذكر الرب مستعينين
به، ونستعين بالناس المتجمعين
معنا، ونستعين بأبناء القبيلة
والأصدقاء ومن تجمعنا بهم
روابط اجتماعية.

ðēkər rább masəblēt
lés bə-wáf bə-gamlēt
lés bə-ǧáyw bə-
lahanēt

3

نستعين على المرض بالصف
الذي فيه عدة أشخاص، ولكن
المرض أصبح صعبا وكأنه شجرة
ذات أغصان كثيرة، ومع ذلك
فإنني (الراقي) أحارب هذا
المريض بسرعة حتى أقضي
عليه.

lés bə-šáff lahəbīb
ṭólā lés nəsarǧōf
kōfəd lés nəhumūl

4

لهذا المرض عدة كافية من الإبل
الجاهزة للسير والحمولة، ولديه
أيضا أشخاص يرددون الحداء
والتغريد على ظهور الإبل.

hes rikōb ƣatəbōt
hes tagrawd
mazamīr

5

ج. إضافة الهاء في جمل الرقية

تتم إضافة الهاء في المقطع الأخير من الكلمات التي يتم التوقف عليها
(كلمتين في كل جملة) في أثناء إنشاد الرقية للعلاج، وهذا بدوره يؤثر
في البنية الصرفية للكلمات، من حيث الحركات وعدد المقاطع
(Lonnet & Simeone-Senele, 1987, p. 111). وقد طلب
الباحث من أحد الرواة (محمد رفيفيت) أن يسجل بعض هذه الجمل في
الإنشاد (مع هاء) وفي غير الإنشاد (دون هاء) على النحو الآتي:

المعنى	الجملة في الإنشاد	الجملة من غير إنشاد
هذا المرض يقوم بإخراج الماء من باطن الأرض.	báð-ləḥasəyāhēt hubəgāhót	báð-laḥəsīt hubəgót
هذا المرض يغرف الماء ويجمعه.	báð-ğarfāhēt šaggammāhūt	báð-ğarfīt šaggammūt
هذا المرض يربط الإبل فلا تتحرك.	báð-wahfāhīt kaṃiṭāhūt	báð-wahfīt kaṃiṭūt

ورصدت الدراسة مظاهر تأثير إدخال الهاء في الكلمات على النحو الآتي:

- إضافة الفتحة الطويلة /ā/ في نهاية المقطع قبل الأخير من الكلمة، وفي حالات أخرى تتم إضافة الياء /y/ أيضا قبل الفتحة الطويلة، كما في كلمة: laḥəsīt < ləḥasəyāhēt في الجملة الأولى من الأمثلة أعلاه.
- إضافة الهاء في بداية المقطع الأخير من الكلمة.
- زيادة مقاطع الكلمة بمعدل مقطع واحد بعد إضافة الفتحة الطويلة والهاء.

11. نتائج الدراسة

توصّلت الدراسة إلى جملة من النتائج هي:

- تسمّى الرقية في ظفار بشكل عام باسم "رعبوت"، للدلالة على الرقية بنوعيهما: الفردية والجماعية على الرغم من اختلافهما، ومع ذلك فإن الرقية الجماعية تأخذ إلى جانب الاسم "رعبوت" تسميات أخرى مختلفة باختلاف الجماعات الكلامية في ظفار، هي: "عريت" عند الناطقين بالمهرية، و "نعروت" عند الناطقين بالشحرية (الجبالية)، وهاتان التسميتان لا يمكن إطلاقهما على الرقية الفردية.

- للرقية الجماعية ثلاثة أنواع، هي: "رعبوت زحمة"؛ لعلاج انتفاخ البطن وأوجاع الحلق والأسنان، و"رعبوت زحموت"؛ لعلاج لدغ الأفاعي وبصورة أقل لدغ العقارب، و"رعبوت زحلوم"؛ لعلاج أوجاع الأطراف التي يكون فيها التورم ظاهراً أو باطنياً.
- التأثير الإسلامي واضح في الرقية الجماعية، يظهر ذلك في البدء بالبسملة والطهارة واستعمال كلمات إسلامية، مثل: البسملة، والفریضة، والصلاة، والعظيم.
- الأسر المعروفة بالرقية الجماعية في ظفار تنتمي إلى البدو من قبائل المهرة وبيت كثير، بالإضافة إلى بعض الأشخاص من أرياف ظفار ممن لديهم ارتباط اجتماعي مع قبائل المهرة البدوية.
- تتفاوت مقدرة الراقين على أداء الرقية وإجادتها، ويحكم على مقدرة الراقى وتمكنه من خلال عدد العناصر، هي:
 - أن يكون الراقى من الأسر ذات الصيت في هذا المجال.
 - عدم تكرار جمل الرقية والإتيان بجمل جديدة.
 - شدة رفع الصوت والتأثير في أعضاء الفريق والمريض.
- تشارك المرأة في الرقية الجماعية التي تتم بين محارمها فقط، ويعبّر عن قدرة المرأة على أداء الرقية في كلمات الرقية بقولهم: /yəhāriṛəm mən gáy wə-téθ/ "يؤدون الرقية رجالاً ونساء"، كما تقوم بعض النساء اللاتي لديهن القدرة على امتصاص السم من اللدغ بفعل ذلك؛ إذا لم يكن عنده في لحظات اللدغ الأولى من لديه القدرة على ذلك.
- لغة الرقية الجماعية هي المهرية بشكل عام، ومع ذلك فإن انتشار هذه الرقية عند البدو من بيت كثير كان له تأثير في ظهور بعض خصائص لهجتهم في كلمات الرقية.

- وقفت الدراسة الحالية على بعض الظواهر اللغوية الخاصة بالرقية الجماعية، هي: الاقتراض والسجع وإضافة صوت الهاء على الكلمات التي يتوقف عندها، وتبيّن أن الاقتراض من العربية واضح وبخاصة في الكلمات المنتمية إلى الحقل الديني، وأن أغلب الجمل في الرقية مسجوعة مع ظهور بعض الجمل التي تخرج عن دائرة السجع قبل أن يعود الراقي إلى الجمل المسجوعة مرة أخرى، وتبيّن أيضا أن إدخال الهاء على الكلمات يؤدي إلى اختلاف البنية الصرفية للكلمة، من حيث زيادة المقاطع وإطالة بعض الحركات وإضافة بعض الأصوات، مثل: الياء /y/.
- الرقية الجماعية في طريقها إلى الانحسار والتراجع؛ بسبب ظهور الطب الحديث، وعوامل التحديث الأخرى، وعزوف الناس والأطباء عن الإقبال على هذا الطب؛ احترازا مما قد يلحقهم من الإثم؛ وذلك بسبب ما يردده بعض الناس من أن هذه الرقية شعوذة وسحر، على الرغم مما أوردته الدراسة الحالية من إمكانية إدراج الرقية المدروسة ضمن صور الرقية التي أجازها الإسلام بالاعتماد على البيانات المتوافرة حاليا.

12. نموذج من نصوص الرقية الجماعية (نص من رقية "رعبوت ذحمة")

النص بالرموز الصوتية	المعنى مترجما إلى العربية
1. tfó hám̄rəh	1. تقو "حمرة"
2. tfó hám̄rəh	2. تقو "حمرة"
3. tfó hám̄rəh	3. تقو "حمرة"
4. tfó h̄isít	4. تقو "للحمرة" (العلة) التي
5. tfó ʔasyít	تدور في جسم الإنسان مثل
6. tfó ʔaháysə-s	الزوبعة.
7. tfó ʔamáysəs	5. تقو "للحمرة" (العلة) التي
	تتمكّن من جسم المريض،
	وتنتشر سمومها في جسده.
	6. تقو "للحمرة" التي أعالجها
	بالرقية وأكون لها
	بالمرصاد.
	7. تقو "للحمرة" التي أبعثر
	أجزاءها حتى تتحلل
	وتضعف وتخرج من جسد
	المريض.
8. ší bés sárx	8. لدي خبرة متوارثة في
9. ší šnég	العلاج بهذه الرقية.
10. ʔámyā káll	9. ولدي ارتباط بها.
11. yəhārérəm	10. كل أجدادي
12. gáyg wə-téθ	11. يجيدون هذه الرقية
13. ší bés sárx	ويعالجون بها.
14. ší šnég	12. رجالا ونساء
15. bét h̄amdén m̄šandúm	13. لدي خبرة متوارثة في
16. bét šannēf m̄šandúm	العلاج بهذه الرقية.
17. bét h̄azlén m̄šandúm	14. ولدي ارتباط بها.

15. فخيذة بيت حمدين (رعفيت
المهري) يتوارثون هذه
الرقية.
16. فخيذة بيت شَنَاف (بالحاف
المهري) يتوارثون هذه
الرقية.
17. فخيذة بيت حجلان (عامر
جيد المهري) يتوارثون هذه
الرقية.
18. نبسمل ونذكر الرب
مستعينين به على هذا
المرض.
19. ونستعين بالأحباب
والأقارب كلهم.
20. ونستعين بالإخوان
والأقارب والأصدقاء.
21. نستعين بأبناء العمومة.
22. الذين هم متحدون
ومتألفون.
23. نستعين على "الحمرة"
(المرض) بكبار السن الذين
يخالط سواد شعرهم بياض
الشيب.
24. ونستعين بالشباب البالغين.
25. وبالأطفال الصغار.
26. وبالصفّ المتحد من
الرجال المتحمسين.
27. "الحمرة" تشبه الناقة
المربوطة اليدين التي تمشي
ببطء وتمايل.
18. ðékər rább masblét
19. lés bə-wáf bagamlét
20. lés baǧáyw bə-laḥnét
21. bóni díd
22. řatəhúm řayt yūtlíf
23. lés hixār zaxxəmín
24. lés řəbāb wāfyín
25. lés řanyūn řaǧurín
26. lés bə-řáff lahabéb
27. sáh wisrít karblót
28. sáh wahřit řamiřót
29. sáh ba'řit řalmisót
30. sáh wařkýat řamilót

28. وتشبه الناقة المربوطة
 بإحكام مما لا يسمح لها
 بالحركة.
29. "الحمرة" تسير ليلا في
 الظلام الحالك.
30. "الحمرة" تشبه الناقة التي
 تحمل على ظهرها عدّة
 الترحال.
31. "الحمرة" تسير قبيل
 شروق الشمس.
32. "الحمرة" تشبه العجوز
 المكتسية بالغبار.
33. "الحمرة" تجادل وتدعو
 بالهلاك طلبا للإنصاف.
34. "الحمرة" تشتكي وتتمتم
 بألفاظ غير واضحة.
35. "الحمرة" أقامت في مكانها
 ثابتة لا تتحرك.
36. "الحمرة" أثرت في
 المريض وجعلته يتلوى من
 شدة الألم.
37. وأصبح بسببها هزيلا
 ضعيفا.
38. وهو بسببها فاقد للوعي
 والتركيز.
39. وجعلته شاحبا ضعيفا مثل
 العصا في نحوله.
40. "الحمرة" مثل صوت
 الرعد الشديد.
41. وهي مثل البرق الذي يشتد
 ويلمع.
31. sáh ġasmīt ġamiśōt
 32. sáh ḏā-ʔġūz ġabbərōt
 33. sáh da-ʔyīt šaṣəfōt
 34. sáh ḏa-brīt tamtəmōt
 35. sáh waxfīt harbədōt
 36. lés marís mišlōl
 37. káyəṭən mánə-s
 nəšabšōb
 38. sídəh mánə-s nuzəlōb
 39. káyšəṣ mánə-s
 nəḏurōb
 40. lés ʔahdūd rekrōk
 41. bōrəḵ lés lahlōh
 42. lés ʔaláys xamilól

42. وهي مثل المطر الذي يتساقط بغزارة.
43. góthi mánə-s maʿamíd 43. الرقبة في وضع سكون كأن صاحبها نائم؛ بسبب "الحمرة".
44. sáh bə-kansód nabyín 44. "الحمرة" في كتفي المريض المرتفعين.
45. sáh bə-gáwf xadnīn
46. sah bə-lbīb martəḵəyéḍ 44. "الحمرة" في كتفي المريض المرتفعين.
47. sáh bə-hfól ʿalḵīn 45. وهي في جوفه ملتصقة بالقفص الصدري.
48. sáh bə-gdól ḥəṣḥəṣóf 46. وهي في قلبه تتحرك.
49. sáh bə-xfól dahkīn 47. وهي في بطنه وأحشائه مقيمة وعالقة.
50. hēs ʿalzét ḵatəhyót 48. وهي في أقدامه وحجره.
51. ṭāmə-s ṭáyf ḥalḵəmōt 49. وهي في أسفل خفيّه مستقرة.
52. bár bés bár taxtróg 50. "الحمرة" يعيش معها المريض شعور من يتقبأ باستمرار.
51. مذاق "الحمرة" مثل المر والعلقم.
52. سأرميها (الكلام للطبيب) بعيدا لعلها لا تعود.
53. dūnə-k bés 53. خذها غير مأسوف عليها (الطبيب الراقي تاركا الرقية لراق آخر).
54. bāxt-i bés mafətrīs 54. الراقي الجديد: أنا محظوظ وسعيد بهذا الدور.

المراجع العربية

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد. (2013). *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، ج17. (شعيب الأرنؤوط وآخرون، محققون). دمشق: الرسالة العالمية.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. (د.ت). *جمهرة اللغة*، ج1. بيروت: دار صادر.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (2000). *المُحْكَم والمَحِيط الأعظم*، ج2. (عبد الحميد هندواوي، محقق). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (د.ت). *المختص*، ج13. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد. (2005). *عيار الشعر*، ط2. (عباس عبدالساتر، محقق). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر. (د.ت). *الطب النبوي*. (عبد الغني عبد الخالق وعادل الأزهرى ومحمود العقدة، محققون). بيروت: دار الفكر.
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). *سنن ابن ماجه*، ج2. (محمد فؤاد عبدالباقي، محقق). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). *لسان العرب*. (عبدالله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم الشاذلي، محققون). القاهرة: دار المعارف.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل. (2016). *صحيح البخاري*. كراتشي. باكستان: البشرى.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1966). *الحيوان*، (ط.2)، ج.4. (عبدالسلام محمد هارون، محقق). القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

الحاكم النيسابوري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله. (2002). *المستدرک على الصحيحين*، (ط.2) ج.4. (مصطفى عبدالقادر عطا، محقق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الرازي، أبوبكر محمد بن زكريا. (2000). *الحاوي في الطب*، مجلد 1، (محمد محمد إسماعيل، محقق). بيروت: دار الكتب العلمية.

غليونجي، بول. (1999). *طب وسحر*. القاهرة: دار القلم.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1980). *العين*، ج.2. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1980). *العين*، ج.3. (مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، محققان). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. (1991). *صحيح مسلم*، ج.4. (محمد فؤاد عبدالباقي، محقق). القاهرة: دار الحديث.

النجار، محمد بن رجب. (1995). *الطب النبوي بين الطب العلمي والطب الشعبي*. مجلة *الفنون الشعبية*، ع 46، الصفحات 30-55.

يحيى، أسامة عدنان. (2019). *السحر والطب في الحضارات القديمة: دراسة تاريخية مقارنة*. دمشق: آرام للدراسات والنشر.

المراجع الأجنبية

- Bendjaballah, S., & Philippe, S. (2017). The vocalic system of the Mehri of Oman. In: Sabrina Bendjaballah & Philippe Ségéral (eds), *Journal of Afroasiatic Languages and Linguistics, Volume 9, Issue 1*, pp. 160–190.
- Hein, W. (1909). *Mehri- und Hadrami- Texte. Gesammelt im Jahre 1902 in Gischin. Bearbeitet und herausgegeben von Dav. Heinr. Müller*. Wien: Hölder.
- Lonnet, A., & Simeone-Senele, M.-C. (1987). Rābūt: Trance and Incantations in Mehri Folk Medicine. *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, 17*, (pp. 107-115).
- Rubin, A. (2018). *Omani Mehri: A New Grammar with Texts*. Leiden: Brill.
- Sima, A. (2009). *Mehri-Texte aus der jemenitischen Sharqīyah: Transkribiert unter Mitwirkung von Askari Sa'd Hugayrān. Edited, annotated &*

introduced by Janet C.E. Watson & Werner Arnold. Wiesbaden: Harrassowitz.

Simeone-Senelle, M.-C. (1995). Incantations thérapeutiques dans la médecine traditionnelle des Mahra du Yémen. *Quaderni di Studi Arabi* 13, pp. 131–157.

Tabook, S. B. (1997). *Tribal practices and folklore of Dhofar, Sultanate of Oman. PhD thesis.* University of Exeter: [Unpublished].

Thomas, B. (1938). *Arabia Felix: across the empty quarter of Arabia.* London.





السمات المعرفية والأخلاقية للعلوم الطبيعية عند العلماء العمانيين.

د. محمد الأمين بابيز

AminfiKr2@gmail.com

المؤسسة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة الجزائر.

الملخص:

تَميّز البحث في العلوم التجريبية العمانية بسمات معرفية وأخلاقية؛ أهمها الارتباط بمرجعية الوحي والسعي إلى تيسر حياة الناس وتحقيق مقاصدهم العليا، ويهدف هذا البحث إلى إبراز هذه السمات، واستعراض مفاهيمها الإجرائية؛ كالتكامل بين مقاصد الدين ومناهج العلم والجمع بين العلوم التقليدية والحديثة والتبادل المعرفي وتيسير أحكام الشريعة وخدمة مصالح المجتمع. استعان البحث بالمنهج الاستقرائي لغرض تتبع إنجازات العلماء ومؤلفاتهم، والمقارنة بينها لصياغة نموذج عام يعكس أهم مبادئ البحث العلمي العماني وأسس الأخلاقية، وخلص إلى عدة سمات أساسية للنموذج العماني، تتمثل في الالتزام بضوابط المنهج العلمي كالملاحظة والتجريب، والسعي إلى تطوير أدوات التحقيق العلمي عبر الاختبار الميداني أو التنظير البحثي والاعتناء بالمصطلح العلمي. ويتطوع البحث إلى إبراز الجهود العلمية العمانية وتحديد أسسها المعرفية وضوابطها الأخلاقية، في سبيل بعث النشاط المعرفي المتعمق والشامل في مختلف ميادين المعرفة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: السمات المعرفية، أخلاقيات المعرفة، المؤلفات العمانية،

العلوم الطبيعية، العلم الإسلامي.

The Epistemological and Ethical Features of the Natural Sciences among Omani Scholars.

Dr. MOHAMMED ELAMINE BABZIZ
AMEER ABDELKADER UNIVERSITY CONSTANTIN ALGERIA

Abstract:

Scientific research in Islam has many epistemological and ethical features. The most important of which is attached to the reference of revelation and striving to facilitate people's lives and achieve their higher purposes. This research aims to highlight these features in the knowledge efforts of Omani scholars, Such as the integration between the purposes of religion and the methods of science, the combination of traditional and modern sciences, knowledge exchange, community service, and creativity in experimental sciences. The research used the inductive approach by tracing and comparing approaches to formulate a general model that reflects the most important principles of Omani scientific research and its ethical foundations And takes care of the scientific term. The research looks forward to highlighting the scientific efforts exerted in the Islamic heritage and defining

its epistemological foundations and ethical controls, to form the so-called Islamic cognitive model.

Keywords: Epistemology. Ethics of knowledge. Omani Scholars. Natural sciences. Islamic science.



المقدمة:

يُعتبر البحث العلميُّ أحدَ أبرز مظاهر التميز المعرفي والتفوق الحضاري، ويسعى هذا البحث إلى إبراز السمات المعرفية للعلوم التطبيقية لدى العلماء العمانيين؛ إذ ينطلق من سؤال محوري عن أهم المقومات المعرفية والأخلاقية للتراث العلمي العماني، ومدى ارتباطها بالنموذج العلمي الإسلامي، الذي ازدهر بين القرنين (السابع والرابع عشر الميلاديين)، على يد علماء فطاحل أمثال ابن الهيثم والبيروني والرازي وابن طفيل وابن سينا وغيرهم.

تتبع أهمية هذا البحث من ربط العلوم التجريبية لدى العلماء العمانيين بالنموذج المعرفي الإسلامي، وهنا لابد من التركيز على خطوة التمييز بين النماذج المعرفية، بحيث لا يكون هذا التمييز أيديولوجيا، بمعنى تعصُّبا ومذهبيا، وإنما لا بد من البحث عن النموذج وفق آليات معرفية محضة، فهناك نماذج تُوِّطرها سمات معرفية وأخلاقية، ومن خلال هذه النماذج يمكن للخطوات العلمية والتصورات البحثية أن تتقدم وتتطور، وهكذا تعتبر النماذج بالنسبة للمعرفة حاضناتٍ وقوالبٍ ترعى نمو المعرفة وتقدمها.

ظهرت فكرة النماذج المعرفية مع الفيلسوف الأمريكي توماس كوهن (ت1996م) ويعني بفكرة النموذج (البراديجم Paradigm) النمط الفكري الذي يُوِّطر فهوم العلماء ويوجهها نحو تجاوز المشاكل العلمية وحلها (كون، 2007، 117)، وهو نمط سائد لدى جماعة علمية ما، في زمان ومكان ما، فيما يبقى هذا النموذج عرضة للتحويلات والثورات، في سبيل تأسيس نمط جديد ملائم للواقع الجديد.

وتحمل فكرة النموذج المعرفي خصوصية بالغة في الإطار الإسلامي؛ لأن النموذج الذي يتعرض للتحول، وهو ما يسمى بثورة البنية المعرفية، لا بد أن يحافظ

على أصول ثابتة وقواعد مكيّنة، منبعها الصافي هو الوحي والأخلاق الإنسانية المشتركة، وقد تمّ التنظير للنماذج التفسيرية من مقارنة إسلامية من قبل العديد من المفكرين المسلمين المعاصرين، على شاكلة إسماعيل راجي الفاروقي (ت1986م) وأبو القاسم حاج حمد (ت2004م) وعبد الوهاب المسيري (ت2008م)... وغيرهم. يفتّرض البحثُ تأسيسَ نموذج معرفي إسلامي، وفق أركانٍ أساسية، حددها المنظرون للمعرفة الإسلامية في: التوحيد، الوحدة الكونية، تعدد مستويات الحقيقة والمصدرية الإلهية للمعرفة (3, 2012, BAKAR). ويستقي هذا النموذج المعرفي أصوله من الوحي القرآني والتوجيهات النبوية المتمثلة في سنته المشرفة، ويثرها بالتجارب الحضارية للثقافات البشرية، وقد سجل التاريخ انفتاح الفكر الإسلامي على التراث (اليوناني والهندي والصيني وغيرها)، وتشكل وفق الرؤى والتأويلات المتفاعلة ضمن المدارس التي أبدعها العلماء والفلاسفة والفقهاء المسلمون، فانبثقت عن ذلك خلاصةً حضارية إسلامية ذات طابع عالمي وأفق مفتوح.

يتعين على النموذج الإسلامي أن يخفف من الأزمات التي انتهى إليها النموذج الغربي، ولا يخفى على أحد، ما تطالعنا به الدراسات والنشرات من نتائج كارثية بيولوجية واقتصادية واجتماعية ونفسية وغيرها في كل المجالات، جرّاء ضياع بوصلة الأخلاق من يد العلم، واستقلالية المعرفية عن القيم، ولذا تعود الجامعات الآن إلى مقررات "أخلاقيات العلم"؛ لأن أفدح الضرائب المعرفية والأخلاقية تقع على عاتق الإنسان كإنسان، ما يلح بالعودة إلى الأصول الأخلاقية والدينية لحماية المجتمعات من الاغتراب والضياع.

يشير رشدي راشد إلى هذا البعد العالمي من اهتمام العلم العربي الإسلامي، إذ تميز عما سبقه بسمّة العالمية، ولا تعني العالمية مجرد الانتشار الجغرافي، وإنما

" بؤرة تواصل وتبادل لكل الحضارات التي ترعرت حول هذا الحوض، مركز العالم القديم، وكذلك في أطرافه" (رشدي، 2011، 36)، فتولدت شبكة علاقات معرفية، يمكن اعتبارها النواة الأولى لتأسيس المراكز العلمية المفتوحة فيما يدعى راهنا بمؤسسات التفكير "Think Tank".

تتبع عالمية العلم العربي الإسلامي من عالمية الإسلام، فالإسلام جاء لكل البشر بثتى ألوانهم ومشاربهم وثقافتهم، كما تجلت هذه الميزة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كان فيهم العربي والرومي والفارسي، وأفادت التجربة الإسلامية من خبراتهم في الحياة وفي التخطيط للحروب، فكانت رسالة الإسلام نموذجا للتنوع الثقافي والتعدد الحضاري.

أنتجت الحضارة الإسلامية جهودا معرفية في شتى مجالات الحياة، أهمها على الإطلاق بناء الإنسان، إذ لم يعد الإنسان العربي ذلك الفرد الهائم على وجهه، كما كان عهده قبل أن ينزل عليه القرآن، بل أصبح يحمل فكرا ومنطقا غير معهود في بيئته، فأخذ من الشعر الفصيح خياله الخلاق، ومن صفاء الصحراء والبادية آفاق النظر والتأمل، ثم استلهم من القرآن الكريم روح البحث والانضباط والعمل ضمن فريق منضبط ووفق رؤية محددة.

أولا: النموذج الإسلامي للعلوم التجريبية.

أنتج النموذج الإسلامي عقولا جبارة انضبطت بما يسمى المنهجية العلمية systematic scientific methodology، وتأسست على الملاحظة المنهجية observation، والمزاوجة بين التجريب وبناء النظرية experimentation، and theory building، ومن أهم مقومات نموذج العلم العربي الإسلامي ما يلي:

الروح العلمية وتأسيس التقليد المعرفي للعلم العربي الإسلامي.

يحدّد (BAKAR, 2012, 19) أهم تجليات الروح العلمية في الإسلام في حبّ الحقيقة واعتماد المناهج التجريبية لأجل التحقق من جوهر الأشياء وإدراك كنهها، وتحليل المفاهيم والأفكار دلالياً وبنائها منطقياً، وقد أبدع العلماء المسلمون آليات معرفية تجسدت في دراساتهم الفقهية والحديثية كما تجلت في إسهاماتهم التجريبية والفلسفية. وهذه الإسهامات منطلق لتأسيس تقليد إسلامي خاص، ينبغي تتبع روافده وتمثلاته في التراث الإنساني، ومقارنته مع النماذج المتميزة عنه.

تأسست مدارس فكرية عديدة وعريقة في تاريخ المسلمين، من قبيل مدارس الكندي وقسطا وحلفائهم، وتكفلت هذه المدارس بتجهيز مكتبات معرفية ذات صيت وشهرة في التاريخ، تعكس هذه المكتبات رؤى متنوعة لأصول المعارف البشرية، "احتوت على النتاج العلمي والفلسفي لتقاليد متعددة الأصول واللغات... وأصبحت جزءاً من حضارة واحدة لغتها العلمية العربية" (رشدي، 2011، 38). وأنتج هذا التواصل والتفاعل مناهج جديدة وحقولا معرفية غير مسبوقة؛ مثل الجبر والإسقاطات الهندسية وغيرها.

ولم ينحصر السلوك العلمي والمنهجي على البحث والتأليف، بل ساد في وعي وسلوك المسلمين، وميّزهم بذلك اجتماعياً وحضارياً، إذ أصبح التنقل والسفر نهجاً معتاداً لدى المسلم لتحقيق رسالة طلب العلم، وبرز فرع أدبي جديد على يد العلماء والطلبة المسلمين، وهو المراسلات العلمية، كما انتشرت المراكز العلمية الشاملة لكل التخصصات من علوم الحديث والقرآن إلى الفلسفة فالهندسة والكيمياء والطب، فأسهمت في فتح معابر جديدة تسهّل الاتصال بين المراكز المنتشرة بين المغرب والمشرق (رشدي، 2011، 40).

مرجعية الوحي للعلوم التجريبية في الإسلام.

تجدر الإشارة إلى دور (التأمل/ التعقل) في الإسلام، ليس فقط كوسيلة لاستكناه

ظواهر الطبيعة كما هو الأمر مع النموذج الغربي، وإنما كأداة (للتقرب) إلى الله تعالى، لذا يُعتبر البحث العلمي من صور العبادة في الإسلام، ويتكامل مع الوحي، في سبيل تحقيق فهم أبلغ للنصوص الدينية وتوليد معانيها وحفظ مقاصدها. تولدت العلوم التطبيقية في العقل الإسلامي عبر قراءات واعية ومتكاملة بين ظواهر الكون ونصوص الوحي، إذ انبرى ثلة من العلماء المسلمين في شتى ميادين المعرفة، تأسيساً لميادين معرفية لم يسبقوا إليها، وتوسيعاً لمفاهيم وأبعاد أسهموا فيها، كتأسيس ابن الهيثم للبصريات وابن خلدون لعلم الاجتماع وإسهام ابن سينا في الطب والبيروني في مجالات عديدة، بناء على خطة تراعي الملاحظة النسقية والمنظمة systematic observation، ثم التجريب وبناء النظرية (SARDAR, 2006, 108).

يمكن رسم إطار عام للنموذج الإسلامي في دراسة العلوم التطبيقية، من خلال السمات العامة التي تم رصدها في هذا المبحث، وفق النموذج الإسلامي، وقد سبق التلميح إلى أبرز السمات التي يتميز بها النموذج الإسلامي في البحث العلمي؛ نحو التوفيق بين الوحي والعقل والتكامل بين المعارف وخدمة الحاجات اليومية والواجبات الشرعية، وتجسير الحدود التخصصية والنزوع نحو العالمية، مما تجلّى في التراث العلمي الإسلامي، وسنسعى فيما يأتي إلى تفصيله عبر استعراض إسهامات العلماء العمانيين في العلوم التطبيقية.

ثانياً: تاريخ العلوم التجريبية في عمان.

يتفق معظم الباحثين على ضعف اهتمام العلماء العمانيين بالعلوم التجريبية، مبررين ذلك بأسباب عدة، منها انشغال الطلبة والمعلمين بالعلوم الدينية واللغوية أكثر من غيرها، ثم التقلبات السياسية والظروف المناخية القاسية، وعلى وجه عام، فإن الاشتغال بالعلوم التجريبية والطبية لم يكن أمراً متاحاً وميسوراً، ولا مشجعاً

في بيئة تعتبر أولى أولوياتها النهل من علوم الدين واللغة والشريعة (العبري، 2008م، 18).

يبدو أن مبرر الانشغال بالعلوم الدينية عن العلوم الحياتية غير سائغ أبداً، هذا إن سلمنا بهذه التقسيمات الفنية والاصطلاحية؛ لأن العلوم تجتمع كلها في غاية واحدة، تتمثل في تحقيق عبادة الله تعالى وتيسير حياة الإنسان لأداء عمارة الأرض والخلافة فيها؛ لذا فقد برز في التاريخ العلمي العماني مجموعة من الأعلام، ذاع صيتهم في مختلف العلوم التجريبية كالطب وعلوم البحار والهندسة وغيرها، بذلوا مهجهم وضحوا بالغالي والنفيس في سبيل نفي الجهل عن أنفسهم وتنوير أمتهم.

أبرز العلماء التجريبيين العمانيين

نسعى هنا إلى استعراض مختصر لأبرز علماء عمان التجريبيين، والوقوف على أهم منجزاتهم المعرفية ومحفزاتهم الفكرية والاجتماعية، دون التوسع المفرط؛ لأن الغاية هنا استخلاص عوامل تفوق الأعلام في ميادينهم رغم الظروف الصعبة لبيئاتهم، دون إغفال إسهاماتهم المعرفية، واهتماماتهم في شتى الميادين العلمية.

أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري (ت 456هـ).

هو أحد أبرز أعلام عمان والعارفين بصناعة الطب وفلسفتها وأنواع العلاج ومصادره، وقد أورد سيرته وأشاد به أكثر من واحد، يقول عنه القاضي صاعد الأندلسي (ت 462هـ/1070م) " كان كلفا بصناعة الكيمياء، مجتهدا في طلبها" (الأندلسي، 1998، 106-107).

ولد العلامة الأزدي في صحار، إحدى ولايات سلطنة عمان، وأثبت ذلك بنفسه في معجمه من خلال بيت (الأزدي، 2015، 428/2) قال فيه:

بلادٌ بها شُدَّتْ عليَّ تمايمي وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلدي ترابها

توفي العلامة الأزدي ببلمسية - إحدى حواضر الأندلس آنذاك- في جمادى

الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة 456 هـ، مايو 1064م (الأندلسي، 1998، 106-107).

تتلمذ على يد الطبيب ابن سينا (ت427هـ/1037م)، والتقى أبا الريحان البيروني (ت440هـ/1048م) ونهل من علم الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) (الأزدي، 2015، 55/1)، فاجتمعت في معجمه علوم اللغة والطب والصيدلة، وأهله ذلك ليكون إضافة في قواميس اصطلاحات العلوم الطبية القديمة.

يعتبر معجم " الماء " أحدَ كنوز المعرفة بالطب التقليدي مما عده محققه – الدكتور هادي حسن حمودي- أول معجم لغوي طبي في التاريخ؛ إذ جمع بين المعاني اللغوية والطبية، وصدرت الطبعة الأولى منه 1416هـ/1996م، والثانية 1436هـ/2015م، وقد عُني الباحثون إثر صدور المعجم بالعلامة الأزدي وتراثه المفقود، فصدر كتاب " النباتات الطبية لأبي محمد الأزدي" للمؤلف داود سليمان داود، وعقد المجمع العلمي للبحوث والدراسات بلندن ندوتين منفصلتين عن الكتاب، وتم تأسيس جمعية طبية باسم الأزدي " جمعية الأزدي الطبية"، للاهتمام بدراسة كتاب الماء دراسة علمية معاصرة، والتنقيب عن بقية تراث أبي محمد الأزدي وتراث الأطباء العمانيين (داود، 2005، 7).

رصد الدارسون لأبي محمد إسهامات معرفية في أكثر من ميدان، وقد أشار محقق المعجم – هادي حسن- إلى اهتمام الأزدي بمسألة " الذاكرة البصرية" (الأزدي، 2015، 25/1)، وهو ما لم يُسبق إليه من قبل أطباء العرب أو العجم، أمّا إبداعات عالم البصريات ابن الهيثم فكانت أساسا في دراسة أشعة الضوء وأثرها في تكوين الرؤية، وأشكال انتقال الضوء، وأمراض البصر، وبالتالي أبداع الأزدي وسبق إلى قضايا علمية على شاكلة الذاكرة البصرية، فأسهم في تأسيس علم تجريبي وفلسفي مكين.

يلق الباحث صالح السيابي على إسهام الأزدي فيما يتعلق بالذاكرة البصرية أنه "وصف دقيق للغاية عرضه شخص عاش في ق5/هـ/11م، وبغض النظر عن قبوله اليوم في عالم التقنية والتصوير، فهو يؤكد قدرة هذا العالم على معرفة وظائف أجزاء دقيقة من جسم الإنسان، والعلاقة بين الدماغ والأعصاب وحاسة البصر والذاكرة" (السيابي، 2018، 104-105).

وأشاد بعض الباحثين بإنجاز آخر للأزدي، في ميدان الطب وتشريح البدن، سابق لما اشتهر به العالمُ الطبيب ابن النفيس، ويتلخّص في "وضع الأسس الأولى لفهم الدورتين الدمويتين الصغرى والكبرى، من قبل أن يتحدث ابن النفيس عن الدورة الصغرى بحوالي مائتي عام" (الأزدي، 2015، 31/1).

أحمد بن ماجد بن محمد السعدي النجدي العماني (ت906هـ/تقريباً 1500م). يعتبر البحار ابن ماجد أوسع الملاحين العرب شهرة، وأبقاهم ذكراً وأثراً، ومن فرط شجاعته أطلق عليه أحد الباحثين "أسد البحار" (بوحجام، 2015)، واشتهر لدى الملاحين البرتغال بلقب "الميرانتي Almirante"، ويعني باللغة البرتغالية "أمير البحر"، وذلك لسعة معرفته بطرق الملاحة وشجاعته في خوض غمار البحار وبالغ إفادته لمعاصريه ومن جاء بعده (إسلام، 1420هـ/1999م، 189).

يعد تطوير بعض الأدوات البحرية كالبوصله أهم إنجاز لابن ماجد، فكان أول من استخدمها لغرض الاهتداء بها في الرحلات البحرية، وله مواقع بحرية ما زالت تسمى به في شواطئ الهند وأفريقيا (حمودي، 2000، 425)، كما طوّر (آلة الكمال) لتحديد القبلة ومواقع النجوم، وأدخل عليها بعض التحسينات بعد أن لاحظ بدائية الطريقة السابقة (القياس بالأصابع) ما عرف بعد ذلك باسم (الخشبات والألواح) (الغلابيني، 2015).

ومن أهم إسهاماته الميدانية ما اكتشفه من طرق بحرية لم يسبق إليها، فعبد

الطرق الملاحية لمن جاء بعده، وشهد له المتخصصون بذلك، إذ يؤكد أحد الباحثين بأن اكتشاف مسار " الاستدارة حول القارة الأفريقية" إنجاز يحسب لابن ماجد (كحيلة، 1410هـ، 68).

يستجمع الباحث ناصر بوحجام الخبرات التي تركها ابن ماجد للباحثين والربان الملاحين من بعده في قوله " وقد ساعدت هذه العلوم على اختصار الطرق الملاحية وقياساتها، ومواعيد السفر منها وإليها؛ مما ساعد على ازدهار التجارة بين البلدان، وسهل حركة التجارة بين القارات، وعمّق علاقات التواصل بين الشعوب" (بوحجام، 2015، 217/1).

ترك ابن ماجد مؤلفات قيمة ومفيدة، أحصاها بعض الباحثين في حدود ستة وأربعين 46 عملا، خمسة أعمال منها نثرية وواحد وأربعين 41 نظما، وما وصلنا من أعماله النثرية كتابه (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) الذي ظل مرجعا للملاحين في المحيط الهندي حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (عامر، 1426هـ، 78)، وطبع مرات كثيرة وترجم إلى لغات عديدة (الشيباني، 2015، 18)، كما وصلنا من تراثه المنثور ورقتان سميتا الفصول، ومن أعماله الشعرية أربعة وعشرون 24 قصيدة وأرجوزة في أربعة آلاف وستمائة وثلاثة 4603 أبيات (خوري، 1991، 20/1).

تتوزع مخطوطات ابن ماجد في شتى المكتبات العالمية كالمكتبة الأهلية ببائيس تحت رقم [95،2292هـ] (عوض الله، 2005، 115)، كما تتوفر نسخ كتابه " الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" في البحرين والكويت وسورية والمملكة المتحدة وفرنسا (الشيباني، 1436هـ، 87)، وكذلك كتابه " حاوية الاختصار في أصول علم البحار" توجد نسخة منه في المملكة المتحدة وأخرى ببائيس، و"الأرجوزة السفالية" توجد منها نسخة في روسيا (الشيباني، 1436هـ، 84-

85) وأراجيز "السبعية" و"تحديد القبلة" و"الملعقة" و"هادية المعالم" توجد في باريس (الهاشمي، 1427هـ، 83).

وقد سار على هدي ابن ماجد خلف من البحارة العمانيين، في مقدمتهم الملاح سليمان بن أحمد المهري من أهل ساحل بلاد المهرة، وهي المنطقة الممتدة من الشحر إلى مرتفعات ظفار الساحلية في عمان، وكانت له صولات وجولات في مجال الملاحة، كما ترك أثرا عديدة تعكس أصالة الملاحة العمانية، وتميّز الربابنة العرب (عامر، 1426هـ، 81).

راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف الهاشمي الرستاقى (ق10-11هـ).

يعتبر الطبيب ابن عميرة سليل أسرة علم وفقه وطب، عائلة آل هاشم الرستاقية التي عاشت في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر للهجرة، وتركت أثرا معرفيا وحضاريا بالغا في ميدان الطب، لا يزال الحاضر العماني مدينا لإسهاماتها، ولذلك يذهب بعض الباحثين إلى أنّ "ليس من قبيل المبالغة إن قلنا إن التراث الطبي الذي تركته أسرة آل هاشم الرستاقيين قد سد ثغرة في التراث العماني في الطب خاصة وفي العلوم التطبيقية عامة" (سلطان الشيباني ومحمد العيسري، 1436هـ، 202).

يعتبر الطبيبان الأخوان راشد بن خلف وثاني بن خلف (ق9-10هـ) من سلف الطبيب ابن عميرة، وقد تركا إرثا علميا مشهودا، فألف الطبيب راشد منظومة لامية سماها "زاد الفقير وجبر الكسير" وغيرها من الإسهامات والمراسلات مع أطباء وأعلام زمانه، وكذلك الطبيب علي بن مبارك الذي كان مختصا في طب العيون مطلعا على علوم الفلسفة والصيدلة (السيابي، 2018، 108-113).

رآكَمَ الطَّبِيبُ ابن عميرة خبرات سلفه وزمانه، وتوسّع في استيفاء أدوات فنّه، فبزّ سابقه ومعاصريه جميعهم، وأضحى أوسعهم تصنيفا وأكثرهم تدقيقا وتجريبا، فكان نموذجا للطبيب الذي جمع بين "اعتماد المصادر والتجربة والقياس والمشاهدة

والسماع كآليات عمل يفيء إليهما في ممارسة الطب أو التأليف فيه" (الرستاقى، 1434هـ، 9).

جمعت مؤلفاته فوائد جمة، سجّل فيها الكثير من الخبرات، فكانت "تشرّحُ جسد الإنسان، وتصف وسائل الوقاية وطرق العلاج وتذكر الأدوية وكيفية تحضيرها وتبين قوانين الطبيب والشروط التي ينبغي أن يحققها من أراد ممارسة مهنة الطب، ومن خلال ذكر التجارب والمشاهدات، ومداواة الناس، بل إجراء العمليات الجراحية" (السيابى، 2018، 107).

تُخلّد آثار التاريخ والجغرافيا عبقرية الطبيب ابن عميرة، من حيث اختيار موقع إقامته ومصحته بالقرب من عين الكسفة بالرستاق، والغرف المتنوعة ذات الكفاءة العالية بما يضاهاى المصحات والمشافي المعاصرة، فهناك "غرفة للعلاج وأخرى لتنويم المرضى، ومكتبة لحفظ المصنفات الطبية، ومختبرا لطبخ الأدوية، كما يشتمل على حوض دقيق الصنع فوق ساقية الفلج، وآنية لسحق الأدوية" (الشيبياني، الطبيب راشد بن عميرة حياته وأثاره العلمية، 1436هـ، 9).

تخصّص ابن عميرة في علم التشريح خاصة العين، وتميزت تصانيفه بالرسومات؛ حيث تحتوي رسوما لأنواع المياسم الحديدية التي تستخدم في الكي حسب المرض، يذكر الدكتور ناصر العزري أنه كان "سباقا في التصنيف في هذا المجال لممارسة كانت موجودة لآلاف السنين، حيث عمل على توضيح ضوابطها وفوائدها ومضارها، ومتى يجب أن تستخدم أو لا تستخدم، كل ذلك مقرونا بصور توضيحية لكل آلة كي، ومواضع استخدامها، وهو مما لم أطلع على مثله في المؤلفات الطبية القديمة" (العزري، 2015، 7).

من خلال هذه الخبرات والإسهامات النوعية لأعلام عمان في ميدان العلوم التجريبية وفي مجالات حيوية متعددة كالطب والملاحة والصيدلة والتمريض

وغيرها، وهناك مجالات أخرى لم نتطرق إليها على أهميتها لضيق المجال، ومراعاة لأشهر الأعلام وأبقاهم أثرا سواء على المستوى العماني أو العالمي، وأوفرهم استكمالا للأدوات العلمية من التجريب والتأليف والتدريس والتطبيق، من المؤهلات التي تثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن الأعلام العمانيين كان لهم إسهام بالغ في شتى المجالات، وشاركوا عقول البشرية من كل الأجناس في دفع عجلة التقدم الحضاري والرقمي المعرفي.

لا يخفى على الدارسين إقلال العلماء العمانيين من الاهتمام بالعلوم التجريبية مقارنة بالمجالات الأخرى كالدينية واللغوية وغيرها، على أن هذا لا يقتصر على عمان ولا يختص بها، وإنما يعود إلى ظروف ذاتية وخارجية مرت بها الأمة الإسلامية، من الجهل ونقص الوعي بأهمية العلوم التجريبية ودورها في تحقيق التمكين الحضاري، مما عكس تبعية لآخر فنتج عنه سطوة استعمارية على خيرات المسلمين وعقولهم وثمارهم، مما يلحّ على البحث في المقومات والعوامل التي أسهمت في ازدهار العلوم التجريبية في عمان، مع استحضار بعض الأمثلة الحية التي يمكن أن يُستضاء بها، في سبيل استئناف مسيرة الإسهام المعرفي والحضاري، والمضي في قيادة الأمم وحمل مشعل العلوم.

ثالثا: السمات المعرفية والأخلاقية للعلوم التجريبية في عمان.

نستعرض سمات عديدة لربط التجربة العمانية بالعلم العربي الإسلامي، كروية تنزع نحو التكامل والتوفيق، وترتبط بمرجعية دينية، تؤسّس عليها رؤاها ومنظوراتها، وتستفيد من مآثورات المناهج الوافدة، ثم تضيف وتنقد وتتجاوز وفق أسسها المعرفية والوجودية وعلى ضوء التجربة والواقع.

التكوين العصامي الجاد

قامت العلوم التجريبية على كاهل وهم الأعلام العصاميين الجادين، في ظل

غياب التكوين المدرسي المؤسس على التكامل بين العلوم الدينية والكونية، وهناك عوامل أخرى أسهمت في انتعاش العلوم التجريبية كالاستفادة من المؤلفات السابقة والمعاصرة لمواكبة تطور المعرفة، وكذلك التنقل والسفر لغرض الاحتكاك بكبار الأعلام ومشافهتهم، أو مراسلة بعضهم البعض لاستيضاح مفهوم أو إزالة إبهام، أو إعداد أجيال راغبة في العلم شغوفة به... وغيرها من المقومات التي سنضرب لها من الأمثلة ما يجلي مسار ازدهار تاريخ العلوم التجريبية في عمان.

يعد التكوين العصامي تعويضا عن غياب التكوين المدرسي النظامي؛ لأن التعليم في الحقيقة مهمة عليا تتولاها هيئات متعاونة، تهيء للدارس سبل المعرفة وتغطي حاجاته الأساسية ليتفرغ لهدفه، ولا يمكن أن يتحقق التكوين العلمي المنشود في ظل الارتجالية، خصوصا في العلوم التجريبية، ومن الخطأ الاعتقاد أن " الشخص يمكنه أن يكون مهندسا مع قليل من التنظير وكثير من التطبيق والممارسة" (السيابي، 2018، 98)؛ لأن المجتمع العلمي هو من يحدد معايير المعرفة المقبولة.

السند السياسي والدعم الاستراتيجي.

يعتبر الدعم السياسي للمدرسة عاملا حاسما لتمكين المعرفة في المجتمع، إذ يسند طلاب العلم ويفرّغهم للدراسة، وبصدد الحديث عن دور الأئمة في تشجيع العلم يسجل التاريخ بشكل بارز دور الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي (ت 1091هـ/ 1680م) ثالث أئمة اليعاربة، من خلال تشييده حصن جبرين (سنة 1086هـ/ 1675م) وتهيئته بكل أسباب الراحة والتفرغ للعلم، ومن الناحية المعرفية فقد تم صياغة منظومة معرفية متكاملة، يتدرّج وفقها الطلاب وينهلون من شتى العلوم، ابتداء من الفقه والعقيدة وعلوم الدين إلى التاريخ والطب وعلوم الفلك، وقد شهد بإحكام الحصن وسخاء الإمام كلُّ من زاره، وتغنّى به الشعراء والأدباء.

ينوه أحد الباحثين بجهود اليعاربة في تطوير الحياة العلمية فيقول: "وكان من جملة عوامل ازدهارها، الاهتمامات العلمية لأئمة اليعاربة، والرخاء الاقتصادي، والأمن والاستقرار والتسامح الديني، ولذلك فقد ظهر في عهدهم العلماء المتعدّدو التخصصات، ونسخت الكثير من الكتب" (السيابي، 2018، 97).

يرتقي البحث العلمي في ظروف الاستقرار الاجتماعي والسياسي، ويتقدم خطوات واسعة من خلال الدعم المؤسسي والتخطيط الاستراتيجي، وحين تدعم الإرادة السياسية الجهود المعرفية تحصل المعجزات، وما أفلاج عمان سوى آية من آيات الإبداع والتميز التي لا تزال تنتفع منها الأجيال وتحفظ لسلفها الصالح الفضل والثناء، حتى عدها بعضهم عملا غير إنسي.

وحين نعود إلى العهود السابقة نجد أن التعاون الذي حصل من السيد برغش سلطان زنجبار إذ "أمر بإجراء الفلج، ودعا بالمهندس الشهير الشيخ محمد بن سليمان الخروصي العماني، فقام بالعمل خير قيام، وأجراه في سوق من الصاروج من مسافة تبعد عن البلد بأربعة أميال من المكان المسمى المتوني في شمال زنجبار، ووزعه في أنابيب من حديد، ودخل الفلج البلد سنة 1298 هـ تقريبا 1881م، وفرح الأهالي بوصوله وعم نفعه جميع الناس" (المغيري، 2001، 336-337).

التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والتجريبية.

تُحقّق المدرسة بناء معرفيا متكاملا بين العلوم الدينية والعلوم الحياتية والتقنية، بدل التركيز على جانب واحد من العلوم، وفي تاريخ عمان العلمي نجد طبيبا مبرّزا كابن عميرة تعلم في مدرسة تهتم بجوانب متكاملة بين المواد الدينية وغيرها، ويسجل صاحب كتاب الرستاق عبر التاريخ أن ابن عميرة كان " يتعلم الخط والإملاء ومبادئ اللغة العربية، ومقدمات بسيطة في علمي العقيدة والفقّه بما ينسجم مع عمر الطفل وقدرته الاستيعابية... ومعرفة الأيام وعدد الشهور القمرية ومبادئ

الحساب وعلم المواريث ومعاملات البيع والشراء وحفظ الشعر" (الخروصي، 2002، 89).

نبح وفق هذه الخطط والمناهج المدرسية ثلة من العلماء والفقهاء والمهندسين والأدباء والأطباء، كالشيخ علي بن عامر النزوي (1059هـ/1649م) والشيخ القاضي ناصر بن سليمان بن مداد (1141هـ/1729م)، وغيرهم في شتى المجالات المترابطة بين العلوم؛ كارتباط الفلك بالبحار والنبات بالطب، والهندسة بالقلاع والأفلاج، وقد تجلت البراعة العمانية في هندسة القلاع والأفلاج التي تعتبر سمة من سمات الحضارة العمانية.

وينوه العزري بتنوع المناهج النقلية والعقلية في المؤلفات العلمية التطبيقية (العزري، 2015، 3)، فالتراث العلمي العماني لم يقتصر على نصوص وخبرات موروثه عن السابقين، بل برز فيه أطباء تجريبون سعو إلى توفير بيئات ملائمة للاختبار والتشريح ومارسوا مهمة الطب، كما لم يمنعهم التجريب من الغوص في مبادئ الطب وفلسفته، وهذا التناغم بين التجريب والتوسع في البحث وأدّ مناهج ووفر مدارك واسعة لدى هؤلاء الأعلام، وأعطى قيمة علمية مضافة في تاريخ العلم، كما نلمس ذلك في إبداعات الأزدي وابن ماجد وابن عميرة وغيرهم مما سبق ذكره.

الجمع بين العلوم التقليدية والحديثة.

لا يخفى على المطلع في المصادر العلمية الإسلامية سمة الاتصال الفكري والحضاري بين المصادر والتجارب والأفكار، ومن تجليات هذا الاتصال ما تناقله الأطباء العمانيون من الاهتمام بالطب التقليدي مع الاطلاع على الطب الحديث، وما يسمى بتجبير الكسور التقليدي أوضح شاهد على ذلك، ويمكن الاستدلال لذلك بسعي الكثير من المعاصرين لفتح نافذة على الطب البديل والتجارب التقليدية في

العلاج.

يتواصل هذا البناء الفلسفي مع علماء تجريبيين ويثمر في مناهجهم لدراسة الطبيعة دراسة منتظمة وموضوعية، كاكشاف ابن الهيثم لقوانين البصريات والبيروني الذي قاس أبعاد الأرض وتكلم عن دوران الأرض حول محورها، وغير ذلك من المنجزات التي حققت جوهر الوحي وأساس المنهج الإسلامي في بناء حقيقة عقلانية تجمع بين الوحي والعقل.

يقول رشدي راشد واصفا مسيرة تقدم العلم الإسلامي بأنه "تقدّم مُحاطا بموكب من التحولات؛ تجددت العلاقات بين (التقاليد العلمية) الموروثة، فلم تعد على ما كانت عليه، وتغيرت محتويات (المكتبة العلمية) وإمكاناتها، وتوحدت بصورة ما (لغة العلم)، وزاد كثيرا عما كان عليه (تنقل) العلماء بين الأقطار" (رشدي، 2011، 42).

تأثير المنهج النقلي على العلوم التجريبية.

انعكس المنهج النقلي التلقيني في العلوم الشرعية على العلوم التجريبية، وهذا الملمح قلما يُنتبه إليه، لأن المنهج في العلم أكثر أهمية من المضمون، وبالتالي أصبح المنهج النقلي والتلقيني غالبا على مضامين العلوم التجريبية، ومن دلالة ذلك ما ساد من تأثير العلوم التجريبية بالعلوم الشرعية أسلوبا ومضمونا.

إن الذهنية العلمية آنذاك كانت تعتمد الحفظ أكثر من التحليل كميّار للعالمية والصدارة المجتمعية، وبما أن النّظْمُ أرسخُ حفظا وأيسر ترديدا من النثر، فإن العلماء سعو إلى صياغة منظومات تلقن مبادئ العلوم، وعلى أهمية الحفظ والتلقين لنقل المعارف، تتحول وسيلة الحفظ إلى غاية معيقة للفهم والتحليل، لذلك تتباطأ عجلة التطور والتنمية بسبب تحويل المكدرات المعرفية والنظريات الاجتهادية إلى نصوص محفوظة منقولة، وتؤول مخرجات هذه النصوص إلى قوالب وأنماط

جاهزة تنتج المهنيين والحرفيين أكثر من الباحثين والمجتهدين. وحين يترجح لدينا أن الخبرات البحرية والهندسية تم تناقل معظمها عبر المهنيين والحرفيين، دون تركيز وتدعيم من مؤلفات العلماء ودراساتهم، فإننا نتحفظ كثيرا في إطلاق مصطلح العلوم التجريبية على هذه الخبرات والتقاليد الحرفية، ولذلك ذكر مجموعة من الباحثين في كتاب (معدن الأسرار) المطبوع تحت إشراف وزارة الزراعة والثروة السمكية في وصفهم للعلوم التجريبية بأن " أغلبهم – أي العلماء- اكتسبها بالتلقين والتطبيق العملي.. أو مع ذوي الخبرة الطويلة والدراية.. ونسبة قليلة أخذت العلم عن الكتب والمراجع" (مجموعة من الباحثين، 1436هـ، 8).

قلة التدوين والتراكم المعرفي في العلوم التجريبية.

يشير الباحث صالح السيابي إلى قلة الاهتمام بالتدوين في العلوم التجريبية مقارنة بالعلوم الدينية وأن علماء عمان " تركز اهتمامهم عليها – العلوم الشرعية النقلية- دون العلوم الكونية التجريبية، ودون غيرها من العلوم كالتاريخ والسير؛ ولذلك لم يدون العمانيون فيها كثيرا بالمقارنة مع العلوم الشرعية البحتة" (السيابي، 2018، 71)، مع اعتبار الحوادث التاريخية التي أتت على مكنتبات ضخمة في تاريخ عمان، وما أنلفته أيادي الزمن من حملات تدميرية للحضارة العمانية، وبما أن التدوين من أهم عوامل مراكمة المعرفة وإخضاعها للدرس والفحص والنقد والتجاوز، فقد أسهم كثيرا في تقدم المعرفة وتجاوز اللاحقين لأخطاء السابقين.

هنا تكمن أهمية التراكم المعرفي والإضافة العلمية التي أسهم بها طبيب كابت عميرة على غرار ما برع فيه سلفه من أسرة آل هاشم في استيفائه للأدوات العلمية من التجريب والتأليف والسفر والاحتكاك بغيره، مما أهله ليتترك أثرا غير مسبوق في الطب العماني، وهذا يعكس أهمية التجريب والخبرة الميدانية، والاستفادة ممن

سبقة، بينما نجد الكثير من التراث الطبي يتراوح بين نَظْم المعارف العلمية لغرض تلقينها وتحفيظها أو نقل التجارب والتقاليد المتوارثة دون دراسة لها ونقدها على محك أسس العلم وضوابطه، والخلاصة أن العلوم العربية لا بد من تمييزها دون إهمال نقدها وتمحيصها.

السفر في سبيل العلم

يعتبر السفر عاملاً فارقاً في الانفتاح المعرفي والتزود، وهذا ما تميز به أبو محمد الأزدي الصحاري العماني إذ " غادر وطنه عمان في مقتبل شبابه ثم لم يرجع إليه إلى مماته، وقد أدركه الوعي الطبي من صغره" (الشيواني، أمالي التراث، 1435هـ، 302/1)، ولأن الأندلس كانت قبلة العلم والمعرفة خصوصاً في مبتغاه من علوم الطب والنبات والصيدلة، فقد طوى الفيافي والأميال ليبلغ هدفه، وحفلت سيرته بلقاء أعلام زمانه ومجالستهم من ابن سينا والبيروني، واتسع أفقه المعرفي في علوم الطب والفلسفة واللغة والصيدلة وغيرها.

وساهمت الرحلات العلمية في توسيع منظومة العلوم التطبيقية العمانية، فقد قصد الأزدي وابن ماجد وغيرهما بلدان عديدة لأجل التعلم، وقام الأزدي بالسفر إلى بلاد فارس حيث شافه البيروني في جرجان، وتعلم على يد ابن سينا.

التبادل المعرفي وأدب المراسلات العلمية.

أسهم التبادل العلمي في إنشاء شبكة علاقات حضارية وبناء نظم سياسية وتشريعية على طول الحضارة الإسلامية العالمية، تمخض عنها وعي فردي وجماعي غير مسبوق، وتجلّى في آليات التواصل المعرفية والمشاركة العلمية، عبر التراسل والحوار والإثراء (السؤالات والجوابات)، وربط الملاحظات العلمية بالعادات الاجتماعية، وترسيخ النظر التجريبي، وكما ورد عن الأزدي تنقله بين البلدان لمتابعة بحوثه الميدانية وجمع عينات من النباتات لإيجاد علاجات مناسبة

للأمراض والمعضلات التي جابهها.

خدمة المجتمع وتسخير العلم للصالح العام.

لا يمكن إغفال البعد الإنساني في التجربة العلمية، ولاشك أن البعد الأخلاقي في الدين أكبر رافد له، وقد عرف علماءنا ما يسمى اليوم بالقوافل الصحية، وكذلك المبادرات الفردية؛ فيروى عن علي عامر العقري [ق12/11 هجري] ارتحاله بين القرى والبلدان لعلاج الناس، وسد حاجاتهم وإسعافهم " ففي التراث العماني شواهد على إقامته في بلدان عديدة من عمان لعلاج المرضى، يقيم في بلدة زمانا ثم ينتقل إلى الأخرى"، وقد أذكى هذا التفاني شعلة الإبداع في جهود العقري حتى وصل إلى أن "صنع بنجاح رجلا خشبية للفقير الأديب المشهور خلف بن سنان الغافري [ت1125هـ] بعدما قُطعت رجله بسبب عاهة أصابها" (الشيبياني، الإنتاج العلمي، 2015، 13).

التفاني المعرفي والإبداع في العلوم التطبيقية.

بلغ الاهتمام بالعلماء العمانيين حدودا كسرت قيود العجز، وعوّضت نقص التقنية، وقد سجل الشيبياني الكثير من الملاحظات التي ينبغي التعمق فيها، إذ أوماً إلى أن العديد من حوارات الفزاري والعقري لا تعد مجرد سؤالات شخصية أو علمية، وإنما تعتبر مباحثات أو ربما هي تطلعات وآفاق معرفية كان يتشوف إليها البحث لتلبية حاجة البشرية وتجاوز حدود الطب والعلم، ولذلك فهي " تتم عن معرفة بالطب وأحوال المتطبيب؛ وذلك أنه يصف الدواء زمانا ومكانا وحالا، ويفرق أحيانا بين الأدوية، وينقل تارة تشخيص المرض وما يعرفه من علاجات، ثم يوجه سؤاله إلى المسؤول عقب ذلك" (الشيبياني، نوادر المخطوطات، 2015، 209)، كما ينبغي التنويه إلى أن الاستفاضة في بيان تفاصيل المتطبيب والأدوية تجعل العالم ينظر إلى أبعاد متداخلة من البحث بداية من المرض العارض إلى

الأبعاد الإنسانية والاجتماعية.

النَّظْمُ الأدبي للمعارف العلمية.

يبدو أن النظم عُرفَ معرفي في الثقافة العمانية، وليس ذلك قصراً على علوم الشريعة والأدب بل طاول شتى صنوف المعرفة، ففي الطب نظم الطبيب بشير بن عامر الفزاري، والشيخ خلف بن سنان الغافري، وراشد بن خلف الرستاقي صاحب زاد الفقير وجبر الكسير، وكذلك نظم ابن ماجد عالم البحار أكثر من عشرين أرجوزة.

ينبغي التنبيه إلى أن للنظم فوائد عديدة منها تسهيل الحفظ والتذكر وجمع المادة العلمية، بصورة أقرب إلى المنظومات الإلكترونية الحديثة، كما أنها تجمع بين أخلاق العلم والمادة العلمية المتخصصة، وكذلك بين الدعوة والتعليم، فتلمح بين تضاعيف العلوم ما يذكرك بعظمة الخالق وتجليه في خلقه وآفاقه.

التزام الأمانة العلمية.

يسعى البحث الأكاديمي إلى تحقيق الأمانة وحفظ الجهود السابقة من خلال توثيقها وعزوها إلى أصحابها، وهذا مبدأ ديني وإنساني ومطلب معرفي، فقد عُرف عن علماء عمان مستوى عال من الأمانة، وكما ورد في كتاب الماء للأزدي ومؤلفات ابن عميرة وابن ماجد من ذكر للمدن، وتحقيق في أسماء الأدوية والنباتات وتشخيص للأمراض والعلاجات، وإحالتها إلى أصحابها وأماكنها، مما يعين على الفهم عبر التحديد (النسبي) للمعارف، ولذلك فإن عالماً مثل الأزدي " لا يتقصد إلى ذكر المكان إلا إذا كانت ثمة ضرورة لذلك الذكر، كأن يكون أهل المدينة التي يظراً عليها يسمون مرضاً ما أو نباتاً ما، بغير ما سمعه في مدينة أخرى" (السيابي، 2018).

منهج الملاحظة والتجريب والمشاهدة.

لا يزدهر العلم إلا على ضوء المنهج، وتختص العلوم التطبيقية بالصرامة والوضوح، وقد تقيد العلماء العمانيون بالمنهج العلمية، وتركوا إنجازات شاهدة على ذلك، فقد اعتمدوا على التجريب والملاحظة والتعميم والاستقراء.

ورد أن الشيخ خميس بن سعيد الشقصي [ق11هـ] ركز على منهج الملاحظة والمشاهدة وفسر ظاهرة الخسوف والكسوف واستفاد من التراكم المعرفي في ذلك (البراشدي، 2012، 196)، كما أن الشيخ العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي " رصد طلوع الفجر لفترة طويلة قرابة عام كامل، فأدرك أن التغيير في وقت الفجر يعتمد على التقويم الشمسي، ووضع جدولاً مبسطاً سهل التذكر، مبنياً على الاعتدالين الربيعي والخريفي، وعلى الانقلابين الصيفي والشتوي" (الشيداني، 2015، 18).

ودرس العديد من العلماء علم الفلك واستعملوه لخدمة الدين، ومنهم العلامة أبو المسلم البهلاني [ت1339هـ] في كتابه نثار الجواهر حيث " شرح أنواع الخسوف والكسوف شرحاً مستفيضاً، موضحاً آليات وأوضاع حدوث كل نوع، والخصائص الظاهرة في كل حالة" (الشيداني، 2015، 11) وناقش مواقف العديد من العلماء من علم الفلك ونقض رأي من رد حجيته وشكك في أهميته.

واستخدم الطبيب راشد بن عميرة المنهج العلمي الرصين، في تشريح العين واتصالها بالدماغ، ليس اعتماداً على الخبرة وتوارث المهنة فقط، وإنما على التحليل والتقصي وإجراء التجارب. كما مارس ابن ماجد والمهري الافتراض والتنبؤ في رسم خرائط وتصور طرق جديدة للبحار، وقد سبق ابن ماجد إلى استشراف أهمية قناة السويس كمعبر بحري للعالم الجديد، وما سيفتح من علاقات ومنافع للتجارة والمواصلات.

تطوير أدوات التجريب العلمي

ترك أحمد بن ماجد أثرا راسخا في علم البحار، وطور العديد من الأدوات البحرية، وتم اختياره رسميا من قبل اليونسكو ضمن قائمة العلماء المؤثرين لسنة 2021 ميلادي، وتماشى تطوير الأدوات العلمية لدى العلماء العمانيين بما يحقق المحافظة على البيئة واستخلاص موادها الطبيعية أو ما يطلق عليه حديثا بالتنمية المستدامة، كما استفاد العمانيون من العلوم الهندسية في تسليك القنوات المائية كإنشاء الأفلاج وطرق استخراج الماء من أعماق الأرض وفق معدات بسيطة وفعّالة، وطرق توزيع الماء عن طريق الشمس والنجوم، وفي العمران كنظام الحارات القديمة وبناء القلاع والحصون وغيرها مما يركز على قواعد علمية متقنة.

يؤكد خليفة الحجي العبقري الهندسية لدى الإنسان العماني " في هندسة هذه الأفلاج بأسلوب بارع ينبئ عن حذافة الفكر العماني الأصيل" (الحجي، 2006، 177)، وشهد لذلك المستشرق ولكنسون حين قال عن استغلال العمانيين للأرض أنه " كان قائما على مستوى مرتفع من المهارة في كيفية استخدام المياه" (ولكنسون، 2003، 46).

التأليف المعجمي والاعتناء بالمصطلح العلمي.

يعتبر التأليف المعجمي في الميادين العلمية عملا متقدما وغير معهود في العصور السابقة، كما هو الشأن اليوم في المعاجم المتخصصة في ميادين معرفية معينة، وتتطلب إماما بتاريخ العلم وطبيعة التخصص وواقعه التجريبي، وهذا من المجالات التي برع فيها أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي الصحاري، أحد أعلام عمان البارزين من خلال مؤلفه (الماء)، الذي عُدَّ أول معجم طبي لغوي في التاريخ.

ولأهمية هذا المؤلف فقد عرضناه نموذجاً للدراسة المعجمية المتخصصة عند العلماء التجريبيين العمانيين، وتناولنا منهجية مؤلفه كما فصلها الدكتور الحمودي محقق المعجم (الأزدي، 2015) ومنها:

صناعة الأدوية وتعاطي الكيمياء، والنجاح في العديد من الخلطات التي ابتدعها من غير سابق.

الاهتمام بالتفاصيل التطبيقية، عبر التشخيص والتمييز والتفصيل، مثال ذلك ما أورده في الجذر (ب و ل)، إذ بين أسباب ألوان البول وأمراضه ودلالته على أمراض الأعضاء الأخرى.

توظيف سعة اللغة لإثراء المعجم الطبي، والتركيز على الدلالة الطبية مما لم تنطرق إليه المعاجم اللغوية غالباً.

استيعاب الأمراض النفسية وتأثيراتها على الأعضاء، مع ذكر تأثير سوء المزاج في حدوث الأمراض ومضاعفة ظواهرها.

الاعتماد على التجربة المخبرية بدل الاكتفاء بالنقل، مع حرصه على الاستفادة من السابقين ورد الفضل إليهم، على وجه الخصوص أستاذه ابن سينا والحكيم جالينوس.

الحسم في اختلاف الرؤى والمنظورات من خلال التجربة المخبرية، كما ذكر أنه "ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق التجربة والقياس والمعينة".

إحاطة الأعراض الجانبية بوصفات الأدوية، مع البحث عن أدوية لعلاج تلك الأعراض، والإشارة إلى من يمنع عليهم تعاطي ذلك الدواء كما هو الأمر في الوصفات العصرية.

الخاتمة:

خلص البحث إلى مجموعة نقاط أهمها:

عرف التراث العلمي العماني علماء فطاحل تركوا مآثر وإنجازات، كالطبيب الشيخ راشد ابن عميرة وعائلته آل هاشم وأسد البحار أحمد بن ماجد، والعالم الطبيب اللغوي أبو محمد الأزدي الصحاري.

التزم الجهد العلمي العماني بالنموذج الإسلامي، بجمعه بين التجربة والتنظير، وبين الوحي والعقل، وبين علوم النفس والروح والأبدان.

الأركان الأساسية للنموذج المعرفي الإسلامي هي: التوحيد، الوحدة الكونية، تعدد مستويات الحقيقة والمصدرية الإلهية للمعرفة.

أبرز سمات العلم العربي الإسلامي هي العالمية، وتعني مركزية التواصل بين الحضارات. ومن خلالها تم إنشاء مدارس عريقة ومراكز علمية رفيعة.

ميزة الروح العلمية في النموذج المعرفي الإسلامي ارتباطها بالوحي القرآني، وانضباطها بالمنهجية العلمية والتجربة الميدانية.

أهم تجليات الروح العلمية في الإسلام الاهتمام بالحقائق العليا وتوسل الدليل التجريبي.

المعرفة الإسلامية تضرب بجذورها في أعماق الوحي، وتهدف إلى بناء قيم موضوعية للحقيقة، تدعى الخصائص الوصفية descriptive characteristics،

للتدليل على أنها ليست أقل شأنًا من الصفات الشكلية الأخرى كالشكل والحجم.

يتميز النموذج العربي الإسلامي بسمات عديدة، منها خدمة المجتمع وتلبية

أوامر الشرع، تجاوز القطيعة بين الإنسانيات والعلوم التطبيقية، التوفيق بين الفلسفة اليونانية والوحي الإلهي.

خصائص العلوم التطبيقية عند العلماء العمانيين ثلاثة؛ منهج الملاحظة والتجريب والمشاهدة، تطوير أدوات التجريب والاعتناء بالمصطلح العلمي.

المصادر والمراجع

BAKAR, O. (2012). The history and philosophy of islamic science. Cambridge: The Islamic Texts Society.

SARDAR, Z. (2006). science and knowledge. In Z. SARDAR, How Do You Know? (pp. 90215-). London: Pluto Press.

إبراهيم خوري. (1991). أحمد بن ماجد منظر الملاحة العربية في بحر الهند في ق9/15م. الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد (صفحة 20). اللاذقية ، سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

الريستاق عبر التاريخ. (2002). مسقط: المنتدى الأدبي.

جي رسي ولكنسون. (2003). الأفلاج ووسائل الري في عمان. (محمد أمين عبدالله، المترجمون) مسقط: وزارة التراث والثقافة.

حسين العبري. (2008م). قراءة في ثلاث قصائد مخطوطة للشيخ راشد بن عميرة. ندوة أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين (صفحة 18). مسقط: المنتدى الأدبي.

حمود بن حمد الغلابيني. (2015). العلوم البحرية وصناعة السفن في سلطنة عمان. إسهامات العمانيين في العلوم التطبيقية. مسقط: جامعة السلطان قابوس.

خليفة بن بدوي الحجري. (2006). نظام الأفلاج في سلطنة عمان بين معطيات الماضي وتحديات المستقبل. تأليف نوافذ على الماء والحضارة في بلاد العرب (صفحة 177). تونس: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة.

داود سليمان داود. (2005). النباتات الطبية لأبي محمد الأزدي. لندن: دار

راشد بن عميرة الرستاقى. (1434هـ). منهاج المتعلمين. المحقق: عبد الله بن علي السعدي. مسقط: وزارة التراث والثقافة.

راشد رشدي. (2011). تاريخ العلوم فيما بين الإيستمولوجيا والتاريخ. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

سعيد بن علي المغيري. (2001). جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار. مسقط: وزارة التراث والثقافة.

سعيد بن محمد الهاشمي. (1427هـ). بعض المخطوطات العمانية في المكتبات الأوروبية. مسقط: المنتدى الأدبي.

سلطان بن مبارك الشيباني. (1435هـ). أمالي التراث نظرات نقدية وقرارات جديدة في التراث العماني مخطوطه ومطبوعه. مسقط: مركز ذاكرة عمان.

سلطان بن مبارك الشيباني. (1436هـ). الطبيب راشد بن عميرة حياته وآثاره العلمية. الاحتفال بالذكرى المئوية الرابعة للطبيب والصيدلاني العماني راشد بن عميرة بن ثاني الهاشمي الرستاقى (صفحة 9). مسقط: اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم.

سلطان بن مبارك الشيباني. (1436هـ). مفتاح الباحث إلى ذخائر التراث الفكري العماني. مسقط: مركز ذاكرة عمان.

سلطان بن مبارك الشيباني. (2015-1-27). الإنتاج العلمي العماني. مسقط، عمان: وزارة التراث.

سلطان بن مبارك الشيباني ومحمد العيسري. (1436هـ). نوادر المخطوطات العمانية. مسقط: وزارة التراث والثقافة.

صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي. (1998). طبقات الأمم. المحقق: حسين مؤنس. القاهرة، مصر: دار المعارف.

صالح السيابي. (2018). العمانيون والعلوم التجريبية. بيروت لبنان: دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع.

صالح بن سعيد الشيداني. (7 12, 2015). إسهامات العمانيين بعلم الفلك. إسهامات العمانيين في العلوم التطبيقية (جامعة السلطان قابوس)، صفحة 11.

عبادة كحيلة. (1410هـ). عن العرب والبحر. القاهرة: مكتبة مدبولي.

عبد الله بن محمد أبو محمد الأزدي. (2015). الماء: أول معجم طبي لغوي في التاريخ (الإصدار 2). المحقق: دكتور هادي حسن حمودي. مسقط عمان: وزارة التراث والثقافة.

عبد المنعم عامر. (1426هـ). عمان في أمجادها البحرية. مسقط: وزارة التراث والثقافة.

مجموعة من الباحثين. (1436هـ). معدن الأسرار في معرفة الصيادين والبحارة العمانيين بأحوال البحار. مسقط: وزارة الزراعة الثروة السمكية.

محمد بن قاسم ناصر بوحجام. (2015). أسد البحار العماني أحمد بن ماجد. سلطنة عمان: هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية.

محمد عوض الله. (2005). العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية. مكتبة المتنبي.

موسى بن سالم بن حمد البراشدي. (2012). الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة. مسقط: النادي الثقافي/ دار الفرقد.

ناصر بن حماد العزري. (2015). إسهامات العمانيين في مجال الطب. إسهامات العمانيين في العلوم التطبيقية. مسقط عمان: جامعة السلطان قابوس.

ناصر بن سالم بن عديم البهلاني. (2004). نثار الجواهر في علم الشرع الأزهر. مسقط: مكتبة مسقط.

هادي حسن حمودي. (2000). علماء عمانيون عبر التاريخ. سلطنة عمان:
وزارة الإعلام.



أ. حمود بن حمد بن جويد الغيلاني

jawayed85@gmail.com

خبير دراسات تاريخية

القواعد والعمليات الحسابية عند النواخذة العمانيين

الملخص:

إن علاقة العمانيين بالملاحة البحرية علاقة قديمة، تعود إلى فترة ما قبل الميلاد، زاولوا خلالها العديد من الأنشطة البحرية في التجارة الخارجية، والغوص والنقل، وصيد الأسماك، وصناعة السفن، كما أبحروا خلال جميع بحار المحيط الهندي، وخاصة الغربية منها، كالبحر الأحمر.

وقد اهتم العمانيون بتدوين ملاحظاتهم وتجاربهم، فظهرت علوم البحار عند العمانيين، الذين توارثوها أباً عن جد، حتى وصلت إلى أرقى مراحلها عند أحمد بن ماجد السعدي، الذي وضع أسس علوم البحار، وجاء بعده عدد من النواخذة العمانيين، الذين طوّروا كثيراً من المفاهيم والعمليات الرياضية والفكرية في مجال العلوم البحرية.

هدف الدراسة: تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على عدد من العمليات والآليات الحسابية، التي مارسها العمانيون؛ لضبط الكثير من العمليات البحرية والتجارية.

منهجية الدراسة: تتخذ هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التاريخي، وتتكون من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، يتحدث المبحث الأول عن تطور

علوم البحار عند العمانيين، وأهم المجالات التي عملوا على تطويرها؛ لتتناسب والفترة الزمنية لها، أما المبحث الثاني، فيتناول العمليات الحسابية المتعلقة بمواقع النجوم، وخطوط الطول والعرض، ومسارات السفن وسرعتها، وأعماق المواقع البحرية، باستخدام عدد من الأجهزة، بينما يتناول المبحث الثالث القواعد الرياضية للعمليات الحسابية، المتعلقة بالتجارة والمحاسبة، وغيرها من العمليات، وعمليات تحويل العملات.

النتائج: يتوقع الباحث من خلال تناول هذا الموضوع، الوقوف على عدد من الحقائق التاريخية والعلمية، منها:

- 1 - التعريف بدور العمانيين في تطوير علوم البحار.
- 2 - إيضاح الفكر الرياضي لدى النواخذة العمانيين.
- 3 - بيان عدد من الأساليب والقواعد الحسابية الممارسة في قيادة السفن، وعمليات الإبحار.
- 4 - إبراز عدد من عمليات المحاسبة الرياضية، التي استخدمها النواخذة العمانيون.

مصادر الدراسة: ستعتمد الدراسة على مصادر ومراجع أولية وثانوية، أشارت إلى هذا النشاط.

الكلمات المفتاحية: عمان، علوم، قواعد رياضية، مساج، عملات.

The rules and arithmetic operations of the Omani NawaKhdhas

Hamood bin Hamed bin Jawaid Alghailani

Jawayed85@gmail.com

Historical studies expert

Abstract:

Introduction of the study: The relationship of the Omanis with marine navigation is an ancient one dating back to the BC period, during which they practiced many marine activities in foreign trade, diving, transport, fishing and shipbuilding, and they also sailed through all the seas of the Indian Ocean, especially the western ones, such as the Red Sea.

It was the Omanis who were interested in writing down their observations and experiences, so marine science appeared among the Omanis, who inherited it from father to grandfather until it reached its highest stage with Ahmed bin Majid Al Saadi, who laid the foundations of marine sciences. Marine sciences.

Objective of the study: This paper aims to shed light on a number of arithmetic operations and methods practiced by the Omanis to control many maritime and commercial operations.

Study Methodology: This study takes the historical analytical descriptive approach and consists of an introduction, conclusion,

and three sections. The first section deals with the development of marine sciences among the Omanis, and the most important areas that they worked on developing to suit the time period for them. The second topic deals with arithmetic operations related to the locations of the stars, longitude, latitude, paths Ships, their speed, and the depths of marine locations using a number of devices, finally the third topic deals with the mathematical rules of arithmetic operations related to trade, accounting, other operations, and currency conversion operations.

Results: The researcher expects, by addressing this topic, to identify a number of historical and scientific facts, including:

- 1 . Introducing the role of Omanis in developing marine sciences.
- 2 . Clarifying the mathematical thought of the Omani Nawakhdhas.
- 3 . Explanation of a number of methods and arithmetic rules practiced in the leadership of ships and sailing operations.
- 4 . To highlight a number of mathematical accounting operations used by the Omani Nawakhdh.

Study sources: The study will depend on primary and secondary sources and references that referred to this activity.

Keywords: Oman, science, mathematical rules, massaje. coins

مقدمة

في الوقت الذي كان العرب يعايشون واقعهم الصحراوي، كان العمانيون يستأنسون العمل في البحر، والإبحار إلى مختلف الحضارات القديمة، وما تلاها حتى العصر الحديث؛ مما أكسبهم خبرة واسعة في مجال العلوم البحرية، بما رصدوه ووثقوه من ملاحظات، وما عملوا على تطويره من وسائل معينة في عملياتهم البحرية، بنوعيتها: التجاري والعسكري.

وحتى سبعينيات القرن الماضي، كانت الأساطيل البحرية ناشرة أشرعتها، مبحرة إلى موانئ الخليج العربي، والهند، وجنوب شرق آسيا، والبحر الأحمر، وشرقي أفريقيا⁽¹⁾، كما كانت عمان مركزاً للملاحة والتجارة البحرية الإسلامية⁽²⁾. ولم يكن تأثير هذا الإشعاع الحضاري البحري متساوياً في الدرجة، بل كان بعضه أكثر تأثيراً من الآخر، فالنشاط البحري التجاري، ورحلات السفر، أصبحت مصادر الإشعاع الفكري في العلوم البحرية، وأكبرها تأثيراً.

لعبت العمليات الحسابية الأربع دوراً مهماً في تقدم علوم البحار لدى العمانيين؛ وذلك يرجع إلى أنه منذ القدم، ومنذ ممارسة العمانيين لعمليات الإبحار، كان لا بد من دراسة علم الفلك، وتوظيفه في عملية الإبحار، كتحديد خطوط الطول والعرض، وقياس المسافات، وسرعة السفينة، ولكون عمليات الإبحار ارتبطت بالتجارة لدى العمانيين؛ تم توظيف ذلك في العديد من العمليات التجارية، وتحويل العملات، ومن خلال تتبع مناهج التدريس، خاصة في ولاية صور، في فترة ما قبل عام 1970م، وخلال ما سبقها من القرون، نجد للرياضيات (الحساب) مقررًا دراسياً، يهتم بالعمليات الأربع؛ إدراكاً لأهمية تدريس الأبناء هذا المقرر؛ ليكون

1 الغيلاني، حمود بن حمد بن حويد، أسياذ البحار، مسقط، مزون، 2019م، ص 43

2 العائني، عبد الرحمن عبد الكريم، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، مسقط، المطبعة الشرقية ومكتبتها، ص 5

معيناً لهم في دراسة علوم البحار، وقيادة السفن فيما بعد.
بدأت فكرة البحث من خلال الدراسات السابقة لتاريخ عمان البحري والعلوم البحرية، إذ تم العثور على عدد من القواعد الرياضية لدى نواخذة السفن وملاحيها، تهتم بعمليات تحديد خطوط الطول والعرض، وقياس سرعة السفينة، والمعاملات التجارية، وغيرها، إلا أن مشكلة واجهتني في دراستها، تمثلت في عدم وجود مراجع ودراسات سابقة لهذا الجانب، تمثل مرجعاً يمكن الاسترشاد به.
ولمعالجة إشكالات عدم وجود المراجع، أو دراسات سابقة في هذا المجال، كان لا بد من الرجوع إلى المصادر العمانية القديمة، والمتمثلة في مؤلفات المعالمة، والملاحين العمانيين.

وتتمثل أسئلة البحث في: ما القواعد الرياضية التي مارسها النواخذة العمانيون؟ وما مجالاتها؟

وفي سبيل بيان ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف، منها: إبراز أهم العمليات الرياضية لدى نواخذة البحر العمانيين، وكذلك حصر مجالاتها وأنواعها، ومن ثم إبرازها للباحثين والدارسين والمهتمين بالتاريخ العلمي لدى العمانيين. وللوصول إلى هذه الغاية؛ اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي التاريخي.

وقد اعتمد الباحث على مصادر أولية: تتمثل في مخطوطات الرحمانيات العمانية، إضافة إلى مخطوطة قطرة من طل في سيرة أبي محمد البطل، ومصادر ثانوية: تمثلت في كتاب معجم المصطلحات، والمسميات البحرية العمانية.

المصطلحات:

قياس: يصطلح عليها النواخذة بأنها ارتفاع الكوكب، أو نزولها إلى الأفق، أي: مقدار ما بين خط الأفق والنجم، والأصح ما كان قطبياً، وأضعفه ما كان شفاقاً،

وصحة القياس مشروطة، فأولها: أن من يقوم بالقياس صحيح النظر، وثانيها: أن يكون البحر أسودًا ليس به بياض أو غبار، وثالثها: أن يكون النجم ظاهرًا بيّنًا، ورابعها: أن يكون القياس موافقًا لقياسات المشهورين من قبله من النواخذة. القاعدة: وجمعها قواعد، القواعد: هي عمليات حسابية، يستخرج بواسطتها المساجات والمواقع.

الناكت: حساب لضبط اتجاه السفينة حسب البوصلة، بمعنى حساب درجة زاوية المجرى، وتقسّم البوصلة إلى (32) نجمًا، ولكل نجم (11, 1/4) وتكون جملة درجات الدائرة (360) درجة.

الأسقان: وحدة قياس تعادل الثانية، حيث تقسم وحدات القياس هنا إلى الدرجات، والدقائق، والثواني، وأصل الأسقان محرفة من كلمة (second). المساج: وحدة قياس عند النواخذة، كمقدار مشي السفينة، والطول والعرض، ودرجة زاوية المجرى (الناكت).

النود: كتاب إنجليزي، يستخدمه النواخذة لتحويل القياسات؛ لاشتماله على جداول تحدد قياسات خطوط الطول والعرض.

الكورية: وحدة وزن تعادل (20) قطعة من صنف البضائع، فيقال تحمل سفينة فلان عشرين كورية من خشب الجندل، ويعنى بذلك أن كمية الخشب من هذا الصنف (400) قطعة.

القوصرة: أوعية من السعف دائرية الشكل، تحفظ فيها التمور، تستورد من العراق.

دواكر: عملة هندية.

آنة: عملة هندية.

روبية: عملة هندية قديمة، تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت الهند

القديمة أول من أصدر النقود المعدنية في العالم.

المردى: عملة هندية.

النيروز: حساب بحري، مدته 365، وهو أنواع، منها: العربي، والفارسي، والهندي، والمعتضدي.

أولاً- تطور علوم البحار عند العمانيين

علم الملاحة البحرية يقصد به: آلية تحديد موقع السفينة، وقيادتها بأمان من ميناء إلى آخر، وهو أمر لا يبتعد عن الملاحة الفلكية سوى أنه مرحلة سابقة له. ويقوم علم الملاحة البحرية على ثلاثة مكونات، أو ثلاث قواعد، الأولى: وهي الوسيلة (السفينة)، التي أبدع العمانيون في صناعتها، والثانية: علم الملاحة الفلكية، الذي هو الأساس في علم الملاحة البحرية، والثالثة: الملاح نفسه. أما علم الملاحة الفلكية فيعرف بأنه: علم قيادة السفن، بواسطة الاهتداء بالنجوم والكواكب، وهذا العلم نشأ عند العمانيين من خلال الخبرة الطويلة، الممتدة عبر قرون من التاريخ، خبرة نتجت من خلال المشاهدة والتجربة، حتى وصل إلى مرحلة التدوين الكتابي.

ونتيجة لما ذكر أعلاه؛ وظف العمانيون خبراتهم الملاحية، من خلال التفكير في إيجاد آلات وأدوات اكتشفوها أو طوروها، فظهرت (الديرة) بعد أن أضاف إليها الربان المعلم أحمد بن ماجد السعدي (824هـ/1421م – 906هـ/1500م)⁽¹⁾ الإبرة المغناطيسية، التي ارتقت بعلم تحديد الاتجاهات، بعيداً عن الاستنتاجات غير المبرمجة علمياً، فاستخدموا (حسابات الدور) وهي حسابات لأيام السنة وفصولها، ابتداءً من مطلع سهيل، اعتباراً من الخامس عشر من شهر ثمانية (أغسطس) من كل عام، قبل شروق الشمس.

1 الهاشمي، سعيد بن محمد، ابن ماجد السعدي: أسطورة الملاحة العربية (824 هـ / 1421م – 906 هـ / 1500م)، مجلة المؤرخ المصور، الجمعية التاريخية المصرية، العدد 23، 2000م، ص 104

يقول أسد البحار شهاب الدين أحمد بن ماجد في أول مسودة لكتابه (الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد)، الذي كتبه عام 1475م: «ومن اختراعنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة بنفسه»، ويقول في موقع آخر: «تجليس المغناطيس على الحقة بنفسه»⁽¹⁾.

كما أن الربان المعلم أحمد بن ماجد هو مخترع جهاز الكمال، الذي عرف أولاً باسم آلة (الخشببات والألواح)، بعد أن قام بتجربة القياس بالأصابع؛ لتحديد مواقع النجوم.

ووضع ما عُرفَ باسم دستور ابن ماجد ، الذي أحتوى على عدد من صفات النواخذة، ونصائح تتعلق بعملهم من البداية، وحتى الإغلاق فيقول في ذلك⁽²⁾:

وينبغي معرفة الأرياح ومغلق للبحر والمفتاح
فغلقه يمكث ربع عام مدة تسعين من الأيام
فهذه التسعين فيها الغلقا حقيق من جاز بها أن يشقا

كما كان الملاحون العمانيون يفرقون بين النجوم المتحركة باستمرار، وهي الكواكب السيارة: (عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل)، وتلك النجوم الثابتة، مثل: (بنات نعش والواقع والسماك وغيرها).

يقول أحمد بن ماجد: اعلم أيها الطالب أن لركوب البحر أسباباً (يقصد أسساً) كثيرة، منها:

1 - معرفة الشمس والقمر.

2 - معرفة الرياح ومواسمها.

3 - معرفة آلات السفينة.

1 السعدي، احمد بن ماجد، الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد ، مخطوطة، النسخة الباريسية، ص 102
2 السعدي، أحمد بن ماجد، مخطوطة أرجوزة الحاوية، النسخة الباريسية (copy 3, 47/24/3) ، ص 204

ولم يقف الأمر على ما قام به الملاح العماني أحمد بن ماجد من تطوير للعلوم البحرية، والتي استخدمت من أجل ذلك المجال التجريبي والتطبيقي؛ للوقوف على دقة ما يرصد من علوم ومظاهر، بل استمر الملاحون العمانيون من بعده في تطوير كثير من المجالات، ومن أهم تلك المجالات: الجانب التوثيقي للمادة العلمية للفلك، كرصده النجوم، والكواكب، وتوظيفها من خلال آليات عمل أكثر سهولة ودقة، ووظفوا الرسوم التوضيحية، ودقة المعالم الاستدلالية على المواقع الجغرافية، فقد ظهر في أواخر القرن السادس عشر الملاح سعيد بن عمر المرزوقي، الذي رسم عدداً من الخرائط البحرية في القرن السادس عشر لموانئ بحر العرب، استولى عليها البرتغاليون أثناء وجودهم في المنطقة (1)، وفي القرن الثامن عشر عدد من الملاحين العمانيين، مثل: سعيد بن حمد بن ماطر التمامي (ق 18-19م)، وفي القرن التاسع عشر ظهر الملاح سعيد بن عمران بن إبراهيم المرزوقي (القرن 13هـ / 19م)، له رحمانية (2) مخطوطة تعرف باسم: «نبهت الغافل في حسبت المنازل» بعام 1253 هـ 1873م، والملاح راشد بن مسلم الصوري العماني (ق 13 هـ / 19م)، الذي نظم أرجوزة خاصة بالملاحة البحرية في عام 1853م، الموافق 1270هـ في أثناء رحلة العودة من موسم الحج من ميناء جدة إلى ميناء صور، وفي القرن العشرين ظهر كل من الملاح ناصر بن علي الخضوري (1286هـ / 1870م - 1387هـ / 1968م)، صاحب كتاب: «معدن الأسرار في علم البحار»، وكتاب: «تنبيه الغافل في معرفة علم البحر وقواعده» (3)، والملاح أبو إدريس سعيد بن محمد (ود عبود) الغيلاني الصوري العماني (ق 14 هـ / 20 م)، صاحب كتاب: «الجواهر اللطيف في علم البحر المنيف»، والملاح علي بن محمد بن

1 الغيلاني، أسياذ البحار، مرجع سابق، ص 281

2 الرحمانية: هي الدليل الاسترشادي الخاص بقيادة السفن في رحلات الملاحة الفلكية.

3 الملاحي، عبد الرحمن بن عبد الكريم، ملاحم من التداخل المعرفي بين ربانة اليمن وعمان، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2006م، ص 85

خميس الغيلاني (1293هـ / 1877م - 1371هـ / 1952م)، له مؤلف موجود حاليًا في وزارة التراث والثقافة العمانية، والملاح جمعة بن مسلم بن جمعة بن سليم القعدوي (1286هـ / 1892م - 1391هـ / 1972م)، صاحب كتاب: «الميل البحري لكل ربان بحري»، والملاح خميس بن محمد بن مسلم بن حمد بن جمعة (ق 14هـ / 20م)، صاحب كتاب: «جداول في علم البحار»، والملاح سعيد بن سالم بن سعيد الجامعي (ق 14هـ / 20م)، له مخطوطة عرفت باسم: «نبهت الغافل»، محفوظة بوزارة التراث والثقافة، والملاح محمد بن ماجد بن سالم المرزوقي (ق 13/12هـ - 19/18م)، له مخطوطة تعرف باسم: «الجامع اللطيف في علم البحر».

كما ظهرت مؤلفات عُرفت باسم الرزنامة (1)، وهي السجل اليومي للرحلات البحرية، وما يوافقها من أحداث وملاحظات، ومن برزت لهم آثار في ذلك الملاح سعيد بن محمد بن راشد آل فنة العريمي (1334هـ / 1916م - 1427هـ / 2007م)، له رزنامة مخطوطة تعرف باسم: «رزنامة الملاح سعيد بن محمد آل فنة العريمي»، والملاح علي بن مسلم القعدوي العلوي (1351هـ / 1933م - 1431هـ / 2010م)، له رزنامة تعرف باسم: «رزنامة الملاح علي بن مسلم القعدوي العلوي، وهناك عدد من الروزنامات، غير المكتملة، وردت في صفحات الملاحظات في رحمانيات عدد من النواخذة.

ثانيًا- العمليات الحسابية المتعلقة بالإبحار.

يتناول العمليات الحسابية المتعلقة بمواقع النجوم، وخطوط الطول والعرض، ومسارات السفن وسرعتها، وأعماق المواقع البحرية، وتقدر عدد القواعد بما يزيد على (40) قاعدة رياضية، مرتبطة بتطبيقات علوم الفلك والإبحار، إضافة إلى

1 الرزنامة : هي المذكرات اليومية للنوخذة التي يدون بها ملاحظاته ومشاهداته وعمليات القياس اليومية.

عدد من القواعد المالية، المرتبطة بالأسعار وتحويل العملات، نذكر منها:
 1 - قاعدة إرساء المركب⁽¹⁾: هي قاعدة وردت في كتاب ابن ماطر، يقول فيها:
 ”قاعدة إرساء المركب من طرف الجاه زاد العرض [وإلى] سار طرف القطب
 نثمن العرض.

2 - قاعدة استخراج الطول من العرض⁽²⁾: تأخذ العرض الذي عندك، وتضع
 تحته قاعدة النجم، الذي جريت عليه وتضربه، وجملة الضرب قسمة على (15)،
 والنتائج يساوي الطول.

الجاه	الفرقد	النعشي	الناقة	العيوق	الواقع	السماك	الثريا	المغيب
90	3	6	10	15	22	36	73	90

مثال: العرض 22,19

3 - قاعدة استخراج العرض من المساج⁽³⁾: خذ حاصل المساج، واضربه في
 قاعدة النجم، الذي تجري عليه، ثم تقسم الناتج على (60)، وناتج القسمة يساوي
 العرض.

الفرقد	النعشي	الناقة	العيوق	الواقع	السماك	الثريا	المغيب
59	55	50	42	32	23	12	90

4 - قاعدة استخراج المساج من الطول⁽⁴⁾: تأخذ عرض الكمال، وتضع تحته
 قاعدة الذي جريت عليه وتضربه، وجملة الضرب يقسم في (15)، وناتج القسمة
 هو المساج.

الجاه	الفرقد	النعشي	الناقة	العيوق	الواقع	السماك	الثريا	المغيب
90	15,5	16,5	18,5	21,5	27	39	75	90

1 التمامي، سعيد بن حمد بن ماطر، مخطوطة، المتحف البريطاني البحري، (OR.2920)، ص 252

2 العريمي، محمد بن ناصر بن محمد ولد مصبح، مخطوطة بوزارة الثقافة والشباب والرياضة برقم (2/1819)، ص 157

3 الخضوري، ناصر بن علي، معدن الأسرار في علم البحار، تحقيق: حسن صالح شهاب، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2015م، ص 233

4 العريمي، مرجع سابق، ص 157

5 - قاعدة استخراج المساج من العرض⁽¹⁾: خذ بما حصل عندك من العرض، واضربه في (15)، والنتيجة هو المساج المطلوب.

المغيب	الثريا	السمالك	الواقع	العيوق	الناقة	النعشي	الفرقد
90	77	39	27	21	18	16	15

6 - قاعدة استخراج المساج من غير باطلائي⁽²⁾: ويكون ذلك في موسم السواحل، إن كنت ذاهبًا أو راجعًا، يعطيك مساجًا صافيًا:

قاعدة الفرقد	قاعدة النعشي	قاعدة الناقة	قاعدة العيوق
101959	111239	120369	141421
قاعدة الواقع	قاعدة السمالك	قاعدة الثريا	قاعدة المغيب
179995	261313	391583	900000

تضرب العرض في قاعدة النجم الذي جريت عليه، وجملة الضرب تقطع (تحذف) منها خمس خانوات (أول خمس خانوات على اليمين)، والباقي هو المساج. وتجرى العملية على النحو التالي:

ملاحظة: اعلم بأن قاعدة السهيل والنعشي واحدة، وعلى هذا قس باقي النجوم، كل نجم يقابله من النجوم، فتعدتهم سواء (واحدة)، هذا النعشي في مجرى السهيل حصل الكمال (75) دقيقة.

$$8342925 = 75 \times 111239$$

فيكون المساج (83)

7 - قاعدة الـ(4)⁽³⁾: يقصد بها قاعدة السنة الكبيسة، فالسنة الرابعة تُعدُّ عندهم كبيسة.

8 - قاعدة الـ(28)⁽⁴⁾: المقصود هنا أيام شهر فبراير.

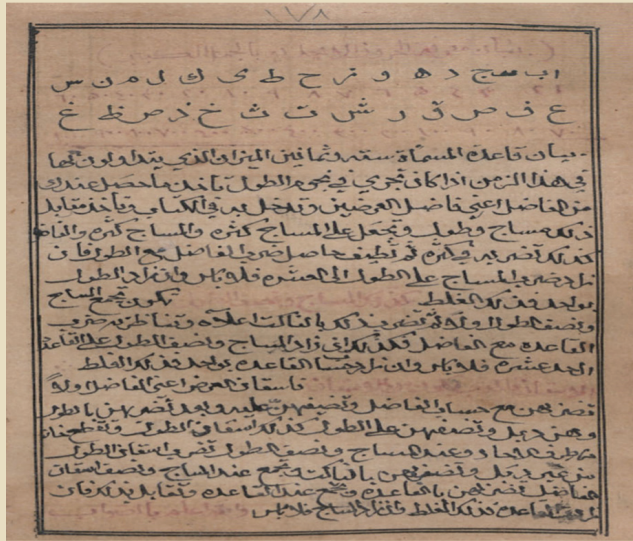
1 الخضوري، مرجع سابق، ص 233

2 العريمي، المرجع السابق، ص 157

3 الخضوري، المرجع سابق، ص 228

4 الخضوري، المرجع سابق، ص 228

9 - قاعدة الـ(86)⁽¹⁾: هي قاعدة حسابية عند النواخذة، ويقصد بها: حاصل عرض الكمال في النود، يكون في الخانة الأولى عرض، والوسطى طول، والثالثة مساج.



احتساب قاعدة (86)²

- 10 - قاعدة الـ(916)(3): هي قاعدة حسابية لحسابات السنة الكبيسة.
- 11 - قاعدة استخراج الناكث من الـ(135)(4): هي قاعدة تستخدم في استخراج الناكث(5)، وذلك بتحديد درجة النجم الذي تبحر فيه السفينة، وضربه في (60)، ثم تستكمل العملية بالقسمة، فالنتاج من الواحد هو الناكث والبقية هي الدقائق.
- 12 - قاعدة الجري في الجاه وصفى لك الفرق(6): الغاية منها تحديد موقعك

1 الخضوري، مرجع سابق، ص 229

2 العريمي، مصدر سابق، ص 178

3 الخضوري، المرجع سابق، ص 230

4 الخضوري، المرجع سابق، ص 231

5 الناكث : هو عملي حسابية لضبط اتجاه السفينة حسب البوصلة، بمعنى حساب درجة زاوية المجرى.

6 العريمي، مصدر سابق، ص 176

هل في المطالع أم في المغارب.

خذ فاضل عرضك، وأضربه في (90) الارتفاع، واجمع الضرب ثم قسمه على (60)، وخذ قسمًا واحدًا، واطرح منه (2) وكرر العملية حتى تقف على رقم لا يقبل القسمة على (2)، فالباقى إن كان أحاداً فأنت في المطالع، وإن كان ثنائياً فأنت في المغارب.

مثال: عرض القياس عندي: 29، 45 نأخذ الباقي وهو (29) ونضربه في (90) وهو قياس الكمال.

$$90 \times 29 = 2610 \text{ يقسم على } (60) \text{ قاعدة.}$$

$43,5 = 2610 \div 60$ تحذف الرقم الناقص عن (1) و(0.5) ويبقى 43 يتم طرح الرقم (2) $43 - 2 = 41$ وتكرر نفس العملية يتبقى لدينا في النهاية (1). ولكن الواحد رقم فردي، فنحن جهة المطالع.

13- قاعدة (185) لمعرفة موقعك من الجاه، سواء كنت في المطالع أو المغارب(1):

القاعدة هي:

$$185 \times 11 - 1934 = 0101$$

$$185 \times 11 = (2035) - 1934 = 0101 \text{ (وهذا أولاً)}$$

والقاعدة بأرقام ثابتة (185) و (1934)، ورقم متغير حسب موقع الناكث، الذي يساوي هنا (11).

ولتحديد المساج بالدقائق.

مثال: لأخذ مساج (95) يطرح الناتج من: أولاً (0101)

$$0101 - 95 = 0006$$

فالناتج إن كان أقل من (30) فأنت في المطالع، وإن زاد فأنت في المغارب.

مثال آخر:

$$2136 = 1934 - (4070) = 22 \times 185$$

مساج: 1937

(مرسى القمر بندر أزيب) في البحر الأحمر

$$199 = 1937 - 2136 \text{ (أكبر من 30) فأنت في طرف المغارب.}$$

14 - قاعدة فاضل العرضين⁽¹⁾: قاعدة رياضية، وضعت لمعرفة تحديد اتجاه

بلد ما، يقع على خط عرض وطول يختلف عن موقع بلد الراصد.

15 - قاعدة المجاوشة⁽²⁾: المجاوشة جمع جوش (يوش)، ويقصد بالمجاوشة

الرحلة البحرية في مسار واحد، فالرحلة البحرية من ميناء صور مثلاً إلى ميناء

كاليكوت تسمى: جوشا، ورحلة العودة: جوشا آخر.



مخطط قاعدة المجاوشة³

1 المخيني، سالم بن ناصر بن سيف، مخطوطة، من محفوظات وزارة الثقافة والرياضة والشباب برقم (1822 / 415) ، ص 72

2 العريمي، مرجع سابق، ص 107

3 العريمي، مصدر سابق، ص 107

16 - قاعدة الباطلي⁽¹⁾:

الباطلي: هو جهاز قياس سرعة السفينة في أثناء إبحارها، وهذه القاعدة تعمل على التحقق من قياس الباطلي دون زيادة أو نقصان.

نفا	نفا	نفا
٤٠	٤٠	٣٤
٠٨	٤١	٣٥
٠٤	٤٤	٣٦
٠٠	٤٥	٣٧
٠٨	٤٦	٣٨
٠٤	٤٨	٣٩
٠٠	٥٠	٤٠
٠٨	٥١	٤١
٠٤	٥٣	٤٢
٠٠	٥٥	٤٣
٠٨	٥٦	٤٤
٠٤	٥٨	٤٥
٠٠	٦٠	٤٦

مخطط قاعدة الباطلي²

17 - قاعدة دخول النيروز⁽³⁾: عند الرغبة في معرفة تاريخ دخول النيروز، يجب معرفة السنة الهجرية، ويستخرج منها قاعدة العدد (4)، والباقي من السنة الهجرية يقسم على قاعدة الـ(28)، ثم يتم إنقاص واحد (1) من الناتج.

الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الأحد	الاثنين
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨

1 المرزوقي، سعيد بن عمران، مخطوطة نهيت الغافل في حسيب المنازل، 1253هـ/1837م، محفوظات وزارة الثقافة والرياضة والشباب، برقم (1826 - 9 ك)، ص 108

2 العريبي، مصدر سابق، ص 108

3 المخيني، مرجع سابق، ص 73

مثال:

نأخذ السنة الهجرية ثم نطبق عليها قاعدة (4)، ونقسم على (28)، وناتج القسمة يستخرج من الجدول أدناه لتحديد اليوم.

السنة الهجرية (1443هـ) نطبق عليها القاعدة (4)، وفي المقابل السنة الميلادية (2021)، وهي سنة غير كبيسة.

عدد أيام السنة الميلادية (365).

نطرح منها 11 (365 - 11 = 354)

عدد أيام السنة الهجرية (354 ÷ 28 = 12,6 = 13) ومن الجدول أعلاه يتضح أن الرقم يقابل يوم الأحد.

ثالثاً- العمليات الحسابية المتعلقة بالتجارة البحرية:

ننتقل إلى القواعد الحسابية للعمليات المالية، المتعلقة بالتجارة، والمحاسبة، وغيرها من العمليات.

المعاملات التجارية.

1 - قاعدة اللحم⁽¹⁾: تضرب القاعدة المذكورة في سعر الكورية (الكورجة) حسب ما يكون، وبعده تقطع خانتين من طرف الأحاد ثم تضرب الحاصل من الضرب في الذي عندك من العدد، والباقي تقطع خانتين من طرف الأحاد، فذلك المقطوع دواكر، والباقي دراهم.

2 - قاعدة القوصرة⁽²⁾: إذا كان مرادك أن تعرف قيمة الواحدة كم تخرج، فعليك أن تضرب قاعدة سعر الكارة، بموجب ما تكون، وبعده تضرب ما عندك في العدد، وتقطع خانتين من طرف الأحاد، فالمقطوع يكون دواكر، والباقي ربيات.

1 العريمني، مرجع سابق، ص 204

2 المرجع السابق، ص 204

مثال: معرفة سعر الكارة (حسب السوق) \times الكمية التي ترغب بشرائها =
السعر (دواكر - روبية)

بفرض قاعدة سعر الكارة (15) دوكرا.

والكمية المراد شراؤها (945) كارة قوصرة.

$$14175 = 15 \times 945$$

وبفصل أول خانتين (75)، والتي تكون دواكر، يكون مبلغ الروبيات (141)
روبية.

3. قاعدة التمر الصحاري⁽¹⁾: تضرب بالقاعدة المذكورة في سعر البهار، حسب
ما يكون، وبعد ذلك تضرب الناتج في العدد، وتقطع من الناتج خانتين من طرف
الأحاد، فالمقطوع يكون دواكر، والباقي دراهم.

4. قاعدة البيس⁽²⁾: إذا كنت تريد تحويلهم إلى آنات، تضرب ما عندك من
(البيس) في القاعدة المذكورة، وبعد الضرب تقطع خانتين، فالمقطوعة تكون
المرددي⁽³⁾، والباقي تكون آنات⁽⁴⁾، وبعدها تضرب الآنات في قاعدة الآنات تكون
ربابي⁽⁵⁾.

توضيح: العملات المستخدمة في القاعدة الهندية (بيسة، مرددي، أنه، روبية)

مثال: مبلغ من البيسات يراد تحويله إلى (مرددي وآنات).

258 بيسة \times قاعدة تحويل البيسة إلى مرددي وآنات = (مرددي + أنه "ولخانتين
+ الباقي").

$$285 \times 25 = 71,25 \text{ (25 مرددي - 71 أنه).}$$

1 المرجع السابق، ص 204

2 المرجع السابق، ص 204

3 عملة هندية

4 عملة هندية

5 جمع روبية

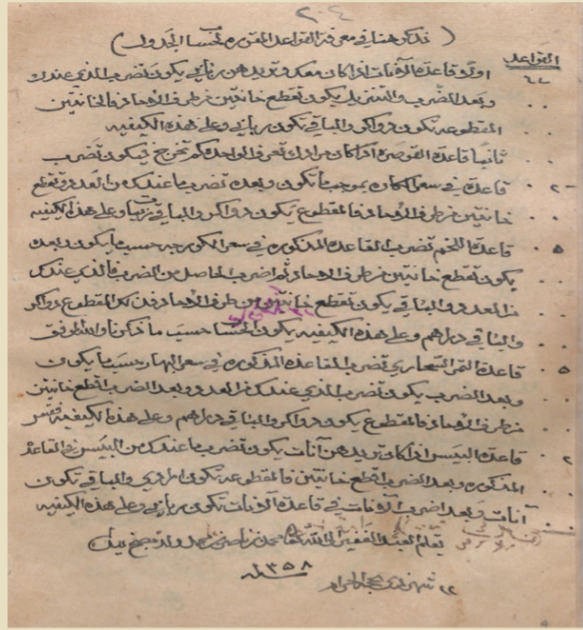
وتحويل الآنات إلى روبيات:

تضرب في قاعدة التحويل.

$$71,25 \times 5 = 356,25 \text{ (أنة 35 روبية)}$$

5. قاعدة الآنات⁽¹⁾: إذا كان معك، وتريدهن ربابي، تضرب بالذي عندك، وبعد الضرب والتنزيل تقطع خانيتين من طرف الأحاد، فالخانتان المقطوعتان تكونان دواكر⁽²⁾، والباقي تكون ربابي.

6. قاعدة سعر الكارة⁽³⁾: ولمعرفة ما عندك، تضرب العدد في السعر، ثم تقطع أول خانيتين من الأحاد، فالمقطوع يكون الدواكر، والباقي يكون الروبيات.



أمثلة لمعرفة القواعد المالية⁴

1 المرجع السابق، ص 204

2 عملة هندية

3 العريمني، مرجع سابق، ص 204

4

رابعًا- قواعد وقوانين السلوك والعمل البحري.

2- قاعدة الرمي: ويقصد بهارمي الحمولة من السفينة عند تعرضها للأعاصير؛ خشية غرقها.

إلقاء الحمولة في البحر حفظًا للنفس.

يطبق النواخذة هنا قاعدة حماية النفس البشرية هي الأساس، فإن واجهتهم مشكلة وهم في عرض البحر، وخيف على السفينة من الغرق، ولا سبيل لإنقاذها إلا بارتفاعها، ولا يكون ذلك إلا بإلقاء جزء أو معظم شحنة السفينة، فتلقى؛ لإنقاذ الأنفس الموجودة على سطح السفينة.

وهم بذلك يتفقون فيما ذهب إليه العلماء والفقهاء في هذا الجانب، فقد قال الديميري⁽¹⁾: "ولو أشرفت سفينة على هلاك.. جاز طرح متاعها"، وقد قال الإمام⁽²⁾: "إن الملقى لا يخرج من ملك مالكة، حتى لو لفظه البحر على الساحل، وظفرنا به، فهو لمالكة، ويسترد الضامن المبدول».

3 - قاعدة هروب البحار:

يطبق النواخذة القاعدة في قانون سنة البحر، أنه في حال هروب البحار لا أجرة له، بل عليه إعادة ما أخذه من سلفة مقدمة قبل الإبحار.

ويرصد الباحث هنا ما ذهب إليه بعض العلماء والفقهاء، من أن البحار ينزل منزلة الأجير، حيث يقول الرملي في باب الإجارة⁽³⁾: "سئل عن خياط استؤجر ليضرب ثوبًا بإعداد خيوط معلومة، وقسمة بينة متساوية، بأجرة معلومة، ثم إنه ضربه وخاطه بأنقص من العدد، وأوسع من القسمة المشروطة عليه، فهل يستحق

1 الديميري، محمد بن موسى، النجم الوهاج في شرح المنهاج، مج 8، الرياض، دار المنهاج، 2004م، ص 556

2 يقصد بالإمام هنا الإمام الشافعي.

3 الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج 5، بيروت، دار الفكر، 1984 م، ص 281

الأجرة؟

فأجاب ” بأنه لا يستحق الأجير المذكور على عمله شيئاً من الأجرة؛ لمخالفته المشروط، وعدم التمكن من إتمامه“.

إذا أراد البحار النزول في أحد الموانئ، ويدفع ما عليه من مال، فلا يسمح له بذلك إذا اعتبر النوحذا أن الأمر سيضر بسفينته، وما عليها من التزامات، وعليه إكمال سفره إلى صور، أما ما يدفع للبحار من مصروفات في موانئ، مثل: البصرة أو زنجبار أو غيرها، فيتم ذلك حسب العادة والمتبع.

* إذا بيعت السفينة لأجل سعر مغرٍ للنوحذا (صاحب السفينة أو وكيله) فللبحارة كامل الأجرة المتفق عليها، وعليه إرجاع البحارة إلى وطنهم بسفينة أخرى، إلا إذا كان المشتري من عمان فهناك أكثر من وجه:

أ- إذا كان المالك الجديد من نفس المدينة، وأراد الاحتفاظ بالبحارة للعمل معه، ووافق البحارة على ذلك، فيتم الاتفاق على مقطع جديد، يبدأ من مكان شراء السفينة حتى العودة.

ب- إذا كان الشاري من مدينة أخرى فالمالك الجديد ملزم بإعادة البحارة إلى مدينتهم في حال الاتفاق للعمل عنده.

ج- في حال رفض بحار أو أكثر العمل مع المالك الجديد، فالنوحذا السابق ملزم بإعادتهم إلى موطنهم، سواء كان المالك الجديد من نفس الدولة أو من دولة أخرى.

تعليق: الأجرة المتفق عليها والمعروفة محلياً في عمان بـ(المقطع في ولاية صور، والقلاطة في ولايات الباطنة) فهي واجبة الدفع، أما ما تبقى فيما يخص بند (السهم) فمعمول به في ولايات الباطنة، حيث يتم احتساب ذلك وفق ما قام به البحارة من عمل حتى بيع السفينة⁽¹⁾.

1 الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، سنة النواخذة، جعلان بني بو حسن، مطبعة جعلان، 2016م، ص 156

1 - إذا بيعت السفينة لسبب قهري أو لعدم صلاحيتها للإبحار، فعلى النوخذا إرجاع البحارة إلى وطنهم فقط، وإن بيعت بعد قبض ثمن نول السنّة، فعلى النوخذا أن يحاسبهم عن النول بعد تنزيل مصرف رجوعهم إلى الوطن.

2 - إذا اتفق النوخذا مع أحد البحارة على العمل معه هذا الموسم، ودفع له جزءاً من الأجرة المتفق عليها (مقطاع)، لا يحق للبحار الانتقال إلى عمل لدى نوخذا آخر إلا بشرطين:

الأول: موافقة كتابية من النوخذا الأول بالتنازل عن البحار. (هذه الجزئية مطبقة في ولاية صور).

الآخر: على النوخذا الجديد دفع المبالغ كافة التي استلمها البحار، ويمكن إضافة مبلغ للنوخذا كترضية (غرامة).

تعليق: في هذه الحالة يقول الشيخ أحمد الخليبي⁽¹⁾: ”لا يجوز له إخفاء ما بينه وبين النوخذا الأول من اتفاق، وإن كان النوخذا الثاني جاهلاً بالاتفاق فعليه أن يرد إليه ما أخذ منه، أما إن كان عالماً بذلك وتعهد أن يعطيه مالاً فهو الذي أضاع ماله«.

3 - إذا رفض النوخذا الأول التنازل عن البحار فيلزم ذلك البحار من قبل السنّة⁽²⁾ بالعمل لدى النوخذا الأول، طوال المدة المتفق عليها، ولا يسمح له بالعمل حتى تنفيذ الجزاء، مهما طالّت المدة.

إذا أحدث البحار مخالفة للمقدم، أو عجز عن القيام بنصيبه من العمل، فللنوخذ الحق في أن يخصم من حقه على قدر مخالفته وتقديره، وبالعكس إذا وجد أحد من البحارة من يقوم بأكثر من واجبه، بحيث يتفوق على زملائه من البحارة الآخرين،

1 الشيخ أحمد بن حمد الخليبي المفتي العام للسلطنة، انظر الملحق للاطلاع على إجابته على السؤال.

2 يقصد بالسنّة هنا: الأعمال الضامنة للعلاقات بين الأطراف العاملة أو الموجودة على سطح السفينة (القانون المتعارف عليه).

فلنؤخذ أن يكافئه تقديراً لنشاطه، وتكون هذه المكافأة من أصل النول.

الخاتمة

من خلال ما سبق في هذا البحث، فإننا تمكنا أن نسلط الضوء على كل الجوانب المتعلقة بموضوع البحث (القواعد والعمليات الحسابية عند النواخذة العمانيين) ولقد تناولنا كل الجوانب النظرية والعملية بهذا البحث، من حيث عرض المصطلحات، والتعريف بالعلوم البحرية عند العمانيين، وأوضحنا المفاهيم والعلاقات المتعلقة بقواعد الإبحار، والعمليات الحسابية المتعلقة بالتجارة، ونماذج من قواعد السلوك البحري والعلاقات بين أطراف الفريق في السفينة، وهذا الموضوع تطلب منا دراسة متعمقة في ذلك الموضوع، يضاف إلى ذلك الجوانب الشخصية التي فرضت نفسها بالبحث.

النتائج:

رصد الباحث عددًا من النتائج، تمثلت فيما يلي:

- 1- تاريخ عمان البحري يمتد إلى فترات سحيقة من الزمن، فقد أثبتت الدراسات الأثرية النشاط البحري العماني، الذي يعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد.
- 2- تراكم كم عميق من العلوم والمعارف البحرية لدى العمانيين؛ مما أتاح لهم المجال لدراستها.
- 3- طبق الملاحون العمانيون قواعد علمية في رصدهم وتوثيقهم، وتجربتهم وملاحظاتهم، خلال سنوات كثيرة، فأنتجوا كثير من المؤلفات البحرية الخاصة بعلوم البحار.
- 4- أوجد الملاحون العمانيون قواعد رياضية للقياس، والسرعة، والمسافات.

5- استفاد الملاحون العمانيون من خبرات كثيرة لحضارات وأمم تعاملوا معها، عبر مسارهم التاريخي، فأوجدوا لتجارتهم البحرية؛ حفظاً لحقوقهم، قواعد مالية وحسابية.

توصيات:

نتيجة لما سبق في هذه الورقة، وما توصل إليه الباحث، يوصي بـ:

- 1 - دراسة العلوم البحرية العمانية القديمة دراسة علمية، من قبل متخصصين أكاديميين ومؤرخين، كل في مجاله.
- 2 - عقد ندوات، أو مؤتمرات خاصة في هذا الجانب.
- 3 - نشر هذه الدراسات ونتائجها؛ للتعريف بالتاريخ العلمي التطبيقي والتجريبي لدي العمانيين.

المصادر والمراجع:

1. التمامي، سعيد بن حمد بن مطر، مخطوطة، المتحف البريطاني البحري.
2. الخضوري، ناصر بن علي، معدن الأسرار في علم البحار، تحقيق: حسن صالح شهاب، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2015م.
3. الدميري، محمد بن موسى، النجم الوهاج في شرح المنهاج، مج 8، الرياض، دار المنهاج، 2004م.
4. الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، بيروت، دار الفكر، 1984م.
5. السعدي، أحمد بن ماجد، الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد، مخطوطة، النسخة الباريسية، (3 ,47/24/3 copy).
6. السعدي، أحمد بن ماجد، مخطوطة أرجوزة الحاوية، النسخة الباريسية (3 ,47/24/3 copy).
7. العاني، عبد الرحمن عبد الكريم، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، مسقط، المطبعة الشرقية ومكتبتها.
8. العريمي، محمد بن ناصر بن محمد ولد مصبح، نفحة الأزهار في علم البحار، مخطوطة بوزارة الثقافة والشباب والرياضة برقم (2 /1819 ك).
9. الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، أسياذ البحار، مسقط، مزون، 2019م.
10. الغيلاني، حمود بن حمد بن جويد، سنة النواخذة، جعلان بني بو حسن، مطبعة جعلان، 2016م.
11. المخيني، سالم بن ناصر بن سيف، مخطوطة، من محفوظات وزارة الثقافة والرياضة والشباب، برقم (415 / 1822).
12. المرزوقي، سعيد بن عمران، مخطوطة نبهت الغافل في حسبت المنازل،

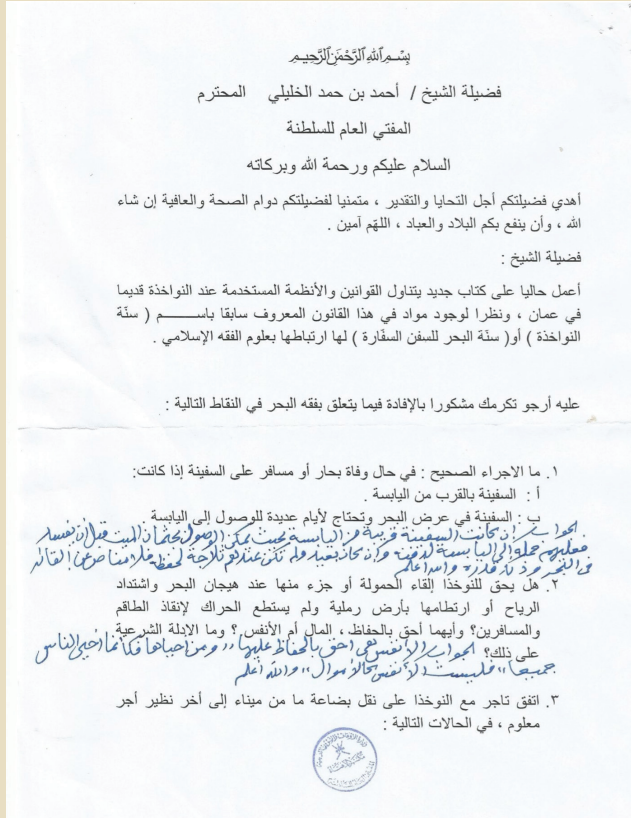
1253هـ/1837م، محفوظات وزارة الثقافة والرياضة والشباب، برقم (1826 - 9 ك).

13. الملاحي، عبد الرحمن بن عبد الكريم، ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان، مسقط، وزارة التراث والثقافة، 2006م.

14. الهاشمي، سعيد بن محمد، ابن ماجد السعدي: أسطورة الملاحة العربية (824هـ).

1421/م - 906هـ (1500/م)، مجلة المؤرخ المصور، الجمعية التاريخية المصرية، العدد 23، 2000م.

الملحق:



الممارسات العلمية في فلاحة النخلة عند العمانيين في الفترة من القرن (٣-٦هـ/٩-١٢م)

د. خالد بن محمد بن عدي الرحبي

Kmalrahbi6@gmail.com

مدير مساعد دائرة تطوير مناهج العلوم
الإنسانية للدراسات الاجتماعية - وزارة
التربية والتعليم

المخلص:

مارس العمانيون النشاط الزراعي منذ ما قبل الميلاد - كما أثبتت ذلك الدراسات الأثرية - متحدّين بذلك واقع مناخ بلادهم الصعب وتضاريسها الوعرة، التي تعدّ عوائق حقيقية أمام هذا النشاط، ومع ذلك فقد استمر الإنسان العماني يزاول هذا النشاط قروناً طويلة؛ كوّنت لديه ثقافة راسخة، وخبرة واسعة في التعامل مع مختلف المزروعات، كانت حصيلة تجاربه الفلاحية عبر الزمن.

هدفت هذه الورقة إلى تتبع الممارسات العلمية التي اتبعتها العمانيون في مجال فلاحة النخلة والعناية بها في الفترة من القرن (3-6 هـ / 9-12 م)، وذلك بالإجابة عن السؤال: هل كان لدى العمانيين ممارسات علمية صحيحة في فلاحة النخلة في الفترة من القرن (3-6 هـ/9-12 م)؟

اتبعت الورقة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ لتتبع النصوص المتاحة في المصادر الفقهية المتعلقة بفلاحة النخلة، وتحليلها ومقارنتها مع الممارسات العلمية الحديثة في رعاية النخلة. واتبعت أيضاً المنهج التاريخي الوصفي عند مناقشة الإطار الزمني للدراسة، وقد توصلت الورقة إلى عدة استنتاجات، منها: أن العمانيين قدّموا ممارسات علمية صحيحة في فلاحة النخلة بدءاً من تهيئة الأرض، وطرائق

الفسل، والعناية بالنخلة نفسها، ورعاية ثمارها، وهي ممارسات أثبتتها العلم حديثاً. وتوصي الورقة بتوجيه مزيد من الدراسات نحو المصادر العمانية؛ لاستخلاص الممارسات العلمية في النشاط الزراعي، والعمل على تطويرها وتوظيفها؛ كونها خلاصة تجربة مرت عليها مئات السنين.

كلمات مفتاحية:

النخلة، الفلاحة، الأرض الزراعية

Scientific Practices in palm trees cultivation among the Omanis

During the period of the century (36- AH / 912- AD)

KHALID Mohammed Alrahbi

Kmalrahbi42@gmail.com

Abstract:

As evidenced by archaeological studies, Omanis have practiced agricultural activity since prehistoric times, challenging their country's obstructive climate and terrain.

The agricultural activity in Oman continued for centuries, which resulted in a culture of dealing with various crops and therefore an extensive experience that was the outcome of agricultural activities over time.

This paper aims to trace the scientific practices followed by Omanis in the field of palm cultivation and care in the 3rd–6th Hijri centuries (9th–12th AD centuries). It answers this question: Did Omanis follow scientific palm cultivation practices in the 3rd–6th Hijri centuries (9th–12th AD centuries)?

The paper follows the inductive-analytical approach to track the texts available in the jurisprudential sources related to palm cultivation. It also analyzes and compares them to

scientific practices recently used in palm care. The researcher follows the descriptive historical approach to discuss the study's timeframe.

The paper reached several conclusions, including that Omanis presented correct scientific practices in palm cultivation, starting with preparing the land, methods of seeding, taking care of the palm itself and its fruits, which are practices that have been scientifically demonstrated. The paper recommends directing more studies towards Omani sources to extract scientific practices in agricultural activity and working on developing and employing them, as they are the summary of hundreds of years of experience.

Keywords:

Palm, agriculture, agricultural land

المقدمة:

تُقدم المصادر العربية معارف جلييلة، ومصنفات مختصة في أسس الفلاحة ونظمها في المشرق الإسلامي ومغربه، وكذلك بلاد الأندلس، إلا إنه حين يكون الحديث عن واحدة من أقدم مناطق شبه الجزيرة العربية في ممارسة النشاط الزراعي وهي عُمان التي وصفها الجغرافيون المسلمون بكثرة النخل والفاواكه(1)، فإن الأمر مختلف جداً؛ إذ يعد توفر المعلومات عن ذلك كله أمراً مستعصياً لقلّة ما كتب عنه، فمع التجربة الطويلة للعمانيين في التعامل مع الزرع والنخل، إلا أن تلك المعرفة لم تنعكس على شكل مؤلفات علمية.

على الرغم من شهرة العمانيين بمعرفتهم الزراعية العميقة التي أصبحت جزءاً من هويتهم، يفخرون بها على أقرانهم العرب في مجالس الخلفاء(2)، غير أنه لم يؤثر عن أحد علمائهم كتاب مختص في الزراعة أو الفلاحة، يكشف طبيعة تعاملهم العلمي مع الأشجار والزرع، وحصيلة خبرتهم فيه، فهل يعني ذلك ضياع تلك التجربة؟ وهل كان لدى العمانيين ممارسات علمية حقيقية في فلاح النخلة ورعايتها؟ وهل يمكن الركون إلى المصادر العُمانية التي أُلّفت خلال الفترة من القرن (3-6هـ/9-12م)، والعمل على استقراء بعض النصوص الواردة فيها -لاسيما الفقهية منها- لاستخلاص بعض جوانب المعرفة الفلاحية عند العمانيين، وطرائق توظيفها في رعاية النخلة؟

تسعى هذه الورقة لإبراز بعض جوانب تجربة العمانيين في فلاح النخلة؛

1 () ذكر ذلك عدد من الجغرافيين العرب، على سبيل المثال: ابن حوقل، أبي القاسم النصيبى. صورة الأرض، د. ط، مكتبة الحياة، بيروت: 1992، ص 44، الإدريسي، محمد بن عبدالله بن إدريس. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: 2002م، ص 155.

2 () حين عرّض رجلٌ بصحار العبدى ومن معه من أهل عمان في مجلس الخليفة معاوية بن أبي سفيان بقوله: «يا أمير المؤمنين، هؤلاء باليسر واليرطب، أبصر منهم بالخطب»، قال له صبا، مفتخراً، معتداً بتلك المعرفة: «أجل والله، إنا لنعلم أن الريح لتلقه، وأن البرد ليعقده، وأن القمر ليصبغه، وإن الحر لينضجه»، الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1998م، ص 96.

وذلك بالبحث في المصادر العمانية المختلفة السابق ذكرها، عن الممارسات العلمية التي مارسها العمانيون في تعاملهم مع النخلة؛ من حيث رعايتها فلاحياً، وأنماط ربيها، وتكثير فسائلها وتنويعها، والآفات التي تتعرض لها، وطرائق رعاية ثمارها منذ التلقيح حتى الحصاد، وحق النخلة من الأرض الزراعية.

اتبعت الورقة المنهج الاستقرائي التحليلي؛ لتتبع النصوص المتاحة في المصادر الفقهية المتعلقة بفلاحة النخلة، وتحليلها ومقارنتها مع الممارسات العلمية الحديثة في رعاية النخلة. واتبعت أيضاً المنهج التاريخي الوصفي عند مناقشة الإطار الزمني للدراسة.

تمهيد:

عُرف عن عمان سيادة المناخ المداري الحار وسيطرته عليها؛ نظرا لوقوعها بين دائرتي عرض (16.39-26.30) شمال خط الاستواء⁽¹⁾ وهذا ما يعني مرور مدار السرطان (23.5 درجة شمال خط الاستواء)، الذي تتعامد عليه أشعة الشمس صيفا، بعدد من مناطقها الشمالية، ومنها العاصمة مسقط؛ فينتج عنه شح في الموارد المائية السطحية، وسيادة التربة الصحراوية، باستثناء بعض المناطق الجبلية التي توفرت لها ظروف مناخية سمحت بوجود كميات من المياه السطحية والجوفية، إضافة إلى توفر مساحات من الأراضي الزراعية في بعض المناطق التي تتسع نسبيا، مثل بعض السهول الساحلية، وتضيق في أخرى.

ومع تلك الظروف التي تعد عائقا حقيقيا أمام قيام النشاط الزراعي في عمان إلا أن العمانيين مارسوا النشاط الزراعي في مناطق مختلفة من بلادهم بطريقة تتسق وتحديات المناخ، وبما توفره البيئة الطبيعية من إمكانات في كل جزء منها، معتمدين على الآبار والأفلاج⁽²⁾؛ وعليه كان النشاط الزراعي أحد الأنشطة الاقتصادية المهمة في عمان.

العلوم الزراعية عند العرب:

مع ظهور الحضارة الإسلامية، وبدء الإنتاج العلمي في مختلف المجالات، ومنها العلوم الزراعية أو ما عرف في أدبياتها بـ(علم الفلاحة)، قدّمت المصادر العربية الممارسة الزراعية تقديمًا علميًا منظمًا قائمًا على التجربة والتطبيق⁽³⁾، يعرض حلولًا للمشكلات التي يواجهها الفلاحون، ويقدم أيضًا ابتكارات ثرية في

1 الحثروشي، سالم بن مبارك. الجغرافيا الطبيعية لسلطنة عُمان، ط1، جامعة السلطان قابوس، مسقط: 2015، ص 90.

2 صراي، حمد بن محمد. عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت: 2005، ص 192-193.

3 ابن العوام، يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي. الفلاحة الأندلسية، تحقيق: أنور سوليم وآخرون، د. ط، مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن: 2012م، ج1، ص 280.

المجال الزراعي، وتوجه القائمين عليه.

عرّفت المصادر العربية الفلاحة (العلوم الزراعية) لغةً بأنها: شق الأرض وحرثها، وهي حرفة الفلاح، يقول ابن منظور: «الْفَلْحُ: مصدر فَلَحْتُ الأَرْضَ إذا شَقَقْتَهَا للزراعة. وَقَلَحَ الأَرْضَ للزراعة يُفْلِحُ فُلْحًا إذا شَقَقَهَا للحرث، وَالْفَلَّاحُ: الأَكَارُ، وإنما قيل له فَالَّاحُ لأنه يُفْلِحُ الأَرْضَ أي يَشَقُّهَا، وَحِرْقَتُهُ الفِلاحةُ، وَالْفِلاحةُ، بالكسر: الحِرَاثة»⁽¹⁾، كما عرّفت اصطلاحاً بأنها «علم يُتَعَرَفُ منه كيفية تدبير النبات من بدء كونه إلى تمام نشوئه»⁽²⁾، وتشمل إصلاح الأرض، وغرس الأشجار، وزرع الحبوب فيها، وإصلاح ذلك وإمداده بما ينفعه ويجوّده، ودفع الآفات عنه⁽³⁾؛ وعلى ذلك فإنه يندرج تحت مفهوم الفلاحة كل ما يتعلق بالعلوم الزراعية من إصلاح الأرض وسماها وتهيئتها للزراعة، إضافة إلى طرائق الزراعة وأساليبها من غرس وفسل وبذر، وما تحتاجه الأشجار والزرع من ري ووقاية وعلاج من الآفات، ومعرفة الأنواء والمواسم، وكذلك معرفة أنواع المياه من حيث الملوحة ومناسبتها للزراعة، وارتبطت بها أيضاً عدد من العلوم المساندة، مثل تلك التي تبين فوائد الثمار والأغذية الناتجة عنها، والعلوم التي تتوقع مواطن الماء (الريافة). واستناداً إلى هذه الأسس بُنيت كتب التراث العربي التي نظمت العلوم الزراعية. وحينما يكون الحديث عن واحدة من أقدم مناطق شبه الجزيرة العربية في ممارسة النشاط الزراعي لاسيما زراعة النخلة وهي عُمان، فإن الحديث يعطي بعداً آخر، وميزة خاصة؛ ومع ذلك فإن الحصول على المعلومات عن الفلاحة فيها عموماً بما فيها فلاحة النخلة، أمر صعب لقلّة ما كتب عنه؛ ولعل مرد ذلك إلى

1 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، د.ط، دار صادر، بيروت، 1980، مادة فَلَح، ج2، ص 547.

2 ابن الأَکفاني، محمد بن إبراهيم الأنصاري. إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تحقيق: عبد المنعم محمد عمر، أحمد حلمي عبدالرحمن، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص 187.

3 ابن العوام، الفلاحة الأندلسية، ج1، ص 237.

وجود ثقافة زراعية متأصلة في المجتمع، ومنقولة عبر الأجيال، وهو ما عزز القناعة بعدم وجود حاجة إلى تدوينها، وإلى ذلك أشار ابن خلدون حين جعل الفلاحة من بين المهن المتقدمة على باقي المهن كالتجارة والصناعة، ويصفها بقوله: «...إذ هي بسيطة وطبيعة فطرية لا تحتاج إلى نظر ولا علم...»⁽¹⁾، مع ذلك، يمكن الركون إلى المصادر العُمانية، وإعادة استقراء بعض النصوص -على قلتها- لاسيما الفقهية منها؛ لتوضيح العلوم الزراعية (علم الفلاحة)، والعلوم المرتبطة بها عند العمانيين، وطرائق توظيفها في فلاحة النخلة في عُمان، وطرائق ممارستها وفقا لطبيعة المناخ، وتوفر موارد المياه، والمساحات الزراعية المتاحة.

المحددات العامة للفلاحة في عمان:

هناك جملة من المحددات التي بنى العُمانيون عليها ملامح ممارستهم الفلاحية، والتي يمكن إيجازها بـ:

مساحة الأرض الصالحة للزراعة المحدودة نسبيا.

مصادر المياه المتوفرة، التي أبدعوا في بناء أنظمتها شفا أو حفرا وتخطيطا وإدارة، وهي بصعوبة تكفي للمساحة الزراعية المتوفرة.

مناخ البلاد الحار والجاف⁽²⁾ وما يتوافق معه من أشجار وزرع، لاسيما النَّخلة، والحبوب (البر، والذرة، والشعير).

هذا، وقد ضبط العُمانيون كل ذلك؛ لتوفير ما يضمن الأمن الغذائي لمجتمعهم، مع وجود اهتمام بالأعلاف، والأشجار والمزروعات الأخرى كأشجار الفواكه، أو

1 ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبدالله الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق: 2004، ج2، ص 68.
2 ذكر ابن الفقيه في كتاب البلدان ما يشير إلى تعجب العرب من حر عُمان، بل أصبح مضرب مثل عندهم من ذلك: «قال الحجاج لابن القزّبي: ... فأخبرني عن عُمان. قال: حرّها شديد»، وكذلك: «ولا جلد سقور ولا الفئك الذي ... يوقن به المقرور حرّ عُمان»، ينظر ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني. كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت: 1996م، ص 144 و487، والبكري، بقوله: «العراق لا جبلية ولا بحرية ولا شتاء كشتاء أرمينية ولا صيف كصيف عُمان» البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان ليوفن وأندري فيري، د.ط، الدار العربية للكتاب: 1992م، ج1، ص 494، والدينوري بوصفه «عُمان شديدة الحرّ»، الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، كتاب الأنواع في مواسم العرب، د.ط، دائرة المعارف العثمانية، الهند: 1978م، ص48.

الأشجار الأخرى المستفاد منها في الأغراض الأخرى غير الغذاء، أو الأشجار العطرية الأخرى كالزهور والرياحين وغيرها؛ الأمر الذي أبرز لديهم نمطين رئيسيين من الزراعة، كل منهما قائم على أسس المعرفة بخصائص أشجار وزروع كل نمط؛ الأول عرف لديهم بـ (النخل)، ويقصد به الأراضي المزروعة نخلا، وما اشتملت عليه من أشجار أخرى تتخلل البساتين المزروعة بالنخل⁽¹⁾، وهو النمط الأساسي في الزراعة في عُمان، وهو أحد الأسس التي يُعتمد عليها في قياس حدود عمران القرى والمدن⁽²⁾، وقد ظهر لها نمط من الممارسة الفلاحية، وما ارتبط بها من التعاقدات والوظائف والمنتجات. أما النمط الثاني فعرف بـ (الزرع)⁽³⁾، أو (الأرض)⁽⁴⁾ وهي الزراعات الموسمية التي لها أجل محدود، أو دورة حياة قصيرة، ولها نمط فلاحى آخر ارتبط به أيضا تعاقدات ووظائف ومنتجات أخرى مختلفة. ويتخلل هذين النمطين الأشجار الأخرى التي أصبحت تابعة لهذين النمطين الرئيسيين، وقد عرفت عُمان بمنتجات هذين النمطين الزراعيين؛ ففي رسالة الخليفة عمر بن عبدالعزيز لواليه على البصرة، التي تتبعها ولاية عُمان، ما يؤكد بروز هذين النمطين: «أما بعد فإنني كنت كتبت إلى عمرو بن عبد الله أن يقسم ما وجد بعُمان من عشور التمر والحب في فقراء أهلها، ومن سقط إليها من أهل البادية، ومن إضافته إليها الحاجة والمسكنة وانقطاع السبيل»⁽⁵⁾.

1 العوتبي، سلمة بن مسلم، الضياء، تحقيق سليمان الوارجلاني ودواوود الوارجلاني، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان: 2015، ج7، ص 196، 199، والكندي، محمد بن إبراهيم، بيان الشرع، تحقيق سالم بن محمد الحارثي، د ط، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان: 1992، ج 40، ص 293، والكندي، أحمد بن عبد الله، المصنف، تحقيق مصطفى باجو، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان: 2016، م11، ج17، ص 207.

2 من الأسس الأخرى أيضا المباني، ولا يعتد في ذلك بالزرع ولو اتصل بين القرى، العوتبي، الضياء، ج7، ص 196-199.

3 المصدر نفسه، ج9، ص 172، ج20، ص 366-367.

4 المصدر نفسه، ج21، ص 112.

5 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، ط1، مطبعة الموسوعات، مصر: 1901م، ص 85.

الملاح العامة للفلاحة:

ارتكزت الممارسات الفلاحية في عُمان - كما سبقت الإشارة إليه- على التوازن بين وفرة الماء، وما يمكن استغلاله من الأرض بهدف إنتاج ما يمكن أن يوفر الأمن الغذائي من المحاصيل الإستراتيجية كالتمر والحبوب؛ لذلك كان غالب الحديث في المصادر العُمانية عن الفلاحة يدور حول هذين المحصولين، إضافة إلى موارد المياه والاهتمام بسلامتها، وسلاسة وصولها إلى مناطق الاحتياج، ولم تكن المحاصيل الأخرى إلا مكملة، ولم تأت في مرتبة متقدمة من الاهتمام؛ لذلك لم تكن المعرفة الفلاحية تهتم كثيرا بأشجار الفاكهة، وتركيب الأشجار الأخرى، وتخصيص أراض لزراعتها، وتنوع محاصيلها⁽¹⁾، وإكثارها، وتنوع أدواتها المستخدمة في فلاحتها، وما إلى ذلك؛ وهو ما يكشف ثراء المعرفة الفلاحية وتنوعها في غير النخل والبر.

ومع ذلك يمكن الكشف عن الملاح العامة للنظام الزراعي في عُمان من حيث إصلاح للأرض والتسميد، والرّي، وضبط الزراعة بالمواسم، وتنظيم غرس الأشجار والنخل، والأدوات الزراعية المستخدمة في الفلاحة، وغيرها؛ الأمر الذي يظهر بعض جوانب الفلاحة في عُمان.

محورية النخلة في الأرض الزراعية بعُمان:

عُرفت عُمان في كتب الجغرافيين العرب، بأنها بلاد نخل، فلا تكاد تذكر مدينة من مدن عُمان، إلا وذكر النخل حاضر فيها كمعلم بارز على نشاطها الزراعي، وعلامة دالة على البلد، فالسجستاني(ت255هـ) يصف عُمان بقوله: «... ثم بعُمان

1 حفلت كتب الفلاحة العربية بأساليب زراعة الخضروات والفاكهة، وتركيب الفاكهة في أشجار مشابهة، البعلبكي، قسطا بن لوقا، الفلاحة الرومية، تحقيق. وائل عبدالرحيم، ط1، دار البشير، عُمان: 1999 ص 149 وما بعدها، و203 وما بعدها، وابن وحشية، أحمد بن علي بن قيس الكسداني. إفلاح الأرض وإصلاح الأرض والشجر والثمار ودفع الآفات عنها (الفلاحة النبطية)، تحقيق. توفيق فهد، د. ط، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، سوريا: 1988م، ص 406 وما بعدها، و1281 وما بعدها.

نخل كثير»⁽¹⁾، أما المقدسي (ت387)، فيذكرها عموماً بقوله: «... كورة جليلة تكون ثمانين فرسخاً في مثلها كلّها نخيل وبساتين عامّة»⁽²⁾، ثم حين يعدد مدنها يخصص لكل منها ذكراً للنخل؛ فذكر بصحار: «المصلّى وسط النخيل»⁽³⁾، وبنزوى: «شربهم من أنهار وآبار»⁽⁴⁾، وبالسر «...شربهم من أنهار وآبار قد التفت بها النخيل»⁽⁵⁾ و«صغيرة في النخيل»⁽⁶⁾، وحفيت: «كثيرة النخيل»⁽⁷⁾، كما أشار البكري أيضاً إلى كثرة النخل بعمان⁽⁸⁾؛ الأمر الذي يوحي إلى ارتباط عُمان بالنخل في ذهن الجغرافيين العرب.

وتعد النخلة الشجرة الأساسية في معظم الأراضي الزراعية التي يطلق عليها عُرفاً في عُمان (النخل)⁽⁹⁾ والتي تعرف أيضاً بـ(الأموال)⁽¹⁰⁾؛ إذ جعلت النخلة المحور الذي تدور حوله الفلاحة في ذلك النمط الزراعي، فقد أثبتت الإجراءات والضوابط الفلاحية المتخذة في مناطق زراعة النخل محورية النخلة من حيث حمايتها من أي ضرر قد يقع عليها سواء ما يهدد حياتها كانقطاع الماء عنها، أو ما يؤثر على نموها، وجعلت النخلة أيضاً معياراً يقاس عليه ما ينبت من أشجار في نطاق الأراضي المزروعة فيها.

فُرِضَ لأجل حياة النخلة وسلامتها، إجراءات تتحول بموجبها الملكية الخاصة إلى انتفاع عام مع تعويض أصحاب الملكية الخاصة؛ فإذا انهدم فلج قرية ما وتأخر

1 السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان، النخلة، تحقيق: حاتم الضامن، ط1، دار البشائر، بيروت: 2002، ص 41.

2 المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مديولوي، القاهرة: 1991م، ص 92.

3 نفسه، ص 92.

4 نفسه، ص 93.

5 نفسه، ص 93.

6 نفسه، ص 93.

7 نفسه، ص 93.

8 البكري، المسالك والممالك، ج1، ص369.

9 الكندي، بيان الشرع، ج 40، ص 293، وأبو بكر الكندي، المصنف، مج11، ص 17، ص 207، ومواقع أخرى كثيرة مبنوثة في كتب التراث الفقهي.

10 أبو بكر الكندي، المصنف، مج11، ج17، ص 60، 61، 342، ومواقع أخرى كثيرة.

إخراجه لتعذر شق مجراه في موضعه السابق، وكانت الخشية على النَّخْل من جفافها، فإنه يسمح لأهل ذلك الفَلَج أن يشقوا مجراه في أموال آخرين بعد تحديد الثمن المناسب مقابل ذلك، وذلك حرصا على سلامة النخل⁽¹⁾، وما يتبع ذلك من بقاء الحياة في القرية، أما من حيث حماية نموها فعند مجاورة شجرة كبيرة لها مثل النخيل في أملاك الآخرين⁽²⁾، أو من قبل الأشجار الكبيرة كالقرط مثلا⁽³⁾، فإنه يلزم قطع ما ناف على النخل، حتى لا يحجب عنه الضوء، ويلحق به الضرر.

كذلك فرضت محورية النَّخْلة أن تكون الأشجار الأخرى المزروعة ضمن نطاق أراضي زراعتها؛ أي تابعة لها، فكل ما يتعلق بتلك الأشجار من حقوق لها أو للعاملين فيها يُقاس بالنسبة إلى ما وضع للنخلة من حقوق، أو ما يستحقه العامل جراء قيامه بشؤون النَّخْلة، فيضبط (الشرب) من الفَلَج قياسا على ما تستحقه النَّخْلة وما تحتاج إليه من الماء⁽⁴⁾، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك أشجارا أخرى تُروى من ذلك الماء، لكن المعيار الأساسي هي النَّخْلة وما تحتاجه من ريٍّ، ومما يعكس محورية النَّخْلة أيضا ما تقرر لها من حق في مساحة الأرض الزراعية (المعروف بالقياس) عند البيع والشراء أو الإرث؛ إذ جعل للنخلة حق القياس، ويقصد به قياس المساحة من الأرض التي تتبع النَّخْلة حين انتقال ملكيتها من شخص إلى آخر، وحُدِّد ذلك بين 3 أذرع و16 ذراعا وفق مقتضيات تخطيط الأرض والزراعة في تلك المساحة، ولبيان ما للنخلة من أهمية في هذا الجانب؛ فقد قدم الشيخ أبي زكريا⁽⁵⁾ الموضوع تقديمًا بليغًا بقوله: «..أَنَّ النَّخْلة تُقايَس، ولو

1 العوتبي، الضياء، ج20، ص 355.

2 نفسه، ج20، ص341-342.

3 ابن الحواري الفضل. جامع الفضل بن الحواري، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان: 1985، ج3، ص 128.

4 أبو زكريا، يحيى بن سعيد. الإيضاح في الأحكام، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان: 1984، ج4، ص 259.

5 (أبو زكريا يحيى بن سعيد، أحد أشهر القضاة في عُمان في القرن الخامس الهجري، له كتاب الإيضاح في الأحكام، وعدد من السير، السعدي، فهد بن علي. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية قسم المشرق، الجيل الواعد، مسقط: 2007م، ج4، ص 305.

من عُمان إلى سيراف؛ ما لم يلقها شيء يقطع القياس»⁽¹⁾، كما تُضبط حجم مساحة (الأجيل)⁽²⁾ بناءً على عدد النخل في الوحدة الواحدة وقدرة الفلج على سرعة ملئها، فإن كان الفلج ذا تدفق عالٍ جعل في كل وحدة ثلاث نخلات أو أكثر، وإن كان الفلج ذا تدفق منخفض جعلت في كل وحدة نخلتان أو نخلة واحدة⁽³⁾، إضافة إلى ذلك جعلت النخلة أيضا معيارا في اتخاذ الحريم⁽⁴⁾ عن جدار الجار وعن الطرق والسواقي، فيضبط غرس الأشجار كالرمان ونحوه بأن «يُفسح عن الجدار ثلاثة أذرع مثل النخل، وكذلك عن الطريق الجائزة»⁽⁵⁾، إلا ما كان من الأشجار الكبيرة التي تتفرع أغصانها لمسافات أبعد مثل: القرط؛ فإنها تكون خارجة عن معيار النخلة⁽⁶⁾، وإذ يسري على الأشجار التي تكون خلال النخل ما يسري على النخلة من حقوق وضوابط كما سبق بيانه، فإن حقوق العمال الذين يعملون في رعاية تلك الأشجار تكون أيضا مشابهة لما ذكر، وحقوقهم تكون فيما يفرض لهم من أجر على رعايتهم للنخل؛ إذ لا تعدو أن تكون تلك الأشجار تابعة للنخل تروى بما يروى به النخل، وتصلح بما يصلح به النخل من سماء أو غيره⁽⁷⁾.

يعود اعتماد النخلة محورا للفلاحة على أنها شجرة مثمرة، يعزّز إنتاجها من التمور الأمن الغذائي للمجتمع، إضافة إلى ذلك يمكن الاستفادة من كثير من أجزائها في الصناعات، كذلك تعد عينا (مالا) مقبولا للتداول بين أفراد المجتمع،

1 أبو بكر الكندي، المصنف، مج11، ج17، ص162.

2 الأجيل عبارة عن حوض ترابي، تقسم قطعة الأرض الزراعية فيه إلى وحدات أقل، وهي عادة أحواض ترابية متقاربة تربط بينها شبكة سواقي صغيرة؛ لتسهيل عملية الري داخل الأرض الواحدة.

3 ابن الحواري، الجامع، ج1، ص199.

4 الحريم مسافة تترك بدون عمارة بين الجارين أو ملكين أحدهما خاص والآخر عام، وهذه المسافة تكبر وتصغر بحسب الأصل الذي يتعلق به الحق، والحريم أنواع؛ منها: حريم الطريق، وحريم الساقية، وحريم الحائط، وحريم البحر، وحريم البئر، وحريم الدار، مجموعة من الباحثين. معجم المصطلحات الإباضية، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان: 2012م، ج1، ص241.

5 العوتبي، الضياء، ج20، ص346.

6 العوتبي، الضياء، ج20، ص346، ابن الحواري، الجامع، ج3، ص128.

7 ابن الحواري، الجامع، ج3، ص127، أبو بكر الكندي، المصنف، مج12، ج21، ص450-451.

يديره وبينهم لأجل قضاء مآربهم، كالزواج، والوصية، ويمكن تحويلها أيضًا إلى سيولة نقدية بالبيع أو الرهن أو غيره، فالنَّخلة في عُمان ينطبق عليها وصف ابن وحشية إلى حد كبير: «...حتى أن الناس لا ينتفعون من شيء من المنابت انتفاعهم بالنخل، وكان له مع هذه المنافع الكثيرة ثمرة ليس في الثمار مثلها في الطيب وحلاوة الطعم...، وأن جميع أجزاءها من أسفلها إلى أعلاها في كل واحد منه منفعة للناس»⁽¹⁾؛ لذلك غدت النَّخلة مالا مرغوبا بكثرة حتى في الحالات التي تكون فيها نخلة واحدة يملكها شخص ما وسط نخل لمالك آخر، ولا تملك تلك النخلة من الأرض التي تنبت عليها شيئا، فبمجرد وقوعها من ريح أو غيره، تنتهي ملكيتها وهي ما تعرف بـ(النخلة الوقية)⁽²⁾.

الممارسات العلمية في فلاحه النخلة:

تعد المعرفة بأحوال الأرض والنباتات وما يصلح من الزراعة والبذور، الركن الأساسي من أركان الزراعة قديما وحديثا، فقد جاء في مقدمة كتاب الفلاحه الرومية للبلعكي عبارة: «هذا كتاب قسطوس الفيلسوف الرومي في الزراعة وما يتعلق بها مما لا يستغني عنه المزارعون»⁽³⁾، فالمعرفة أساسية في ممارسة النشاط الزراعي؛ نظرا لما يترتب عليها من جودة العمل، وزيادة الإنتاج وغيره.

لم يُفرد المصنّف العماني كتابا في الممارسات الزراعية (الفلاحه)، مع ذلك فقد عرّف المجتمع الزراعي في عُمان الكثير من خواص النَّخلة، والأساليب العلمية للتعامل معها بهدف سلامة النخلة، وصحتها، وزيادة إنتاجها، وسلامته وجودته، وقد وصلت إلينا الأساليب العلمية تلك من تفاعل أهل الزراعة والقائمين عليها مع

1 ابن وحشية، الفلاحه النبطية، ص1340.

2 مجموعة من الباحثين. معجم المصطلحات الإباضية، ج2، ص 996.

3 البعلبكي، الفلاحه الرومية، ص89.

الفقهاء؛ فحين يختلفون يلجؤون إليهم فيفصلون فيها بناء على المعرفة المجتمعية الموروثة، أو ما اصطلح على تسميته (سُنَّة البلد)⁽¹⁾ وهي الطريقة المتبعة في التعامل مع النخلة بحسب الظرف أو القضية المختلف فيها، التي هي بمثابة تراث معرفي علمي منقول شفهيًا بين أجيال المجتمع، فيدونون ذلك في مصنفاتهم الفقهية التي حفظت لنا كثيرًا من تلك المعارف العلمية الزراعية بين ثنايا المسائل الفقهية. تكشف مصادر الفقه العماني المتنوعة عن المعارف الفلاحية المتعلقة بالنخلة، منها:

قوة النخلة وجودة إنتاجها: من حيث معرفة قيمتها وجودة إنتاجها، فمن عيوب النخل بحسب موقعها من الأرض المزروعة: الجانحة⁽²⁾، والمأكولة التي تنالها الدواب والأيدي من الأرض⁽³⁾؛ أي النخلة الصغيرة التي تقع على طريق فتمر بها الدواب فتتال من ثمرها، أو تتال من ثمرها أيدي الناس لسهولة الوصول إليها، كما أن من النخل غير المرغوب فيها النخلة المنفردة التي تُعرف بالعزبة الفانية⁽⁴⁾، ويفهم من سياق العبارة أنها النخلة المنفردة التي طال عمرها فهي إلى الموت والفاء أقرب؛ ولعل سبب ذلك يعود إلى ما ذكره ابن وحشية من أن بعض النخل تتغير جودة ثمرها بعد أن تكبر النخلة⁽⁵⁾، وهو ما يؤكد العلم الحديث من أنه كلما تقدمت النخلة في العمر انخفض المعدل السنوي لإنتاج الأوراق الجديدة⁽⁶⁾؛ وعلى ذلك تضعف قدرتها على إنتاج الطلع.

وعلى النقيض من ذلك فإن أفضلها النخلة الوسط التي تقع في موضع نفيس

1 الكندي، بيان الشرع، ج40، ص 275-276.

2 المائلة، جاء في لسان العرب جنح إليه ينجح وينجح جنوحا ويحتنج: مال، ابن منظور، لسان العرب، مادة جنح، ج2، ص 428.

3 ابن الحواري، الجامع، ج1، ص 146.

4 نفسه، ص 146.

5 ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ص 1343.

6 إبراهيم، عبد الباسط عودة. زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، د.ط، جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي، دولة الإمارات العربية المتحدة، د.ت، ص 354.

يزيد في ثمنه الطالب، أو من نوع يرعى الناس فيه ويزيدون في ثمنه⁽¹⁾، وفي هذا الإطار فإن هناك أراضي تميزت بجودة نخله؛ فأصبحت أعلى سعرا من غيرها، مثل ذلك أن نخل قرية (العقر) تعد أعلى سعرا من نخل قرية (سعال)⁽²⁾، والقريتان ببلد واحد وهي نزوى، ولا يتضح سبب هذا التمايز بين القريتين إلا أن يكون ثبات تدفق مياه أفلاج العقر أكثر من أفلاج سعال في فترات الجفاف.

أثر الرطوبة على جودة الإنتاج: مما ثبت عند العمانيين بالتجربة، التفاوت في جودة الإنتاج بين نخل المناطق الجبلية ومناطق الباطنة؛ ويعود ذلك إلى تأخر نضج ثمرة نخل الباطنة، وتخلّف بعضها عن بعض في نضج الثمرة بشكل واضح، يقول العوتبي: «ونخل الباطنة في إدراكها تخلّف بعضها عن بعض في اللحاق، وتقارب نخل الجبل»⁽³⁾؛ والسبب الرئيس في ذلك أن نسبة الرطوبة عالية في المناطق الساحلية مثل الباطنة، على عكس المناطق الجبلية الجافة التي تتعرض فيها النخلة لدرجات حرارة عالية مع قلة الرطوبة⁽⁴⁾، وهو ما تؤكد الدراسات الحديثة من أن ارتفاع نسبة الرطوبة في الهواء المحيط يقلل من فقدان رطوبة الثمار، ويؤدي إلى حدوث تغير فيسيولوجي في تطور الثمار بسبب صعوبة التخلص من الرطوبة الزائدة داخل الثمرة؛ وهذا يؤدي إلى طول مرحلة الرطب وتأخير النضج الطبيعي للثمار وهو ما يسبب تساقطها⁽⁵⁾، وقد وظّفت هذه المعرفة في مراعاة حق النساء من أهل المناطق الداخلية المتزوجات في الباطنة من حيث مراعاة قضاء صداقهن، فلا يعطين من نخل الباطنة وإنما من نخل الجبال؛ لأجل التفاوت في جودة الإنتاج،

1 ابن الحواري، الجامع، ج1، ص 148.

2 أبو زكريا، الإيضاح، ج4، ص 218.

3 العوتبي، الصياء، ج9، ص 237.

4 الحنروشي، الجغرافيا الطبيعية لسلطنة عُمان، ص 90.

5 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 80.

وما يتبعه من سعر النخلة⁽¹⁾.

تحمل النخلة للملوحة: انصب تفكير العُمانيين، الذين خَبروا طبيعة بلادهم ذات الموارد المائية الشحيحة، في المقام الأول على أهمية توفر الماء لري الأرض الزراعية بما يكفي لفسلها أو زرعها، دون النظر إلى طبيعة تلك المياه، ودرجة تملُّحها، وتأثيرها في التربة، فلم يُعدُّوا درجات الملوحة من العيوب الظاهرة التي تَبْطُلُ بها عقود البيع والشراء في الأراضي الزراعية: «ومن اشترى أرضاً، فوجدها مالحة الماء ولا ماء لها؛ فليس بعيب يجب الرد به»⁽²⁾؛ ولعل السبب الوجيه في ذلك أن أبرز المزروعات في عُمان هي النخلة وهي شجرة قليلة التأثير بملوحة المياه، بل إن مصادر الفلاحة العربية تشير إلى حاجة النخلة للملوحة عند فسلها⁽³⁾، وتستمر حاجتها لذلك بعد الفسل⁽⁴⁾، وهو ما أثبتته الدراسات الحديثة من حيث قدرة النخلة على تحمل درجات الملوحة المرتفعة نسبياً⁽⁵⁾.

رعاية النخلة كشجرة: أوضحت مسائل التعاقدات في كتب الفقه ما تحتاجه النخلة من رعاية، أو أعمال إصلاح الأرض تحت النخل، مثل: التسميد والرضم⁽⁶⁾؛ فمن حيث رعايتها كنخلة فإنه ينبغي الاهتمام بنظافتها من السعف والليف اليابس، أو ما يعرف بالشراطة⁽⁷⁾، وهي عملية مهمة؛ لأن السعف الجاف يساعد على انتشار

1 العوتبي، الضياء، ج14، ص 83.

2 العوتبي، الضياء، ج21، ص 376، طبعاً الملوحة المرادة هنا ليست الملوحة التي ظهرت في الباطنة لاحقاً؛ نتيجة شدة الاستنزاف، وإنما هي الملوحة الناتجة عن طبيعة الصخور الحاملة للمياه.

3 يشير ابن بصال إلى طريقة من طرائق فسل النخل: «... يكون في شهر يناير، ووجه العمل فيه أن تؤخذ الثمرة بلحمها، وتشرح على ظهرها حد النقيز وهي النقطة على ظهر النواة، ثم يعمد إلى الأرض المالحة وتحفر فيها حفرة عمقها ذراع»، ابن بصال، محمد بن إبراهيم بن بصال الطليطاني. الفلاحة، تحقيق بيكروسا مارية مياس ومحمد عزيان، معهد ملالي الحسن، تطوان، 1955م، ص 59.

4 إلى ذلك يشير الأفضل الرسولي بقوله: «والنخلة تنوق إلى الملوحة»، الأفضل، العباس بن علي بن داود الرسولي (ت1377/هـ778م). بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرباحين، تحقيق د. خالد الوهبي، ط1، دار الفرقد، دمشق: 2016م، ص613.

5 حدد هاريس قدرة النخلة النمو في تربة تتراوح فيها الملوحة بين 30 و40 جزء في المليون، Harris, Franklin Stewart. Soil Alkali: Its Origin, Nature, and Treatment, J. Wiley, NEW YORK: 1920, p 219، مكبي وعُثمان، محمود بن عبد النبي ومحمد حافظ النخيل في سلطنة عُمان، ط2، ديوان البلاط السلطاني، مسقط: 1997، ص 16.

6 «رُضِفَتُ الأرض رُضْمًا أُرْتِزَتْ لِرُزْعِ أو نحوه يمانية»، ابن منظور، لسان العرب، مادة رضم، ج12، ص 244.

7 الشرطية تهذيب سعف النخيل الجاف بقطعه بالقرب من جذع النخلة، الحبسي، عبدالله بن صالح. معجم المفردات العامية العمانية، ط2، مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط: 2007م، ص 178.

الأمراض، كما أنه يلحق أضراراً ميكانيكية بالثمار نتيجة احتكاكه بها⁽¹⁾. أما الرضم، ويقصد بها: إثارة الأرض وتنظيفها من الحشائش، وهي من الأعمال المرتبطة برعاية النخلة كشجرة، ولم تذكر المصادر طبيعة الحراثة التي كانت تتعرض لها أرض النخل من حيث موافيتها، وعدد المرات في السنة، إلا أن إغفال ذكر ذلك لا يعني عدم أهميته للنخلة؛ فقد رُبط ذلك بحق العامل في الثمرة⁽²⁾ كونها من الإصلاح المرتبط بجودة الثمرة ووفرتها، فإن قيام العامل برضم أراضي النخيل يحفظ حقه في الثمرة، وقد أكدت الدراسات الحديثة أهمية إزالة الحشائش للنخلة؛ لما لهذه الحشائش من دور غير مباشر في الإضرار بأشجار النخيل عن طريق توفير بيئة ملائمة لانتشار الآفات غير الحشرية كالفئران والجرذان والقواقع، يمكن أيضاً أن تكون عائلاً عرضياً لحشرات سوسة الطلع، وسوسة النخيل الحمراء، والحميرة، والنمل الأبيض، والنيماتودا التي تسبب تعقد الجذور⁽³⁾.

الريّ: عادة يكون الريّ مرتبط بدوران ماء الفلج، المضبوط أصلاً بحاجة النخلة من الماء؛ إذ ضبطت قسمة مياه الأفلاج بحيث يكون دورانها على قياس كفاية مساحة الأرض المزروعة بحيث لا يضرها العطش، ولأن النخلة هي الشجرة الرئيسية في الأرض الزراعية في عُمان فلا يبعد أن يكون مدى حاجتها للمياه، والمدة الزمنية لتحملها العطش، هي المعيار الرئيس في تحديد زمن دوران ماء الفلج، وتختلف حاجة النخلة للري بين الشتاء (مرحلة التنبيت والتزهير للثمرة)، والصيف (مرحلة نضج الثمرة)؛ فقد أثبت العلم حديثاً أن في مرحلة التلقيح (التنبيت) ينبغي أن تُقلل كمية الري إلى الربع 25% إن لم يوقف الري طيلة فترة إجراء

1 عبدالمجيد، أحمد رضا. نخيل وأشجار وفواكه المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية بسلطنة عمان، د.ط، شؤون البلاط السلطاني، د.ت، ص62-64.

2 الكندي، بيان الشرع، ج3، ص228.

3 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص302.

العملية، في حين تحتاج مرحلة التزهير والعقد إلى ريّ خفيف مع تجنب الجفاف أو الإسراف؛ إذ إن انخفاض الري أو زيادته في هذه الفترة يسبب تساقط جزء كبير من الأزهار والثمار العاقدة الصغيرة، وتكون كمية المياه بنسبة 50%⁽¹⁾. وقد وظف العمانيون المعرفة، المتمثلة في حاجة النخلة للري والتفاوت في ذلك في مراحل نمو ثمرة النخلة، في تنظيم إدارة مياه بعض الأفلاج؛ ففي فلج (السعالي) وهو أحد أكبر أفلاج نزوى ويسقي قرية سعال، ضببت إدارته بحيث يزيدون أياما في توقيت دوران أسهم مياه الفلج في وقت معروف من الشتاء، ويعودون إلى التوقيت الثابت لدوران الأسهم في فصل الصيف، بحيث «.. يكون دوره في الحرّ على عشرة أيام، وفي الشتاء على نحو ستة عشر يوماً»⁽²⁾، ويستغلون تلك الزيادة في إضافة بادة تؤجّر مياهها (تطنى) ويكون عائدها لإصلاح الفلج وحاجته من الصيانة، أو إصلاح أمواله، وباقي الزيادة تقسم على أصحاب أسهم الفلج، فمن كان له أثر، يصبح له أثرا ونصف الأثر وهكذا⁽³⁾، ويعد هذا الإجراء سُنّة ثابتة متبعة ومتعارف عليها في الفلج لا تتغير.

ولأهمية الريّ في فلاح النخلة فقد جعل أحد المحددات في استحقاق عامل النخل نصيبه من ثمرتها، كما جعل الريّ شرطا يلزم العامل إكماله حتى تستوفي الثمرة حاجتها من الريّ قبل حصادها، وفي حالة رغبته في إنهاء التعاقد فلا ينهى التعاقد ما لم تنته حاجة الثمرة من الريّ⁽⁴⁾.

الجدير بالذكر هنا أن أمر ريّ النخل في الباطنة يختلف عما هو عليه الحال في ريّ النخل في القرى الجبلية؛ ذلك أنه يعتمد على الرسّ، إضافة إلى أنه يروى في

1 نفسه، ص 206.

2 أبو بكر الكندي، المصنف، مج11، ج17، ص 29.

3 أبو بكر الكندي، المصنف، مج11، ج17، ص 29.

4 أبو بكر الكندي، المصنف، مج12، ج 21، ص 445.

فترات محددة من العام ربا وافرًا عن طريق الزجر من الآبار، ثم يترك بلا سقي باقي العام؛ إذ تشير المصادر أنه يسقى مدة قد تزيد قليلاً أو تنقص عن شهرين، تبدأ مع بدء نضج الثمار حتى نهاية القَيْظ⁽¹⁾، وهي الفترة التي يحضر⁽²⁾ أصحاب النَّخْل إلى نخيلهم، ثم يتركونها مع نهاية القَيْظ ويعودون إلى بيوتهم⁽³⁾، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الأسلوب في الرِّي لا يؤثر في إنتاج النَّخْلة، فهي تحمل ثمرة جيدة⁽⁴⁾، ولا تحتاج إلى الماء كثيرًا في فصل الشتاء كما سبقت الإشارة إليه.

رعاية الثمرة من طلوعها حتى حصادها: برزت عدة ممارسات للعناية بالثمرة من بدء طلع الثمرة حتى حصادها، يمكن حصرها في الآتي:

التنبيت: وهو أول أعمال الفلاحة المتعلقة برعاية الثمرة، وميقات حدوثه بالشتاء، وتعد عُمان من أوائل البلدان التي يظهر بها الطلع، وأول من تنتهي من التلقيح أو التنبيت، وإلى ذلك يشير الملك الأفضل الرسولي: «... وابتداء تلقيح النَّخْل بقلهات، وأيام قطعه وانقضائه؛ أما قطعه ففي عشرة كانون الأول (ديسمبر)،... ثم التلقيح 40 يوماً»⁽⁵⁾، وبعد خروج طلع النخل، الذي يعرف بـ «القبّ»، ويجمع على أَقْبَاب⁽⁶⁾، يحتاج طلع النَّخْلة إلى تنبيت أو تلقيح، وهو من الأعمال الضرورية في فلاحة النَّخْلة⁽⁷⁾، ومع أنه لم يرد في المصادر الأنواع المناسبة من الأفحال لتلقيح

1 أبو بكر الكندي، المصنف، م5، ج6، ص50.

2 الحضور أو الحاضرة، يقصد به في عُمان السكن المؤقت في النخل خلال فترة الصيف، فيحضر أهل البحر، أو أهل البادية، أو أهل المدن إلى مناطق النخل في فترة القَيْظ؛ لتلطيف الجو، ولحصاد نخلهم، ومتى ما انتهى القَيْظ يعودون إلى مساكنهم، وهي عادة عربية قديمة، ويقصد بها عكس التنبيت، فكانت العرب تحضر إلى محاضرها في مناطق الماء والنخل مع طلوع نجم الشربين وهو يطالع في أبريل، ثم تعود للبادية (تبتدئ) مع طلوع سهيل، وهو يطالع في الحجاز 14 آب (أغسطس)، الدينوري، كتاب الأنواء، ص96-98.

3 لا توضح المصادر موضع بيوتهم ومقدار بعدها وقربها من النخل، إلا إن الباحث يرجح بحكم طبيعة سكان الباطنة، وسبل معيشتهم، أنه لا يبعد أن يكونوا إما أهل بحر، ومساكنهم قرب البحر، أو أصحاب إبل، فيبتعدون إلى الفلاة بعيداً عن النخل، أو أصحاب مدن، فيعودون إلى مدنهم.

4 أبو بكر الكندي، المصنف، م5، ج6، ص50.

5 الملك الأفضل، بغية الفلاحين، ج2، ص623.

6 النعماني، النخل وقيمتها الغذائية والعلاجية، ص9.

7 العوتبي، الضياء، ج20، ص365-366.

كل نوع من أنواع النخل⁽¹⁾، غير أنه يرد بوضوح عاقبة ترك النخل بلا تنبيت، أو عدم كفاية التنبيت؛ فيظهر ما يعرف بـ(القرفد)⁽²⁾، وهو عيب يؤدي إلى نمو البيض بدون حدوث عملية التلقيح والإخصاب، وهنا يكون العقد بكري، وتنتج عنه ثمره مفرد أو ثنائية أو ثلاثية وخالية من البذور تسمى (undeveloped fruit) (الشيص)⁽³⁾ فتؤدي إلى عدم نضوج الثمرة بصورة سليمة، فلا تتحول إلى بسر ثم رطب ثم تمر كالعادة في الوضع الطبيعي للتمر.

وفي مرحلة التنبيت هذه درج العُمانيون في ممارستهم الفلاحية على قلع الأقباب للتخفيف عن النخلة⁽⁴⁾، حتى لا تضعف عن حمل الثمر، وهذا عرف سائد بين أهل كل بلد، يحتكم إليه في حال وقوع خلاف بين صاحب المال والعامل حول العدد المتبقي والعدد المقلوع من الأقباب، إذ قد تختلف نظرة كل منهما إلى مصلحته بين الكثرة والجودة⁽⁵⁾، وهي عملية تعرف حديثًا بخف الثمار (Fruit Thinning) وتكون بإزالة جزء من الأزهار أو الثمار⁽⁶⁾ أو استئصال شماريخ أو تقصير شماريخ أو إزالة عذوق كاملة، ولهذه العملية مردود اقتصادي مهم⁽⁷⁾؛ لأن عدم إجرائها قد يؤدي إلى زيادة المحصول وتخفيض جودته، وهو ما يخفض من قيمته التسويقية، وأن المبالغة في إجراء الخف أيضًا يقلل من الإنتاج؛ فينعكس على المردود الاقتصادي للثمار، وهذا ما أشارت إليه مجموعة من الدراسات

1 ذكر ابن وحشية طرفا من ذلك، ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ص 1348.

2 وهو الذي وصفه السجستاني بالصعاء والشيص، وصفته: «أن تكون بستران أو ثلاث في تفروق واحد»، السجستاني، النخلة، ص 66، والتفروق قمع التمر.

3 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 69.

4 التخفيف عن النخلة من الممارسات المعمول بها في فلاحية النخل في غير عُمان أيضا كما أشارت إلى ذلك كتب الفلاحة العربية

5 الكندي، بيان الشرع، ج 40، ص 294-293.

6 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 348.

7 عبدالمجيد، أحمد رضا. نخيل وأشجار ومواكه المناطق الاستوائية ص 62-64.

بأن طرائق الخف والتغطية لها أثر في جودة الإنتاج وزيادته، وزيادة وزنه⁽¹⁾؛ إذ يحميه من الأمراض التي تعرف بالغلج⁽²⁾، والوصومة⁽³⁾.

التحدير (تقويس العذوق): وهي المرحلة الثانية من رعاية ثمرة النخلة التي تمر بمراحل متعددة من حيث النمو، منها: (الخلال، ثم البسر، ثم التمر)، وفي هذه المراحل تحتاج الثمرة إلى رعاية خاصة، فبعد مرحلة الطلع التي تلزم التثبيت، تأتي مرحلة الخلال الذي يحتاج فيه النخل إلى التحدير⁽⁴⁾، ويقصد بها إنزال عذوق النخلة على سعفها؛ لحمايتها من الريح، ولضمان سهولة حصادها، وصونها عن التعرض للحرارة المرتفعة، وتقليل الرطوبة النسبية حولها. وكل هذا يقلل من الأضرار الفسيولوجية، مثل: التشطيب وانفصال القشرة عن اللحم والذنب الأسود، وتساعد على تعريض الثمار للضوء الكافي⁽⁵⁾.

التسجير: ثم تأتي عملية التسجير وهي مرحلة لاحقة لعملية التحدير، فحين يبدأ نضوج البسر، وتحوله إلى رطب، تصبح أكثر عرضة لتساقطها من الأعذاق بسبب هبوب الرياح؛ لذلك تُسَجَّر النخل؛ أي تشد عذوقها إلى جذع النخلة، ويوثق رباطها، وقد انفرد أهل عُمان بالتسجير⁽⁶⁾؛ إذ إن أهل البصرة يكتفون بإنزال العذوق على سعف النخل⁽⁷⁾، وقد يعود ذلك إلى معرفة أهل عُمان بطبيعة مناخهم صيفا، إذ تتعرض بعض مناطق عُمان في بعض مواسم فصل الصيف لهبوب عواصف وأعاصير عنيفة كما حدث في عام 251هـ؛ حين شهدت مناطق واسعة من عُمان

1 حسين، فرعون أحمد. تأثير التغطية وطرائق الخف المختلفة والتدخل بينهما في بعض الصفات النوعية والكمية لثمار نخيل التمر برحى وبريم، المحلة العراقية لدراسات الصحراء، مج 6 ع1، جامعة الانبار - مركز دراسات الصحراء، العراق، 2016، ص 13.

2 الغلج: ذبول الثمار.

3 ضعف الثمار عن وضعها وحجمها الطبيعي.

4 تأتي العمليات الثلاثة (التثبيت والتحدير والتسجير) متتابعة، مثل: «من نبت نخلة أو حدرها أو سجرها»، ابو زكريا، الإيضاح، ج2، ص 9.

5 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 241.

6 السحستاني، النخلة، ص 82.

7 نفسه، ص 82.

أمطارًا فيضانية اجتاحت مزارع النَّخل وهي في مرحلة نضج الثمار⁽¹⁾، وتتساقط الأمطار الصيفية على بعض المناطق الجبلية من البلاد نتيجة الفوارق الحرارية بين البحر واليابس⁽²⁾، تكون مصحوبة أحيانا بهبات رياح نشطة، تؤدي إلى تساقط الثمار، عرفت عند العُمانيين بـ(الريح الخارب)؛ أي الذي تتساقط بتأثيرها حبات التمر الثلاث، أو السبع تمرات معاً⁽³⁾، ويبدو من المصادر أن السجار أو التسجير عملية مهمة لا بد من قيام العامل في النَّخل بتنفيذها؛ لأجل حماية الثمرة من هبوب الرياح وتساقط حباتها، وما يتبع ذلك من اختلاط التمر بالتربة أو الماء؛ الأمر الذي يؤثر في جودة المحصول.

النفاض والجداد: وهي المراحل الأخيرة من عمليات فلاح النخلة قبل الحصاد، ويقصد بالنفاض: هزّ عذوق النَّخل في منتصف الموسم؛ وذلك بهدف حصاد التمر الخالص، في حين يبقى البسر والرطب غير الناضج معلقاً في العذق حتى ينضج، ثم تأتي بعدها عملية الجداد، أو صرام النخل؛ وتعني قطع العذوق من النَّخلة لحصاد الثمرة، وهاتان العمليتان أيضاً كسابقتهما يقوم بهما العامل المكلف بفلاحة النخل⁽⁴⁾؛ ذلك لأنها من أمور الفلاحة التي تحفظ له حقه في الثمرة⁽⁵⁾، والمترتبة عليه عادة بحكم ما يعرف بسُنَّة البلد أو العادة المتبعة في البلد⁽⁶⁾.

الأمراض التي تصيب النخلة: مع أهمية النَّخلة ومحوريتها في العملية الفلاحية في عُمان، إلا أننا لا نعرف الكثير عن الأمراض التي تتعرض لها النَّخلة إلا معرفةً يسيرة جداً، ومع ذلك أيضاً لم يذكر طرائق معالجتها، فقد جاء ذكر بعض

1 السالمي، عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، د ط، مكتبة الاستقامة، مسقط: 2000، ج1، ص 165.

2 الحثروشي، الجغرافيا الطبيعية لسلطنة عُمان، ص 80، و89.

3 أبو بكر الكندي، المصنف، مج1، ج18، ص 448-449.

4 العوتبي، الضياء، ج20، ص 367، 384.

5 أبو بكر الكندي، المصنف، مج12، ج21، ص 445.

6 العوتبي، الضياء، ج20، ص 367، 384.

الأمراض والآفات التي تصيب النخلة في مقام بيان حقوق المالك والعامل من ذلك (العبي) (1) الذي يصيب النخل في بداية الطلع والذي يؤدي إلى فساد الثمرة (2)، وهو ما يعرف بمرض خياس الطلع (Inflorescence Rot)، أو تعفن النبات، يصيب هذا المرض النورات الزهرية أو الطلع أو ما يسمى (بالنبات) في دول الخليج العربي، وهو من أهم وأخطر الأمراض الفطرية التي تصيب النخيل في العالم (3)، إلى جانب ذلك يعد المطر من مسببات فساد غلة النخل؛ إذ إن كثرة المطر يؤدي إلى ما يعرف بالخرس (4).

فصل النخل: نخلة التمر هي النوع الوحيد من أنواع الجنس (Phoenix) الذي ينتج فسائل (Offshoots) وتعرف الفسيلة بأسماء مختلفة بناء على مناطق زراعة النخيل (5)، وقد استخدم العمانيون طريقة (الفسيلة) المعروفة لديهم بالصرمة، فعليها اعتمدوا في إكثار النخل. وطريقة الفسل أن يتم قطع الفسيلة من تحت النخلة الأم، فيما يعرف بعملية (قعاش الصرم) (6)؛ أي فصل الفسائل عن أمها، ثم فسלה في الموضع المراد فسלה فيه، وقد يتم تشنيل هذه الفسائل في الأرض، فيما يعرف بالنقص (7)؛ إذ تغرس الفسيلة في مكان حتى تقوى، ثم بعد ذلك يتم نقلها إلى الموضع المراد فسלה فيه، وقد يعود ذلك إلى ضعف الفسيلة عند فصلها، فيتم تشنيلها في مكان تكون الرعاية فيه أفضل، ثم تنقل بعدما تكون قد استوت، وقلّ

1 ذكر ابن وحشية ضمن عيوب النخل وأمراضه التي تظهر مع ظهور الطلع: «أن تنشق الطلعة عن عفن وسواد فإما أن لا يحيى من ثمرتها شيء البتة، وإما أن تخرج زاوية فاسدة اللون والطعم» ابن وحشية، الفلاحة = النبطية، ص 1399، فاعل مرض (العبي) يكون مثل ذلك؛ لأن ذكره مرتبط مع مرض آخر مشابه يصيب النخل يسمى (الذني)، وهو فساد يصيب ثمرته.

2 العوتبي، الضياء، ج 20، ص 366.

3 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 88.

4 فساد في ثمار النخلة بسبب الرطوبة الناتجة عن دوام سقوط الأمطار أيامًا متتالية.

5 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 59.

6 ابن الحوارني، الجامع، ج 3، ص 99.

7 ابن الحوارني، الجامع، ج 3، ص 128.

احتمال موتها عند نقلها⁽¹⁾.

إضافة إلى ذلك فقد تترك الفسائل، التي تنبت تلقائياً من النوى دون أن يتدخل أحد في زراعتها، لتنمو، وهي التي تعرف بـ(النواشي)⁽²⁾، ثم ينظر فيها بعد أن تثمر، فقد تنشأ نخلة ذات صنف جيد غير معروف من قبل؛ فكان لهذه النواشي دور مهم في إكثار النخل، وتنويع أصنافه⁽³⁾، ووردت إشارات متعددة ومتنوعة حول هذه النواشي من حيث أسماؤها، مثل: (القش) و(الدقل)، وهو «ما لم يكن من التمر أجناساً معروفة»⁽⁴⁾؛ أي لم تكن معروفة من قبل، بل إن بعض الدقل والقشوش تفوق جودتها النخل المعروفة سلفاً: «وكذلك البلعق إذا أعطي منه أجراً عن جميع التمور كلها، إلا أن يكون دقل معروف هو أعلى وأفضل من هذا»⁽⁵⁾، ويبدو أن أنواع القشوش والأدقال كثيرة التنوع في عُمان في تلك الفترة. ومما يجدر ذكره هنا أن من أجود النخل ما ذكره ابن الفقيه: «أجود تمر عُمان: الفرض، والبلعق، والخبوت»⁽⁶⁾، وقد قيل في الفرض:

إذا أكلت سمكا وفرضا ذهب طولا وذهبت عرضاً⁽⁷⁾

وهو ما تعكسه أيضاً المصادر العُمانية، التي تؤكد جودة هذه الأصناف عمّا سواها⁽⁸⁾، وكذلك (الصرقان)⁽⁹⁾ و(البرني)⁽¹⁰⁾، وهي من النخل المعروفة في عُمان

1 عبدالمجيد، أحمد رضا. نخيل وأشجار وفواكه المناطق الاستوائية ص75.

2 جاء في لسان العرب: «قال الزجاج في قوله تعالى: {وهو الذي أنشأ جنات مغزوشات وغير مغزوشات}: أي البتدعها والبتدأ خلقتها. وكل من ابتدأ شيئاً فهو أنشأه، والجنات: البساتين. مغزوشات: الكروم. وغير مغزوشات: النخل والزرع... والنشأة من كل النبات، ناهضه الذي لم يغلظ بعد»، ابن منظور، لسان العرب، مادة نشأ، ج1، ص172، وقد درج العمانيون على تسمية النخلة التي تنبت تلقائياً اليوم بـ(النشوة).

3 عبدالمجيد، أحمد رضا. نخيل وأشجار وفواكه المناطق الاستوائية ص74.

4 ابن منظور، لسان العرب، مادة دقل، ج11، ص246.

5 العوتبي، الضياء، ج9، ص26.

6 ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص87.

7 السجستاني، النخلة، ص85.

8 ابن النضر، أحمد، العائم، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان: 1988م، ص63، والعوتبي، الضياء، ج21، ص78، وغيرها.

9 العوتبي، الضياء، ج21، ص78.

10 نفسه، ص302.

وخارجها⁽¹⁾، وهناك أصناف أخرى من النّخل أيضًا، مثل: (المصير)⁽²⁾، و(مقرت)⁽³⁾، و(أنعمت)⁽⁴⁾، و(الدويتي)⁽⁵⁾، و(العجمي)⁽⁶⁾، إضافة إلى المشهور منها في عُمان؛ فقد انتقلت أصناف نخل عُمانية إلى الأقاليم المجاورة لها الإقليمي، واشتهرت في تلك الأقاليم، فيذكر المقدسي أن نخلة (مصين عُمان) من أشهر تمور كرمان⁽⁷⁾.

أساليب تنظيم فسل النّخل: تُعد أساليب تنظيم فسل النّخل وغرس الأشجار وضبط التباعد بينها عنصر مهم من عناصر النشاط الزراعي؛ لما له من أهمية وصول الضوء إلى الشجرة أو النّخلة بما يكفيها، إضافة إلى النظر في الاستغلال الأمثل لمساحة الأرض المحدودة؛ لذلك فقد أخذ تنظيم الغرس داخل القطعة الزراعية نفسها نمطا معيناً من التنظيم؛ بحيث يكون الفسل بين النّخلة والنّخلة لا يقل عن ستة أذرع من محيط جذعها (حوالي 7 أمتار)، فلا يزرع في هذه المسافة شيء من النّخل أو الأشجار ذات الساق⁽⁸⁾، وهي مسافة قريبة من مسافة التباعد التي تحددها الدراسات الحديثة^(8م)؛ وذلك لأن انتظام السعف في رأس النخلة والمسافات الزراعية المناسبة لها أهمية كبيرة في تقليل فقدان الحرارة المكتسبة من التربة ليلا عن طريق التشتت الحراري (Heat Dissipation) أو عن طريق إعادة الإشعاع (Reradiation)، كما أن كثافة السعف تؤثر في إعادة الإشعاع الحراري إلى التربة مرة ثانية حيث يعمل السعف كسطح عاكس للإشعاع الحراري ليلا؛ وهو

1 ابن وحشية، الفلاحة النبطية، ص 1440 وص 1448.

2 العوتبي، الضياء، ج9، ص 240.

3 العوتبي، الضياء، ج21، ص 51.

4 نفسه، ص 70.

5 نفسه، ص 73.

6 السجستاني، النّخلة، ص 83.

7 المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 470.

8 العوتبي، الضياء، ج20، ص 378.

ما يقلل فرص حدوث أضرار الصقيع وانخفاض درجات الحرارة في المناطق الصحراوية⁽¹⁾، إضافة إلى ذلك فإن هذه المسافة تقلل من احتمالات الإصابة بالحشرات وآفات النخيل الأخرى⁽²⁾.

حقوق النخلة من الأرض: أشير إليها في بداية الورقة أن النخلة في عمان كانت مالا مقبولا للتداول، فأحيانا يضطر أحدهم لبيع نخلة أو أكثر من ماله، أو تذهب لصداق عاجل أو أجل، أو قد يفتسم ورثة عددا قليلا من النخل، ويصبح لكل منهم يملك ما بين الواحدة والخمس نخلات على سبيل المثل، وقد يضطر أحدهم إلى بيع نخلة دون أرضها؛ أي وقية - كما سبق التعريف بها- وهذا يعني أن هناك مساحات قليلة من الأرض تتداخل بها حدود أملاك الشركاء، فكيف يتم تقاسم الأرض؟ وهل لجوانب المعرفة العلمية دور في ذلك التقسيم؟

ذكرت الدراسات العلمية اليوم أن أكثر من 80% من حاجة النخلة إلى الماء والغذاء تأخذه من محيط يبلغ قطره (4متر)⁽³⁾، وقد روعي ذلك في فصل حدود الملكيات المتداخلة، ومراعاة النخل الذي لا يمتلك من الأرض شيئا أصلا، فالنخلة (الوقية) التي لا تملك من الأرض شيئا، أعطيت من الإحرامات ثلاثة أذرع (3.5م تقريبا) حول محيط جذعها ما دامت حية؛ وذلك من أجل تيسير ما تحتاجه من ري أو سماد أو إصلاح، إلا أنها لا تملك تلك الأذرع الثلاثة، ولا يحق لمالكها أن يزرع شيئا أو يتصرف في تلك المساحة الضيقة إلا بإذن مالك الأرض الفعلي. أما النخلة (الحوضية) وهي النخلة التي يملكها شخص ما، وسط نخل لمالك آخر، ولكنها تملك الأرض التي عليها، وإن سقطت يعاد فسلسها، ولها مسقى يجري فيه

1 إبراهيم، زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، ص 340.

2 قنلوي، مجدي محمد. آفات النخيل والتمور بسلطنة عمان، د.ط، شؤون البلاط السلطاني، د.ت، 95.

3 عبدالمجيد، أحمد رضا. نخيل وأشجار وفواكه المناطق الاستوائية ص36، وغالب، حسام حسن علي. أشجار نخيل التمر من واقع دولة الإمارات العربية المتحدة، د.ط، دائرة بلدية أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، د.ت، ص97.

الماء إليها⁽¹⁾، فهي أقل إشكالا من النخل الواقعة، فهي تملك حوضا من الأرض تابعا لها، وهو أيضا بمحيط ثلاثة أذرع⁽²⁾، ولمالكها الحق في زراعة ذلك الحوض والتصرف فيه.

أما النخلة (العاضدية) وهي فسلة أو نخلة تفسل على السواقي الرئيسية، فيكون بينها وبين الساقية في حدود ثلاثة أذرع أو أقل قليلا؛ وليس لها فتحة من الساقية (إجالة) لإحالة الماء إليها⁽³⁾، وتتميز بأنها لا تتداخل مع ملكية أحد، كما تتميز بأنها تقع بقرب من مجرى مائي شبه دائم فهي لا تحتاج إلى سقي محيطها؛ لذلك وضعت ضوابط فسلهها، بما يحفظ حقها من الأرض وقربها من الماء، فأعطيت حقها من الأرض ما بين ذراعين إلى ثلاثة أذرع من الجهات التي لا تواجه فيها الساقية، بشرط أن لا تتعدى تلك المسافة إلى ملك آخرين، أو الطريق، أما من جهة الساقية فإنها يراعى أن تكون المسافة بينها وبين الساقية كافية لسلامة الساقية.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم، يتبين أن العماني قدم ممارسة علمية في نشاطه الزراعي عموما، وفيما يتعلق بفلاحة النخلة على وجه الخصوص، تمثل ذلك في العناية بها، وإكثارها، والعناية بثمارها منذ التلقيح حتى الحصاد، كذلك تهيئة الأرض من تحتها، والمحافظة على حقوقها من الأرض بما يتيح لها أخذ حاجتها من الماء الغذاء، إضافة إلى مراعاة حاجتها إلى المياه في فترات الصيف والشتاء نسبة وتناسبا، وما يتعلق بمراحل ثمارها وإزهارها، وحصادها، كل ذلك وفق مقاييس مؤافقة لما أثبتته الدراسات الحديثة.

1 مجموعة باحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص903.

2 أبو زكريا، الإباض في الأحكام، ج4، ص263.

3 العوتبي، الضياء، ج20، ص218.

التوصيات:

توجيه بعض الدراسات العلمية لاستخراج مكنونات الموروث العلمي العماني الزراعي من المصادر الفقهية العمانية، وأرشفته؛ تسهيلاً على الباحثين في العلوم الزراعية للاستفادة منها.

تطوير الموروث العلمي العماني الزراعي من أجل توظيفه في الممارسات الزراعية الحديثة.

لمصادر والمراجع

إبراهيم، عبد الباسط عودة. زراعة النخيل وجودة التمور بين عوامل البيئة وبرامج الخدمة والرعاية، د.ط، جائزة خليفة الدولية لنخيل التمر والابتكار الزراعي، دولة الإمارات العربية المتحدة، د.ت.

ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم الأنصاري. إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، تحقيق. عبد المنعم محمد عمر، أحمد حلمي عبدالرحمن، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة: د.ت.

ابن الحواري، الفضل. جامع الفضل بن الحواري، د.ط، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان: 1985م.

ابن حوقل، أبي القاسم النصيبي. صورة الأرض، د.ط، مكتبة الحياة، بيروت: 1992م.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد. مقدمة ابن خلدون، تحقيق. عبدالله الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق: 2004م.

ابن العوام، يحيى بن محمد بن أحمد الإشبيلي. الفلاحة الأندلسية، تحقيق. أنور سويلم وآخرون، د.ط، مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن: 2012م.

ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني. كتاب البلدان، تحقيق. يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت: 1996م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب، د.ط، دار صادر، بيروت: 1980م.

ابن النضر، أحمد، الدعائم، د.ط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان: 1988م.

ابن وحشية، أحمد بن علي بن قيس الكسداني. إفلاح الأرض وإصلاح الأرض

والشجر والثمار ودفع الآفات عنها (الفلاحة النبطية)، تحقيق. توفيق فهد، د.ط،
المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، سوريا: 1988م.
أبو زكريا، يحيى بن سعيد. الايضاح في الأحكام، ط1، وزارة التراث القومي
والثقافة، سلطنة عمان: 1984م.
أبو بكر الكندي، أحمد بن عبدالله. المصنف، تحقيق. مصطفى باجو، ط1،
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان: 2016.
الإدريسي، محمد بن عبدالله بن إدريس. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د.ط،
مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: 2002م.
الأفضل، العباس بن علي بن داود الرسولي(ت778/1377م). بغية الفلاحين
في الأشجار المثمرة والرياحين، تحقيق. خالد الوهبي، ط1، دار الفرقد، دمشق:
2016م.
ابن بصال، محمد بن ابراهيم بن بصال الطليطي. الفلاحة، تحقيق ببيكروسا
مارية مياس ومحمد عزيان، معهد ملاي الحسن، تطوان: 1955م.
البلعكي، قسطا بن لوقا، الفلاحة الرومية، تحقيق. وائل عبدالرحيم، ط1، دار
البشير، عمّان: 1999م.
البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، تحقيق. أدريان ليوفن و أندري فيري،
د.ط، الدار العربية للكتاب: 1992م.
البلادري، أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، ط1، مطبعة الموسوعات،
مصر: 1901م.
الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين، ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1998م.
الحبسي، عبدالله بن صالح. معجم المفردات العامية العمانية، ط2، مؤسسة
عمان للصحافة والنشر والإعلان، مسقط: 2007م.

الحتروشي، سالم بن مبارك. الجغرافيا الطبيعية لسلطنة عُمان، ط1، جامعة السلطان قابوس، مسقط: 2015.

حسين، فرعون أحمد. تأثير التغطية وطرائق الخف المختلفة والتداخل بينهما في بعض الصفات النوعية والكمية لثمار نخيل التمر برحى وبريم، المجلة العراقية لدراسات الصحراء، مج6، ع1، جامعة الانبار - مركز دراسات الصحراء، العراق: 2016.

الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، كتاب الأنواء في مواسم العرب، دبط، دائرة المعارف العثمانية، الهند: 1978م.

السالمي، عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، د ط، مكتبة الاستقامة، مسقط: 2000.

السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان، النخلة، تحقيق. حاتم الضامن، ط1، دار البشائر، بيروت: 2002م.

صراي، حمد بن محمد. عُمان من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت: 2005.

عبدالمجيد، أحمد رضا. نخيل وأشجار وفواكه المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية بسلطنة عمان، دبط، شؤون البلاط السلطاني، دبت.

العوتبي، سلمة بن مسلم. الضياء، تحقيق. سليمان الوارجلاني ودواوود الوارجلاني، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان: 2015.

غالب، حسام حسن علي. أشجار نخيل التمر من واقع دولة الإمارات العربية المتحدة، دبط، دائرة بلدية أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، دبت.

قناوي، مجدي محمد. آفات النخيل والتمور بسلطنة عمان، دبط، شؤون البلاط السلطاني، دبت.

الكندي، محمد بن إبراهيم. بيان الشرع، تحقيق. سالم بن حمد الحارثي، د ط،
وزارة التراث والثقافة، سلطنة عُمان: 1992.
مجموعة من الباحثين. معجم المصطلحات الإباضية، ط2، وزارة الأوقاف
والشؤون الدينية، سلطنة عمان: 2012م.
المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة
مدبولي، القاهرة: 1991م.
مكي وعثمان، محمود بن عبد النبي ومحمد حافظ. النخيل في سلطنة عُمان،
ط2، ديوان البلاط السلطاني، مسقط: 1997.
Harris, Franklin Stewart. Soil Alkali: Its Origin, Nature, and
.Treatment, J. Wiley, NEW YORK: 1920, p 219

د. علي بن حسين بن عبدالخالق اللواتي
 أستاذ مساعد، مركز العلوم الطبيعية
 والطبية بجامعة نزوى
 ali.allawati@unizwa.edu.om

النباتات الطبية في سلطنة عُمان واقع الحفظ والاستخدام المستدام

الملخص

تحتوي سلطنة عُمان على تنوع إحيائي نباتي يصل إلى أكثر من 1400 نوع. وهناك في حدود 1000 نوع نباتي لها أهمية اقتصادية واجتماعية ومنها النباتات الطبية. التنوع الاحيائي للنباتات الطبية عالي في محافظة ظفار، وولاية الجبل الأخضر، وجبل بني جابر بولاية صور ومحافظة مسندم، وتبين الدراسة بأن عمليات الجمع والحفظ خارج الموطن الطبيعي في بنوك الجينات على هيئة بذور أو بنوك حقلية من المهم استكمالها من قبل الجهات المختصة. وبالنسبة للحفظ في الموطن الأصلي، فتعتبر محمية الجبل الأخضر للمناظر الطبيعية في الشمال ومحمية جبل سمحان في الجنوب هي من أكثر المناطق أهمية للحفظ في الموطن الأصلي. النباتات الطبية لها أهمية كبيرة جدا تقليديا وايضا في وقتنا الراهن من حيث إمكانية تطوير وتجدير منتجات للسوق المحلي والاقليمي والعالمي من التنوع الاحيائي النباتي الطبي والذي يصل إلى أكثر من 440 نوعا في سلطنة عُمان.

الكلمات المفتاحية: النباتات الطبية العُمانية، تنوع النباتات الطبية ،حفظ الموارد الوراثية للنباتات الطبية ،مهددات على النباتات الطبية ،تجدير النباتات الطبية

Medicinal Plants of the Sultanate of Oman: Current Conservation and their Sustainable Use

Ali Hussein Al Lawati, Ph.D

Assistant Professor, Natural and Medical Sciences Research Center, University of Nizwa

Abstract

The Sultanate Oman contains a plant biodiversity of more than 1400 species. There are 1,000 plant species of economic and social importance, including medicinal plants. The biodiversity of medicinal plants is high in the governorate of Dhofar, Willayat Jabal Al-Akhdar, Jabal Bani Jaber in Willaya Sur and Musandam Governorate, and the studies showed that the collection and conservation processes outside the natural habitat in genebanks in the form of seeds or field gene banks are important to complete by the competent authorities. For conservation in the original habitat, the Jabal Akhdar Landscape Reserve in the north and the Jabal Samhan Reserve in the south are two of the most important areas for conservation in the original habitat. Medicinal plants are of

great importance traditionally and also at the present time in terms of the possibility of developing and commercializing products for the local, regional and global market of medicinal plant biodiversity, which amounts to more than 440 species.

Key Words:

Omani medicinal plants

Diversity of Omani medicinal plants

Threats facing medicinal plants of Oman

Conservation

Commercialization



مقدمة

في عدة أجزاء من العالم، كما هو الحال في أفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى والجنوبية، لا تزال المجتمعات الريفية تعتمد على الطب العرقي وتعتمد على الأدوية النباتية التقليدية، بينما في بلدان أخرى، تدمج الأدوية النباتية التقليدية في النظم الصحية الرئيسية.

تحتل سلطنة عُمان الجزء الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية وتشارك في الحدود مع الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية والجمهورية اليمنية. وهي تمتد على طول خليج عُمان وبحر العرب، مع خط ساحلي يبلغ طوله حوالي 1700 كيلومتر يمتد من مضيق هرمز في الشمال إلى الحدود اليمنية. إن موقعها العالمي المميز جنوب قارتي آسيا وشمال أفريقيا يوفر لعُمان السمات الفسيوغرافية والمناخية لكلتا القارتين التي تؤوي جميع الأنواع النباتية المعتدلة وشبه الاستوائية إلى الأنواع النباتية الاستوائية من الأعشاب والشجيرات إلى الأشجار. من بين 391 ألف نوع من النباتات الوعائية المعروفة حالياً للعلم، هناك حوالي 369 ألف نوع (أو 94%) هي نباتات مزهرة في العالم، وفقاً لتقرير صادر عن الحقائق النباتية الملكية، كيو، في المملكة المتحدة (Dasgupta، 2016). يوجد في عُمان 1407 نوعاً تمثل 0.42% فقط من النباتات المزهرة في العالم. ومن 1407 نوع في حدود ألف نوع لها قيمة اجتماعية واقتصادية ومنها المحاصيل الغذاء والزراعي بحدود 108 نوع، وأشجار وشجيرات الغابات و285 نوع نباتات المسطحات الخضراء والزينة و448 نوعاً من النباتات الطبية. تنتمي الأنواع الطبية إلى 283 جنساً و95 عائلة وفقاً لـ «استراتيجية الحفاظ على النباتات الاجتماعية والاقتصادية لسلطنة عُمان» التي وضعها مركز عُمان للموارد الوراثية الحيوانية والنباتية في عام 2017 (AL Lawati et al., 2017).

تنوع النباتات الطبية في سلطنة عُمان

ذكر اللواتي وآخرون (Al-Lawati et al., 2020) في كتابهم "استراتيجية الحفاظ على النباتات الاجتماعية والاقتصادية لسلطنة عُمان" القائمة المرجعية ل 1407 نوعا نباتيا في عُمان هناك على الاقل 448 نوعا منها للاستخدام الطبي. وهذا يدل بوضوح إلى أن عُمان لديها كنز كبير من الموارد النباتية الطبية، والتي يمكن أن يكون لها فرص تجارية كبيرة. إلا أنهم ذكروا بأن التنوع الاحيائي للنباتات الطبية ليس في الوضع اللازم من حيث الحفظ. الشكل رقم 1 يوضح اعداد الانواع الطبية لكل عائلة نباتية، علما بأن عدد العائلات النباتية تصل إلى 95 عائلة. ونلاحظ بأن العائلة الشفوية (Lamiaceae) هي أعلى في أعداد الانواع النباتية، 16 نوع، والتي تضم تحتها الزعتر العُماني (*Zateria multiflora*) والريحان (*Ocimum basiclicum*) والنعناع (*Mentha spp*). يلي ذلك العائلة النجمية (*Asteraceae*) والتي تضم 13 نوعا، والعائلة الباذنجانية والتي تضم 12 نوعا والتي تضم من النباتات الطبية مثل المرنحة وتوجد منها في السلطنة ثلاث أنواع وهي (*Datura fastuosa*) و (*Datura innoxia*) و (*Datura metel*) والشرنجبان (*Solanum incanum*). والعائلة البقولية تضم 11 نوع منها السلم (*Vachellia flva*) وشجرة السنط (*Senegalia senegal*) والسمر (*Vachellia tortilis*)



الشكل رقم 1: العائلات النباتية واعداد الانواع الطبية لكل عائلة نباتية تضم خمس انواع او أكثر.

وتتميز هذه النباتات الطبية بأن لها خصائص أخرى غير عن ان كونها نباتات طبية، بل لها خصائص أخرى منها كغذاء، ونباتات الزينة وأشجار وشجيرات حرجية.

الوضع الحالي لحفظ الموارد الوراثية النباتية الطبية خارج الموطن وداخله

الحفظ خارج النطاق هو عملية حماية الأنواع من الانقراض، أو حتى تنوعها أو سلالتها، من النباتات أو الحيوانات خارج بيئتها الطبيعية؛ كأن يتم إزالة جزء من الموائل المهددة ووضعها في مكان جديد، والتي قد تكون منطقة برية أو في إطار رعاية البشر. بينما الحفظ داخل النطاق هو في حفظ الموارد الوراثية للأنواع داخل بيئتها أو موئلها الطبيعي.

لا يوجد في عُمان حالياً مناطق محمية في الموقع أو احتياطات وراثية تحافظ على تنوع النباتات بشكل عام على نحوٍ فعال سوى في بعض المحميات والتي تقع إدارتها تحت إدارة هيئة البيئة. تقرير هيئة البيئة لعام 2021 أوضح أن من 25 محمية طبيعية، 23 منها تصنف محميات نباتية بالإضافة تصنيف أو تصنيفات أخرى. ويتراوح عدد الأنواع النباتية التي تحمى في تلك المواقع ما بين 204 في محمية خور خرفوت الاثري بمحافظة ظفار. وهناك محميات مازال عدد الأنواع النباتية لم يسجل بها كمحمية رأس الشجر الطبيعية في محافظة مسقط وجنوب الشرقية. ولكن لا توجد تقارير تفصيلية عن تلك الانواع المنتشرة في تلك المحميات الطبيعية. هذه التقارير ستساعد الباحثين في معرفة الانواع الاقتصادية والاجتماعية ومنها النباتات الطبية المتواجدة في تلك المناطق ومدى تنوعها الوراثي ضمن المحمية وبين المحميات. لذا من الاهمية إجراء دراسات تفصيلية عن التنوع الوراثي للنباتات في تلك المحميات ونشرها في تقارير أو بحوث علمية. وعلى الرغم من أنّ تصنيفات النباتات الطبية يتمّ حفظها دون شكّ في المناطق

المحمية وغير المحمية المحددة رسمياً في سلطنة عُمان، مثل مناطق الطرقات، والهوامش الحقلية، والغابات والمنتزهات الوطنية. إلا أنه في كل منطقة محمية موجودةٍ يحتَمَل وجودُ تصنيفٍ معيَّن للنباتات الطبية عن طريق المصادفة لأنَّ الموقع يتمُّ إدارته للحيوانات البرية أو لتنوع الموائل أو للترفيه، أو لا يتمُّ إدارة التنوع الاحيائي النباتي بأيِّ شكلٍ نشط. ومن حيث الحفظ، يسمى هذا بـ «الحفظ السلبي» (Maxted et al., 2020)، وهو ما يعني في هذا السياق أن مجموعات النباتات الطبية إن وجدت فهي تحفظ بمحض الصدفة في مكانٍ محدّدٍ للحفظ، ولكن في الحالات التي لا توجد فيها إدارة نشطة لهذه المجموعات من جانب العاملين على الحفظ فقد تندثر هذه المجموعات من النباتات الطبية. ومن أجل دعم مجموعات النباتات الطبية، يلزم وجود إدارة أكثر فاعلية على المدى الطويل، الأمر الذي ينطوي على شكلٍ من أشكال التَّدخُل الديناميكيِّ في الموقع، حتى إذا كان هذا التَّدخُل مقصوراً على مراقبة مجموعات النباتات الطبية وتعديل إدارة الموقع إذا كانت أعداد الأنواع المستهدفة تتناقص.

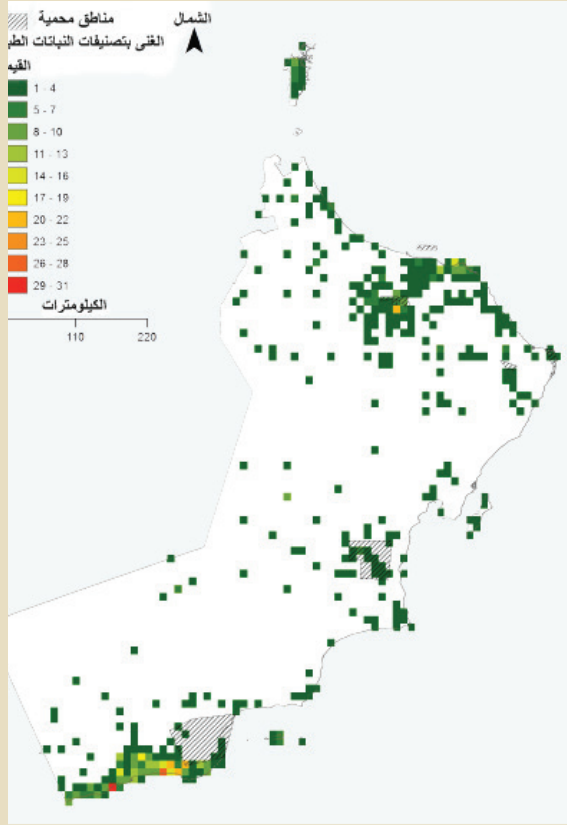
وبالنسبة للحفظ خارج الموقع الطبيعي، أي بينك البذور أو الانظمة المحمية الزراعية أو الحقول الوراثية، فهناك عدد محدود من الانواع، الوحدة التصنيفية، التي تم حفظها ومن غير المعروف عدد المجموعات التي يتمُّ حفظها في كل منها. والتوصية داخل بلدٍ ما بالنسبة للوحدة التصنيفية غير المستوطنة هي 10 مجموعات لكل وحدة تصنيفية للنباتات الطبية (Maxted et al., 2020) حيث يعتقد أنَّ ذلك يوفر عينة كافية من التنوع الوراثي طبيعياً. وبما أنَّ العدد الدقيق للمجموعات خارج الموطن الطبيعي لكل تصنيفات النباتات الطبية غير معروف، فإنَّه من المقترح أن يكون هناك حاجة إلى المزيد من أخذ العينات للحفظ خارج الموطن لجميع الوحدات التصنيفية للنباتات الطبية في سلطنة عُمان. وهكذا وبعد

مراجعة مجموعات النباتات الطبية خارج الموطن الطبيعي وفي الموقع في سلطنة عُمان، تمَّ التوصلُ إلى أن التنوع في النباتات الطبية لا يتمُّ حفظه وراثياً بفعالية باستخدام تقنيات الحفظ داخل الموقع أو خارجه. حيث أوضحت البيانات تم توفيرها من قبل مختصين حديقة الأشجار والنباتات العُمانية بأنه تم حفظ في حدود 35% من الأنواع الطبية في السلطنة على شكل بذور أو نباتات حية، البيانات غير معروضة. بينما بنك استدامة، بنك البذور الوراثي، والذي أنشأ من قبل مركز عُمان للموارد الوراثية الحيوانية والنباتية (موارد) وجامعة نزوى فإنه يحوي على حدود 10% من الأنواع الطبية، أي في حدود 40 نوع. هذه البيانات حتى إعداد هذه الورقة للنشر. ويقوم البنك بدراسة حيوية البذور ومحتوى الرطوبة وتخفيض نسبة الرطوبة إلى 5% أو أقل وذلك لتكون مناسبة للحفظ لمدة خمس سنوات أو أكثر. بالإضافة إلى عمليات التنظيف والتوثيق من بيانات التوصيف والتقييم وإتاحة البذور في منصة شبكية متاحة للباحثين وغيرهم. رابط الشبكة (<https://grip.mawarid.gov.om/gringlobal/home>).

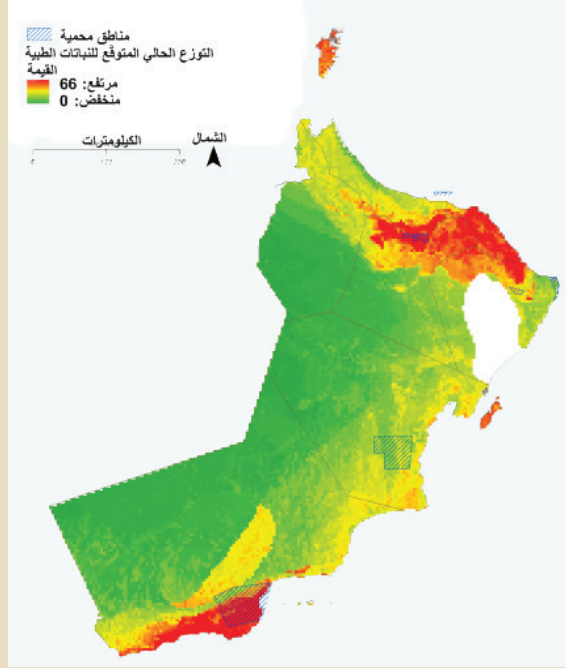
تحليل الفجوة في عمليات الحفظ وتوصيات الحفظ خارج الموقع الطبيعي

يشير غنى الوحدة التصنيفية (الشكل 2) وهي عدد مشاهدة الوحدة التصنيفية من النوع النباتي الطبي في منطقة جغرافية معينة، والتوزيع التنبئي (الشكل 3) وهي عدد الأنواع المحتملة وجودها في منطقة جغرافية معينة، وتحليل الفجوات خارج الموطن الطبيعي (الشكل 4) والذي يشير إلى نسبة الأعداد من الوحدات التصنيفية للنباتات الطبية التي لم تجمع وتحفظ في البنوك الوراثية للبذور أو البنوك الوراثية الحقلية. بشكل عام، تشير هذه الخرائط الثلاث إلى مناطق التنوع الكبير للنباتات الطبية في النطاق الشمالي من الجبل الأخضر وجبل بني جابر وجبال ظفار الساحلية الجنوبية. ان مناطق الفجوات للنباتات الطبية يجب ان يعد لها زيارات ودراسات

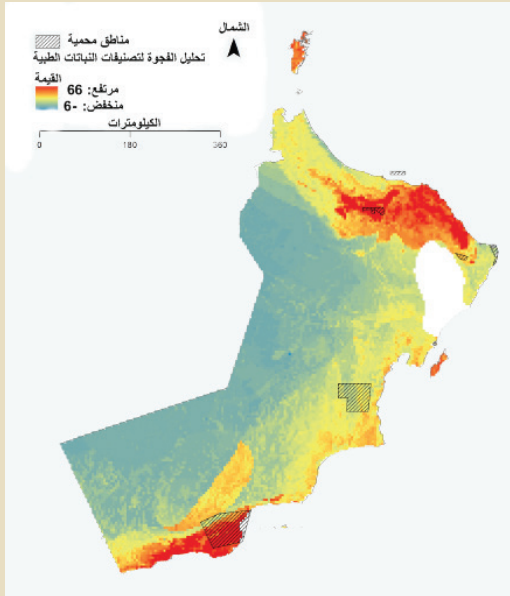
بحثية لتقييم حالة التنوع النباتي سواء على مستوى النوع أو التنوع ضمن النوع. هذه الزيارات والدارسات البحثية ستساعد في وضع إستراتيجية جمع مناسب من أجل الحفظ خارج المواطن الطبيعية في بنوك البذور الوطنية.



الشكل 2: الخريطة تشير إلى غنى تصنيفات النباتات الطيبة في سلطنة عُمان. المصدر اللواتي وآخرون (2020)



الشكل 3: خريطة تشير إلى غنى تصنيفات النباتات الطبية المتوقَّع في سلطنة عُمان. المصدر اللواتي وآخرون (2020)



الشكل 4: خريطة تشير إلى النتائج الشاملة لتحليل الفجوة خارج الموقع للنباتات الطبية في سلطنة عُمان. المصدر اللواتي وآخرون (2020)

التهديدات العامة على الموارد الوراثية النباتية الطبية

من المتوقع أن تتأثر النباتات الطبية والأنواع البرية وسلالات المحاصيل المحلية بشكل كبير بتغير المناخ في تحليل أجراه اللواتي (2020) وزملائه تبين بأن نوع النباتي الطبي ويسمى بالراي او الراع (*Aerva javanica*) قد تفقد 95% من مساحتها في المناطق المتوقع انتشارها من 2020 الى 2050 بسبب التغير المناخي. ودراسة أخرى ذكرت بأن شجرة الصنوبر العربية أو العلعلان قد تقل أعدادها بالتغير المناخي (MacLaren, 2016)

ومن المهددات الأخرى، النباتات الغازية وتأثيرها على فقدان الموائل الطبيعية للنباتات الطبية في مواقعها. وحاليا في جبال ظفار وسهل صلالة ومرباط تأثير النبات الغازي البارثينيوم على النباتات الطبية وبالذات الانواع العشبية أكثر منها على الانواع الشجرية والاشجار ومنافستها في موئلها.

بالرغم من تصاعد النشر العلمي حول النباتات الطبية في سلطنة عُمان إلا انه مازال هناك نقص في المعرفة فيما يتعلق بسعة وموقع وإمكانات الاستخدام الحقيقي للنباتات الطبية؛ فعلى سبيل المثال، السلطنة عملت على إيجاد قوائم الجرد للنباتات الطبية، إلا أن نقص المعرفة بشأن عدد الأنواع للنباتات الطبية المحفوظة في بنوك البذور وكذلك بشأن الممارسات التقليدية في استخداماتها غير متكاملة ومشتتة. ويحتفظ كبار السن عادة بالمعرفة التقليدية للنباتات الطبية والتي قد لا تتوافر مع أحفادهم وأبنائهم. إذ يوجد في عُمان حوالي 485 نوعاً من النباتات الطبية هناك عدد قليل جداً من الدراسات التي تدرس قيمتها الاقتصادية الفعلية والاستخدامات المحتملة لها وكيفية حصادها بشكل مستدام واستخلاص المادة الفعالة بطرق صناعية.

ومن المهددات الأخرى هو جمع النباتات الطبية على نطاقٍ واسعٍ من خلال

ممارسات الحصاد البرية والمدمرة جنباً إلى جنب مع التوسع الزراعي وضغط الرعي والتحضر، كل ذلك يهدد بقاء النباتات الطبية ((Tanko et al., 2005)). وهناك خطر آخر مهم يتمثل في الإفراط في حصاد النباتات الطبية مما يؤدي إلى انخفاض عدد الجماعات النباتية وعدم استدامتها، كما هو الحال في عُمان، حيث اختفت نبتة الزعر العُماني (*Zateria multiflora*) من جبال مسندم (أحمد الهاشمي، تواصل شخصي).

بالنسبة للتأثير العمراني على نباتات محافظة ظفار فمن ضمن 27 نوعاً قد تكون قد تأثرت من العمران في خمس ولايات من محافظة ظفار ذات التنوع النباتي العالي خلال الفترة من 1978 إلى 2018، هناك نوعان طبيبان قد يكون تأثرت بالبناء وهما نبات المخملية (*Tagetes erecta*) من العائلة النجمية والشم (*Panicum maximum*) من العائلة النجيلية. تم استخلاص هذه المعلومات من تحليل بيانات من الورقة العلمية لتأثير العمران على التنوع النباتي في محافظة ظفار (AI-Mulla et al., 2022).

تجبر الموارد الوراثية للنباتات الطبية

سياسة السلطنة في استغلال الموارد الطبيعية كثروة طبيعية في الاقتصاد الوطني

ومن هذه الموارد، الموارد الوراثية النباتية الطبية وهذا يتحتم علينا في الحفاظ على هذه الموارد واستغلالها في بحوث وتطوير القيمة المضافة لإنتاج منتجات تخدم المجتمع والاقتصاد الوطني. فرؤية عُمان 2040 في مجال القيمة المضافة والموارد الطبيعية واقتصاد المعرفة تنص على "حان الوقت الذي ينتقل فيه الاقتصاد والمجتمع من مرحلة الاعتماد على الموارد (الناضبة) إلى

مرحلة الابتكار والمعرفة“ (رؤية عُمان 2040). لذا كانت من أهداف التوجه الاستراتيجي للبحث العلمي في الرؤية هي تطوير منظومة وطنية فاعلة للبحث العلمي والإبداع والابتكار تسهم في بناء اقتصاد المعرفة. ومن أولويات سلطنة عُمان خلال العقدين القادمين ان يكون هناك اقتصاد متنوع ومستدام قائم على التقنية والمعرفة والابتكار، أطره متكاملة وتنافسيته متحققة، مستوعب للثورات الصناعية، ويحقق الاستدامة المالية.

وفي تحليل مبدئي للفعاليات العلاجية من خلال الاوراق العلمية التي تم نشرها لعشرين نوع من النباتات الطبية في سلطنة عُمان وجد أن لها هذه الخصائص العلاجية ومنها: مسكن، مضاد للأكسدة، مضاد للالتهابات، مضاد للالتهاب المفاصل، مضاد بكتيري ، مضاد للفيروسات، مضاد للفطريات (مضاد للميكروبات بشكل عام) مضاد للسمية الكبدية، مضاد لمرض السكري، مضاد للتشنجات، اضطرابات الذاكرة، ارتفاع ضغط الدم، نشاط خفض الدهون، مضاد للسرطان، مبيد للبعوض، مضاد للقرحة، مضاد لارتفاع درجة حرارة الجسم، مكافحة الشبخوخة، مطمئ، ملين، مضاد للربو، مضاد للحساسية، مقشع المعدة، و منشط المعدة.

على مدى السنوات القليلة الماضية، كان هناك تغيير جذري على المستوى العالمي في اهتمام الناس في النباتات الطبية لقدرتها على توفير العلاجات المفيدة، والتي هي من أصل طبيعي. وإذا ما استغل المزارعون العُمانيون ورجال الأعمال وشركات الأدوية العُمانية استغلالاً مناسباً لهذا التنوع الكبير، فإنهم سيستفيدون من احتياطات النباتات الطبية المحلية. إلا أن مازال القطاع الخاص لا يخوض في هذا المجال إلا ما ندر. ومن جهة قامت بعض الشركات المحلية الصغيرة في إنتاج المياه العطرية والزيوت العطرية من النباتات العمانية البرية او المنزرعة والتي تشمل الورد والياس عشبة الليمون والنعناع مثل مشاريع خميس الغسيني

الوطنية والتي تحمل منتجات (رواق). وبشكل تجاري كبير عطور أمواج تستخدم زيت اللبان في منتجاتها. وقد دعمت السلطنة خلال العاميين الماضيين إنتاج الزيوت الطبيعية من النباتات الطبية مثل اتفاقية لمشروع زراعة الأشجار البرية لإنتاج زيت الشوع بولاية عبري بمحافظة الظاهرة مع «شركة قمم عبري» على مساحة (10) أفدنة وبتكلفة إجمالية بلغت (100) ألف ريال عُماني وبطاقة إنتاجية تصل إلى ألف لتر سنويًا من زيت الشوع. وبشكل تجاري صناعي كبير تم افتتاح مصفاة إنتاج حامض السيباسك وهي من مشروعات الشراكة الناجحة بين القطاع الخاص المحلي والأجنبي، وهو أول مشروع من نوعه يُقام في الشرق الأوسط لإنتاج حامض السيباسك الذي يُستخرج من (زيت الخَرْوَع)، ويدخل في العديد من الصناعات الكيماوية وصناعات البلاستيك والأدوية. ودخلت المصفاة حيز الإنتاج التجاري في عام 2019، وتعدّ أول مشروع صناعي في قطاع الصناعات الثقيلة يُشغّل في المنطقة الاقتصادية الخاصة بالدقم، وبلغ إنتاج الشركة خلال هذه المرحلة 12 ألف طن سنويًا. ويعدّ حامض السيباسك أبرز منتجات الشركة، إلا أن هناك منتجات أخرى تنتجها المصفاة، كمادة الغلرين التي تُستخدَم في الصناعات الغذائية والطبية، ومادة الأوكتانول التي تُستخدم في الصناعات البلاستيكية. إلا أن حبوب الخروع تستورد من الهند وليس السلطنة.

أن أحد استخدامات المنتجات النباتية الطبيعية هي الأدوية. على سبيل المثال، كان الدواء الأول الذي وافقت عليه إدارة الغذاء والدواء الأمريكية (FDA) هو Veregen® الذي يستخدم لعلاج الثآليل التناسلية ومنطقة الشرج. هذا الدواء مشتق من الشاي الأخضر (*Camellia sinensis Kuntz*). دواء آخر تمت الموافقة عليه من قبل إدارة الغذاء والدواء الأمريكية لعلاج أعراض الإسهال المرتبط بفيروس نقص المناعة البشرية هو Fulyzaq™، الذي تمت الموافقة

عليه في عام 2013. هذا الدواء المستخرج من اللاتكس الدموي الأحمر لشجرة الكروتون من أمريكا الجنوبية (Croton lechlerii Müll. Arg.) بشكل عام، يمكن تعريف الأدوية من المنتجات الطبيعية على أنها: جزيء بيولوجي، منتج طبيعي غير متغير، دواء نباتي (خليط محدد)، ومشتقات منتج طبيعي. وأوضح هذا التعريفات في مقال تم الاستشهاد به للغاية من (Newman and Cragg, 2020).

إيجاد المواد الخام للصناعات التي تعتمد على النباتات الطبية والعطرية بشكل مستقر ومستدام قد يتطلب زراعة الأنواع النباتية الطبية والعطرية بدلا من حصادها من البر بشكل مباشر وذلك خوفا لتعرضها للاندثار من موائها الطبيعية بسبب الاستغلال المفرط. ولتلبية هذا الطلب على المواد النباتية الخام للاستخدام المباشر أو الاستخدام الصناعي، تم تطوير التقنيات الزراعية للعديد من النباتات الطبية، والتقنيات الحيوية البديلة (التكاثر الدقيق، والإنتاج في مزارع الخلايا المزروعة والمفاعل الحيوي، ونقل الجينات / الجينات في النبات والميكروبات، ومحاولة تعديل مسارات التخليق الحيوي، وما إلى ذلك) ونظام الإنتاج الميكروبي. قد يؤدي فهم بيولوجية البذور والزهور، وتطوير التقنيات الزراعية وإدخالها في الموائ الجديدة إلى تحسين توافر المواد النباتية الطبية الخام المرتبطة بعملية المصب المحسنة التي يمكن أن تؤثر على نسبة الإنتاج العالية. وبالمثل، فإن استخدام طرق الكشف المتطورة، وطرق الفحص عالية الإنتاجية، وعلم الجينوم والبروتيوميكيات يمكن من خلالها سلط الضوء على الجينات المعنية في إنتاج المواد الفعالة أو المستقبلات العلاجية من النباتات، وأنواع الجزيئات الحيوية، والمصادر الجديدة للأدوية المعروفة. يمكن أن تساعد طرق التكنولوجيا الاحيائية (الاستنباط أصناف نباتية جديدة، استنساخ وإكثار السلالات المختارة، والتعديل بالجينات) بما في ذلك

تحرير الجينات في تحسين نظام الإنتاج. ومن ثم فإن تدجين النباتات البرية الطبية جنباً إلى جنب مع التقنيات الاحيائية الجديدة هو طلب للوقت الحالي لمواجهة التحدي المتمثل في توريد المواد الخام ذات الصفات المعيارية في الصناعة. راموات وإرورا يستعرضان لهذه التقنيات في مراجعتهم العلمية المنشورة في عام 2021 (Ramawat and Arora, 2021).

التنوع الاحيائي والموارد الوراثية تعتبر من الموارد الطبيعية والتي قد تستغل بكفاءة وتستخدم بطرق مستدامة في دعم تنوع الاقتصاد. ويأتي دور الجامعات ومراكز البحوث في تجيير الابتكار والملكية الفكرية من مخرجات البحث العلمي في مجال النباتات الطبية، حيث من المعروف لدي الجميع بأن أغلب طبيعة مخرجات البحث العلمي غير تجارية لذلك فإن التجيير Commercialization هي الوسيلة التي تحولها إلى قيمة تجارية. فمفهوم Commercialization وترجمتها باللغة العربية (تجيير، توجرة، أجرة) والذي يأتي بمعنى تحويل الشيء الغير تجاري إلى تجاري، هو أمر غير حاضر بوضوح ومنهجية واضحة في المؤسسات البحثية والأكاديمية في سلطنة عُمان. فمثلا أغلب المؤسسات الأكاديمية تُقيم بجودة مخرجاتها العلمية سواء كانت اعداد الخريجين أو منشورات علمية. ولكن هذه المؤسسات حالياً لا تأخذ من الملكية الفكرية والابتكار أحد عناصر تقييمها. فمثلا هي تحتاج ان يكون لديها ملف لبراءات الاختراع وتفعيل هذه البراءات وقدرتها على تحقيق عائد من خلال تجييرها. وهناك الكثير من الدراسات والمراجع والتي تطرح أهمية البحث العلمي والتطوير للنباتات (Muhammad and Awaisu, 2019) (Astutik et al., 2019) (Sahoo and Manchikanti, 2013) (Sahoo and Manchikanti, 2008) (Kurnaz and Kurnaz, 2021).

الاستثمار في براءات الاختراع والابتكارات هو قرار استراتيجي ولا بد أن

يندرج مع الاستراتيجيات العامة للمؤسسات والدولة، حيث إن القدرة على
تتجير براءات الاختراع ناتجة عن الانفصال ما بين الباحثين والصناعة والمجتمع
فلذلك يجب التركيز على انشاء براءات اختراع متسقة مع نمط الانتاج المطلوب
من القطاع الصناعي سواء المحلي أو الدولي.

المؤسسات الاكاديمية والبحثية والتي لها مخرجات من بحوث النباتات الطبية
يجب أن يكون معها وحدة التسويق والاستشارات. وهذه الوحدة بدورها ستحدد
المشاريع المشتركة وفرص الاستثمار وتأمين الدعم لتطوير مخرجات البحث
العلمي، وفي الوقت المناسب، تحقيق الدخل من منتجات أبحاث النباتات الطبية.
وقد تكون مثل هذه الوحدات أو الأهداف ضمن مراكز نقل التكنولوجيا في بعض
الجامعات الوطنية في سلطنة عُمان. تتجير مخرجات البحث العلمي له مردود
في استدامة المراكز البحثية والمؤسسات التي تحتضنها في ردف الموارد المالية
المناسبة لديمومتهم، بالإضافة الى مساهمتها في الاقتصاد الوطني.

لتنسيق أنشطتها التجارية، على المراكز البحثية والأكاديمية أن تخطط لإنشاء
شركات مرتبطة بها يتم من خلالها إدارة الدخل التجاري. سيتم استخدام الأرباح
الناتجة عن مثل هذه الأنشطة لدعم أنشطة البحوث والتشغيل في تلك المراكز.
وإجراء المناقشات مع الضامين والشركاء لوضع آليات لاقتناء الملكية الفكرية
وتسويقها لاحقاً؛ حيث تتعلق الملكية الفكرية بنتائج الأبحاث التي أنجزتها مخرجات
البحث العلمي و / أو من خلال التمويل الخاص. وستضع المراكز البحثية والأكاديمية
استراتيجية للتسويق والملكية الفكرية والتي تفي بمتطلباتها والضامين وشركاء
البحث والجهات الراعية. ومن المهم جداً أن يدخل القطاع الخاص سواء المحلي
او الدولي في مجال البحوث على النباتات الطبية بحيث يكون من المستقبلين لنتائج
البحث ومكمل لمشوار التطوير التجاري.

التوصيات/الخاتمة

من المهم دعم البحوث العلمية للنباتات الطبية من أجل الاستخدام الأفضل للموارد الوراثية النباتية ولا سيما تلك التي توفر فرصاً واعدة للتنمية بسبب أهميتها المحلية والعالمية، وأيضاً إمكاناتها التجارية، والتي لم يتم تناولها بشكل كافٍ من قبل المجتمع العلمي المحلي سواء من خلال البحث، أو من خلال دعم حكومي و/أو خاص. ومن المهم جداً استمرار عمليات الحفظ للتنوع النباتي وبالذات الطبي سواء على مستوى الحفظ داخل مواقعها الطبيعية لوجود هذه النباتات و/أو حفظها خارج مواقعها الطبيعية.

المراجع:

- Al-Lawati A., Al-Saady N., Al-Khafaji H.C., Patzelt A., Phillips J., Maxted N., Al-Bulushi A., AL-Mabali D., Al-Naabi A., Al-Busaidi K. (2020) Socioeconomic Plants Conservation Strategy for the Sultanate of Oman Oman Animal & Plant Genetic Resources Center, Muscat, Oman
- Al-Mulla Y., Al-Ruheili A., Al-Lawati A., Parimi K., Ali A., Al-Sadi N., Al-Harrasi F. (2022) Assessment of Urban Expansion's Impact on Changes in Vegetation Patterns in Dhofar, Oman, Using Remote Sensing and GIS Techniques. 86792-IEEE Access 10:86782
- AL Lawati A.H., Al Saady N., Ghaloub H.A., Patzelt A., Phillips J., Maxted N., Al Balushi A.H., Al-Maqbali D., Al Naabi A.S., Al Busaidi K.A., Al Kharusi M., Al Shukaili M.S.,

- Al Jabri A.A., Al Nabhani H.M. (2017) Socioeconomic Plants Conservation Strategy for the Sultanate of Oman. Oman Animal and Plant Genetic Resources Center, The Research Council, Muscat, Sultanate of Oman
- Astutik S., Pretzsch J., Ndzifon Kimengsi J. (2019) Asian medicinal plants' production and utilization potentials: A review. Sustainability 11:5483
- Kurnaz M.L., Kurnaz I.A. (2021) Commercialization of medicinal bioeconomy resources and sustainability. Sustainable Chemistry and Pharmacy 22:100484
- MacLaren C.A. (2016) Climate change drives decline of *Juniperus seravschanica* in Oman. Journal of Arid Environments 128:91-100
- Maxted N., Hunter D., Ríos R.O. (2020) Plant genetic conservation Cambridge University Press
- Muhammad B.Y., Awaisu A. (2008) The need for enhancement of research, development, and commercialization of natural medicinal products in Nigeria: Lessons from the Malaysian experience. African Journal of Traditional, Complementary, and Alternative Medicines 5:120
- Newman D.J., Cragg G.M. (2020) Natural products as sources of new drugs over the nearly four decades from

- .803-Journal of natural products 83:770 .2019/to 09 1981/01
- Pandey A., Savita R. (2017) Harvesting and post-harvest processing of medicinal plants: Problems and prospects. The
.235-Pharma Innovation Journal 6:229
- Ramawat K.G., Arora J. (2021) Medicinal plants domestication, cultivation, improvement, and alternative technologies for the production of high value therapeutics: an
.29-overview. Medicinal Plants:1
- Sahoo N., Manchikanti P. (2013) Herbal drug regulation and commercialization: an Indian industry perspective. The
-Journal of alternative and complementary medicine 19:957
.963
- Tanko H., Carrier D.J., Duan L., Clausen E. (2005) Pre- and post-harvest processing of medicinal plants. Plant Genetic
.313-Resources 3:304
- Van Wyk A., Prinsloo G. (2018) Medicinal plant harvesting, sustainability and cultivation in South Africa. Biological
.342-Conservation 227:335

أ. حارث بن حمد بن حمدان السيفي

باحث في أرشيف عمان المناخية

omanarchive@gmail.com

د. حبيب بن مرهون بن سعيد الهادي

باحث دكتوراه \ اخصائي تراث مادبي باللجنة
الوطنية العمانية للتربية والثقافة والعلوم

Habeeb45@moe.om

علم الأرصاد الجوية عند العُمانيين من خلال مخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح»

ملخص

تمكن أهل عمان منذ قرون طويلة من الكثير من العلوم الإنسانية منها أم الطبيعية، وفي هذه الدراسة التي تهدف إلى تتبع ما أورده مخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح» من حقائق علمية متقدمة في علم الأرصاد الجوية والمناخ محللاً ومفسراً ومقارناً تلك الحقائق بالأرصاد الجوية الحديثة، نبرز تلك الجهود العمانية في بناء الحضارة الإنسانية، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج المقارن إضافة إلى المنهج التحليلي، وقد خرجت هذه الدراسة بنتائج عديدة من أهمها: انخراط العمانيون في بيئتهم بشكلٍ مكنهم من تفسير الكثير من الظواهر التي لا تتوفر لها أدوات البحث والتحليل الحديثة كمخرجات الأقمار الاصطناعية بأنواعها المختلفة، والنماذج العددية أو محاكيات الغلاف الجوي المتقدمة ففسروا أسباب نزول الأمطار، ولامسوا بتفسيراتهم عوامل المناخ على المستوى السطحي كالضغط الجوي، والرطوبة النسبية، والحمل الحراري، وغيرها، إضافةً إلى عوامل الغلاف الجوي العلوية كالتبريد العلوي، والتيارات الهوائية الصاعدة

والهابطة وأيضًا حركة الرياح النفاثة وغير النفاثة في طبقات الجو العليا، مستندين إلى التجربة والمعاناة الميدانية، ومن أهم التوصيات التي خرج بها الدراسة: إبراز قوة الفكر العلمي الذي كان لدى باحثي ذلك العصر ومقارنته بمستنتجات العلوم الحديثة؛ لفهم الوضع المناخي الذي أحاط بتلك الحقبة ولتدعيم دراسات التغير المناخي الحالية)

الكلمات المفتاحية: دولة اليعاربة - الأرصاد الجوية - مخطوط الإيضاح - الإمام سلطان بن سيف - الأرشفة المناخي.

Dr. Humaid Saif Al Nofli

Dr. Huda Mubarak Al Dayri

Khatma Ali Al Rushidi

Abstract

For centuries, the people of Oman were able to acquire many humanities, including the natural sciences.

The research aims to follow-up on the advanced scientific facts in the science of Meteorology and Climatology mentioned in the manuscript “The Clarification of the Wisdom Deposited by Allah in the Stars and Winds” by analyzing, interpreting, and comparing these facts with modern meteorological sciences. This study hopes to highlight the Omani effort in building this civilization.

This study relied on the historical analytical method, while the study came out with several results, many of the most important of which are: the Omanis’ involvement in their environment in a way that enabled them to explain

many phenomena that are not available to modern research and analysis tools, such as the outputs of all types from weather satellites, numerical models or advanced atmospheric simulators, relative humidity, convection, and others, in addition to the upper atmosphere factors such as atmospheric upper layers cooling, updraft and downdraft air currents, as well as the movement of Jetstream in the upper layers of the atmosphere, based on experience and field inspection. One of the most important recommendations that came out of the study is to highlight the scientific knowledge of the authors of that era and its comparison with modern sciences; to better understand the climatic situation surrounding that era and to support current climate change studies.

Keywords: Ya'ariba State - Meteorology - Explanation Manuscript - Imam Sultan bin Saif - Climatic Archive.

المقدمة:

تزخر عمان - عبر تاريخها العريق - بالكثير من المنجزات العلمية التي أسهمت في رفد الحضارة الإنسانية في مجال العلوم الطبيعية والإنسانية، و عمان في عهد دولة اليعاربة شهدت رخاءً واستقراراً سياسياً ونموً اقتصادياً؛ مما هيا لقيام نهضة علمية وفكرية واسعة، ورغم أن أغلب المؤلفات والمصنفات العمانية في العصور الإسلامية عامة كانت تعنى بالجوانب الفقهية عناية كبيرة لحاجة المجتمع إليها، إلا إن العمانيين برعوا في العديد من العلوم التطبيقية والطبيعية، وكان من بين تلك المصنفات مخطوط بعنوان «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح» لمؤلف مجهول عاصر الإمام سلطان بن سيف اليعربي (-1649 1680م) إذ نصّ على تأليفه في شهر صفر من سنة (1089هـ) الموافق له عام (1678م). وقد قام الأستاذ الباحث سلطان بن مبارك الشيباني بالاعتناء بهذا المخطوط وإخراجه في كتيب صغير.

وعلم المناخ هو «متوسط الطقس في منطقة وفترة زمنية معينة، وعادة ما تأخذ لأكثر من 30 عامًا» وهذا العلم ظهر منذ العصور القديمة لحاجة الشعوب والأمم للتعرف على مواسم الأمطار والرياح والحرارة لارتباط ذلك كله بحياة الإنسان اليومية من ملابس ومأكل ومأوى، وارتباطه كثيراً بمواسم الزراعة والحصاد، فظهر عند البابليين والمصريين والإغريق والرومان وحضارات فارس والهند والسند والصين، كما كان للعرب قبل الإسلام دور في هذا العلم، فبعد ظهور الإسلام زاد الاهتمام بهذا العلم ونبغ فيهم عدد كبير من الجغرافيين، ويعد العمانيون من الشعوب التي اعتنت بعلوم المناخ خاصة أولئك الذين اهتموا بشؤون الزراعة والملاحة، فكانت كتاباتهم دقيقة عن الفلك والطقس، حيث ساعدتهم رحلاتهم البحرية وتجاربهم الزراعية في التعرف على تفاصيل الرياح والأمطار والحرارة

والرطوبة، وقد استطاعوا تحديد نظام الرياح الموسمية، فالعمانيون من ضمن التجار العرب الذين أعطوا الرياح الموسمية هذا الاسم والذي عرف فيما بعد بمصطلح (Monsoons) والمشتق من الاسم العربي (الموسم) ويعني موسم هبوب الرياح ، بينما يعرف علم الأرصاد الجوية بأنه حالة الغلاف الجوي في موقع معين على المدى القصير .

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في بحث مدى قدرة العمانيين العلمية في التعاطي مع علوم الطقس والمناخ في فترات زمنية سابقة، وكيف استطاعوا التعامل مع أحداث المناخ والطقس ودراستها بما يحقق سلامة بيئتهم، وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع ما أورده مخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح» من حقائق علمية في مجال علوم الأرصاد الجوية قام بتفسيرها وتحليلها بالوسائل والطرق المتاحة لديه في تلك الفترة، ومدى دقة هذه الأفكار والآراء، ومقارنتها بعلم الأرصاد الجوية الحديث، وكذلك التطرق لعلاقة الكواكب والنجوم بالمناخ عموماً تأكيداً أو نفيًا أو وقوفاً.

وبناء على تلك الأهداف أنت أسئلة الدراسة على النحو الآتي:

- كيف كان الوضع السياسي بعمان في فترة تأليف مخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح»؟
 - ما الأهمية العلمية لمخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح»؟
 - ما أهم المصطلحات العلمية في علم الأرصاد الجوية التي وردت في مخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح»؟
- وللإجابة على أسئلة الدراسة اعتمدت هذه الدراسة على المنهج

المقارن والذي يعد شكل من أشكال المناهج التي يتم استخدامها في البحث العلمي، والهدف منه عمل مجموعة من المقارنات بين الظواهر المتعلقة بالبحث العلمي، وذلك للتعرف على وجه الشبه فيما بينهم، وكذلك وجه الاختلاف أيضاً، وبالتالي يكون أمام الباحث فرصة لتفسير تلك الظواهر ، وبالتالي يستطيع الباحث العلمي أن يفهم الآراء السابقة في تحليل ظاهرة الطقس والمناخ ومقارنتها بالتحديث العلمي القائم اليوم، كما استخدمت أيضاً المنهج التحليلي، وذلك لتحليل الكثير من النصوص الواردة بالمخطوط، وذلك باستخدام البحث الكيفي الذي يهدف إلى فهم الأسباب والآراء التي شكّلت كماً هائلاً من البيانات يمكن دراستها في علم الأرصاد الجوية خاصة وعلم المناخ عامة، وقد أتت الدراسة في تمهيد وإطار نظري ثم تحليل لنتائجها.

التمهيد:

شهدت عمان في صدر الدولة اليعربية نهضة علمية وفكرية كبيرة؛ ولا غرو في ذلك فقد عمّ الأمن والسلم والاستقرار ربوع البلاد مما حفز الازدهار الاقتصادي والإنتاج العلمي؛ حيث انتشرت دور العلم في المساجد والقلاع والحصون وغيرها من الأماكن، ولم يقتصر الإنتاج العلمي على العلوم الشرعية كالقرآن والحديث والتفسير والفقهاء والنحو، بل توسع ليشمل العلوم الطبيعية بمختلف مجالاتها: كالفلك والمناخ والطب وغيرها، وتتطرق هذه الدراسة إلى مقارنة وتحليل ما أورده مخطوط « الإيضاح فيما أودعه الله من الحكمة في النجوم والرياح» لمؤلف مجهول - كما ذكرته الكتب التي تناولت هذا المخطوط - ويبدو أنه شهد بدايات عهد الدولة اليعربية في عمان، والتي بدأت عام (1034هـ/1624م) في عهد الإمام ناصر بن مرشد (1034 - 1050هـ/ 1624-1649م)، وعهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي (1059هـ - 1090هـ/ 1649-1680م)، فقد ذكر

ضابط نص المخطوط سلطان الشيباني بأن صاحب المخطوط مجهول، كما ورد ذلك أيضا في تعليقات الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي على كتاب « النجوم الزاهرة في الأفلاك الدائرة» إذ أشار إلى أن المؤلف مجهول ، وذكر ذلك أيضا الباحث صالح بن محمد السيابي في كتابه « العمانيون والعلوم التجريبية في الطب والهندسة والفلك والملاحة البحرية» بأن المؤلف مجهول.

ومما يؤكد أن تأليف مخطوط «الإيضاح فيما أودعه الله من الحكمة في النجوم والرياح» كان في عهد الإمام سلطان بن سيف ما أكده المؤلف نفسه في بداية المخطوط بأنه ألفه في شهر صفر من سنة 1089 هـ وقد توفي الإمام سلطان بن سيف بعد هذا التاريخ بعام واحد تقريبا.

وقد حاول الباحثان التقصي عن شخصية صاحب المخطوط المجهول، إذ تبين أنه كان مقيما في داخلية عمان وبالتحديد في عاصمة الدولة اليعربية نزوى، بل كان من المقربين من الإمام سلطان بن سيف كما أضاف في نهايته نصا يوضح ذلك القرب حيث يذكر: « وسمعا من الإمام العدل المحقق العارف سلطان بن سيف بن مالك رحمه الله تعالى يقول: إنه سمع غير واحد أنهم صعدا في هذا الجبل الأخضر من عُمان..».

كما يتضح من أسلوبه في الكتابة أنه كان ذا مكانة علمية سواء في العلوم الشرعية - حينما يفصل في موضوع تعلم علم المواريث، وكذلك حينما يستشهد بالآيات ويستحضر تفسيرها - أو العلوم الطبيعية وله مجربات في مجال المناخ وعلم الأرصاد الجوية بشكل لافت، وقد أكد على هذا المعنى الشيخ مهنا بن خلفان بن عثمان الخروصي حينما قال «إنه عالم كبير، له اليد الطولى في علم الفلك والأجرام، والطبيعة» وقال في معرض آخر: « فلا شك أنه من علماء نزوى» وقد اعتنى الباحثان بالبحث في اسم صاحب المخطوط، ولكن لم يتوصلا لنتيجة

قطعية في ذلك.

الأوضاع السياسية بعمان في فترة تأليف المخطوط:

شهدت عمان في العقد الثاني من القرن السابع عشر ميلادي نهضة سياسية، ويقظة وطنية، وانتفاضة شعبية، بعدما وقعت عمان تحت نار الاستعمار الأوروبي في بداياته حينما سيطر البرتغاليون على أهم المدن الساحلية العمانية بداية من عام (1507م) إلى عام (1650م)، هذا التاريخ الذي يعد يوم استقلال عمان في العصر الحديث بعد احتلال دام قرابة (150) سنة، حيث قام الإمام ناصر بن مرشد أولاً بتوحيد البلاد، وبعد (10) سنوات تقريباً قام بطلائع حملاته إلى الساحل العماني محرراً المدينة تلو الأخرى، إلى أن توفاه الله ولم تبق إلا مدينتا مسقط ومطرح، اللتان استطاع خليفته الإمام سلطان بن سيف تحريرهما نهائياً من يد الاحتلال البرتغالي في بداية عام (1650م)، ليبدأ عهد جديد في عمان، وهو عهد الاستقرار السياسي والتطور الاقتصادي والعمراني.

الحياة العلمية بعمان في فترة تأليف المخطوط:

بعد طرد الاحتلال ونيل عمان الاستقلال تهيأ لها حكم شوروي عادل، وقوة عسكرية برية وبحرية قاهرة، واستعادت نشاطها التجاري، فأصبحت تنعم بالاستقرار والرخاء؛ مما هيأ لها الازدهار في شتى المجالات، ومن تلك المجالات: المجال العلمي الذي بدأ يبرز منذ عهد الإمام ناصر بن مرشد في المؤلفات الموسوعية الشرعية كمؤلف (منهج الطالبين وبلاغ الراغبين) للشيخ خميس بن سعيد الشقصي، وكتاب (جامع الجوهر) للشيخ جمعة بن علي الصائغي، وكتاب (مصباح الظلام) للشيخ خلف بن أحمد الرقيشي، وكتابي (جامع التبيين) و(الدلائل في اللوازم والوسائل) للشيخ درويش بن جمعة المحروقي .

بل وحتى الأئمة اليعاربة الأوائل كانوا على درجة عالية من العلم خاصة العلوم الشرعية، فأشار ابن قيصر إلى أن سبب اختيار الإمام ناصر بن مرشد إماماً مكانته العلمية إضافة إلى التقوى والصلاح الذي عرف عنه (ابن قيصر، 1983: 15)، كما يقول الشيخ الخراسيني في الأئمة الذين خلفوا ناصر بن مرشد: « إن من علماء زمانه ومشايخهم المعترين والمشهورين الإمام سلطان بن سيف وولديه بلعرب بن سلطان وسيف بن سلطان» كما وصف العلامة جاعد بن خميس الخروصي المجتمع العماني في عهد الإمام ناصر بن مرشد بأنه حتى الباعة في الأسواق وصلوا لمرحلة من التعليم ما يُمكنهم من تولي مناصب علمية وإدارية كالقضاء والولاية وغيرها ، وقد ذكر المؤرخ سالم بن حمود السيابي اهتمام الإمام بلعرب بن سلطان (1090 - 1104 هـ / 1680- 1692م) بالعلم وطلابه فيقول: « انصرف إليه بكليته، ورغب فيه بطبيعته، وأقبل إليه بنشاطه، وأقام له في حصن جبرين مدرسة خاصة بالطلبة من عمان وغيرها» ولم يقتصر اهتمام العمانيين في عهد اليعاربة على العلوم الشرعية فحسب؛ بل امتد الاهتمام ليشمل مختلف جوانب العلوم التطبيقية كالطب والفلك والجغرافيا والهندسة، فاشتهر في مجال الطب الشيخ علي بن عامر بن عبدالله النزوي، والشيخ القاضي ناصر بن سليمان بن مدّاد الناعبي فقد جمعوا بين علوم الفقه والطب، كما برع الشيخ الموسوعي خلف بن سنان الغافري في مجال الطب، فكانت له أجوبة نظمية في الطب، منها ما ذكره لمريض الحمى من وصفة طبية متمثلة في شرب عصير الليمون الأخضر في الماء الزلال قائلاً:

قل لمن عاثت الحرارة فيه فغدا موجعاً مسهد عين
اشرب الليم الأخضرًا شيب بالماء زلاًلاً أهدته أعذب عين.

كما أُلّف ونسخ عدد من كتب الطب العمانية في هذه الفترة، حيث نسخ كتاب «شرح قصيدة ابن هاشم في الطب والحكمة»، ومن المؤلفات الطبية المهمة التي ألفت هذه الفترة كتاب «جواهر المنافع» وكتاب «فوائد القرآن».

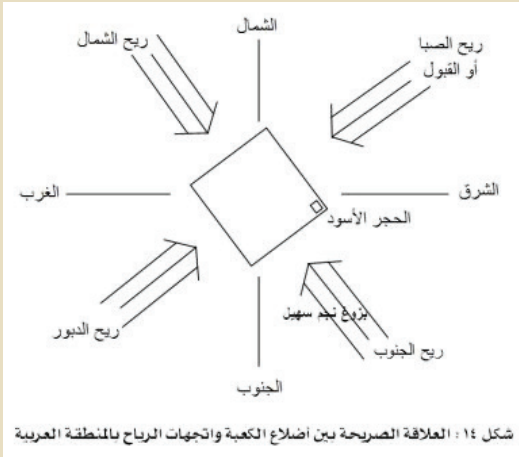
أما علم الفلك فقد اعتنى أهل عمان به منذ القدم؛ لحاجتهم إليه في حساب الشهور الهجرية التي ترتبط بمواعيدها الكثير من العبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، كما أنهم أهل سفر في البر والبحر، ولذا كان الاهتمام بالنجوم في ظلمة الليل «وعلامات وبالنجم هم يهتدون» (سورة النحل، آية 16)، كما يستفاد من علم الفلك في نظام الأفلاج التي تعتمد على حركة الشمس والنجوم، فلكل هذه الاحتياجات أصبحت معرفة العمانيين بالنجوم متواترة جيلا بعد جيل، ويعرفها الصغير والكبير لارتباطها بمعيشتهم وأعمالهم المختلفة.

ومن أشهر الفلكيين العمانيين في عصر اليعاربة الشيخ محمد بن عبدالله المسروري، والشيخ أحمد بن جمعة الأزكوي، والشيخ راشد بن خلف المنحي، والشيخ صالح بن عبدالله النزوي، والشيخ عمر بن مسعود المنذري، والأخير صاحب كتاب «كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام والرقوم السماوية» وهو من الكتب التي فصلت في علم الفلك.

باب في شرح الرياح وخصائصها (Wind Characteristics):

عرّف المخطوط الهواء والماء بوصف علمي لكثافتها بما احتواها من مواد، فيقول: «اعلم أن الماء والهواء بحران، غير أن أجزاء الماء ثقيلة كثيفة وأجزاء الهواء دقيقة خفيفة، وأصل الرياح حركة الهواء وتماوجه في بعضه بعض لا غير ذلك، كما أنّ موج البحر حركة الماء لا غير» ، فقوله «إنّ الماء والهواء بحران» فهو بذلك يصف خِفَّتَهما وقابليتهما على التموّج،

وفي العلم الحديث تعتبر السوائل والغازات من الموائع التي تتشكل على حسب الحاوية التي تحويها نظراً لضعف روابطهما الجزيئية، ويعرج في التعريف على استخدام كلمة أجزاء، والمعروف أنّ المادة تتشكل من جزيئات صغيرة مرتبطة بعضها ببعض بروابط كيميائية مختلفة فتتجمع ذرات تلك المادة على الشكل الذي نراه ونلمسه، وتختلف كثافة الماء والغاز بحسب قوة هذه الروابط بين مادة وأخرى، علماً أن كثافة الهواء عند الصفر المئوي تبلغ (1.293) كج/م³، بينما الكثافة أعلى بكثير في الماء عند نفس درجة الحرارة والتي تبلغ (999.82) كج/م³، ثم يتحدث عن ماهية الرياح فيؤكد أنها حركة الهواء وتماوجه واستدل بحركة مياه البحر المتمثلة بالأمواج، وتُعرّف الرياح علمياً بحركة الهواء من نقطة إلى أخرى بسبب الفوارق الضغطية.



رسم توضيحي 1: اتجاهات الرياح على الكعبة المشرفة - (كزابر، 2012)

وهذا التقسيم مستند إلى مصدر قدوم الرياح بالنسبة للكعبة المشرفة، فما يأتي من غربها سمّوها دبورا أي آتية من دبر الكعبة والقبول من شرقها -جهة اليمين-، والشمال من شمالها والجنوب من جنوبها، وقد أتى المخطوط على خصائص كل

وقد قسّم الرياح إلى أربعة أقسام أساسية وهي كما يلي:
 الدبور (رياح غربية المصدر)
 القبول (رياح شرقية المصدر)
 الجنوب (رياح جنوبية المصدر)
 الشمال (رياح شمالية المصدر)

قسم من أقسام هذه الرياح كخصائصها الحرارية، والديناميكية ونحوها.

الدور (الرياح الغربية):

خصائص الرياح تتغير لتغيّر الموقع الجغرافي للشخص الراصد، فبحكم أنّ كاتب المخطوط من قرى جبال الحجر بحسب الدلائل الواردة في المخطوط كأن يسمع من الإمام سلطان بن سيف اليعربي منه مباشرة عن حادثة في الجبل الأخضر وكذلك من خلال تفصيله لمعطيات الطقس والمناخ فيما يتعلق بالجبال وتكونات الصيف المحلية التي لا تتميز بها إلا جبال الحجر مقارنة بباقي مناطق عمان، فالخصائص المذكورة تتوافق مع الخصائص الحالية الموجودة لهذه الرياح، وهنا نرجع على أهم النقاط التي ذكرها؛ يذكر أنّ الرياح الغربية طبعها البرودة وشدة الهبوب، وهذا الوصف للبرودة يتناسب مع ما يمكن تأكيده أنّ الرياح الغربية تترافق مع المنخفضات الشتوية نتيجة الفارق الضغطي (Pressure Gradient) الذي يُحدثه المرتفع الجوي السطحي (high pressure system) ، وهي تتمثل بالكتلة الهوائية الباردة (Cold Air Mass) التي تلتقي بالكتلة الهوائية الدافئة (Warm Air Mass) المتمثلة بالرياح الجنوبية والشرقية، والبرودة تكتسبها من الموقع الذي تأتي منه، وغالبها رياح شمالية غربية آتية من تركيا والشام والمناطق التي أعلاهن، وشدة الهبوب كونها تتشكّل نتيجة عبور منخفضات شتوية (Cold Core Low) ، والأنظمة الجوية يكون اختلاف الضغط فيها واضحاً مقارنةً بالمعتاد وبالتالي تكتسب الرياح الغربية أو الشمالية الغربية صفة الشدة والسرعة في الهبوب وهي من مصادر ارتفاع موج البحر شتاءً، أما في فصل الصيف فالرياح الغربية وهنا الجنوبية الغربية تكون حارة ويسمّيها البعض في عمان بـ (الغربي أو السموم) وهي تختلف عن خصائص الرياح التي ذكرها المخطوط، فالرياح الغربية المذكورة تكون في الصيف معتدلة غير حارة ولكن جافة ونشطة وتثير الغبار والأتربة وقد

قال: «الدبور والقبول فهما في الاعتدال، إلا أنّ على الدبور البرودة، وعلى القبول الحرارة¹، ويشير إلى أنّ من ضمن الرياح السائدة في عمان هي الدبور والشمال وهذا ما يعطي لموقع السلطنة مناخ الجفاف بسبب البيئة الجافة الآتية منها.

الشمال (الرياح الشمالية):

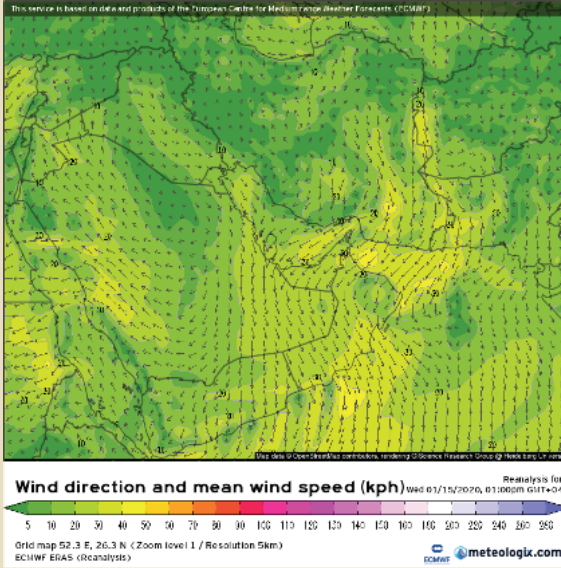
ذُكرَ في المخطوط أنّ الرياح الشمالية من خواصها البرودة والجفاف، فالبرودة بسبب مصدر قدومها البارد بينما الجفاف فعلى طبيعة الموقع الآتية منه، ومعرفة كاتب المخطوط بجغرافية المناطق المحيطة بعمان والأقاليم البعيدة أعطاه نظرة أوسع مع الرصد الميداني لتوصيف الرياح بدقة وإعطاء الخصائص بناءً على جغرافية المصدر، ويعرج على أنّ سبب برودتها يعود للمرتفعات العالية التي تصل إلى طبقة (برد الزمهير) وهنا يقصد سلاسل الهضاب في الشمال في بلاد السند، والهند كالهيمالايا ويشير إلى أنّ الرياح تأتي من المصادر العالية الباردة المليئة بالثلوج والمياه المتجمدة.

وعلمياً؛ المناطق التي أشار إليها تقع ضمن نطاق ما يُسمى بالمرتفع السطحي السيبيري² (Siberian High) والذي ينشط خلال الشتاء خاصة وهو يتشكل نتيجة عدة عوامل من ضمنها اليابسة الواسعة والجبال العالية المحيطة وأيضاً ما يسمى بخلايا هادلي³ (Hadley cell) في الغلاف الجوي والتي تهبط منها التيارات الهوائية من أعلى طبقات الغلاف الجوي إلى الطبقة السطحية على العروض دون الوسطى (25-35 درجة عرض)، بينما الجفاف -كما أشار بدقة- بسبب عبور هذه الرياح على الجبال والرمال أي

1 كاتب مجهول، ص16، مرجع سابق.

2 Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Siberian anticyclone". Encyclopedia Britannica, 8 Jun. 2017, <https://www.britannica.com/science/Siberian-anticyclone>. Accessed 12 October 2022.

3 MarK E. Piana, Harvard. (no publication date). Hadley Cells. Accessed on 11/2022/10/. Website link: <https://groups.seas.harvard.edu/climate/eli/research/equable/hadley.html>



الصحاري ونحوها، فهي بعد مرورها بالجبال تمر على صحراء لوط في إيران قرب الحدود الباكستانية فتكون جافة في غالب الأحيان عندما تصل إلى عمان.

ويشير صاحب المخطوط إلى أنها باردة في غالب أيام السنة وتميل للاعتدال في فصل الصيف، وأكثر ما تكون

باردة خلال الشتاء والخريف، وكما ذكر المخطوط أن الدبور والشمال أقوى شدة في الهبوب من الصبا والجنوب، وأن الشمال هي الرياح الأكثر هبوباً على عمان بينما لا يعلم عن المناطق الأخرى أي نوع من الرياح أكثر هبوباً عليها، وهنا إشارة لاختلاف مصادر الرياح وأي من أنواعها أكثر هبوباً على المناطق الأخرى، فالهند خلال الصيف تتميز بهبوب الرياح الجنوبية الغربية¹، والسعودية بهبوب الشمالية الغربية² فلكل منطقة رياح سائدة مختلفة عن غيرها من المناطق.

الجنوب (الرياح الجنوبية):

يأتي المخطوط على ذكر خصائص الرياح الجنوبية أنها حارة ورطبة بحكم موقعها الآتية منه، فيشير إلى أن الحرارة آتية من مصدر أقرب للشمس

1 LaKeErieWX Marine Weather. (no publication date). MONSOON SIGNALS - Surface Wind Accessed on 10/2022/10/. Website link: <https://www.laKeeriewx.com/CaseStudies/IndianMonsoon/MonsoonSignals.html>

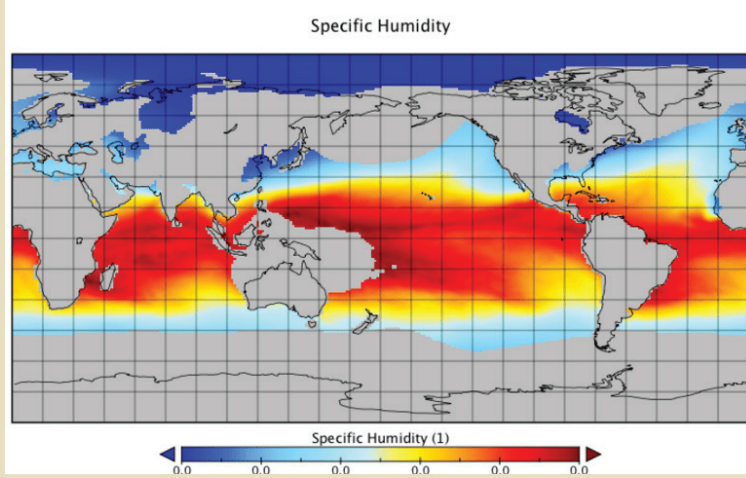
2 Ramaswamy, V., Muraleedharan, P.M. & Babu, C.P. Mid-troposphere transport of Middle-East dust over the Arabian Sea and its effect on rainwater composition and sensitive ecosystems over India. Sci Rep 7, 13676 (2017). <https://doi.org/10.1038/s41598-13652-017->

والرطوبة بسبب أن البحار معظمها تقع في الجنوب وتؤثر عليها الشمس أكثر فتنتج أبخرة حارة، وأنه كلما اتجهنا انخفضًا كلما كانت أكثر حرًا وسخونة والعكس صحيح بالنسبة للبرودة. ففوله أن الحرارة الموجودة في الرياح الجنوبية بسبب قرب مصدر الجنوب من الشمس فكما نعلم أن السلطنة تقع شمال دائرة الاستواء وكلما اتجهنا جنوبًا كنا أقرب إليه، تتعامد الشمس فتكون أكثر إشعاعًا عليه فتكثر عمليات التبخير من البحار الموجودة هناك، وعادةً ما تكون الرياح الجنوبية والشرقية عبارة عن الكتلة الدافئة للمنخفض الجوي والتي تستجيب حين اقتراب أي منخفض جوي من المنطقة فتدفع الأجواء لو كانت شتاءً^{1,2} ويطلق البعض عليها بـ «حرّة السيل»، ويشير إلى أن التبخر بسبب حرارة الشمس وهذا الصحيح، فتشير الدراسات أن (90%) من البخار الموجود في الغلاف الجوي هو نتاج عملية التبخر من المسطحات المائية³ بينما (10%) من عملية النتح في النباتات⁴ وهذا يؤكد ما أورده المخطوط، والتبخر هو اكتساب جزيئات المواد السائلة الحرارة الكافية لتحويلها إلى مادة غازية.

1 Louisville, KY, Noaa (no publication date). A Basic Discussion on Pressure Systems, Fronts, Jet Streams, and Precipitation Accessed on 112022/10/. Website link: <https://www.weather.gov/lmk/basic-fronts>

2 Railsback, L, (201901/01/). Past and possible future influence of the Atlantic Meridional Overturning Circulation on the climate responsible for concentration of geopolitical power and wealth in the North Atlantic region. Journal of Ocean and Climate: Science, Technology and Impacts, Accessed on 112022/10/. Website link: <https://journals.sagepub.com/doi/10.11772516019219878561/>

3 Evaporation and the Water Cycle بواسطة Water Science School (June 8, 2019). رابط. تم الاطلاع عليه في 2022/3/13م. <https://www.usgs.gov/special-topics/water-science-school/science/evaporation-and-water-cycle>



رسم توضيحي 3: خريطة الرطوبة النوعية العامة للعالم ونشاهد تركيز النسبة الأكبر من الأبخرة عند خط الاستواء وما حوله جنوب شبه الجزيرة العربية (Yang, 2017)

ويشير المخطوط أنها «معتدلة في حرارتها ولطيفة، ليس لها برد مؤذ ولا حر مؤلم»¹ وبالنسبة لعمان، إذا كانت الجنوبية من مصدر أقرب للشرق فهي مثلما أشار بأنها رطبة وبها حرارة غير مؤلمة ومنها الرياح الموسمية الصيفية² (Monsoon) وغالبًا ما يُستبشر عند هبوب الرياح الجنوبية نتيجة خصائصها المساعدة على تشكل السحب وهطول الأمطار.

الصبا (الرياح الشرقية):

لم يذكر الكثير عن خصائص الرياح الشرقية، وإنما أشار فقط إلى أنها معتدلة

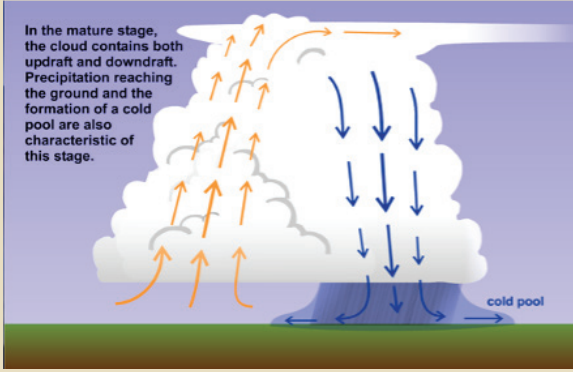
1 كاتب مجهول، ص15، مرجع سابق.

2 IMD. (no publication date). Frequently asked Questions (FAQs) on Monsoon Accessed on 122022/10/. Website link: https://mausam.imd.gov.in/imd_latest/monsoonfaq.pdf

الهبوب وحارة، وهي الرياح الغالبة على سواحل بحر عمان وتسمى محلياً بـ «الكوس»، وتكون رطبة عموماً بحكم موقع قدومها الآتي من الشرق من جهة بحر العرب.

الرياح الهابطة (Downdraft) وأنواع أخرى:

يقول المخطوط نقلاً عن رأي بعض أهل العلم: «إن من الرياح ما يهب من



أعلى إلى أسفل، ومن أسفل إلى أعلى»، وهذا ما يتوافق بشكل كبير مع مصطلحي الرياح الهابطة والصاعدة (Downdraft and Updraft)، الرياح الهابطة

رسم توضيحي 4: الرياح الهابطة (اللون الأزرق) والرياح الصاعدة (اللون البرتقالي)

(Downbursts, n.d.)

هي الرياح التي تنتج من الخلايا الرعدية أو المرتفعات العلوية نتيجة الفارق في الضغط ما بين سطح الأرض -موقع تصاعد الرياح- ومكان التفريغ كالخلية الرعدية أو المرتفع العلوي وتتميز هذه الرياح بالشدّة وقد تتجاوز سرعتها أحياناً (160) كلم/س وتكون باردة وجافة²، بينما الرياح الصاعدة يمكن ملاحظتها في الأماكن المرتفعة وهي

1 كاتب مجهول، ص16، مرجع سابق.

2 Microbursts بواسطة NWS Birmingham رابط https://www.weather.gov/bmx/outreach_microbursts تم الاطلاع عليه في 2022/3/14م.

عكس الرياح الهابطة وهي الرياح التي تتصاعد إلى طبقات الجو العليا نتيجة الفوارق الحرارية محملة بالحرارة والأبخرة لتشكل السحب¹. وقد ذكر بعض المسميات كـ «الزعرع» وهي الرياح الآتية من الخلايا الرعدية، «الصرصر» وهي الرياح الهابطة من المنخفضات الشتوية، وعادةً تكون شمالية غربية المصدر وأشار إليها أنها شديدة البرودة، «الريح العقيم» وقد ذكرنا أنها الرياح الجنوبية الغربية الحارة جدًا والتي تهب من جهة الربع الخالي². ويختم حديثه عن أنواع الرياح أنّ بعضها يسوق السحاب كما يُساق الماء في السواقي، وفعلاً هناك من الرياح ما تُساعد بشكل أساسي على قدوم السحب الممطرة كالرياح الجنوبية التي تدل على قدوم المنخفضات الجوية وكذلك الرياح الشرقية المستمرة عدة أيام خاصة في موسم الأمطار (الخريف، والشتاء، والربيع).

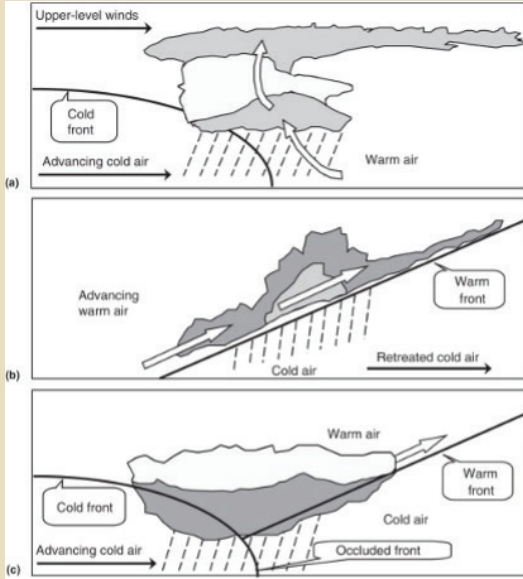
باب في عملية تشكّل السحب وأنواع التساقط (Cloud Development and Types of Precipitation):

خبرة صاحب المخطوط واضحة عند ذكر عملية نشوء وتكاثر السحب وهطول المطر على الرغم من عدم وجود وسائل تقنية يمكنها تحديد وتوصيف هذه العملية إلا من خلال النظر والملاحظة وقد أتى على ذكر عملية تشكّل السحاب خلال فترة الحرارة وخلال فترة البرودة وكلُّ له فارق في النواتج المتحصلة لهما. يذكر أنّ عملية تشكّل السحب تحتاج لعاملين مهمّين ومُشتركين وهما: الحرارة والرطوبة، فنتيجة الطاقة الحرارية الناتجة عن سقوط أشعة الشمس على البحار واليابسة فإنّ البخار يتصاعد، ومن اليابسة بقدرٍ أقل، وتصد بفعل حركة الرياح

1 Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Updraft and Downdraft". Encyclopedia Britannica, 17 Dec. 2018, <https://www.britannica.com/science/updraft>. Accessed 12 October 2022.

2 كاتب مجهول، ص 16-17 مرجع سابق.

إلى الجبال والطبقات التي فوقها إلى طبقات برد الزمهرير، وهو ما وافق علوم الأرصاد الجوية الحديثة.¹



رسم توضيحي 5: رسم يوضح أهمية وجود الكتل الهوائية الباردة علويًا وسطحيًا لنشوء السحب الممطرة (D. Koutsoyiannis, 2011)

ويشير أيضًا إلى مصطلح التصعيد التضاريسي، وهي عملية صعود الهواء إلى طبقات الجو العليا بفعل وجود القمم الجبلية والتي تتشكل على إثرها سحب الأمطار المحلية، وهو نوع مهم من أنواع مصادر الأمطار، ثم يعرج إلى موضوع التكثف المستمر للهواء الرطب نتيجة برودة الهواء مع صعودنا للأعلى إلى أن يصل لدرجة التشبع، فيتحول الهواء الرطب إلى سحب متراكمة، «فلا يزال

البخار ان يكثران ويغلظان في الهواء، وتتداخل أجزاء البخارين بعضهما في بعض، حتى يثخنا ويكون منهما سحب مؤلف متراكم...»²، ويستمر في شرح عملية تكثف الهواء الرطب وأن القطرات تزداد حجمًا وتثقل حتى تهطل القطرات، وتناقل القطرات يعود علميًا لتراكم ذرات الماء حول ذرات الغبار المنتشرة في طبقات الجو.

1 كاتب مجهول، مرجع سابق.

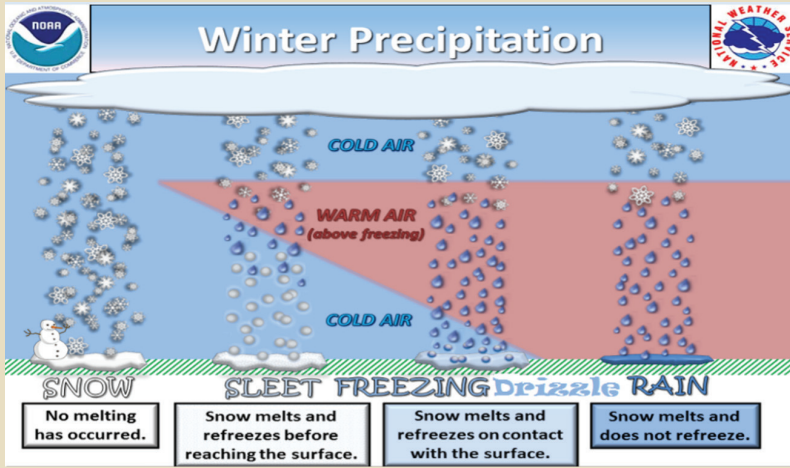
2 كاتب مجهول، مرجع سابق، ص 18.

يتطرق كاتب المخطوط إلى أمرين، ما يزيد من غزارة الأمطار، وما يقلل منها:

الرياح الجنوبية كعامل مُساعد.

التبريد الشديد عامل مُقلل للغزارة.

تمثل الرياح الجنوبية -كما تطرقنا سابقاً- في المنخفضات الجوية الجبهة الدافئة وبذلك تعتبر من الركائز الأساسية ليكون المنخفض ممطرًا أو جافًا، عاماً، أو محدوداً، فالرياح الجنوبية تحمل في طياتها الطاقة الحرارية والبخار الدافئ، وهي كما أشار لها عامل معزز للهطول، وأما العامل الآخر الذي ذكره حول البرودة المفرطة على حد تعبيره تمنع من صعود الهواء وهذا مؤكداً¹ فقيم الحمل الحراري (Convection) تقل عندما تسيطر الكتلة الهوائية



رسم توضيحي 5: رسم يوضح أهمية وجود الكتل الهوائية الباردة علوياً

وسطحياً لنشوء السحب الممطرة (D. Koutsoyiannis, 2011)

1Guangqi Li, Sandy P, Patrick J, Kenji I, Colin P (12 July 2013). Precipitation scaling with temperature in warm and cold climates: An analysis of CMIP5 simulations. Copyright this article was changed on 23 MAR 2015. Website link: <https://agupubs.onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1002/grl.50730>

الباردة على نطاق واسع فتكون السحب منخفضة الارتفاع في الغالب ولا تحمل نفس غزارة السحب الحملية أو الناتجة عن وجود كتلة هوائية دافئة، ويعرج على أنّ وجود البرودة المفرطة هو عامل مساعد على تساقط الثلوج (Snow) ، وعلمياً لا تسقط الثلوج إلا بوجود تبريد شامل في جميع طبقات نشوء السحب والتساقط الهطولي حتى الطبقة السطحية دون وجود أي طبقة دافئة وإلا لكان مطراً فقط أو أنواع أخرى غير الثلج القطني.

ثم يتطرق إلى أن الهواء الرقيق هو أفضل لتشكل السحب الركامية الشاهقة ذات القواعد المنخفضة والقمم العالية ذات الغلظة، ونتيجة لذلك فقطرات المطر الهائلة تكون أكبر حجماً، ويقصد بالهواء الرقيق الهواء الدافئ، والمعروف أن الهواء الدافئ أخف من الهواء البارد وله القدرة على الصعود إلى طبقات أعلى من الهواء البارد، لذلك فإن السحب الركامية مصدر تشكلها الأول هو الهواء الدافئ الرطب سواء نتجت بوجود الجبال أم لا، والسحب الركامية تحتوي على ذرات الغبار التي تساعد على وجود قطرات مطر أكبر حجماً كما أشار له.

يضيف المخطوط نقطة مهمة في العامل الذي يساعد على تشكل حبات البرد، فهو يفرّق ما بين الثلج القطني وحبات البرد، فالثلج كما قال يحتاج إلى برودة مفرطة وكبيرة، ولكن بالنسبة لحبات البرد فيشير إلى أنه يكفيها وجود طبقة باردة في ظل وجود الهواء الدافئ فتتجمد القطرات فتتهطل برّداً، وعلمياً تحتاج حبات البرد لعدة عوامل، ومنها عاملا مهمان هما: وجود تيارات حملية نشطة¹ والعامل الذي ذكره وهو التبريد العلوي ولو كان على إحدى الطبقات فقط، «وإن عرضَ لها برّداً مفرطاً في انحدارها - في أثناء عملية السقوط - جمدتُ وصارت برّداً قبل أن تبلغ الأرض»²

1 Hail Basics (no publication date). Accessed on ٢٠٢٢/٤/٢٠. Website link: <https://www.nssl.noaa.gov/education/svrwx1-1/hail/>

2 كاتب مجهول، ص ٢٠، مرجع سابق.

باب في عوامل نشوء السحب وأنواعها وبعض خصائصها:

لم يكتفِ كاتب المخطوط بوصف عملية تشكل السحب بل تطرق إلى ذكر عوامل تشكّلها وضعفها، والحديث عن أنواعها، مبتدئاً بالرياح التي تعمل على تكاثف السحب والرياح التي تفرّقه وتقلل من تكاثفه فيشير أن الصبا من عوامل تشكّل السحب عدا في الصيف والخريف وتفرّق السحب في فصل الصيف، وهذا أمر يعود لحكم موقعه هو في جبال الحجر، فهبوب الرياح الشرقية في فترة تشكل سحب الظهيرة على الجبال تدفعها نحو الغرب نحو الصحاري والسيوح على عكس الرياح الجنوبية التي تدل على وجود موقع الالتقاء السطحي على منطقة قريبة منه، فهو أتى على ذكر هذه الخاصية من منطلق موقعه في وسط جبال الحجر.

الرياح الغربية -الجنوبية الغربية تحديداً- حسبما جاء في المخطوط من العوامل الأساسية لتفرّق السحب، علمياً تعتمد خاصية الرياح الغربية على مصدر وسبب هبوبها، كوضع عام، تعتبر كتلة هوائية باردة في الشتاء وهي كتلة هابطة من طبقات الجو العليا وتكون جافة في الغالب، وفي الصيف هي المصدر الأول للحرارة في عمان كون مصدر هبوبها من الصحاري والأماكن المفتوحة الواسعة وبالتالي تكتسب حرارة وجفاف عاليين، ويمكن اعتبارها عاملاً لتفرّق السحب لا لتجميعه، أما الجنوب وفق المخطوط فهي تدرّه، تجعل السحب ممطرة، وهي وقود للمنخفضات الجوية خاصة بوجود محيطات شاسعة مليئة بالأبخرة فتحمل الطاقة والأبخرة وهي تعبّر عن الكتلة الهوائية الدافئة الرطبة والتيارات الهوائية الصاعدة إلى طبقات الجو العليا.

وصفه لرياح الشمال يأتي عن تتبع دقيق وخبرة سنوات «وأما الشمال فإنّها تجمعه في الأحيان وتفرّقه في بعض، وخاصة في فصل الصيف والربيع إذا هبّت على إثر

الدبور»¹ رياح الشمال هي ذات مصدر قارّي جاف بالنسبة لعمان وباردة في معظم الأحيان؛ ولكن بسبب عبورها من عمان الدافئ في فصل الشتاء فإنها تكتسب رطوبة² ، وبسبب الفوارق الحرارية فإن الأبخرة تصعد إلى الأعلى فتتكاثف السحب ، وتهطل الأمطار وخاصة على السواحل، والسلاسل الجبلية القريبة من السواحل إضافة إلى السهول، وفي بعض المنخفضات الجوية العميقة قد تكون الحالة الجوية عامة ممطرة بسبب هذا الهبوب، ومثال على ذلك ديسمبر (1956)م فبسبب عمق منخفض جوي أثر على شمال عمان وتزامن مع هبوب الرياح الشمالية فقد عمّت الأمطار عمان خاصة السواحل بكميات ضخمة.

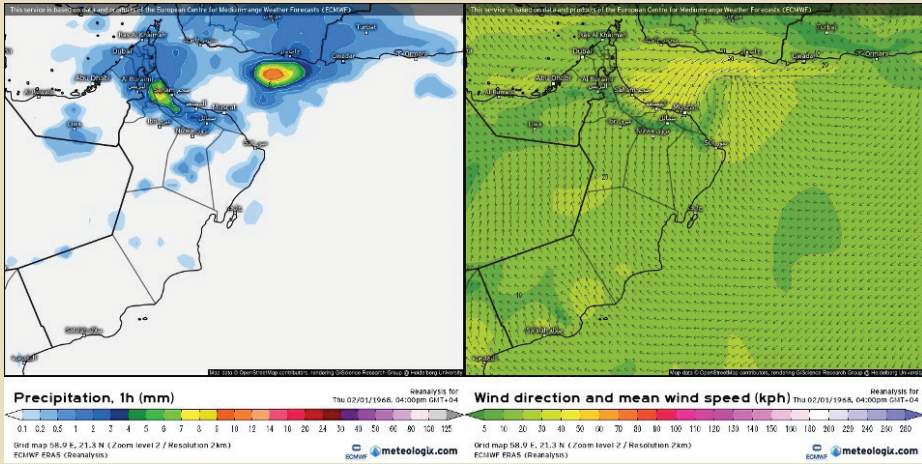


Figure 1: خريطة الهطول المطري عند الساعة 8 ليلاً بتاريخ الأول من فبراير 1968 - الخريطة اليمين حركة الرياح لنفس توقيت الخريطة الأولى، ويلاحظ بوضوح توافق حركة الرياح الشمالية مع توزيع هطول الأمطار على شمال عمان

1 كاتب مجهول، ص ٢٠، مرجع سابق.

2 Clouds and Rain- 6.3. Cumulus clouds (no publication date). Accessed on 21/2022/4/. Website link: https://www.lordgrey.org.uk/~f014/usefulresources/aric/Resources/Teaching_Packs/Key_Stage_4/Weather_Climate/06.html

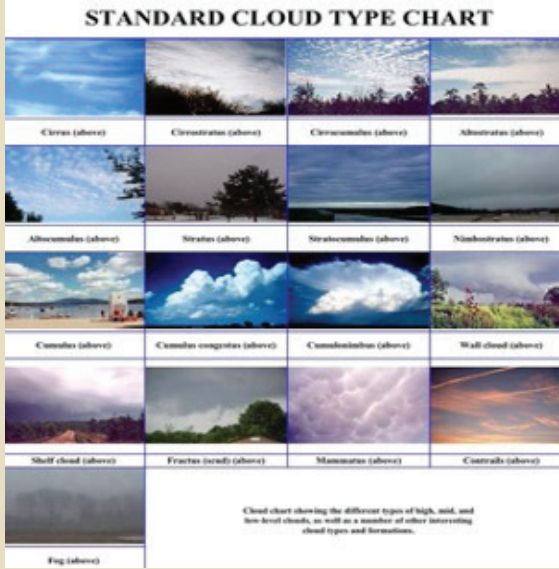


Figure 2: بعض أنواع السحب الأساسية في علم الأرصاد الجوية - Pilkington S.

بينما حدد المؤلف أن تفرّق السحب بسبب الشمال أكثر ما يكون في الصيف والربيع وهذا كلامٌ فيه دقة إذ أن السحب الصيفية والربيعية تحتاج إلى الحرارة التي لا تتوفر في الرياح الشمالية فتتفرّق السحب في كثير من الأحيان عند هبوبها ولكن ليس دائماً، ثم يعرج على أنواع السحب وقسمها أقساماً أساسية بناءً على اللون والكثافة كما يلي:

أبيض رقيق - Cirrus, Cirrocumulus

أبيض غليظ - Altocumulus, Stratus

أسود رقيق - Stratocumulus, Altostratus

أسود غليظ - Nimbostratus, Cumulonimbus

كما قسمها أيضاً بحسب طبيعتها كما يلي:

السحب المنبسطة.

السحب المتقطعة والمتفرقة.

السحب غير الرعدية.

السحب الرعدية.

يشير المخطوط أنّ السحاب الأبيض الرقيق لا ماء فيه، وفي علم الأرصاد الجوية

يسمى هذا النوع بالسحب السحاقية – وهي على نوعين: (Cirrus) السحاق وهي عبارة عن بلورات ثلجية متكتفة في طبقات الجو العليا وهي غير ممطرة، وبياضها يعود إلى رقتها وارتفاعها الكبير عن سطح الأرض¹ و(Cirrocumulus) أي السحاق الركامي وهي أبخرة قليلة تتكثف في الطبقات العليا ولونها أبيض وغير ممطرة أيضاً كما أگدها المخطوط ويتراوح ارتفاعها ما بين (6000) إلى (12) ألف متر².

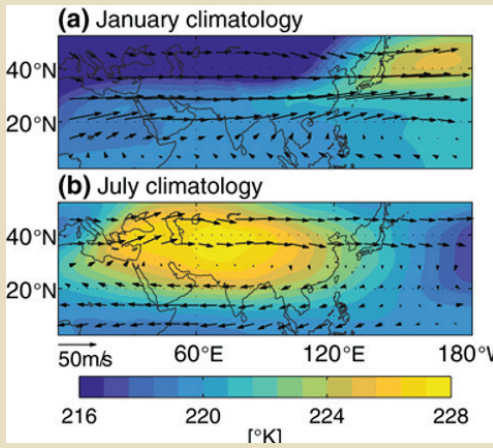


Figure 2: خريطة لحركة الرياح في طبقة التيار النفاث (200 مليبار) خلال فصلَي الشتاء (يناير كمثال) والصيف (يوليو كمثال)، ويتبين أن الحركة السائدة في الشتاء تكون من الغرب إلى الشرق بينما في الصيف تكون من الشرق على الغرب

أما الأبيض الغليظ فيقول عنه كما قال في الأبييض الرقيق عدا أنه قد يحمل بعض الزخات الخفيفة، وأرصادياً تكون هذه السحب في الطبقات الوسطى أو المنخفضة وهي غيوم إما قزعية³ (Alto cumulus) وهذا النوع يعتبر إشارة ميدانية على اقتراب حالة من عدم الاستقرار في الغلاف الجوي، ويتراوح ارتفاعها ما بين (2000) إلى (5500) متر،

1 Metoffice- Cirrus clouds (no publication date). Accessed on 24/2022/4/. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/high-clouds/cirrus>

2 Metoffice- Cirrocumulus clouds (no publication date). Accessed on ٢٠٢٢/٤/٢٤. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/high-clouds/cirrocumulus>

3 Metoffice- Alto cumulus clouds (no publication date). Accessed on ٢٠٢٢/٤/٢٤. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/mid-level-clouds/alto cumulus>

أو السحاب الطباقى¹ (Stratus) والتي تكون أغلظ من السحاب الأبيض الرقيق فتميل إلى اللون الرمادي وقد تغطّي السماء كليًا وهي ضبابية أو متوسطة الارتفاع وتكون بنسق واحد غير مختلفة في قاعدتها السفلى وقد تسقط منها أمطار خفيفة وهو ما أشار له المخطوط أيضًا.

ثم يتطرق المخطوط إلى حركة السحب خلال الفصول، ففي فصل الربيع تكون حركة الغيوم من المغرب إلى المشرق، وكذلك من الجنوب إلى الشمال، وهذا يعود علميًا لحركة التيارات النفاثة في الغلاف الجوي، (أنظر الخريطة السابقة)² التي تكون غربية وقد يحدث للحركة تغيير خاصة وقت المنخفضات العميقة فتتحرك السحب من الجنوب إلى الشمال، وفي فصل الصيف يذكر أنها تكون -أي حركة الغيوم- من المشرق إلى المغرب ومن الشمال إلى الجنوب، وهذا الأمر يعود لحركة التيارات الصيفية الشرقية فتتحرك السحب من الشرق إلى الغرب، وعند تموضع معين للمرتفعات الجوية العلوية فإن حركة السحب تميل إلى الاتجاه جنوبًا تمامًا كما أشار إليه، بينما يقول في فصل الخريف: «إن أوله كالصيف وآخره كالشتاء»³.

نقطة أخرى حول حركة السحب موسميًا وهي فيما إذا كانت الحركة مغايرة عن المعتاد، يذكر المخطوط أن السحب ستكون غير ممطرة أو ضعيفة لو كانت في فصلي الشتاء والربيع، أي لو تحركت مثلًا من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق

1 Metoffice- Stratus clouds (no publication date). Accessed on 24/2022/4/. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/low-level-clouds/stratus>

2 Ortega S., Peter J. (November 2017). Quasi-biweekly oscillations of the South Asian monsoon and its co-evolution in the upper and lower troposphere. Accessed on 24/2022/4/. Website link: https://www.researchgate.net/publication/312543310_Quasi-biweekly_oscillations_of_the_South_Asian_monsoon_and_its_co-evolution_in_the_upper_and_lower_troposphere

3 كاتب مجهول، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥

إلى الغرب، ذكره لهذه النقطة يأتي من واقع معاينة ومتابعة ميدانية، إنَّ محرّك المنخفضات الجوية خلال فصليّ الشتاء والرّبيع هو التيارات النفاثة العلوية على ارتفاعات تصل إلى (10-13) كم، وتكون حركته من الغرب إلى الشرق، في حال ضعف التيار النفاث فإنّ قدوم المنخفضات يكون ضعيفاً وعادة ما يحل محلّها المرتفع الجوي الذي يعطي للأجواء الاستقرار، فهنا تأكيد علمي حول ما تطرّق له المخطوط حول ضعف قوة السحب في حال الحركة المغايرة للغيوم في الفصلين المذكورين، أما بالنسبة لفصليّ الصيف والخريف فيذكر أنّ الحركة المغايرة عن المعتاد للغيوم لا تخلو من المطر وهذا وارد فعلاً، فبالنسبة للصيف قد تتأثر الأجواء بموجات غربية علوية محدودة -أي موجات آتية من الغرب على غير المعتاد في فصل الصيف- تُساعد على إثارة السحب الرعدية في الأجواء، وبحكم مصدر الموجة فإن السحب ستتحرك من الغرب إلى الشرق في اتجاه مغاير عن المعتاد في فصل الصيف، أما الخريف فحركة السحب فيه متغيرة كونه يقع ما بين فصليّ الصيف والشتاء لذا قد تتعرض الأجواء لحالات مصدرها شرقي أو غربي سواء كانت ممطرة أم غير ممطرة، وهنا نرى دقّته في تعاطي وصف التفاصيل الميدانية للطقس والمناخ حوله.

ثم إنَّ المخطوط يأتي على نقطة متعلّقة بتوقيت نشوء السحب وبماذا تتميز، فيقول: «إنَّ سحب الصيف نهاريّ في الغالب بينما السحاب الشتوي يتشكل ليلاً إلى أول النهار وقد يمطر كذلك في آخر النهار»¹، وتوجد لديه أسباب لذلك ولكن لأن أسبابه طويلة الشرح فيبدو أن المؤلف توقف عن سردها، ويأتي على سحب الصيف فيقول: «إنّه لا يكاد يخلو من الرياح والبرق والرعد»² ويفسّر المخطوط ذلك بغلبة الرياح الجافة على الرياح الرطبة، كسبب عام، فالأمر هنا يعود لطبيعة

1 كاتب مجهول، مرجع سابق، ص ٢٥.

2 كاتب مجهول، مرجع سابق، ص ٢٥.

سحب الصيف الرعدية والتي تتكون نتيجة تيارات الحمل الحراري والتي تنتج تيارات هوائية هابطة تكون قوية أحياناً، ولكن نقطة الجفاف والأبخرة للتيارات الهوائية التي ذكرها في غاية الدقة، فعلمياً، وجود طبقة جافة في الغلاف الجوي تمهّد لحدوث صواعق جوية أشد وكذلك تيارات هابطة نشطة وبالتالي رياح قوية بشرط ألا يطغى الجفاف على الطبقات كلها وإنما بمقدار محدد، ويشير المخطوط إلى أن السحب الرعدية لا تمكث طويلاً على عكس السحب غير الرعدية. الخلايا الرعدية نظام متفرق من الحمل الحراري ومتحرك لذا في الغالب لا تمكث الخلية الرعدية في مكان واحد فترة طويلة على عكس السحب غير الرعدية والتي لا يتركز فيها نظام التيارات الهوائية الصاعدة والهابطة وإنما تسوقها الرياح العلوية وقد تكون بمساحات شاسعة بوجود التبريد العلوي المساعد على زيادة تكثف السحب على نطاق كبير من المنخفض الجوي.

بعض المسائل المناخية المتفرقة:

كيف يحدث البرق والرعد؟ تطرّق المخطوط إلى ذكر هذه النقطة وأورد فيها الآراء المتداولة ما بين العلماء في هذه المسألة، ويميل صاحب المخطوط إلى الرأي القائل أن البرق والرعد نتيجة لتصادم جزيئاته بعضها ببعض «إن البرق نارٌ تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه»¹ ونفى أن يكون البرق من نور لا من نار. ووفق الدراسات البحثية فإن «البرق والرعد عندما تتحرك جزيئات الماء وبُلوّرات الجليد داخل سُحب العواصف الرعدية نحو الأعلى والأسفل لاصطدام بعضها ببعض، ونتيجة لذلك ترتفع الشحنات الموجبة لأعلى الغيمة بينما تتمركز الشحنات السالبة في أسفل السحابة»² وهذا يؤكد مدى انفتاح ذهن صاحب المخطوط ودرايته

1 كاتب مجهول، مرجع سابق، ص ٢١

2 وحيد سعودي باحث في الأرصاد الجوية بوابة الأهرام، تاريخ النشر: ١٢-١٠-٢٠٢١. رابط الموقع: <https://gate.ahram.org/News.aspx?3003230>

بما هو معقول والتفسير الأقرب للصواب، رغم بدائية الرصد والتحليل العلمي في ذلك الزمان خاصة في المنطقة العربية، وعن ما هيّة الرعد، فما زال يُذهلنا في دقّته وآرائه في هذا المجال وذلك إن دلّ على شيء فإنما يدل على تمكّنه وإطلاعه، فهو يميل إلى أنّ الرعد هو صوت البرق أو ناتج عن البرق فيقول بعد ذكر عدة آراء في الرعد: «وقال بعض: إنّ الرعد هو وجبة البرق وهدّته، كما يسمع للنجم المنقضّ وجبةً وهدةً، وكما تكون للمدافع والاتفاق وجبة عظيمة بعد خروج الدواء من بطونها. وكذلك أقول ولذلك أميل»¹.

الخاتمة ونتائج الدراسة:

برزت في التاريخ العماني العديد من الشخصيات العمانية التي أبدعت في نتائجها العلمي والفكري، ويتعاضم ذلك النتاج في وجود الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي الذي تشهده عمان في فتراتنا التاريخية المختلفة، وفي عهد اليعاربة ساد عمان الرخاء والاستقرار؛ لذا بدأت الحياة العلمية تبرز جلياً، وكان من أبرز تلك النتاجات العلمية التطبيقية لمخطوط «الإيضاح فيما أودع الله من الحكمة في النجوم والرياح» براعة العمانيين منذ قرون في قراءة ظواهر الغلاف الجوي، وتحليل العوامل التي تؤثر عليها من مختلف النواحي: كعوامل إضعاف الأمطار، وعوامل زيادتها، ومسببات تساقط الثلوج ومصادر الرياح والرطوبة والحرارة؛ ومواسم الأمطار، وعلاقة هذه العوامل بجغرافية المنطقة والأقاليم المجاورة لعمان، واهتمامهم بمتغيرات المناخ، وإلمامهم بجغرافية المنطقة والأقاليم المجاورة وخصائصها الجغرافية والمناخية.

1 كاتب مجهول، مرجع سابق، ص ٢٧

المراجع:

- ابن قيسر، عبدالله بن خلفان، سيرة الإمام ناصر بن مرشد، ت: عبدالمجيد القيسي، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983م.
- البراشدي، موسى بن سالم، الحياة العلمية بعمان في عهد اليعاربة، ط1، النادي الثقافي: سلطنة عمان، 2013م
- البراشدي، موسى بن سالم، الدور السياسي لعلماء عمان، ط1، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، سلطنة عمان، 2019م
- البطاشي، سيف بن حمود، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ط4، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية: سلطنة عمان، 2016م.
- التوبي، أحمد بن حميد، المقاومة العمانية للوجود البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي، ط1، بيت الغشام، سلطنة عمان، 2017م.
- الخراسيني، عبدالله بن محمد، فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم، ت: محمد صالح، مهني التواجيني، ط1، مسقط، 1995م.
- الخروصي، مهنا بن خلفان، النجوم الزاهرة في الأفلاك الدائرة، ط2، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الثقافية والتاريخية، سلطنة عمان، 2015م.
- سعد، يحيى. طرق جمع البيانات في البحث العلمي، تاريخ الاسترجاع 2022/6/7.

<https://drasah.com/Description.aspx?id=3067>

- السيابي، سالم بن حمود، العنوان في تاريخ عمان، دمشق، 1385هـ.
- السيابي، صالح بن محمد، العمانيون والعلوم التجريبية الطب والهندسة والفلك

والملاحة البحرية، ط1، مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، سلطنة عمان، 2018م.
الشيبياني سلطان بن مبارك، الإيضاح في ما أودعه الله من الحكمة في النجوم
والرياح، ط1، ذاكرة عمان، سلطنة عمان، 2015م.
الغيلاني، يوسف بن عبدالله، دور الشيخ خميس بن سعيد الشقصي وإسهاماته في
تأسيس دولة اليعاربة، مجلة جامعة اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، 2009م،
ص 561-576.

كاتب مجهول، الإيضاح في ما أودعه الله من الحكمة في النجوم والرياح، ضبط
ومراجعة: سلطان بن مبارك الشيبياني، ط1، ذاكرة عمان، سلطنة عمان، 2015م.
Britannica, The Editors of Encyclopaedia. “Siberian
anticyclone”. Encyclopedia Britannica, 8 Jun. 2017, [https://
www.britannica.com/science/Siberian-anticyclone](https://www.britannica.com/science/Siberian-anticyclone). Accessed
12 October 2022.

Britannica, The Editors of Encyclopaedia. “Updraft and
Downdraft”. Encyclopedia Britannica, 17 Dec. 2018, [https://
www.britannica.com/science/updraft](https://www.britannica.com/science/updraft). Accessed 12 October
2022.

Clouds and Rain- 6.3. Cumulus clouds (no publication date).
Accessed on 21/2022/4/. Website link: [https://www.lordgrey.
org.uk/~f014/usefulresources/aric/Resources/Teaching_
Packs/Key_Stage_4/Weather_Climate/06.html](https://www.lordgrey.org.uk/~f014/usefulresources/aric/Resources/Teaching_Packs/Key_Stage_4/Weather_Climate/06.html)

Density Of Liquid Water From 0°C to 100°C (من دون تاريخ)
Website link:: <https://www>. . نشر). تم الاطلاع عليه في 2022/3/13م

vip-ltd.co.uk/Expansion/Density_Of_Water_Tables.pdf

Evaporation and the Water Cycle بواسطة Water Science School (June 8, 2019). تم الاطلاع عليه في 2022/3/13 م. Website link: <https://www.usgs.gov/special-topics/water-science-school/science/evaporation-and-water-cycle>

Gupta, A.K. (2009). Monsoons, Quaternary. In: Gornitz, V. (eds) Encyclopedia of Paleoclimatology and Ancient Environments. Encyclopedia of Earth Sciences Series. Springer, Dordrecht. Website link: https://link.springer.com/referenceworkentry/10.1007145_3-4411-4020-1-978/

Guangqi Li, Sandy P, Patrick J, Kenji I, Colin P (12 July 2013). Precipitation scaling with temperature in warm and cold climates: An analysis of CMIP5 simulations. Copyright this article was changed on 23 MAR 2015. Website link: <https://agupubs.onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1002/grl.50730>

Haby. J, The weather prediction (no publication date). High And Low Pressure Types. Accessed on 11/2022/10/. Website link: <http://www.theweatherprediction.com/basic/pressuretypes/>

Hail Basics (no publication date). Accessed on 20/2022/4/. Website link: <https://www.nssl.noaa.gov/education/svrwx101/hail/>

IMD. (no publication date). Frequently asked Questions (FAQs) on Monsoon Accessed on 122022/10/. Website link: https://mausam.imd.gov.in/imd_latest/monsoonfaq.pdf

Mark E. Piana, Harvard. (no publication date). Hadley Cells. Accessed on 112022/10/. Website link: <https://groups.seas.harvard.edu/climate/eli/research/equable/hadley.html>

Metoffic- Cirrus clouds (no publication date). Accessed on 242022/4/. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/high-clouds/cirrus>

Metoffic- Cirrocumulus clouds (no publication date). Accessed on 242022/4/. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/high-clouds/cirrocumulus>

Metoffic- Altocumulus clouds (no publication date). Accessed on 242022/4/. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/mid-level-clouds/altocumulus>

Metoffic- Stratus clouds (no publication date). Accessed on 242022/4/. Website link: <https://www.metoffice.gov.uk/weather/learn-about/weather/types-of-weather/clouds/low-level-clouds/stratus>

تم الاطلاع عليه في NWS Birmingham بواسطة Microbursts
رابط https://www.weather.gov/bmx/outreach_microbursts 2022/3/14م.

NASA، NASA Content Administrator (2005) What's the Difference Between Weather and Climate? Last Updated: Aug 7, 2017. Website link: https://www.nasa.gov/mission_pages/noaa-n/climate/climate_weather.html

NOAA National Severe Storms Laboratory. Lightning FAQ - What is dry lightning? (no publication date). Accessed on 242022/4/. Website link: <https://www.nssl.noaa.gov/education/svrwx101/lightning/faq/>

NOAA. 2016. What's the difference between climate and weather? Last Updated: Mar 9, 2016. Website Link: <https://www.noaa.gov/explainers/what-s-difference-between-climate-and-weather>

Illinois university, Department of Atmospheric Sciences (DAS). (no publication date). Pressure Gradient Force. Accessed on 112022/10/. Website link: <https://www.britannica.com/science/subtropical-high>

LakeErieWX Marine Weather. (no publication date). MONSOON SIGNALS - Surface Wind Accessed on 102022/10/. Website link: <https://www.lakeeriewx.com/>

CaseStudies/IndianMonsoon/MonsoonSignals.html

Louisville, KY, Noaa (no publication date). A Basic Discussion on Pressure Systems, Fronts, Jet Streams, and Precipitation Accessed on 112022/10/. Website link: <https://www.weather.gov/lmk/basic-fronts>

Ortega S., Peter J. (November 2017). Quasi-biweekly oscillations of the South Asian monsoon and its co-evolution in the upper and lower troposphere. Accessed on 242022/4/. Website link: https://www.researchgate.net/publication/312543310_Quasi-biweekly_oscillations_of_the_South_Asian_monsoon_and_its_co-evolution_in_the_upper_and_lower_troposphere

Pilkington S. - Science For Kids (no publication date). Accessed on 212022/4/. Website link: <https://www.pinterest.com/pin/75153887505060307/>

Railsback, L, (201901/01/). Past and possible future influence of the Atlantic Meridional Overturning Circulation on the climate responsible for concentration of geopolitical power and wealth in the North Atlantic region. Journal of Ocean and Climate: Science, Technology and Impacts, Accessed on 112022/10/. Website link: <https://journals.sagepub.com/doi/10.11772516019219878561/>

Ramaswamy, V., Muraleedharan, P.M. & Babu, C.P. Mid-troposphere transport of Middle-East dust over the Arabian Sea and its effect on rainwater composition and sensitive ecosystems over India. Sci Rep 7, 13676 (2017). Website link: <https://doi.org/10.1038/s41598-13652-017->

UCAR. (no publication date). The Highs And Lows Of Air Pressure. Accessed on 11/2022/10/. Website link: <https://scied.ucar.edu/learning-zone/how-weather-works/highs-and-lows-air-pressure>

Wind – meteorology. Updated by Tikkanen A. (no publication date). Accessed on 24/2022/4/. Website link: <https://www.britannica.com/science/subtropical-high>



د. هدى بنت مبارك بن حميد الدايري

Huda.al-dayri@moe.om

د. حميد بن سيف بن حميد النوفلي

humaid.nofli@moe.om

أ. خاتمة بن علي بنت خميس الرشيدية

Khatma706@moe.om

وزارة التربية والتعليم – اللجنة الوطنية

العُمانية للتربية والثقافة والعلوم

إسهامات الملاح العُماني أحمد بن ماجد في العلوم الجغرافية

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على اسهامات أحمد بن ماجد في العلوم الجغرافية، كما تهدف أيضاً إلى معرفة مكانة الجغرافيا عند أحمد بن ماجد وما مدى استفادة الملاحه البحرية من المعلومات التي قدمها أحمد بن ماجد عن المسالك الجغرافية في المحيط الهندي، كما تهدف الدراسة أيضاً إلى استعراض فروع الجغرافيا التي ركز عليها أحمد بن ماجد في رحلاته البحرية. ولتحقيق أهداف الدراسة؛ فقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، من خلال الاعتماد على المصادر والمراجع المكتوبة التي تناولت الحديث عن شخصية أحمد بن ماجد، كما اعتمدت منهج التحليل والتفسير للعلوم الجغرافية عند أحمد بن ماجد. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها: اهتمام أحمد بن ماجد بالعلوم الجغرافية، وعن الاستدامة المعرفية التي تركها أحمد بن ماجد للملاحه البحرية اليوم، كما أظهرت الدراسة أيضاً فروع الجغرافيا الطبيعية والبشرية التي ركز عليها أحمد بن ماجد في رحلاته البحرية.

الكلمات المفتاحية: أحمد بن ماجد، العلوم الجغرافية، الملاحه البحرية

Contributions of the Omani navigator Ahmed bin Majid to the geographical sciences

Dr. Huda Mubarak Al Dayri

Dr. Humaid Saif Al Nofli

Khatma Ali Al Rushidi

Oman National Commission for Education, Culture and Science.

Abstract:

This study aims to identify the contributions of Ahmed bin Majid in the geographical sciences. It also aims to know the status of geography for Ahmed bin Majid and the extent to which maritime navigation benefited from the information provided by Ahmed bin Majid about the geographical tracts in the Indian Ocean. The study also aims to review the domains of geography that Ahmed bin Majid focused on in his voyages. To achieve the objectives of the study; it adopted the descriptive analytical approach, by relying on written sources and references about the personality of Ahmed bin Majid, as well as the analysis approach and interpretation of the geographical sciences of Ahmed bin Majid. The results of the study are Ahmed bin Majid's interest in geographical sciences, and the knowledge sustainability that Ahmed bin Majid left for marine navigation. The study also showed the domains of natural and human geography that Ahmed bin Majid focused on in his voyages.

Key words: Ahmed bin Majid, Geographical Sciences, Maritime Navigation

مقدمة:

إنّ الحديث عن أحمد بن ماجد، يعني الحديث عن تلك الشخصية العُمانية، التي جابت بحار المحيط الهندي، والبحر الأحمر والخليج العربي؛ حيث أصبح أشهر ملاحيه بلا منازع. ومن يتأمل مؤلفاته، وابتكاراته يقف عند عمق فكره، ورجاحة عقله وحنكته. وما يُدعم قولنا هذا تمكنه من علوم عدة؛ فإذا كان الفلك، والملاحة، ونُظم الشعر من العلوم التي نبغ فيها أحمد بن ماجد حسب ما ذكرته الأدبيات⁽¹⁾، و⁽²⁾. فإن علم الجغرافيا يأتي ليكمل رباعية فكر حاذقة عرفته بها البشرية آنذاك؛ نظرًا لعلاقته الوثيقة بالبحر، فمنه تعلم العلوم الجغرافية ومنه وظّفها، ومنه أخرج علومه للبشرية. سنخرج هنا بإشارات عجلَى على العلوم الجغرافية عند أحمد بن ماجد في رحلاته البحرية وكيف وظّفها؟

أهداف الدراسة:

التعرف على مكانة الجغرافيا عند أحمد بن ماجد.
التعرف على فروع الجغرافيا التي شملها أحمد بن ماجد في رحلاته البحرية.
مدى استفادة الملاحة البحرية من المعلومات التي قدمها أحمد بن ماجد عن المسالك الجغرافية في المحيط الهندي
منهجية البحث: تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف الدراسة، كما تعتمد هذه الدراسة على عددٍ من المصادر والمراجع في استقاء المعلومات الخاصة بموضوع الدراسة.

المحور الأول: ما مكانة الجغرافيا عند أحمد بن ماجد.

١ عبد العليم، أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، ٢٠١٩.

٢ أحمد بن ماجد، النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى، شرح وتحقيق حسن صالح شهاب، وزارة التراث والثقافة، مسقط، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

حظيت الجغرافيا باهتمام كبير من قبل أحمد بن ماجد؛ إذ كانت أحد العلوم الطبيعية التي ركز عليها ومارسها باحترافية في الرحلات البحرية التي كان يقودها في السواحل وفي أعالي البحار. وقد تعلم جزءاً من الجغرافية الملاحية من أسرته؛ حيث كان والده يلقب بربان البرين أي: ساحل البحر الأحمر وقد وثق تلك المعرفة المتوارثة في أرجوزته الحجازية، كما يشيد أحمد بن ماجد بفضل من سبقوه من الملاحين العرب، وقد أشار لبعض منهم في كتاباته بقوله⁽¹⁾.

يا ابن شاذان يا سهل وثالثهم السابقين بعلم معجب حسن

ومما يدل على مكانة الجغرافيا عند أحمد بن ماجد أنه لم يكتفي بالمعلومات الجغرافية التي اكتسبها؛ بل صحّها مستخدماً الأساليب العلمية كالملاحظة والتجربة والقياس والتكرار خير برهان لإثبات صحتها. إلى جانب ذلك اهتم بفروع متعددة منها: الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وما يندرج تحتها من فروع.

ومن الجوانب التي تُبرز أهمية علم الجغرافيا عند أحمد بن ماجد تركيزه على المكان، والذي يُعد في حد ذاته من الأسس التي يقوم عليها علم الجغرافيا، كونه يركز على البعد المكاني لمواقع البلدان، وما يرتبط به من أدوات التحليل المكاني، والخرائط الطبوغرافية وغيرها². ناهيك عن الكم الهائل من أسماء المناطق والبلدان التي مرّ عليها والتي تشكل في مجملها معجماً جغرافياً ثرياً؛ حيث كان يعطي وصفاً دقيقاً لأغلب أجزاء المحيط الهندي، والسواحل الفارسية، وسواحل البحر الأحمر والسواحل الأفريقية على حد سواء.

وفي ذات السياق كان أحمد بن ماجد يعرض في المرشديات الملاحية أو

1 أمين، حسين، أحمد بن ماجد وجهوده في الملاحة البحرية، " الوثيقة: مركز عيسى الثقافي - مركز الوثائق التاريخية، العدد، ١٩٨٨، ١٥٠ص ١٥٠ - ١٥٩.

2 العمري، سعيد، الجغرافيا المكانية في مؤلفات أحمد بن ماجد: موانئ ظفار ومعالها البحرية أنموذجاً، نوة الملاح أحمد بن ماجد، ٧ أغسطس ٢٠١٨.

الرحمانيات (دفتر الإرشادات البحرية عند الملاحين) وصفاً دقيقاً لأشكال سطح الأرض الساحلية كالأخوار المائية، والرؤوس الجبلية، والنتوءات الصخرية¹. وتأسيماً لما سبق؛ نجد أن أحمد بن ماجد قد شمل أغلب فروع الجغرافيا في علمه وممارساته العملية ما بين جغرافيا طبيعية بفروعها المختلفة، وجغرافيا بشريه وما تحويه من أقسام وتفرعات ثانوية أخرى. وهذا قلما نجده عند باحث متخصص يستطيع أن يستوعب كل هذه التخصصات بهذا المستوى من العمق والدقة. كما أنه لم يتناول علم الجغرافيا كعلم منعزل بذاته بل كان يوظفه في علوم أخرى بغرض الحصول على المعلومات الصحيحة، كعلم الملاحة، وعلم الفلك، وغيرها. وما ينبغي ذكره هنا أيضاً أنّ تعلق أحمد بن ماجد واهتمامه بها مكّنه من الإيغال في معرفة المواقع الجغرافية للبلدان واكتشاف الجديد والمجهول منها، والتعمق في وصف خصائص الموقع من حيث طبيعة المياه، ونوع الكائنات الحية (الحيوان) التي تحويها، بالإضافة إلى أنواع النباتات وأنواع المعادن، فضلاً عن اهتمامه بتسجيل ورصد كل المعلومات التي يتوصل إليه عن تلك المواقع ويوثقها.

المحور الثاني: ما مجالات الجغرافيا التي شملتها رحلات أحمد بن ماجد البحرية.

مما يجدر ذكره أن ينحدر أحمد بن ماجد من عائلة تتمتع بثقافة بحرية، فقد سبقه والده في هذا المضمار، فُعرّف عنه تمرسه لعلوم البحار، وكان مدرسته الأولى؛ إذ تلقى علمه على يديه، وعُرف عن ابن ماجد كذلك كثرة أسفاره، وقلة مكوثه مع أهله، كما كان يفعل أبيه ذلك من قبل. فالبحر يُشكل المحطة التي

1 العريمي، بدر، مصنفات الملاحة البحرية عند العمانيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين: الرحمانيات أنموذجاً (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، ٢٠١٨.

2 الشيباني، سلطان، ألف باء المخطوطات العمانية. ذاكرة عُمان، ٢٠١٨.

صقلت معارف ومهارات ابن ماجد الجغرافية التي أسهمت في ازدهار التجارة بين الدول، ولها الفضل في إبعاد السفن عن مواضع الخطر، حيث وقدم معلومات عن المسالك البحرية وخصائصها الجغرافية¹ فكيف وظف أحمد بن ماجد تلك العلوم الجغرافية؟ يشير المحداد وآخرون²، إلى تعدد تصنيفات المعرفة الجغرافية؛ فيشتق منها: الجغرافيا الطبيعية، والبشرية، ناهيك عن الفروع التي تنحدر من كل نوع منها. وبذلك فإن علم الجغرافيا يجمع بين العلوم الطبيعية، والعلوم الإنسانية على حد سواء. وبالنظر إلى العلوم الجغرافية عند أحمد بن ماجد؛ نجد أنه ركز على الجغرافيا الطبيعية بشكل أكبر؛ ومن دواعي ذلك، ما اشتهر به ابن ماجد من الملاحة والتنقل بين السواحل والبرور والوقوف على كثير من معالم البر والبحر فنون البحر، والتي ترتبط بشكل أو بآخر بالجغرافيا الطبيعية، والأنواع الآتية توضيح لبعض فروعها:

الجغرافيا المكانية؛ انطلاقاً من كون فالبحر هو المكان الذي اتخذه أحمد بن ماجد في رحلاته البحرية؛ فقد حدد منه المواقع بنوعيتها: الفلكية (تحديد خطوط الطول، ودوائر العرض)، والجغرافية (تحديد مواقع البلدان)، ومنها حدد الاتجاهات الرئيسية، والتي تقع ضمن فروع الجغرافيا الطبيعية المكانية. فيما يتعلق بالموقع الفلكي، عرض ابن ماجد في مواضع كثيرة، على نحو قوله:

وبعد ذا أشرح بر فارس والهند والسيام للمارس

ومن أعالي رأس جاش يا معتزاً وقبل أن توصل احذر جزاً

وفما يتعلق بتحديد الاتجاهات- لا سيما تحديد اتجاهات القبلة- وضع أحمد بن ماجد قياسات دقيقة لكل موضع وبلد حسب ما أورده في أرجوزته «تصنيف قبلة

1 أمين، حسين، مرجع سابق

2 المحداد، الحسن، واعزير، رقية، جداهي، محمد، أحمو، كبير، بوزليم، مبارم، تموضع العلوم الجغرافية بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية ألي منهاج لألي موضوع، عمران، العدد ٢٩/٨، ٢٠١٩.

الإسلام في جميع الدنيا»، باتباع طرائق عدة، منها: تحديد طول الكعبة المشرفة وعرضها، وطول البلد المراد تحديده، والدورة الفلكية، بالإضافة إلى تطويره للإبرة المغناطيسية (الحقة)¹ ومن زاوية أخرى يذكر أمين حسين² أرجوزة تحفة القضاة التي تصف طرق تحديد القبلة، وأرجوزة بر العرب التي جاءت بوصف لعدد من الجزر، منها: جزيرة البحرين، وداس، وخيري، وطنب، وهنجام، وغيرها.

الجغرافيا الجيولوجية؛ باعتبار أن البحر يحوي الكثير من الصخور البحرية، والصخور البركانية، والمعادن، وتأثيرات الأملاح المعدنية، وقد عُرف عن ابن ماجد أنه كان فطنًا بمواقع تكون الصخور الصلبة أو الجنادل، والشعب (الصخور المرجانية)، والأوساخ (القطع القريبة من الغور)، التي قد تعترض مجرى السفينة؛ حيث ذكر في قصيدة النونية³ (شهاب، 1993، ص. 70):

وشعب زيلع خله يسارك احذر يحويك بلا اختياري
وكل أوساخ هذا الطرف سود كظل السحب لم تعترف

الجيومورفولوجيا؛ جريان البحر، والتعرية، والشواطئ؛ جميعها مصطلحات دالة على الأشكال الأرضية، والعوامل المؤثرة في تشكيلها؛ حيث ذكر المجرى «عند ابن ماجد على أنه: المسار الذي يُسلكه الربان في البحر»⁴، وذكرت «الرؤوس البارزة» أيضًا التي كان ابن ماجد يتجنبها في أثناء سيره في البحر ليلاً. ومن الأدلة الأخرى الداعمة لذلك ما أورده شهاب⁵ من مفاهيم جيومورفولوجية تطرق

1 العمري، مرجع سابق

2 أمين، حسين، مرجع سابق

3 شهاب، حسن، النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى. وزارة التراث القومي والثقافة (سابقًا)، سلطنة عمان، 1993.

4 بو حجام، محمد، أسد البحار العُماني أحمد بن ماجد: دراسة تاريخية ووثائقية وأدبية ولغوية، ط1، هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية، سلطنة عمان، 2010.

5 شهاب، حسن، مرجع سابق

لها ابن ماجد كالأخوار ومصبات الأودية مستدلاً بذلك بالبيت (153) من قصيدة النونية الكبرى؛ حيث جاء فيها:

وكل ذا شورا مع خيران إلى حدود مسكن ياعاني.

الجغرافيا البيئية؛ ورد لفظ التنوع البيولوجي في البحار، كالأسماء، والطيور، وحشائش البحر، التي تعين الربان في معرفة السواحل، واقتراب السفن من الساحل؛ كرؤية سمكة «الزاق»، وحيات البحر «الثعابين»¹ ففي البيت (21) ذكر أحمد بن ماجد:

والطين والحيات والأطيار والحوت والحشيش خذ أخباري (شهاب، 1993، ص.77).

ويذكر العريمي² عن بعض الإشارات التي كان أحمد بن ماجد يحذر فيها البحارة منها تغيير لون البحر، والتي تعد مؤشراً لحدوث السحاب أو الرياح، وعلامات العاصفة البحرية منها: المندل (الهالة التي تحدث حول الشمس أو القمر) الجغرافيا الفلكية؛ ركز أحمد بن ماجد على حساب السنة الشمسية، وحساب النجوم. وفي موضع آخر يذكر شهاب³ (1993)، الدقة التي يتبعها ابن ماجد في قياس النجوم، فلكل نجم قياس خاص فيه؛ فنجمي «المحنث» و«سهيل» قياسهما نفيس؛ أي فيه زيادة من ثمن إلى ربع إصبع، أمّا نجمي «سهيل» و«ذبانة» فقياسهما يضيق ربع إصبع أو ثمن إصبع في باشي، أي مقدار ارتفاع نجم (الجاه) عن حضيض مداره وقت استقلال المنازل؛ حيث قال أحمد بن ماجد في النونية

1 شهاب، حسن صالح، الدليل البحري عند العرب، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1983.

2 العريمي، بدر، مرجع سابق

3 شهاب، حسن، مرجع سابق

الكبرى:

والمحنت المشهور وسهيلهم قياسهم نفيس كالميداني

سهيل ثم ذبابة قياسهم سبعة يضيق بباشي الدبراني

الجغرافيا المناخية؛ تظهر في تحديد بعض عناصر المناخ، والعوامل المؤثرة فيه من أمثلتها: سرعة الرياح، وحركة التيارات البحرية، ودرجة الحرارة؛ حيث عُرف عن ابن ماجد أنه كان يُشدد على الربابنة في معرفة بعض العلوم التي تعينهم على معرفة حالة البحر، منها: تعلم حالة الأنواء، وأحوال الطقس، والعلوم الرياضية الفلكية. فقد جاء في البيت (140) من قصيدة النونية:

لا تطلقن أصلاً بمبدأ حاية في شدة الأريب معا والمائة

حيث يحذر ابن ماجد المسافرين من السفر في بداية حاية شديدة من حيات الأريب، أي الرياح الشديدة، مع شدة المائة أي التيارات البحرية. وفي تحديد اتجاه الرياح؛ تظهر مقولة ابن ماجد «انصب عودًا وفيه خرقة لتعرف الرياح به من أي خن» اوفي موضع آخر؛ يذكر عبد العليم قوله ابن ماجد الآتية:

« ونحن نعلم أنّ هذه الرياح تعكس اتجاهها مرتين في السنة في هذا المحيط؛ ففي المدة ابتداء الربيع إلى آخر الصيف تهب الرياح من المحيط إلى ساحل شبه القارة الهندية فتخف ويصعد وتحل محلها رياح من البحر إلى اليابسة».

ولا ريب أن جميع ما ذكر من فروع أعلاه تصنف ضمن الجغرافيا الطبيعية، لذلك أكثر الإشارات التي ذكر فيها ابن ماجد كانت تنصب في هذا الصنف. ومن الاستشهادات المؤكدة لذلك نذكر بعض أعمال ابن ماجد في وصف الجزر والسواحل، مثل: أرجوزة بر العرب في خليج فارس، المكونة من (100) بيت، والبليغة في السهيل والرامح، والمكونة من (64) بيت، والتأئية، المكونة من (55)

1 عبد العليم، أنور، مرجع سابق

بيت في السفر من جدة إلى عدن، وغيرها¹.

وفي هذا الصدد، نشير إلى أرجوزة ابن ماجد «حاوية الاختصار في أصول علم البحر»، التي تضمنت هي الأخرى بعض الاستشهادات التي تؤكد على أن «ابن ماجد» قد ركز على الجغرافيا الطبيعية؛ ففي الفصل الأول، ذكر فيها عن قاع الطيني والحشائش والأسماك، والطيور»، أمّا في الفصلين الثالث والرابع، استعرض طرق النجوم (الباشيات) كما أطلق عليها، وطرائق حسابها، ومواسمها، وشهورها، واستفرد شرحًا مطوّلًا في فصولها السادس والسابع والثامن إلى قياس المسافات بين الجزر البحرية، ومن جهة أخرى نجده قد أسهب في شرح طرائق قياس البحر في سبعة وستين بيتًا في الفصل التاسع من هذه الأرجوزة. ومن الاستشهادات الجغرافية الأخرى لابن ماجد منظومة «ضريبة الضرائب» في تدرّج قياسات النجوم المشهورة على قياس نجم (الجاه)، و«نادرة الأبدال»، وهي قصيدة في قياسات النجوم، ووصف طريقة معرفة الطّول، وأرجوزة «الذهبية»، التي جاءت في وصف قياسات النجوم، ووصف طرائق معرفة الطول².

ومن الثابت علميًا؛ أن الخريطة تُمثل عمود الجغرافيا، بل تُشكل أحد أبرز محاوره الرئيسية، والمنتبع في مؤلفات ابن ماجد، لا يكاد يجد ما يدل على أنه رسم الخرائط، لكن هناك إشارات لبعض الإسهامات ذات الصلة بها، نذكر منها ما يلي³: المرشحات الملاحية (الرحمانيات) الخاصة بالمسالك البحرية؛ حيث استفرد ابن ماجد في وصف أكثر من عشرين طريقًا ملاحيًا مشهورًا، ولم يقتصر بما وصفه الآخرون ممن سبقوه، بل كان الابتكار سمة بارزة في أعماله، فقد أتى بمعلومات لم يتوصل إليها أحد من قبل. ويدل على ذلك تأليفه لثلاث أرجوز في العلوم البحرية

1 عبد العليم، أنور، مرجع سابق، ١٨

2 بوحجام، محمد، مرجع سابق

3 مرجع سابق

المحفوظة بمعهد الدراسات الشرقية التابع للمجمع الشرقي السوفيتي، الأولى منظومة في (600) بيتًا، والثانية في (280) بيتًا، أمَّا الثالثة فنظمت في (55) بيتًا، وكل واحدة منهما تصف طرقًا بحرية مختلفة.

الحقة (البوصلة)؛ وهي تماثل أحد عناصر الخريطة، وتتمثل في إشارة الشمال؛ حيث استخدمها البحارة في تحديد اتجاهات الطرق في رحلاتهم البحرية.

ولأن الجغرافيا تعتمد اعتمادًا كبيرًا على قياس نسبة الأبعاد في الخريطة بتلك التي تقابلها في الطبيعة؛ نجد أنَّ قياس الطرق الملاحية عند أحمد بن ماجد جاءت مماثلة إلى حد كبير، إذ عرف عنه دقته في القياس، وقد ورد عنه في كتاب الفوائد تحذيره «وإياكم وفساد القياس». كما تطرق في نفس الكتاب في كتابه الفوائد إلى دورة الأرض والسماء، وذكر أنَّ دورة الأرض تبلغ 360 درجة « طول كل درجة شيء وعشرون فرسخًا يأتي ثمانية ألف فرسخًا في الدورة؛ أيَّ 4000 كم تقريبًا، وجعل من رأس الحد نقطة البداية والنهاية في رسم هذه الدورة² والمتأمل في هذه القياسات، يجد تطابقها في الخريطة تحت مسمى دوائر العرض، بما فيها دائرة العرض الرئيسية (الاستواء). أمَّا عن الجغرافيا البشرية، فقد كان لها ذكر أيضًا في مؤلفات أحمد بن ماجد، ومن الإشارات الدالة على ذلك: العلاقات التجارية لعمان، باعتبار أنها تقع على مدخل المحيط الهندي على ساحل الخليج العربي، بالإضافة إلى الأنشطة والأعمال التي يمارسها البحارة على متن السفينة، كما أشار إليها الجالودي³ حيث تطرق إلى رتب البحارة ومؤهلاتهم، فهناك وظيفة النوتي،

1 الفراء، طه بن عثمان، ابن ماجد وإسهاماته في جغرافية البحار، دراسات: جامعة الملك سعود - كلية التربية، العدد ٢، ١٩٧٨ ص ١٩٩-٢١١.

2 العمري، سعيد، مرجع سابق

3 الجالودي، عليان عبدالفتاح، شهاب الدين أحمد بن ماجد وإسهاماته في تطور الملاحة البحرية ٨٣٥ - ٩١٤ هـ - ١٤٣٢ م، ١٠٠٨ م، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي: أعلام - وكتب - وحركات - وأفكار - من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثاني عشر الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن: ٢٠١٤، ص ٥١ - ٦١.

والتي تولاهما أحمد بن ماجد بنفسه، والاشتيام، وهو الذي يقوم بتوصيل تعليمات النوتي للبحارة، إلى جانب ذلك تتوفر وظائف الديدبان، وماسك الدفة، والسر هنك، والبهانداري، والكمنتي، ولكل منها رتبته، وبيان المسؤولية التي تقع عليها. إلى جانب ذلك كانت هناك وظيفة البحث عن اللؤلؤ، والوساطة التجارية، وهي جميعها تقع ضمن الجغرافيا الاقتصادية.

ومن زاوية أخرى؛ نجد أنّ ابن ماجد، كان حريصاً على تقديم النصائح والإرشادات إلى أصحاب السفن والبحارة؛ فالحوار والتفاعل، وترسيخ القيم والمبادئ الدينية منها، والاجتماعية، والوطنية، تُعدّ من الأسس التي لا مناص منها؛ كونها تشكل مصدراً لتهديب النفس، وصقل الشخصية، وإثارة الحماس والتفاعل بين البحارة، وهي بذلك تقع ضمن التربية الوطنية، وهي أحد فروع الجغرافيا البشرية. ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما ذكره ابن ماجد في أرجوزته «السفالية» عن خبر وصول الأفرنج إلى مياه المحيط الهندي وغرق سفنهم في بحر «سفالة» في تعبيره عن انتصاره للحق وامتعاضه من قدوم الغزاة، حيث ذكر ابن ماجد في البيت (154) من قصيدة النونية:

أما الحجاجة مغزرة في البحر منها ترى جميع زيلع شهري!

ومن المؤشرات التي تدعم فرع الجغرافيا البشرية، تعدد الألفاظ، والمسميات للأشخاص والأمم والطوائف وأصحاب المهن في المجتمع العماني خصوصاً والخليجي عموماً ومن أمثلتها: (كالناخذة، والزنج، والبندر، والشهبندر)، التي استعملها ابن ماجد نظراً لتعامله مع اللغات الفارسية، وهذا في حد ذاته يُعدّ مؤشراً على التأثير الحضاري المتبادل بين البلدان الساحلية التي تمت زيارتها² إلى جانب

1 شهاب، حسن، مرجع سابق

2 بوحجاج، محمد، أسد البحار العُماني أحمد بن ماجد في دراسات الأوروبيين والمستشرقين، ط2، هيئة الوثائق والمخطوطات الوطنية، سلطنة عمان، 2010.

علاقاته مع بلاد المغرب العربي؛ حيث يستطرد التازي¹ (1986)، العلاقة الوثيقة بين المغاربة وأحمد بن ماجد، حيث كان يعتمد كثيرًا على بعض المخطوطات العلمية المغربية ليزيد منها ثقافته البحرية، ومن مثالها: كتاب المبادئ والغايات لأبي الحسن المراكشي، وعُرف عنه إلمامه ببعض اللغات الأخرى كالسنسكريتية والسواحلية، ولغة أهل جاوة، والتأملية.

ومن الجوانب الجغرافية الأخرى التي أشار إليها بو حجام²، المقارنة بين الجغرافيا الساحلية والجغرافيا البحرية، وهي تلك التي تتعلق بالبحار وأعماقه، وتطلب الجمع بين الجانب النظري والعملي، حتى تكون المعلومات المجمعة حولها دقيقة. وفي ذات الوقت ميز بين نوعين من المعرفة الجغرافية عند أحمد بن ماجد، وهما: المعرفة الجغرافية العامة بالجزر والسواحل والمسافات البحرية، وبين المعرفة الجغرافية الخاصة التي تميز بندرًا عن بندر، وساحل عن ساحل، كما اشتملت معارفه الجغرافية أيضًا عن الظواهر الجوية المؤثرة في الملاحة.³

المحور الثالث: ما مدى استفادة الملاحة البحرية من المعلومات التي قدمها أحمد بن ماجد عن المسالك الجغرافية في المحيط الهندي.

يعد الملاح العماني أحمد بن ماجد أحد الذين لا زالت آثارهم تمثل المرجع العلمي للعديد من الملاحين والباحثين في علوم البحار والملاحة والجغرافيا، حيث نعته بو حجام⁴ بالذروة في التأليف الفلكي الملاحي؛ الأمر الذي ساهم في جعله محط اهتمام الباحثين والدارسين في علم الملاحة من الغرب أمثال فيران الذي أشار لفضله في الملاحة في مؤلفاته، كما أن المستشرق الروسي ثيودور شوموفسكي

1 التازي، عبد الهادي، ابن ماجد والبرتغال، البحث العلمي، العدد 37، 1986، ص 10-19.

2 بو حجام، محمد، مرجع سابق

3 المرجع السابق

4 المرجع السابق

قام بتحقيق ثلاث أراجيز من أراجيزه بعنوان (ثلاث أزهار في معرفة البحار)¹. كما أن ابن ماجد يتفرد بإضافاته العلمية على الآثار التي خلفها الملاحون من قبله، ويعتبر دوره واضحا جدا بما أفاد به العالم من ملاحين عرب وغيرهم؛ حيث يأتي هذا الدور تصحيحا لأخطاء بعض الملاحين الذين سبقوه، ويأتي كذلك تأصيلا لمبادئ الملاحة الفلكية والبحرية والجغرافية ومطورا لأدواتها ومما عرف عنه حرصه على نقل المعلومات الدقيقة جدا والمستمدة من تجاربه ورحلاته البحرية، حيث يشير بو حجام أن ابن ماجد انفرد بالكثير من المعلومات الجغرافية لدرجة أنه أطلق بعض الأسماء لبعض المناطق لم ترد لدى الجغرافيين سابقا.² وهذا الحرص في تحري الدقة يدل على قدرة شخصية ابن ماجد على إفادة الأجيال اللاحقة بالمعلومات الدقيقة. حيث يشير بو حجام³ نقلاً (ابن ماجد، 1996) أن ابن ماجد يضيف كثيرا على ما قدمه الجغرافيون السابقون؛ حيث أنه قدم معلومات دقيقة عن بلاد الزنج وعدد مدنها وذكر تفاصيلها الجغرافية وامكانياتها الاقتصادية وأوضح بعض المعلومات الفلكية عنها؛ بل أنه أطلق عليها اسم أرض الحبشة الجنوبية الشرقية توضيحا للجغرافي بأنها جزء من أرض الحبشة. كما أنه قدم العديد من المعلومات الجغرافية في وصف مدن ساحل شرق أفريقيا بما في ذلك المواقع والمسافات بينها وطبيعة الأراضي والمياه ووصف الجزر الموجودة على طول الساحل، كما قدم سردا للمنطقة وحيواناتها ومزروعاتها والمعادن المتوفرة بها.

ويؤكد عبدالعليم⁴ أن المؤلفات الجغرافية التي أفاد بها ابن ماجد البشرية تتمثل

1 أمين، حسين، مرجع سابق
2 بوحجام، محمد، مرجع سابق
3 بوحجام، محمد، مرجع سابق
4 عبدالعليم، أنور، مرجع سابق

في:

الأرجوزة المعربة (178 بيتا عربت الخليج البربري وصحت قياسه، ألفت سنة 890 هـ).

الأرجوزة التائية (55 بيتا توضح مسالك السفر من جدة إلى عدن).
تصنيف قبلة الإسلام في جميع الدنيا وتسمى أيضا تحفة القضاة (295 بيتا ألفت سنة 893).

الأرجوزة السبعية (307 بيتا في سبعة علوم من علوم البحر.

أرجوزة ضريبة الضرائب (192 بيتا) في القياسات الفلكية.

القصيدة المكية (171 بيتا – السفر من جدة لسواحل المحيط الهندي).

كنز المعالمة في علم المجهولات في البحر (71 بيتا).

كتاب المول (سواحل المحيط الهندي).

المعلقة (أرجوزة من 273 بيتا تصف المجاري والقياسات من مليبار وكنكن وجوزات والسند والأطواح إلى السيف الطويل والسواحل والزنج وأرض السفال والقمر وما إلى ذلك).

ميمية الأبدال (64 بيتا – في توضيح ارتفاع النجوم بست طرق متنوعة).

وتعد المرشحات الملاحية (رحمانيات) ابن ماجد الموسوعة التي ساعدت العديد من الملاحين والجغرافيين في استيعاب علوم البحار وأصوله، وتعد الرحمانيات نتاج معرفي تراكمي يعتمد المنهج التجريبي كأساس في الوصول إلى نتائج دقيقة ومحددة مسبقا، كما أن مادة الرحمانيات هي مادة علمية متخصصة بحثه في أغلب موضوعاتها تتناول في مجملها الملاحة البحرية بألية توجيهية وإرشادية للتوصل إلى الأماكن الجغرافية¹ واستطاع المستشرق الفرنسي ليوبولد دي سوسور

1 العريمي، بدر، مرجع سابق

الضليع في الملاحة الفلكية الخاصة بالمرشدات البحرية العربية أن يقدم العديد من الأبحاث عن رحمانيات ابن ماجد منها «أصل الرياح واختراع البوصلة» وبحث «تعليق على مرشدات ابن ماجد وسليمان المهري الملاحية» الذين تم نشرهما في مجلدات (-الخامس) المرشدات الملاحية العربية والبرتغالية¹.

ولم تقتصر اسهامات ابن ماجد الملاحية والجغرافية على الأراجيز والمرشدات الملاحية، وإنما تعدت ذلك إلى تطوير العديد من الأدوات الملاحية التي ساهمت في تسهيل عمل الملاحين وتحديد الأماكن جغرافيا، ومنها تطوير البوصلة التي كان يطلق عليها اسم «الحقة»، حيث أضاف إليها الإبرة المغناطيسية» كما ذكر ذلك بنفسه نقلا عن² صالح والعمري³؛ حيث قال «ومن اختراعنا في علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة، ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع في كتاب».

ومن الأساليب التطويرية التي كان ينتهجها ابن ماجد في علوم البحار والتي ساعدت العديد من الملاحين لاحقا هو تحديد اتجاه القبلة في عرض البحر عن طريق حساب قبضة اليد واليد الممدودة في حالة غياب الحقة (البوصلة)، الأمر الذي ساعد البحارة والقاطنين على المناطق الساحلية من معرفة اتجاه القبلة بقياس فلكي دقيق استطاع من خلاله أن يسبق العلوم العصرية التي تعتمد على الأجهزة الحديثة في تحديد الاتجاهات⁴.

وتعد آلة الكمال نموذجا على منهجية الربان أحمد بن ماجد في التطوير؛ حيث أدخل التحسينات على طريقة القياس بإضافة ما يسمى بالخشبات أو الألواح والتي أطلق عليها لاحقا اسم آلة الكمال وهي عبارة عن خشبة مربعة على شكل متوازي

1 صالح، ياسمين كامل، التراث الجغرافي العماني من خلال كتابات أحمد بن ماجد، تراث عمان البحري، مركز الدراسات

العمانية، مسقط، ٢٠١٨، ص ٣٣٢

2 صالح، ياسمين، مرجع سابق

3 العمري، سعيد، مرجع سابق

4 العمري، سعيد، مرجع سابق

مستطيلات يربط في وسطها خيط معقود على مسافات بنسب يتفق تدرجها مع ظل تمام منتصف الزاوية بين الأفق وعين الراصد والنجم المرصود 1 وهي ما عُرفت بعد ذلك بخشبات ابن ماجد.

ومن أدوات الملاحة البحرية التي أبدع فيها أحمد بن ماجد آلة الوردية والتي استخدمت في تحديد اتجاه الرياح في عرض البحر سواء من الليل والنهار تتكون من أقسام عبارة لوح مقسم الاتجاهات الأربعة؛ نظرًا لأهمية هذا الاختراع للبحارة والملاحين، ولسبق ابن ماجد إليه وتصريحه بذلك.

وبناء على ما تقدم يمكننا القول أن أحمد بن ماجد يعد مدرسة مرجعية خالصة في علوم البحار والجغرافيا، وقد أدرجته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) في عام 2021 ضمن قائمة الشخصيات المؤثرة عالميًا. ولا يزال البحث في علومه ساريًا حتى اليوم، ولا يزال علماء الجغرافيا والملاحين من جميع دول العالم يستنبطون بآثاره ومخترعاته ويحاولون تحليل أراجيزه تحليلًا يمكنهم من الاستفادة التامة منها.

خاتمة:

يتضح مما سبق اتساع المعرفة الجغرافية عند أحمد بن ماجد؛ وتعدد وظائفها؛ فوضع أسس علم الملاحة وقواعدها، وسطر لنا عبقريته الجغرافية التي ظهرت جليًا في مؤلفاته واختراعاته. كل ذلك يطرح في أذهاننا تساؤلات عدة. فإين نحن من أحمد بن ماجد؟ وكيف نستفيد من تلك العلوم؟ وفي أي المجالات نوظفها؟ وكيف نوليها العناية والاهتمام ونجعلها مستدامة للأجيال المتعاقبة؟ كل التساؤلات السابقة المطروحة يجب النظر لها بعمق، ومنحها مساحة من التفكير، بهدف تأصيل هذا



العلم وتكريسه في نفوس النشء، ونشر الوعي والمعرفة حوله.

التوصيات:

إجراء مزيد من البحث في تراث الملاح أحمد بن ماجد لتكوين صورة متكاملة

حول اسهامه العلمي في الملاحة الفلكية في مجال الملاحة البحرية.

إنشاء كرسي علمي باسم أحمد بن ماجد في إحدى الجامعات العُمانية أو في أحد

المراكز البحثية.

إنشاء معجم/قاموس جغرافي شامل من خلال تراث ابن ماجد.

تشكيل فريق وطني بحثي للبحث في تحليل أراجيز أحمد بن ماجد في ضوء

الأبعاد الاجتماعية والعلمية والدينية.

رقمنة جميع أراجيز أحمد بن ماجد ورفد جميع مكاتب مؤسسات التعليم العالي

بها.

قائمة المراجع:

أمين، حسين، أحمد بن ماجد وجهوده في الملاحة البحرية، ” الوثيقة: مركز عيسى الثقافي - مركز الوثائق التاريخية، العدد، 1988، 150ص 150 - 159.

بو حجام، محمد، أسد البحار العُماني أحمد بن ماجد: دراسة تاريخية ووثائقية وأدبية ولغوية، ط1، هيئة الوثائق والمخطوطات الوطنية، سلطنة عمان، 2015.

بو حجام، محمد، أسد البحار العُماني أحمد بن ماجد في دراسات الأوروبيين والمستشرقين، ط2، هيئة الوثائق والمخطوطات الوطنية، سلطنة عمان، 2015.

التازي، عبدالهادي، ابن ماجد والبرتغال، البحث العلمي، العدد36، 1986،

ص 15-79.

الجالودي، عليان عبدالفتاح، شهاب الدين أحمد بن ماجد وإسهاماته في تطور

الملاحة البحرية 835 - 914 هـ - 1432 - 1508 م. التحولات الفكرية في العالم الإسلامي : أعلام - وكتب - وحركات - وأفكار - من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثاني عشر الهجري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن: ،2014، ص 51 - 61.

شهاب، حسن صالح، الدليل البحري عند العرب، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت، 1983.

شهاب، حسن، من تاريخ بحرية عمان التقليدية، المكتبة الشرقية ومكتبتها، 2001.

الشيبياني، سلطان، ألف باء المخطوطات العمانية. ذاكرة عُمان، 2018. صالح، ياسمين كامل، التراث الجغرافي العماني من خلال كتابات أحمد بن ماجد. تراث عمان البحري، مركز الدراسات العمانية، مسقط، 2018، ص232. العريمي، بدر، مصنفات الملاحة البحرية عند العمانيين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين: الرحمانيات أنموذجا (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان، 2018.

المحداد، الحسن، و اعز يز، رقية، جد اوي، محمد، أحو، كبير، بوزليم، مبارم، تموضع العلوم الجغرافية بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية أي منهاج لأي موضوع، عمران، العدد 8/29، 2019 الفراء، طه بن عثمان، ابن ماجد وإسهاماته في جغرافية البحار، دراسات: جامعة الملك سعود - كلية التربية، العدد 2، 1978 ص 199-211.

عبدالعليم، أنور، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، 2019. العمري، سعيد، الجغرافيا المكانية في مؤلفات أحمد بن ماجد: موانئ ظفار

ومعالمها البحرية أنموذجا، ندوة الملاح أحمد بن ماجد، 7 أغسطس 2018.
أحمد بن ماجد ، النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى ، شرح وتحقيق حسن
صالح شهاب ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م .

أ. د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي
 أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
 hashimys2@gmail.com

تاريخ الأمراض الشائعة في عمان ومساهمة العمانيين في علاجها

المخلص:

المقدمة: تعرضت عمان لأمراض عديدة عبر التاريخ، مثل: الطاعون والكوليرا والجدي، والجذام، والحما الصفراء والحصبة، بالإضافة إلى امراض الحمى، وإسهال، والإرهاق، آلام في العضلات، وسعال، والرمد، والرعاف، وتراخوما، ويتعرضوا الأنواع الكسور، وغيرها. كما تتعرض مشايتهم للأمراض والكسور، وكيف تمكن من لهم الدراية والخبرة أن يسهموا في علاج هذه الأمراض. وتنتشر هذه الامراض في المجتمع عبر وسائل مختلفة ولظروف بيئية متنوعة، وكان للسكان وسائلهم المختلفة لعلاج بعض هذه الأوبئة، وهم على قناعة بأن المبتلى والشافى هو الله تعالى، ويأخذون بأسباب الوقاية والحذر، والصبر، وتناول العلاج، وبلا شك أن تأثير هذه الأوبئة في المجتمع كان كبيراً على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والروحي.. وفي حاضرنا هذا فإن العالم ابتلى بجائحة فايروس كورونا (كوفيد 19)، وتقييد المجتمع بما تقرره اللجان الرسمية وأهمها الحجر الصحي في منازل، وعدم الاختلاط والتجمع والمباعدة. مع محاولات العلاج بالطب الشعبي أو الحديث.

الأهداف: يهدف هذا البحث ألقى الضوء على الأمراض، والأوبئة الشائعة في

عمان عبر العصور الحديثة، ومساهمة العمانيين في علاجها.

المنهج: اتخذ الباحث المنهج الوصفي التاريخي لتناوله تاريخ الأمراض والأوبئة في عمان، وقسم البحث الى ثلاثة محاور، وتمهيد؛ يركز التمهيد على تضاريس عمان وعينة من أعداد السكان. المحور الأول يتتبع تاريخ الأمراض والأوبئة في عمان، ويتناول المحور الثاني الوسائل العلاجية والطبية الشعبية لمكافحة هذه الأمراض والأوبئة، ويبرز المحور الثالث أثر الأمراض والأوبئة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية.

النتائج: ان نتائج المتوقعة وهي تحقيق محاور البحث والى أي مدى عانى العمانيون من ذلك عبر الأزمنة المنصرمة.

الكلمات المفتاحية: الأمراض، المعدية، الأوبئة، الطب، العمانيون

History

Common diseases in Oman and how Omanis contributed to its treatment

Prof. Said bin Muhammad bin Said Al-Hashimy
Professor of Modern and Contemporary History
hashimys2@gmail.com

Summary:

Introduction: Oman has been subjected to many diseases throughout history, such as: plague, cholera, smallpox, leprosy, yellow fever and measles, as well as fever, diarrhea, fatigue, muscle pain, cough, and the ambulance, the trachoma and exposed species to fractures, etc.

These diseases are spread in society through various means and environmental conditions, and the population had different means to treat some of these epidemic, and they are convinced that the afflicted and healing is Allah Almighty, and they take the reasons for prevention, caution, patience and treatment, and there is no doubt that the impact of this epidemic in society was great on the social, economic and spiritual level. In our present, the world has been plagued by the corona virus pandemic (Covid 19), the restriction of society by what official committees decide, the most important of which is quarantine

in homes, and the lack of mixing, assembly and spacing.

Objectives: This research aims to shed light on diseases, the epidemic common in Oman throughout modern times, and Omanis contributed to its treatment.

Approach: researcher took the historical descriptive approach to dealing with the history of diseases and epidemics in Oman, and divided the research subject into three focuses, and a prelude; the preface focuses on Oman's topography and a sample of population numbers. The second focus deals with popular therapeutic and medical means to combat these diseases and epidemics, and the third focuses on the impact of diseases and epidemics in the social, economic and cultural spheres.

Results: The expected results are to achieve the research axes and to what extent Omanis have suffered from this over the past times.

Keywords: epidemic, Diseases, Infectious, Medicine, Omanis

تقع سلطنة عمان في جنوب شرق الجزيرة العربية، وتحيط بها المياه من ثلاث جهات الخليج العربي، وبحر عمان والبحر العربي. ولها سواحل بحرية تبلغ 3165 كم، ولها حدود برية من الغرب دولة الإمارات العربية المتحدة بطول 410 كم، والمملكة العربية السعودية بطول 676 كم، كما تحدها من الجنوب الجمهورية اليمنية بطول 288 كم.

وفي الموقع الفلكي تقط بين خطي عرض: 16.40 و 26.20 شمالاً، وبين خطي طول: 51.50 و 59.40 شرقاً

تبلغ مساحة عمان 309.500 كم²، وبذلك تكون ثالث دولة من حيث المساحة بعد السعودية واليمن في جزيرة العربية. ويتبع السلطنة مجموعة من الجزر أكبرها جزيرة مصيرة، وجزر الحلايبات وتحتلُّ بهذا المرتبة 70 بين دول العالم.

والسلطنة تقع «بين دائرتي عرض (39 16°) و(31 26°) شمال دائرة الاستواء وهو ما يعني وقوعها في أكثر الأقاليم المناخية تطرفاً من حيث الجفاف وارتفاع درجات الحرارة، يمر مدار السرطان (5 23° شمالاً) بأجزائها الشمالية وتحديداً عند مدينة مسقط، ولأن مداري السرطان والجدي يمثلان الحدين الشمالي والجنوبي للنطاق الذي تتعامد عليه الشمس، لذا فإن أشعة الشمس تصل إلى أراضي عُمان عمودية وشبه عمودية معظم أيام السنة. كما أن جميع الأجزاء الممتدة من مدينة مسقط حتى أقصى الجنوب تتعرض لتعامد الشمس مرتين في السنة؛ مرة عند تحرك الشمس ظاهرياً من خط الاستواء نحو مدار السرطان بداية من 1 مارس، ومرة عند عودتها نحوه بعد تعامدها على مسقط في الانقلاب الصيفي (1 يونيو من كل سنة)، ولذلك تعتبر هذه المناطق أكثر تلقياً لأشعة الشمس طيلة أيام السنة حيث يبلغ المتوسط اليومي لساعات سطوع الشمس في عُمان حوالي 10 ساعات، وهكذا

تكاد البلاد تعيش في فصل صيف دائم»¹.

يتوزع سطح السلطنة بالتنوع والغنى إذ تتكون من سهول، وصحاري، وجبال، ووديان. وأكبر سهول عمان الصالح للزراعة سهل الباطنة في محافظات الباطنة ومسقط، وسهل جريب في محافظة ظفار، وباقي السهول تقع على ضفاف سلاسل جبال عمان المتكون من سلسلتين رئيسيتين هما: سلسلة جبال الحجر، الممتدة من مسندم في شمال عمان، حتى راس الحد بمحافظة جنوب الشرقية، وسلسلة جبال قرى في محافظة ظفار، والتي تجذب أمطار موسمية خفيفة خلال شهور منتصف الصيف. أما الصحاري فهي أغلب أراضي عمان. وفي هذه التضاريس تتوزع التجمعات السكانية وفق مصادر الري التي تأقلموا في ابتكارها، وأنشأوا حضارات ومدن كانت مأهولة بالسكان.

كما يتنوع المناخ من منطقة لأخرى حيث يكون حارا ورطبا في المناطق الساحلية خلال الصيف بينما يكون حارا وجافا بالأراضي الداخلية، باستثناء الجبال الأكثر علوا والتي تتمتع بمناخ معتدل على طول السنة. معدلات الحرارة المتوسطة بالنسبة لشمال عمان تتراوح ما بين 32 درجة و48 درجة من شهر مايو حتى شهر سبتمبر، وتتراوح ما بين 26 درجة إلى 36 درجة من أكتوبر إلى إبريل

يبلغ عدد سكان عمان حسب تعداد عام 2020م من العمانيين 2731456 نسمة، وبالمقارنة مع تعداد عام 2010 البالغ عددهم 1957336 نسمة بزيادة قدرها حوالي² 40% ويعيش ما يقرب من 50% من عدد سكان عمان في محافظة مسقط وشمال الباطنة، بمحافظة الداخلية، وظفار، ثم جنوب الباطنة، وجنوب الشرقية،

1 الحتروشي، سالم بن مبارك. الجغرافيا الطبيعية للسلطنة عمان. ط1، مجلس النشر العلمي، جامعة السلطان قابوس، مسقط: ٢٠١٤م، ص: ٢٨

2 المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. تعداد ٢٠٢٠: المؤشرات الرئيسية لنتائج التعداد الإلكتروني للسكان والمساكن والمنشآت ٢٠٢٠. مسقط: ديسمبر ٢٠٢٠/ ص: ١٢

وشمال الشرقية. ويتركز السكان بنسبة 86.3% في المناطق الحضرية، والبقية في الصحراء والجزر، والجبال، وتبلغ الكثافة السكانية في السلطنة حوالي 14.5 نسمة لكل كم². في عام 2020م¹.

السكان							المساحة كم ^٢	المركز الإدارية	المحافظة
2016	2015	2014	2013	2012	2003	1996			
1,441,622	1,320,464	1,210,480	1,155,861	1,093,360	631,031	622,506	3,900	مسقط	مسقط
434,952	392,517	377,506	369,625	346,046	214,331	174,888	99,300	صلالة	ظفار
43,959	41,531	39,813	37,259	34,148	28,263	27,669	1,800	خصب	مسندم
111,394	103,593	99,836	96,613	89,564	76,838	48,287	4,255	البريمي	البريمي
441,748	308,730	403,012	387,111	368,027	265,083	220,403	31,900	نزوى	الداخلية
727,148	681,673	655,873	638,574	598,206	652,667	538,763	12,500	صحار	شمال الباطنة
400,967	376,242	360,521	343,707	323,124				الرساتق	جنوب الباطنة
299,043	275,920	267,322	258,275	243,534	312,708	247,551	36,400	صور	جنوب الشرقية
265,510	249,655	242,131	233,938	220,661				ابراء	شمال الشرقية
204,398	258,567	185,596	178,841	170,584	204,250	169,710	44,000	عبري	الظاهرة
45,156	41,439	40,936	40,151	36,391	23,058	16,101			الوسطى

مؤشر عام على تطور السكان في السلطنة

المحور الأول: عرض تاريخي للأمراض والأوبية في عمان

تعرضت عمان ودول الخليج العربي لأوبية عديدة عبر التاريخ، مثل الطاعون والكوليرا والجذري والجذام، والحما الصفراء والحصبة. ولكن من المؤسف أن تاريخنا لم يزودنا بالمعلومات كافية عن تلك الأمراض إلا إشارات عابرة مثل

1 المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. الكتاب الإحصائي السنوي ٢٠٢٠. الإصدار رقم ٤٩، مسقط: أغسطس ٢٠٢١، ص: ٦٢

مرض الطاعون الذي أصاب عمان وغيرها من بلدان العالم^١.
وستعرض هنا في هذا البحث لأهم الأوبئة التي اجتاحت عمان وتأثر العمانيون
بها كثير وفق ما أشارت كتب التاريخ والتقارير الوكالات والارسلات الأجنبية
وهي:

أولاً: وباء الطاعون (Plague):

الطاعون هو عدوى بكتيرية حادة تنتقل في المقام الأول عن طريق البراغيث.
يعيش الكائن الحي الذي يسبب الطاعون، والمسمى بـ «يرسينيا بيستيس»
(Yersinia Pestis) في القوارض الصغيرة المنتشرة بشكل أكثر شيوعاً في
المناطق الريفية، وشبه القبلية في إفريقيا، وآسيا، والولايات المتحدة. ينتقل الكائن
الحي إلى الأشخاص الذين تلدهم البراغيث التي تتغذى على القوارض المصابة،
أو الذين يتعاملون مع الحيوانات المصابة.

ينقسم الطاعون إلى ثلاثة أنواع رئيسية، دبلي (Bubonic plague) وإنتاني
دموي (Bloody selfishness). ورئوي (Pulmonary)، وفقاً للجزء المصاب
بالجسم. تختلف العلامات والأعراض باختلاف نوع الطاعون. الطاعون الدبلي هو
أكثر أشكال المرض شيوعاً. وقد سمي باسم تورم العقد اللمفية (أورام التهابية في
العقد الليمفاوية) الذي يحدث عادة في الأسبوع الأول بعد الإصابة. التهاب الغدد
الليمفية: يحدث طاعون إنتان الدم عندما تتكاثر بكتيريا الطاعون في مجرى الدم.
تتضمن العلامات والأعراض الدم ويمكن أن يتسبب في تحول الأنسجة إلى اللون
الأسود والموت.. يؤثر الطاعون الرئوي يصيب الرئتين، مما تسبب في ضيق في
التنفس والسعال وألم في الصدر. ويُعد أقل أنواع الطاعون شيوعاً ولكنه الأخطر؛

١ لمزيد من المعلومات عن الأوبئة في العالم انظر: واتس، شلدون. الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والامبريالية.
ترجمة أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة عماد صبحي، ط١، المركز القومي للترجمة، القاهرة: ٢٠١٠م

لأنه قد ينتقل من شخصٍ لآخر عبر الرذاذ المتطاير من السعال. وقد تبدأ العلامات والأعراض خلال ساعات قليلة من بدء العدوى¹.

وقد أصاب أهل عمان هذا الوباء في سنوات مختلفة، ويصاب أناس منهم من يقضي عليه ومن من ينجيه الله تعالى منهم. وبعض المصادر ذكرت ذلك وفق التالي:

- يذكر الشيخ حميد الشامسي في كتابه «نقل الأخبار» أنه في «عام 1187هـ/1773 تغشى وباء الطاعون فأفنى كل الخلق وجرف دونه القبائل في جميع الديار ثم ارتفع بقدرة الله»². ولم يشر الى عدد الوفيات ولا إلى المدة التي استوطن في المنطقة، وفي عام 1236هـ/1820م، أصاب عمان وباء الطاعون ومات خلق كثير في انحاء عمان، منهم الاديب سيف بن ناصر بن سليمان المعولي في قرية مسلمات مركز ولاية وادي المعاول ولم يسم ابن رزيق (ت: 1290هـ/1873م) أحداً ممن مات بهذا الوباء في هذا العام غير المذكور³.

- وفي عام 1236هـ/1821م تفشى مرض الطاعون حسب ما كتبه الشيخ راشد بن خميس بن عيسى البوسعيدي (كان حياً في عام 1248هـ/1832م) على الجزء الثاني من كتاب جامع الأحكام تأليف محمد بن جعفر الأزكوي (من علماء النصف الثاني من القرن الثالث الهجري)، وناسخه مبارك بن عبد الله النزوي في الرابع من رجب 1224هـ/15 أغسطس 1809م للسيد سالم بن سلطان بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي (ت: 1236هـ/1821م) ومما قيده «صح في عمان ألم بدأ في شهر شعبان 1236هـ/مايو 1821م، بدأ ببندر مسقط قبل رجوع الشمس للشتاء

١ منصور، زينب. معجم الأمراض وعلاجها، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان: ٢٠١٠، ص: ٥٢٨.

٢ الشامسي، حميد بن سلطان. نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار. تحقيق فالح حنظل، ط١، أبو ظبي: ١٩٨٦م، ص: ٢٥.

٣ ابن رزيق حميد بن محمد. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين. تحقيق عبد المنعم عامر ود. محمد مرسي عبد الله، ط٥، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠١م، ص: ٤٧٢.

بشهر ونصف، يزيد قليل من الأيام وينقص قليل، ودار في أكبر بلدان عمان 'لا ما شاء الله من البلدان -التي قليلة السكان- ومات منه خلق كثير بالألاف، قُدِّر من البلد الكبير إلى ألف و خمسمائة نفس كنزوى وسمائل وبهلا والرسناق وبنادر الباطنة وجعلان. وصفته يأتي بالبطن، فيخرط منه بطنه، ويكثر زوعه، ويكون عليه لهيب في جميع جسده كهيئة اللديغ، فمنهم من يعيش يوم، ومنهم يومين، ومنهم ساعة، ومنهم يبرأ. وأقام قدر شهر، ثم هانت شدته، وارتفع قدر رأس شهر شوال 1236/يوليو 1821» تاريخ هذا القيد في 20ذي القعدة 1236هـ/19 أغسطس 1821م¹. ويؤكد هذه الرواية السيفي في كتابه «التمير» ونقل ذلك بخط شاعر الشيخ محمد بن ناصر الجبري الشاعر علي بن ثابت بن علي الساساني².

- في عام 1282هـ/1865م ظهر في سمد الشأن وباء الطاعون فقضى على 188 نفسا من قبائلها، وذكر السيفي أن من القبائل التي تأثر أفراد هم من قبائل: الزكوانيين، والورود، والجهاضم. ومن الذين لقوا حتفهم من المشايخ والأعيان: سعيد بن خلفان بن سهيل السرحني الزكواني وسعيد بن علي بن سعيد، وسالم بن علي الحسيني، وخلفان بن حسن الحسيني، وسالم بن بشير، وسالم بن عبيد بن راشد، وسعيد بن سويلم وسيف بن عمر بن سيف، وحمود بن مرشد وسويلم بن حماد³.

- في يناير 1896م انتشر وباء الطاعون في بومباي وكراتشي بشكل حاد فقرر السلطان فيصل فرض حجر صحي لمدة تسعة أيام على السفن والمسافرين القادمين

١ البوسعيدي، راشد بن خميس بن عيسى البوسعيدي (كان حياً في عام 1248هـ/1832م). قيد وصفة طبية على الجزء الثاني من كتاب جامع الأحكام تأليف محمد بن جعفر الأزكوي. انظر: فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمد بن عبد الله بن حمد البوسعيدي بسمد الشأن. صنعه فهد بن علي بن هاشل السعدي، ط1، ذاكرة عمان، مسقط: 1441هـ/2020، ص: 80-81

٢ السيفي، المرجع السابق، ج5، ص: 70

٣ السيفي، محمد بن عبد الله. التمير. ج1، مكتبة الأنفال، مسقط: 2009، ص: 206-207

من هذين المرفأين¹.

- وانتشر وباء الطاعون في الأعوام 1897م، و1898م، و1899م و1900م، و1909م و1911م، و1918م وكان هذا المرض انتقل الى عمان من الهند وتركز في مسقط ومطرح وجواذر، وغيرها من المدن العمانية وكانت الحالات قليلة والوفيات أقل وذلك بفضل الحجر الصحي والعزل، والعلاج الذي كان يقدم من المؤسسات الصحية والعيادات المتنقلة. والتي ذكرت وفاتهم بسبب هذا المرض وفي تقرير الوكالة البريطانية خلال الفترة من 23 ابريل إلى 20 مايو 1911م ذكرت أنه هناك 38 حالة من الطاعون ي مسقط تسببت في وفاة 24 شخصاً². إضافة إلى وفات شخصين في الأسبوع الأخير من شهر مايو 1911م³.

- في عام 1337هـ/1918م أشار الشيخ الشيبية أبو بشير محمد بن عبد الله السالمي في كتابه «نهضة الأعيان» أنه في عام 1337هـ/1918م «في هذه السنة نزل وباء وأمراض، فاجتاح جم غفير من الناس، وفيهم جماعة من أفاضل العمانيين وفقهاءهم، منهم الشيخ العلامة سليمان بن أحمد بن عبد الله الكندي توفي بنزوى في ليلة 14 صفر 1337هـ/19 نوفمبر 1918م وتوفى أيضا في نفس الليلة السيد سعود بن حمد بن هلال البوسعيدي»⁴. وما يؤكد ذلك رسالة الشيخ سالم بن سيف بن سعيد بن راشد بن عبد الله للمكي (ت: 17 محرم 1366هـ/ 11 ديسمبر 1946م)، «من سالم بن سيف للمكي إلى الشيخ محمد بن ذياب الشهومي»⁵. قد تواترت الأخبار أن

١ الحارثي، محمد بن عبد الله. موسوعة يوميات، ج١، ص: ٣٩٣

٢ الحارثي، محمد بن عبد الله. موسوعة يوميات المقيمة في الخليج والوكالة السياسية في مسقط. ج٢، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: ٢٠٢٢م، ص: ٣١

٣ الحارثي، محمد بن عبد الله. موسوعة يوميات، ج٢، ص: ٣٢

٤ السالمي، محمد بن عبد الله. نهضة الأعيان بحرية عمان. ط١، القاهرة: ب. ت. ص: ٢٥٤

٥ هو محمد بن ذياب بن سعيد الشهومي (١٢٧٥هـ/١٨٥٨م - ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م). ولد في قرية بلاد الشهوم من أعمال ولاية عربي بمحافظة الظاهرة، ونشأ به وتعلم على يد والده، كان إماماً وخطيباً وأديباً، كان مطلعاً في قرنته، ويحكم بينهم في الخلافات التي تقع فيما بينهم، له مراسلات مع معاصريه من العلماء والشيخوخ في موضوع الدنيا والآخرة. كان محباً للكتب، وأشأ مكتبة تحتوي على الكتب المطبوعة والمخطوطة، انظر: السعدي، معجم شعراء

اللباضية. ط١، مكتبة الجيل الواعد، مسقط: ٢٠٠٧م، ص: ٣١٣

الذين مات في نزوى فوق 600 نفس منهم الشيخ السيد سعود وسليمان بن محمد بن أحمد القاضي الكندي، وجملة من المعروفين وغير المعروفين وعى هذا السبيل كل البلاد غاب منها على قدرها الله المستعان فعلينا له التفويض ونسلم الأمر إلى من بيده الأمر كله، وما دفعه عنا فهو أعظم، وهذه الرستاق اقد ماتوا منها ما أقل عن ثلاثمائة نفس الله أعلم، وقيل أنّ الباطنة قد احتشرت قد ماتوا منها أكابرها ومعهم عدد لا يحصيهم إلاّ الواحد الأحد، إنا لله وأنا إليه راجعون. .. حرر في يوم 17 ربيع الأول 1337هـ/ (21 ديسمبر 1918م) وكتبه سالم بن سيف اللمكي»¹.

ثانياً: وباء الجدري (Smallpox epidemic)

إن مرض الجدري هو مرضٌ معدٍ ومُشوّه وعادةً ما يكون مميتاً وقد أصاب البشر لآلاف السنين. وقد تم القضاء على مرض الجدري الذي يُصيب البشر بشكلٍ طبيعي في جميع أنحاء العالم بحلول عام 1980، نتيجة حملة تحصين عالمية غير مسبقة.

تظهر الأعراض الأولى للإصابة بمرض الجدري بعد مرور مدة زمنية تتراوح بين 10 أيام و14 يوماً من إصابتك بالعدوى عادةً. وخلال فترة الحضانة التي تتراوح مدتها بين 7 أيام و17 يوماً، ستكون صحتك على ما يرام ولا يمكنك نقل العدوى للآخرين. لكن بعد فترة الحضانة، تظهر مؤشرات وأعراض تشبه أعراض الإنفلونزا بشكل مفاجئ. وبعد بضعة أيام من بدء هذه الأعراض، قد تظهر على المريض بقع حمراء على الوجه واليدين والساعدين، ثم على جذع الجسم. وخلال يوم أو يومين، يمكن أن تتحول تلك الآفات إلى بثور صغيرة تمتلئ بسائل شفاف ثم تتحول إلى صديد. وتبدأ القشور في التكون بعد ثمانية إلى تسعة أيام ثم تتساقط

1 افادني عن هذه الرسالة حمد بن ذياب البشهومي أحد أحفاد الشيخ محمد بن ذياب بن سعيد الشهومي خلال وجودنا في ندوة محافظة الظاهرة ٢١-٢٢ مارس ٢٠٢٢م.

في النهاية، تاركة ندوبًا عميقة ومحفورة. وتتكوّن هذه الآفات أيضًا في الأغشية المخاطية للأنف والفم، وتتحول سريعًا إلى قُرَح تتمزق وتنفثح¹.

- تعرضت عمان بوباء الجدري، فيذكر ابن رزيق أنه في عام 1206هـ/1792م وفاة السيد حمد بن الإمام سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، وهو حاكم عمان نيابة عن والده الإمام سعيد حينئذ، وكانت سبب وفاته بوباء الجدري، وكانت وفاته بمسقط في الثامن من شهر رجب 1206هـ/ 2مارس 1792م²، ولم يشر ابن رزيق الى انتشار هذا المرض في مسقط أو غيرها.

- ويذكر الشيخ نور الدين السالمي في كتابه «تحفة الأعيان» أنه في عام 1314هـ/1896م وعام 1315هـ/1897م تفشي مرض الجدري في مسقط وأنه في 24 من شوال 1314هـ/ 29مارس 1897م مات سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدي ببندر مطرح وكان قاصدا للحج والشيخ سعيد من تلاميذ الشيخ السالمي، ومات أبو عبدالله حمد بن سيف بن سعيد بن راشد البوسعيدي في بندر بومباي في 29 شعبان 1315هـ/ 23يناير 1897م وكان حاجا وكان عمره قرابة الخمسين سنة وفي الرابع من محرم 1316هـ/ 25مايو 1898م مات والد السالمي حميد بن سلوم السالمي في بندر جده بسبب وباء الجدري³.

- وقد تفشى مرض الجدري في الحمراء خلال الأعوام 1316هـ/1898م و1317هـ/ 1899م ومات عدد من الناس منهم زوج الفاضلة عزة بنت حميد بن ناصر بن سليمان بن محمد بن بشير العبرية، ثم أنها انتقلت منها إلى نخل لتعيش مع والدها حميد⁴. ويشر التقرير الوكالة البريطانية في مسقط للعام 1899م -

١ منصور، زينب. معجم الأمراض وعلاجها، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان: ٢٠١٠، ص: ٢٧٢

٢ ابن رزيق، المصدر السابق، ص: ٣٦٥

٣ السالمي، عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج٢، مكتبة الاستقامة، مسقط: ١٩٩٧م، ص: ٣١٣- ٣١٤

٤ الكندي، خالد بن سليمان، الحضرمي، منير بن ناصر. أعلام نخل. بحث نشر ضمن أبحاث ندوة نخل عبر التاريخ، ط١،

المتنبي الأدبي، مسقط: ٢٠١٦م، ص: ٩٤

1900 ان هذا الوباء تنفسي في مسقط، وبلغت حالة الوفاة في مسقط ومطرح 500 حالة وفاة، وآلاف في المناطق الداخلية¹.

- وفي ديوان الشيخ القاضي عامر بن سليمان الشعبي المعروف بالمطوع، قصيدة ذكر فيها وباء الجدري أصاب مسقط ووادي بني خالد. وقد مات عدد من السكان من الشباب صغار السن ودام تسعين يوم حتى ارتفع وقد بدأ يوم الخميس من شهر رمضان²، وترجح الدكتورة أمل المنصوري أن ذلك وباء كان بين عامي 1318هـ/1900 و1327هـ/1908م³، حيث كانت السنة الأخيرة هو وفاة الشيخ عامر⁴.

- كما أشار الشيخ حميد الشامسي أنه في عام 1319هـ/1901م وقع الجدري في هذا الساحل (ساحل عمان الشمالي)، ثم ارتفع بقدرة الله في آخر شهر شعبان 1319هـ/ديسمبر 1901م⁵. ولم يشر الشيخ الى عدد الوفيات ولا المدة التي مكث في هذا الساحل.

- وفي تقرير الوكالة البريطانية خلال الفترة من 23 ابريل إلى 20 مايو 1911م ذكرت أن الأخبار وصلت من السويق تفيد أن بوفاة والي السويق الشيخ سعيد بن سالم وابنه بسبب وباء الجدري⁶.

- وأشار خالد الكندي أن أصاب أهل نخل مرض الجدري في عام

١ الحارثي، محمد بن عبد الله. موسوعة يوميات، ج ١، ص: ٤١٨

٢ الشعبي، عامر بن سليمان. ديوان الشيخ عامر بن سليمان الشعبي. تحقيق محمد بن حمد المسروري، ط١، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٩م، ص: ٧١-٧٢

٣ الخنصوري، أمل بنت سيف. الأوضاع الصحية في عمان والساحل ١٨٨٨-١٩٧٥م. رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة السلطان قابوس، يناير ٢٠٢٠م، ص: ٦٥

٤ السيفي، محمد بن عبد الله. النمير، ج ٥، ط١، مسقط: ٢٠١٢م، ص: ٤٨٢

٥ الشامسي، المصدر السابق، ص: ٦٣

٦ الحارثي، محمد بن عبد الله. موسوعة يوميات المقيمة في الخليج والوكالة السياسية في مسقط، ج ٢، ط ١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: ٢٠٢٢م، ص: ٣١

1339هـ/1920م، وتم عزل المصابين في حجر سقطان أسفل جبل لبنان، وأشار أن الفاضلة عزة بنت خلفان بن نصير الكندية كانت من الذين يجلبون لهم الطعام¹. - وفي تقرير بريطاني عن القوات البريطانية في عمان ذكر أنه لم يصب أحدا من الجنود بوباء الجدري في عام 1346هـ/1926 الا جنديا واحدا في معسكر بيت الفلج وذلك يعود الى سرعة تحصين الجنود، ووقايتهم من العدوى² - وذكر محمد السيفي في كتابه «النمير» أن الشيخ خالد بن عزيز بن محمد أمبو سعدي مات بسبب وباء الجدري بنزوى في يوم 13 شعبان 1346هـ/5 فبراير 1927م³.

- في ملخص أخبار الدول العربية عن شهر مارس 1927م، تفيد عن انتشار لمرض الجدري في قرية سداب قريبا من مسقط وأنه سجل بها حالة واحدة⁴. - وتذكر التقارير أن وباء الجدري تفشى في المدن عمانية خلال الأعوام 1942 و1944م و1945، وسارعت السلطات الصحية بتطعيم عدد كبير من المواطنين وبلغ عدد المحصنين أربعة آلاف نفساً، وعدد الوفيات بلغت 134 نفساً، وفي نفس الوقت تذكر أنه تناثرت على الطرقات عدد من القبور الذين حصدهم هذا الوباء. - وفي عام 1963 تفشى مرة أخرى هذا المرض لكنه لم تسجل حالات وفيات تذكر وأن السلطات الصحية طعمت حوالي 17 ألف نفس وقايتهم من هذا الوباء⁵.

ثالثاً: وباء الكوليرا Cholera

الكوليرا مرض عدوى حاد، تسبب الإسهال مائي حاد وتنجم عن تناول الأطعمة

١ الكندي، خالد بن سليمان. أبناء الشفاة وأعلام الرواة. ج١، ص: ٦-٧ نقلا عن ندوة نخل عبر التاريخ، ص: ٨١

٢ الخنصوري، المرجع السابق، ص: ٦٦

٣ السيفي، النمير. ج٥، ط١، مسقط: ٢٠١٢، ص: ٤٨٨

٤ الحارثي، موسوعة يوميات، ج٢، ص: ٦٢

٥ الخنصوري، المرجع السابق، ص: ٦٧

أو شرب المياه الملوثة بضمات بكتيريا الكوليرا. ولا تزال الكوليرا تشكل تهديداً عالمياً للصحة العامة، وهو يستغرق فترة تتراوح بين 12 ساعة و5 أيام لكي تظهر أعراضه على الشخص عقب تناوله أطعمة ملوثة أو شرب مياه ملوثة. وتصيب الكوليرا الأطفال والبالغين على حد سواء ويمكن أن تؤدي بحياتهم في غضون ساعات إن لم تُعالج¹.

يُمكن أن تُصبح الكوليرا من أسرع الأمراض القاتلة. فقد يُؤدّي الفقد السريع لكميات كبيرة من السوائل إلى الموت في غضون ساعات، في معظم الحالات الحادة. أمّا في الحالات الأقل حدةً، فقد يموت المرضى الذين لم يتلقّوا العلاج بعد ساعات أو أيام من ظهور أول أعراض الكوليرا؛ وذلك بسبب الجفاف وهبوط الدورة الدموية.

وباء الكوليرا أشارت إليه التقارير البريطانية خصوصاً من نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فهذا لوريمر يذكر في كتابه الموسوعي «دليل الخليج» أن عمان تعرضت لوباء الكوليرا حيث ذكر ثلاث مرات انتشرت الكوليرا في عمان خلال القرن التاسع عشر، إذ أنه حدد عام 1821، وعام 1865 وعام 1899م ومات عدد كثير من المواطنين². وذكر أن مرض الكوليرا الذي انتشر في عمان عام 1865م حصد من أهالي صور 1700 نفس ومن مسقط 600 نفس، وكان انتشاره في صور بسبب انتقاله بواسطة الحجاج الذين نزول في صور وانتشر في عموم الشرقية³. كما زهق هذا المرض في طيوي 300 نفس في عام 1899م⁴.

وتكرر انتشار وباء الكوليرا في عمان حسب التقارير الإدارية والصحية التي

١ منصور، معجم الأمراض، ص: ٦٣٢

٢ لوريمر، جي. جي. دليل الخليج العربي وعمان واواسط الجزيرة العربية. القسم التاريخي، ج٢، ط١، الدار العربية

للموسوعات، بيروت: ٢٠١٣، ص: ٨٦

٣ الخنصوري، المرجع السابق، ص: ١٧.

٤ نفس المرجع، ص: ٥٩

تصدر من الوكالة السياسية البريطانية بمسقط والخليج خلال الأعوام 1900م،
وعام 1904م.

في يناير 1911م أفادت الأخبار للسلطان فيصل بن تركي أن وباء الكوليرا قد
تفشى في جعلان، وأن حصيلة الوفاة في بني بو حسن 250 شخصاً، و150 حالة
وفاة في بني بو علي، وفي أولاد كاسب 12 حالة ماتوا خلال أربعة وعشرين ساعة.
ومن الشخصيات الذين ماتوا الشيخ سلطان نجل الشيخ عبد الله بن سالم آل حمودة،
والشيخين راشد بن حمد وعلي بن جميع من أعيان بني بو علي. وتكثر الشائعات
أن هذا الوباء وصل الشرقية وخصوصاً في ولاية بدية، كما أنه انتشر أيضاً في
الرسناق¹. وفي اغسطس 1911م ظهر هذا الوباء في صور وحصيلته من الوفيات
أربع حالات، غير أنه ظهر بشكل حاد في قرية افتاء احدى قرى ولاية صور².
في شهري سبتمبر وأكتوبر من عام 1921م انتشرت الكوليرا في مطرح ومسقط،
وكانت الحصيلة وفاة 35 حالة وفاة في مطرح و10 حالات وفاة في مسقط³.
وعام 1910م، 1930م، ولكن كانت الوفيات لم تتجاوز مائة وخمسين حالة
وفاة وذلك يعود الى تنامي العلاج التي تقدم من قبل المؤسسات الصحية في عمان.
ونلاحظ أن حكومة السلطان سعيد طالبت المواطنين المسافرين للهند أو غيرها أخذ
اللقاح ضد الجدري وذلك لتعميم الصادر من دائرة الموارد العامة الى رئيس دائرة
الجوازات بمسقط المؤرخ في 22 ذي القعدة 1356هـ/52 يناير 1938م.

رابعاً: أمراض معدية أخرى:

كما أن هناك أمراض شائعة معدية: مثل؛ الحصبة (measles)⁴ والسعال

١ الحارثي، موسوعة يوميات، ج٢، ص: ٢٧

٢ نفس المرجع، ص: ٣٥

٣ الحارثي، موسوعة يوميات، ج٢، ص: ١٣٠ - ١٣١

٤ مجهول، كتاب في طب لمجهول في ٢٠ صفحة مخصص لعلاج الحصبة والجدري. مخطوط بدار المخطوطات العمانية،
وزارة التراث والثقافة، مسقط مخطوط رقم ١٧٧٩

الديكي (whooping cough)¹ والحمى الصفراء (yellow fever)² والسل (tuberculosis) والملاريا (malaria)³ والجذام (leprosy)⁴، وغيرها فهي تواجدت في عمان بين الحين والآخر في كثير من ولايات السلطنة، وكانت تنتقل بين السكان بصورة سنوية وتحصر في المدينة الواحدة أو القرية الواحدة ولا تسبب الوفيات تذكر، وقد اصابنا شيء من هذه الامراض، غير أنه حاولت المؤسسات الصحية معالجة هذه الحالات والوفيات كانت محدودة. وأنشأ السلطان سعيد بن تيمور في عام 1948م ملحقا خاصا بمستشفى طومس (Thomas Hospital) بمطرح لمرضى السل، وأنشئت عيادة صحية في كثير من ولايات السلطنة بعد عام 1955م وهو العام الذي توحدت فيه عمان تحت سلطة السلطان سعيد⁵.

خامساً: أمراض عامة:

ويصاب المجتمعات بأمراض مختلفة صنفت تحت:

أمراض الجهاز الهضمي مثل أمراض سرطان الأمعاء، والتهاب القولون، والامساك والبواسير⁶
أمراض القلب واحتقان الكبد والرئة، وهشاشة الأوعية الشعرية، وتصلب الشرايين، وتلف في الأوعية الدموية، وانسداد الأوردة بسبب الدهون الكوليسترول

١ منصور، معجم الأمراض، ص:٤٦١

٢ منصور، معجم الأمراض، ص:٣٥٨

٣ منصور، معجم الأمراض، ص:٦٨١

٤ منصور، معجم الأمراض، ص:٢٧٤

٥ هناك إشارات عديدة عن هذه الأوبئة ذكرتها التقارير البريطانية السنوية انظر:

Baily, R. w. (edited). Records of Oman (18671946-). voles 311,4-, London: 1988

Burdett, Anita. Records of Oman (19611971-). London: 1997, 2003.

٦ عرموش، هاني. الأمراض الشائعة والتداوي بالأعشاب. ط٣، دار النفايس، بيروت: ١٩٩٨م، ص: ٥٤ - ١٠٦

1(Cholesterol)

أمراض الجهاز البولي: ألم المثانة وعسر البول وورم الخصية، وتضخم البروستاتا، ووجود الحصى في الكلاء والمثانة، وأمراض السيلان² وأمراض الجهاز التنفسي كالزكام والرعاف والحجرة، والتهاب الرئة والربو، وتضييق ونزيف جدار المريء، وصعوبة البلع³ أمراض الرأس كالصداع، وأمراض العيون المختلفة، والأذن⁴ مرض أبو صفار (الحمى الصفراء) مرض الشلل والفالج وأبو بريقع، ومرض الرعشة والكسور، وآلام المفاصل، وهشاشة العظام وأمراض النساء المختلفة. وأمراض الاكتئاب العصبي والوجداني والجنون والصرع وهذه الأمراض الشائعة وجدت لها علاج من البيئة مثل الملح، والعسل، والكركم، والكزبرة، والزعتر، والبصل، والثوم، والصبر، والريحان، والزعفران، والحبّة السوداء، والقرنفل، والزنجبيل، والزعفران، وغيرها⁵ وهناك أمراض اكتشفت حديثة كمرض السكر والضغط، والسكتة الدماغية والجدّة والسرطان وغيرها.

١ نفس المرجع، ص: ١٤٧ - ١٦٢

٢ نفسه، ص: ١٧٧ - ١٩٤

٣ نفسه، ص: ١٢١ وما بعدها

٤ الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا. الحاوية في الطب. مراجعة د. محمد محمد إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٠٠٠م، ص: ٥-٣٦٤

٥ لمزيد من المعلومات انظر: سيد، عبد الباسط محمد. التداوي بالأعشاب والطب النبوي. ط١، دار نوبار، القاهرة: ٢٠٠٣م، أبو كبة، ايمان بشير. علاج الأمراض بالأعشاب. ب. ت.

المحور الثاني: الوسائل العلاجية والطبية الشعبية في مكافحة الأمراض

لقد واجه العمانيون الأوبية التي انتشرت في عمان في بادئ الأمر بالعزل، ومن ثم التداوي وبالأعشاب الشعبية، وفي مطلع القرن العشرين توفرت المؤسسات الصحية في مسقط التي سعت بتطعيم المرضى وغيرهم باللقاح المناسب.

وأهل عمان يؤمنون بقضاء الله وقدره، محتسبين أن هذه الأوبية ابتلاء من الله، ولهم في الأثر القدوة الحسنة، وعلى الخصوص طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب حيث توقف عن دخول قرية عمواس،

فالإيمان بالقدر فيه راحة للنفس واطمئنان للفرد والمجتمع، والتمسك بالعروة الوثقى، مفوضين أمرهم لخالقهم، وصابرين محتسبين لهذا القدر، قال الله تعالى: (ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كُلاً مُخْتَالاً فَخُوراً) سورة الحديد آية 22023، وقال تعالى: (قل لن يُصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)¹

والإيمان الذي نرمي إليه هو الاعتقاد الجازم، بأن هذه الأوبية مقدره وابتلاء من الله وهو الشافي المعافي. وبناء على هذا الاعتقاد الإيماني فيجب التسليم لله واتباع أمره، قال تعالى عزة قدرته: (قل لن يُصيبنا إلا ما كتبه الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) سورة التوبة آية 51، كما يمتثلون بالآية الكريمة قوله تعالى:

(وَلَا تُقْفُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)²

وفي الأثر التاريخي ما واجه صحابة رسول الله في عهد الخليفة عمر بن الخطاب هو وباء الطاعون المعروف بطاعون عمواس³ وهو من الأوبية التي

١ الآية رقم ٥١، من سورة التوبة

٢ الآية رقم ١٩٥ من سورة البقرة.

٣ ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل. البداية والنهاية. ج٧، مكتبة المعارف، بيروت: ١٩٩٢م، ص: ٧٨ - ٨٠

أصاب المسلمين في بلاد الشام، في عام 18هـ/639م وتقع بالقرب من بيت المقدس، والذي حصد أرواح كثيرة من الصحابة والتابعين. ولهذا كيف تعامل الخليفة عمر بن الخطاب والصحابة مع هذا الوباء؟

إن تعامل الخليفة عمر في الرواية التي نقلها البخاري في صحيحه في وقوع طاعون عمواس ببلاد الشام، حيث كان عمر سائرا الى بلاد الشام فالتقاه أمير الجند أبو عبيدة ابن الجراح، فأخبره أن الوباء حل بالشام، فعن ابن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين فدعاهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلّفوا عليه، فقال بعضهم: قد خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلّكوا سبيل المهاجرين، واختلّفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم له، فلم يختلف عليه منهم رجلا، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء.¹

فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا (عليه)، فقال أبو عبيدة: فرارا من قدر الله فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرايت لو كانت لك إبل، فهبطت (بها) واديا له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله، قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف، وكان غائبا في بعض حاجاته،

1 ابن عماد، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق محمود الأرنؤوط، ج1، ط2، بيروت، 1987م، ص: 176

فقال: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه، فحمد الله عمر ثم انصرف»¹.

ولهذا فإن الخليفة عمر منع الدخول والخروج من بلاد الشام وفراره من ذلك كما علله من قدر الله إلى قدر الله وهذا ما أكده الصحابي عبد الرحمن بن عوف، وهو ما يعرف بالحجر الصحي، وهذا ما فعله العمانيون في مواجهة الوباء هو العزل وعدم الخروج من القرى وألزام البيوت والمنازل، وتذكر الروايات في طاعون عمواس أن الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه، حين خلف معاذ بن جبل في ولاية الشام بعد موته، خطب في الناس طالبا منهم أن يشعلوا النار ويختبئوا منه في الجبال بأراض مرتفعة بحيث يبعدهم عن الهواء الملوث في المناطق المنخفضة، وهكذا رفع الطاعون عن أهل الشام، وكان ذلك اجتهادا موقفاً من ابن العاص مخالفاً فيه هدي سابقه. وطبق مبدأ التباعد الاجتماعي.

أولاً: اسهام العمانيين في الطب:

ولعل نسال من يصف هذه الوصفات الطبية للمصابين، فهل يوجد أطباء شعبيين يلجأ إليهم المرضى؟ إن الإجابة نعم وهم متخصصون في ذلك، ونذكر منهم المشهورين: الشيخ عبد الله بن مداد بن محمد الناعبي²، وذكر الشيخ عبد الله احدى الوصفات الطبية شعرا، كما أن الشيخ محمد بن علي بن عبد الباقي لما رثى الشيخ عبد الله أشار لمكانته في الطب وعلاجه للناس³. وابنه الشيخ محمد بن عبد الله بن مداد (ت: 97هـ/1511م)، له وصفات طبية، حيث وصف لرجل أصيب

١ البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: 5729، مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث 219

٢ البطاشي، سيف بن حمود. أتحاف الأعيان، ج٢، ط٤، مكتبة السيد محمد بن حمد اليوسعيدي، السيب: ٢٠١٦، ص: ١٠٤

٣ البطاشي، أتحاف الأعيان، ج٢، ص: ١٠٥-١٠٦

انتفاخا في بطنه، فوصف له بعض الأعشاب الرية، فاستعملها، وبراء المريض¹. كما كان أخيه مداد بن عبد الله بن مداد، وابنه أحمد بن مداد لهما دراية في الطب ويصفون لمرضاهم بعض الأعشاب². وكان الإمام محمد بن عبد الله بن محمد القرن (حي: 984هـ/1576) يحتفظ بخزائنه بعض الأدوية يستعين بها في تقوية حفظه من النسيان ويصفه لغيره³.

والشيخ ذو الغبراء العبري جمع في كتابه «شفاء القلوب من داء الكروب»، كثير من الوصفات الطبية، وخصص أبواباً للأمراض ووصف كل مرض واسبابه وعلاماته، ثم يصف لكل مرض الدواء المناسب من الأعشاب أو اكل اللحوم الحيوانية أو الطيور، ووصف نوعاً خاصاً من المأكولات من الحبوب، كما أنه يصف للمريض الرقية، أو كتابة آية من القرآن كالتائم ونحوه⁴.

إن كتاب الماء تأليف أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي المعروف بابن الذهبي، المولود في صحار، والمتوفى في بلنسية من بلاد الأندلس عام 456هـ/، يعتبر أول معجم طبي لغوي في التاريخ، وألف حسب خروف الهجاء من الألف إلى الياء متضمن الأمراض التي تصيب الإنسان، مع أسماء الأدوية التي تناسب كل مرض، وفق جذور الكلمة مثل مرض الطاعون في مادة طعن، والجذري، في مادة جدر، والجرب في مادة جرب، والبهاق في مادة بهق، وهكذا يمضي الكتاب في مادته⁵.

١ العجمي، خليل بن عبد الله. بدار المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم المخطوط ١٢٣٩ الحياة العلمية في عمان خلال القرنين: ٩-١٠هـ/١٥-١٦م، ط١، الجمعية العمومية للكتاب والأدباء، مسقط: ٢٠٢٢م، ص: ٣٩.

٢ مداد، أحمد بن مداد بن عبد الله. خزائن العباد من أجوبة أحمد بن مداد. مخطوط بدار المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم المخطوط ٢٠٨٠، ص: العجمي، الحياة العلمية، ص: ٢٧.

٣ المعدي، عمر بن سعيد. منهاج العدل. ج١، مخطوط بدار المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم المخطوط ١٢٣٩، ص: ٨٠، ص: ٨٢.

٤ العبري، خميس بن راشد بن سعيد. شفاء القلوب من داء الكروب، ط١، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: ٢٠١٠.

٥ الأزدي، أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري (ت: ٤٥٦هـ). كتاب الماء. تحقيق هادي حسن حمودي، ص٣، ط٢، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠١٥م، ص: ٧-٧٠ مقدمة المحقق.

نأخذ كمثال عائلة آل هاشم في الطب، وأهمهم راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم بن خنيش بن زيد بن عميرة العيني الرستاقى القري (حي: 1016هـ/1607م) الذي له مناظيم وأراجيز مشروحة منها قصيدته الرائية في أعضاء بدن الإنسان، وقصيدته الميمية في العين ونشريحاتها، والتي تتكون من 47 بيتاً، وأهتم بها الكثير من العمانيين فنسخوها، وأصبحت من المراجع الهامة في هذا المجال، وكانت هذه الارجوزة اشتملت على سبعين فصلاً بها قرابة 62 وصفة علاجية من العقاقير العشبية أو المركبة، كما شملت على رسمه تفصيلية عن العين والدماغ¹. وله كتاب «فاكهة ابن السبيل» طبعته وزارة التراث والثقافة في مجلدين، وللشيخ راشد بن عميرة كتاب «منهج المتعلمين» ذكر فيه العلل التي تحدث في جسم الإنسان من الرأس حتى القدمين، وكيفية علاجها²، كما له رسالة في الكي ومواضعه حسب مرض المريض³.

ولللشيخ راشد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم بن خنيش بن زيد بن عميرة العيني الرستاقى القري⁴ قصيدة لامية بعنوان «زاد الفقير وجبر الكسير»⁵ الذي انتهى من نظمها في جمادي من سنة 934هـ/يناير 1528م بالرستاق في عهد سلطانها محمد بن بلعرب بن سلطان بن أبي حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن يعرب بن محمد بن مالك بن يعرب بن مالك. ومطلع القصيدة⁶:

١ البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٢، ص: ٢٨٩- ٢٩٥

٢ البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٢، ص: ٢٥٦- ٢٨٧

٣ البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٢، ص: ٢٦٥- ٢٨٧

٤ الفزازي، بشير بن عامر بن عبد الله. ديوان الفزازي. تحقيق مهنا بن خلفان الخروصي، ط١، مكتبة السيد محمد بن أحمد اليوسعيدي، السيب: ٢٠٠٧م؛ البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٢، ص: ٢٤٤- ٢٥١؛ اليوسعيدي، حمد بن سيف. قلائد الجمال في أسماء بغض شعراء عمان، ط١، مسقط: ١٩٩٣م، ص: ٩٣- ٩٥

٥ ابن هاشم، راشد بن خلف. منظومة زاد الفقير وجبر الكسير بمكتبة السيد محمد بن أحمد اليوسعيدي بالسيب، مخطوط رقم ١٨١٥، ونسخت في يوم الأربعاء ربيع الثاني ٩٤٢هـ/أكتوبر ١٥٣٥م، وناسخها قاسم بن أحمد بن قاسم للشيخ عمر بن سعيد المعد. وكان مؤلفها انتهى من تأليفها في جمادى ٩٣٤هـ/يناير ١٥٢٨م.

٦ البطاشي، اتحاف الأعيان، ج٢، ص: ٢٤٤ - ٢٥٠

أقول مقالاً مُحكماً ومفصلاً لأهل النُّهى في الطب علماً مَّكَملاً

ومن هذا البيت برز أطباء منهم عميرة بن ثاني (ت: 939هـ/1532م)، وعلي بن مبارك بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم، ومنهم خميس بن سالم بن خميس بن درويش بن راشد بن نمر بن راشد بن عميرة بن ثاني الذي كان حياً في عام 1232هـ/1817 وله وصفات طبية

ومن أطباء عمان الشيخ الطبيب علي بن عامر العقري النزوي (حي في بداية القرن 12هـ/17م)¹، والطبيب بشير بن عامر بن عبد الله الفزاري الإزكوي (حي في سنة 1110هـ)²، وله ديوان منشور طبع على نفقة مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالسبب 1428هـ/2007م³، كما أنه نسخ كتاب «نهج البلاغة تأليف محمد بن الحسن العلوي الحسيني في غرة شهر رمضان 1115هـ ودون اسمه كاملاً «بشير بن عامر بن عبد الله بن بلعرب بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد الفزاري»⁴. وكان في عصر الطبيب علي بن عامر، ولهما وصفات طبية نظاماً⁵.
وللفزاري بشير منظومة في الطب، مطلعها⁶:

نظمت لكم درأً من نظمي رجاء ثواب الله ذي النائل الجسمي

وهناك وصفات طبية في مؤلفات علماء الدولة اليعربية كالشيخ خميس بن سعيد الشقصي، وغيره، وفي القرن الثالث عشر الهجري، وللشيخ مهنا بن محمد بن

١ البطاشي، سيف بن حمود. أتحاف الأعيان. ترتيب د سعيد بن محمد الهاشمي ج٣، ط٤، مكتبة السيد محمد بن حمد البوسعيدي، السبب: ٢٠١٦، ص: ٣٩٨

٢ البطاشي، أتحاف الأعيان، ج٣، ص: ٦٧

٣ مخطوطة ديوان الفزاري، بدار المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مسقط، مخطوط رقم ٢٢١

٤ السعدي، فهد بن علي. فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي. ط١، ذاكرة عمان، مسقط: ٢٠٢٠م، مخطوط رقم ١٥٣

٥ الفزاري، بشير بن عامر بن عبد الله. مختصر في الطب. مخطوطة بدار المخطوطات ووزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم ١٧٩٩

٦ الفزاري، بشير بن عامر بن عبد الله، وعلي بن عامر بن عبد الله. منظومة في الطب. مخطوط بدار المخطوطات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط، مخطوط رقم ٤٠٤٧

أحمد الإسماعيلي كتاب بعنوان « مختصر في الطب » وقال في مقدمته « اعلم أيها الواقف على هذا الكتاب سألني سائل بأن أبين له بما فتح الله تعالى لعبده»¹، وللحكيم ناصر بن علي بن مطر الهنائي كتاب « الأسرار في فوائد عروق الأشجار» يشتمل على أبواب وفصول في عروق الأشجار². وألف سليمان بن راشد العوفي كتاباً سماه «جواهر المنافع في الأسرار والعزائم وبعض الادعية المأثورة، وللشيخ سالم بن سعيد الصائغي رسالة في الطب تحتوي على عدة أبواب طبية. وللشيخ محمد بن سعيد العيسائي بعض النظم في الطب كقصيدة في الرمد وبياض العين وغيرها³. وكتاب التسهيل للشيخ أبي محمد عيسى بن صالح الصوافي، ونسخ كتب في الطب والعقاقير منها كتاب في علم الطب⁴ الذي نسخه في 28 شعبان 1263هـ/ نسخته لنفسه⁵.

ووجدت وصفات طبية للشيخ الفقيه جمعة بن خصيف بن سعيد الهنائي (توفي في نهاية القرن 19م)، له وصفة طبية في فوائد الزنجبيل⁶. وفي القرن العشرين وجدنا كذلك بعض من مارس الطب كالشيخ القاضي أبو زيد عبد الله بن محمد بن رزيق الريامي (1301هـ/1884م – 1364هـ/1945م)، كان يأتوه الناس فيقرأ عليهم القرآن، كما يصف لبعضهم الوصفات المناسبة. وكذلك تلميذه الشيخ القاضي منصور بن ناصر الفارسي (1895م – 1979م)، وصالح بن راشد بن مرهون بن

١ الإسماعيلي، مهنا بن محمد بن أحمد. مختصر في علم الطب. مخطوط بدار المخطوطات، فهرس المخطوطات: الطب والكيمياء، ج٤، ط١، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٦م، مخطوط رقم ١٨١، ص: ٨٢

٢ الهنائي، ناصر بن علي بن مطر. الأسرار في فوائد عروق الأشجار. مخطوط بدار المخطوطات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط، مخطوط رقم ٢٢٥

٣ السيابي، صالح بن محمد بن سليمان. العمانيون والعلوم التجريبية: الطب والهندسة والفلك والملاحة، ط١، مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، مسقط: ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ص: ١٣٣

٤ مخطوطة علم الطب الذي نسخه الشيخ أبو محمد الصوافي بمكتبة الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي بالمضرب محافظة شمال الشرقية.

٥ السيفي، السلوي، ج٢، ص: ١٤٣

٦ السعدي، معجم الفقهاء، ج٢، ص: ١١٩-١٢٠

سعيد الشكلي، كان أحد المهرة في الكي وتجبرة الكسور وعلاج الأمراض الباطنة^١، والشيخ عبد الله بن حميد بن عبد الله الحارثي من أهل المضرب بشرقية عمان، وكان بارعا في مختلف العلوم والعلل ذكر ذلك كتاب «اللؤلؤ الرطب»^٢ ومن الذين يصفون العقاقير للمرضى الشيخ عبدالله بن الامام سالم بن راشد الخروصي (ت: 1418هـ/1997م)، والشيخ الشيبه محمد بن عبدالله السالمي (1896م - 1985م) كان يجيد الرقية على المريض ويصف للمرضى بعض الوصفات ذكرها في كتابه «الروض النضير»، والسيد حمد بن سيف البوسعيدي وغيرهم كثر وكان يصفون بعض الأدوية المناسبة.

ومن الباصرين عزة بنت خلفان بن نصير بن صالح بن ناصر بن محمد الكندية من سكان ولاية نخل. كانت تعالج الناس من الكواسح والريح والشيبه (الزائدة الدودية)، وأبو صفار، وصفار الكبد، والنزول الأبيض، ولما أصاب أهل نخل مرض الجدري وتم عزهم عن الناس في مكان نائي، كانت الفاضلة عزة تجلب لهم الطعام^٣.

وبقى أن نقول في خلاصة اسهام العمانيون، حيث امتهنوا الطب ومارسوه بالتجربة، وصنفوا فيه ولهم أراجيز قصيرة ومطولة في أمراض بعينها^٤.

ثانياً: العلاج بالقرآن الكريم والتضرع لله والتقرب له بالصلاة والدعاء والصدقة^٥
لقد عرف إبراهيم الأزرق في كتابه «تسهيل المنافع» بأن الطب علم عظيم

١ السيفي، محمد بن عبد الله. السلوس في تاريخ نزوى. ج١، ط١، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠١٧م، ص: ٣٧٦-٣٧٢
٢ الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان. اللؤلؤ الرطب. ط١، مسقط: ١٩٨٥م، ص: ١٤١ وما بعدها
٣ الكندي، خالد بن سليمان، الحضرمي، منير بن ناصر. أعلام نخل. بحث نشر ضمن أبحاث ندوة نخل عبر التاريخ، ط١، المنتدى الأدبي، مسقط: ٢٠١٦م، ص: ٨١.
٤ العزري، ناصر بن حماد. إسهامات العمانيين في مجال الطب. بحث قدم لندوة إسهام العمانيين في العلوم التطبيقية، جامعة السلطان قابوس، المنعقدة في: ٧ ديسمبر ٢٠١٥م، ص: ٣
٥ كنعان، أحمد محمد. المنهج الوفاي في الإسلام. عالم الفكر، ج٢٨، العدد ١، الكويت يوليو/سبتمبر ١٩٩٩م، ص: ٩-٤٠

نفعيه وقدره، وعلا شرفه وفخره، وأشهر فضله، وذكره وثبت في الشرع أصله¹.
وأما التداوي من هذه الأوبئة التي اجتاحت عمان، أول هذه الأدوية الايمان ما
قدره الله تعالى، ولهذا لجأوا إلى القرآن الكريم مصداق لقول الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ
مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}،² وقوله
تعالى: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ}،³ وقال: {يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}،⁴ وفي رواية أبي الدرداء
أن النبي قال: «تداووا ولا تداووا بحرام»⁵. ولهذا فإن الشريعة الاسلامية احلت
التداوي إلا بالدواء الحرام وما اختلط بالنجاسات، ومن العلماء من أحل ذلك في
نطاق محدود وضرورة⁶.

ولهذا لجأ العمانيون في طلب الشفاء من رب العالمين فأكثرُوا من قراءة القرآن
على مرضاهم مع الصبر على البلاء. والاكثار من الأدعية والرقية والتسبيح،
والتهليل، وكثرة صلاة النوافل، والتصدق على المحتاجين، والتقليل من الاختلاط
وعدم ارتياد الأسواق الا للحاجة. والتضرع لله أن يرفع هذه الأوبئة. وهناك من
المتخصصين في الرقية الشرعية، أو عمل حورة بأن يعزم على المريض بسورة
ياسين من المس أو الزيغان، حيث يقرأ على كسر من الملح مع شيئاً من المسامير
أو الإبر، وترك تحت مخدة المريض، أو تعلق على مدخل لبيت أو غرفة المريض

١ الأزرقي، إبراهيم بن عبد الرحمن. تسهيل المنافع في الطب والحكمة. مخطوط بدار المخطوطات العمانية رقم ١٧٩٢،
نسخه محمد بن ناصر بن سليمان المعولني عام ١٢١٨هـ.

٢ الآية رقم ٨٢ من سورة الإسراء

٣ الآية رقم ٨٠ من سورة الشعراء

٤ الآية رقم ٥٧ من سورة يونس

٥ الحديث أخرجه أبو داود في السنن في كتاب الطب تحت رقم ٣٨٧٤؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/٢٥٤؛ والبيهقي
في السنن الكبرى ٦/١٠؛ والهيثمى في مجمع الزوائد ٨٩/٥

٦ الصراط، محمد بن عبد الله. ضوابط صناعة الدواء في الشريعة الإسلامية. مجلة جامعة الأنبار الإسلامية، العدد ٤٩،
السنة ١٢، المجلد ١٢، ص: ٤٩

ومنهم من يكتب التمام والحروز على جلد أو رق أو على قرطاس، والقصد من التميمة أو الحرز أن تتم به أمر الخير أو دفع الضرر. وهذه الأنواع من التمام والحروز أنواع بحسب حالة المريض، ولكنها لم يؤذن بها شرعاً ولا قدراً، ومنهي عنها. ولكن من هناك من يجيز التمام لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفرع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، وعقابه، وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»¹. فكان عبد الله بن عمرو يُقننها مَنْ بلغ من ولده، ومَنْ لم يبلغ منهم كتبها في صلِّ ثم علَّقها في عنقه. وهذا الحديث يتعارض مع حديث رسول الله أنه قال: «إن الرُّقي، والتَّمام، والتَّولة شرك»². كما يكتب للمريض آيات قرآنية على صحن بالزعفران وماء الورد (يعرف بالمحو) ويلعق المريض الكتابة كل صباح³. ومن الذين يعالجون عوارض الجن الشيخ سعيد بن محمد بن سيف بن ناصر الكندي (ت: 1328هـ/1910م)، والشيخ محمد بن شامس بن عبد الله بن سالم الرواحي (ت: 1360هـ/1942م)، وكان الإمام محمد بن عبد الله الخليلي (1338هـ/1920م - 1373هـ/1955م)، يفضل علاجه في عوارض الجن⁴. وكان الإمام محمد يجيد الرقية الشرعية على الماء ويسقيه المريض ويشفى⁵. والشيخ صالح بن علي الحارثي (ت: 1314هـ/1896م) حدد الرقية الشرعية من

١ انظر: سنن أبي داؤود ص: ٦٩٨ الحديث رقم ٣٨٩٣؛ سنن الترمذي، ص: ٨٠١، الحديث رقم ٣٥٢٨، سند الإمام أحمد، ج٢، ص: ١٨١، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: ٧٠١

٢ أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في تعليق التمام، برقم (٣٨٨٣)، وابن ماجه: أبواب الطب، باب تعليق التمام، برقم (٣٥٣٠)، وأحمد في «المسند»، برقم (٣٦١٥)، وقال مُحققوه: «صحيحٌ لغيره، وهذا إسناده ضعيفٌ؛ لجهالة ابن أخي زينب، لكثرة متابيع كما سيرد، وبقية رجال الإسناد ثقات، رجال الشَّيخين غير يحيى بن الجزار، فمن رجال مسلم»، وابن حبان في «صحيحه»، برقم (٦٠٩)، و«صحيح الجامع»، برقم: ١٦٣٢

٣ ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي. الطب النبوي. دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٣٣هـ.

٤ الحضرمي، منير بن ناصر. بهجة المحل في أعلام نخل، ص: ٥٥، ص: ٥٧، نقلاً من ندوة نخل عبر التاريخ، ص: ٤٤

٥ السيفي، النмир، ج٥، ص: ١٧٣

القرآن الكريم إذ يقول: «والرقي بالفاتحة والبسمة، وشفاء من كل داء» و«ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة»¹.

ثالثاً: العلاج بالأدوية: شراباً أو أكلاً

وحفاظاً على صحة الإنسان وقوة بدنه وكرامته، فقد لجأ أيضاً الإنسان العماني إلى التداوي، مصداقاً لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام ففي رواية أحمد بن حنبل من حديث أنس بن مالك مرفوعاً عن رسول الله انه قال: «إن الله عز وجل حيث خلق الداء خلق الدواء، فتداواوا»، ووردت أحاديث نبوية كثيرة اتفقت معنى واختلفت لفظاً التي تدل كلها على التداوي².

وقد تنوعت الأدوية منها تؤكل ومنها تشرب، ومنها للاستحمام بها ومنها أن يمرخ بها على سائر جسده. ومن الأشياء التي تؤكل أو تشرب العسل، والثوم والبصل، والحبة السوداء والقرنفل والزنجبيل والزعتر، واللبان، والكرم، والحلبة، والسنوت، والليمون، وتنقيع ثمرة القرط وشربه، والزبيب، والهيل، والزعفران، والصبر، والكافور، والملح، والسكر والفلفل الأسود والأحمر، والمر الأحمر، والصبر، والنيل، نبات مخيسة الفار، وحبر سمكة الحبار، زيت السمسم، حليب الماعز أو النوق، الخيل، والغليون، وغيرها. وهذه الأدوية يتوقع منها شفاء المريض بإرادة الله تعالى لا الدواء ذاته، وإنه بتركه يكون الضرر.

رابعاً: العلاج بالأدوية: استحماماً أو مروخاً

وأما الأدوية الخاصة بالاستحمام أوراق السدر، ونبات الحرمل، والكافور،

١ الحارثي، صالح بن علي بن ناصر. عين المصالح في جوابات الشيخ صالح. جمعه ورتبه: أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين، تحقيق: أحمد بن سالم بن موسى الخروصي، ط١، ذاكرة عمان مسقط: ٢٠١٧م، ص: ٧٩.
٢ اطفيش، امحمد بن يوسف. ثحفة الجب فيأصل الطب. تحقيق الحاج سليمان بن إبراهيم بربز الوارجلاني، ط٢، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠١٩م، ص: ٥٠-٥٠.

والقرط، وورق نبات الأشخر، والكركم، وزيت الزيتون، وزيت السمسم، وزيت الخروع، واللبان، ونبات العشرق، والسيداف، وننقل هنا ما كتبه الشيخ راشد بن خميس بن عيسى بن أحمد البوسعيدي بما قيده في الجزء الثاني من جامع الأحكام¹ ما يلي: « واتخذوا له دواء سهم من السعتر (الزعتر)، وسهم لبان، وسهم كبريت، وسهم هيل، وسهم أو سهمين فلفل أحمر وفلفل أسود، وسهم ملح، ويمج (يمزج) باللومي (بالليمون)»، ويسقى المريض هذا الدواء الموصوف. ومن أصابه المرض يَكُن في مكان عازل ويلحف حتى لا يتأثر بالهواء الملوث، ويمنع الدخول عليه الا من يخدمه في المأكل والمشرب والتداوي والتدفئة»².

خامساً: العلاج بالكي، والاعتزال والتجبير

الكي:

إن العلاج بالكي (الوسم)، هو نوع من العلاج الذي يستخدم به أهل عمان. وأن الباصر (الطبيب الشعبي) الذي يقوم بمعالجة المرضى، إذا احتاج المريض، وأنه يرجى أن ينفعه الله به ولا يجوز غير العارفين أن يقوموا بذلك من دون دراية ولا خبرة، وذلك للآثار الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لما ثبت عن جابر بن عبد الله قال : بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه³، كما ثبت من أن سعد بن معاذ -رضي الله- عنه لما رُمي، كواه النبي -صلى الله عليه وسلم- بمشقص (نوع من السهام)

١ الأركوني، أبو جابر محمد بن جعفر. جامع الأحكام، ج٢، مخطوط بخزانة الشيخ حمد بن عبد الله البوسعيدي، قرية الشريعة، ولاية المضبيبي.

٢ البوسعيدي، راشد بن خميس بن عيسى البوسعيدي (كان حياً في عام ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م). قيد وصفة طبية على الجزء الثاني من كتاب جامع الأحكام تأليف محمد بن جعفر الأركوني، انظر: فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمد بن عبد ابن حمد البوسعيدي، ذاكرة عمان، مسقط: ٢٠٢٠م، ص: ٨٠-٨١.

٣ الحديث في صحيح مسلم رقم ٢٢٠٧ ورواه الصحابي جابر بن عبد الله

في أحله¹، وروي الترمذي في سننه عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كوى أسعد بن زرارة من الشوكة ، وقال : حسن غريب. وفي صحيحين؛ البخاري ومسلم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : ”الشفاء في ثلاثة : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار ، وأنهى أمتي عن الكي“² وفي لفظ آخر : ”وما أحب أن أكتوي“، فدل فعله وإخباره صلى الله عليه وسلم، بأنه من أسباب الشفاء على جواز العلاج به عند الحاجة إليه، وأما نهيه أمته عن الكي فيحمل على ما إذا لم يحتج إليه المريض؛ لإمكان العلاج بغيره، أو على أن العلاج به خلاف الأولى والأفضل؛ لما فيه من زيادة الألم والشبه بتعذيب الله العصاة بالنار ، ولهذا أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن نفسه بأنه لا يحب أن يكتوي، وأثنى على الذين لا يكتونون ؛ لكمال توكلهم على الله، وينبغي أن يتولى ذلك خبير بشؤون الكي ؛ ليكوي من يحتاج إلى هذا النوع من العلاج في الموضع المناسب من جسده ، ويراعى ظروف المريض وأحواله.

وفي التاريخ أن الأطباء القدماء قد تعرضوا للعلاج بالكوي في كتبهم ودونوا الكثير من الأمراض التي قد يفلح فيها هذا النوع من العلاج ومن هذه الأمراض عرق النساء³.

ومن هؤلاء الطبيب أبو القاسم خلف بن عباس الزهرّاوي (325هـ/936م - 400هـ/1013م)، وله كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وقسم كتابه إلى ثلاثين مقالة. والمقالة الأخيرة بعنوان العلاج باليد، وقسم هذه المقالة إلى ثلاثة أبواب: وأول هذه الأبواب في الكي، وثانيه في شق البطن وخرزه، وثالثه في

١ الحديث في صحيح مسلم رقم ٢٢٠٨ ورواه الصحابي جابر بن عبد الله

٢ الحديث في صحيح البخاري رقم ٥٣٥٦ في باب الشفاء في ثلاث، رواه ابن عباس

٣ ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص: ١٠٤، ابن هاشم، راشد بن عميرة. فاكهة ابن السبيل. ج١، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: ١٩٨٤م، ص: ١٤٠ - ١٤١

الجبيرة^١.

كما يذكر ابن هاشم راشد بن عميرة أن صاحب وجع النساء الذي يعرض من أجل كثرة الرطوبة البلغمية في الورك وتنخلع فخذة ثم تعود إلى موضعها فتضمر وتنتقص فخذة إن لم يبادر إلى تجفيف تلك الرطوبة بالكي. الذي يكون تحت كعب الرجل وفي موضع آخر يقول وجع الورك يكون من «فساد» الصفراء ويكون من كثرة القيام في الشمس فتجف لذلك رطوبة الورك^٢. وينفع من وجع الورك قطع العرقين اللذين عند خنصر القدم والحقن والحمام والأضمة المليئة أولاً ثم المحللة، قال: فإن لم ينفع ذلك كوي على العصب الذي في الظهر إلى جانب الكلية وعلى الفخذين أربع كيات وعلى الركبتين أربع كيات وعلى كل ساق بالطول موضعين وأربع كيات عند الكعب وأربع على أصابع الرجلين. كما يذكر الرازي في كتاب الحاوي في الطب أن أجود أدوية الطحال الكي على العرق الذي في باطن الذراع الأيسر. ومنها علاج المفاصل: حيث يقول الرازي من كان وجعه بارداً فليكوي مفاصله فإن الكي أعمل في يبس المفاصل. والمفصل الذي يكون كل ساعة ينخلع ويرتد بأدنى سعي ثم ينخلع ثم يرتد كمفصل الورك والكتف يكون علاجه بالكي لا غير ولا بن عميرة رسالة بعنوان: «رسالة في الكي بالنار ورسمه وهيئة آلاته الحديدية»^٣، يقول فيها: «اعلم أن الكي لا يكون إلا من علة تولدت من رطوبة مع الحرارة، أو الرطوبة مع البرودة، وأما مع يبس فلا، ولا ينبغي ذلك أصلاً»^٤.

١ الزهرلاوي، أبو قاسم خلف بن عباس. كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف: المقالة الثلاثون. تحقيق الدكتور محمد عباس زكور، منشورات هيئة العامة السورية، للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق: ب. ت. بدون أرقام للصفحات

٢ ابن هاشم، راشد بن عميرة. فاكهة ابن السبيل. ص: ١٤٠ - ١٤١

٣ ابن هاشم، راشد بن عميرة. رسالة في الكي بالنار ورسمه وهيئة آلاته الحديدية. مخطوطة بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدني بالسبيل رقم المخطوط: ١٢٣٧.

٤ المنتدعي الأديبي، من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين. ط١، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٨، ص: ١٥٥.

والكي يكون آخر الحلول في العلاج فلا يلجأ إليه الانسان إلا بعد أعْييه الطرق، وإذا تعين العلاج به فهو يدخل في باب ارتكاب أخف الضررين لإزالة أكبرهما، فالكي ألم ومرض يجوز الاستعانة به للتخلص من مرض أكبر وأخطر، والانسان طبيب نفسه، فإذا أيقن أن الكي يسهم في شفائه يجوز له الاستعانة بالرجل الكبير الذي يمتلك الخبرة وأصبح ماهراً في وضع الكية، فما تقدم الطب إلا بفعل التجارب¹. وفي عمان قديماً وحديثاً من يجد الباصر الماهر للوسم، وهم في يتواجدون في معظم محافظات السلطنة، لكن تختلف المعرفة والخبرة بين باصر وآخر، فلزال هذه المهنة تزاوّل في عمان، ففي جعلان بني بو علي الباصر خميس بن سالم السندي، وفي ولاية صور عدد لا باس بهم توارث التطبيق من أمثال جمعة بن راشد الفارسي، وسالم بن عبد الله بن راشد السناني، وعبد الله بن صالح الخميّاسي العريمي (1902م – 1989م)، وغيرهم².

الاعتزال:

أما الاعتزال فيعزل المريض خصوصاً الذين يصابون بالسل والجزام والجذري، والحصبة، والسعال الديكي (الشهاقية)، وحتى المصابون بالتهاب العين منها: الرمد (التراخوما Trachoma)، وضعف النظر، وآلام الجفون حيث ينبت في الجفن من الشعيرة وأكثرها من حبات الرمل، وتكون مليئة بالقريح، وهي تنمو وتنتفخ ويلقي المصاب معانه وصعوبة في التركيز، وتقلص القدرة على الرؤية.

الجبيرة:

يتعرض الكثير من الأشخاص للكسور في الكثير من المراحل العمرية،

١ الهونني، فرج محمد. تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ط١، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي:

١٩٨٦م، صفحات مختلفة من الكتاب

٢ الغيلاني، محمود بن حمد بن محمد. ولاية صور. ط١، صور: ٢٠٠٩، ص: ٣٩١ - ٣٠٣

ويضطروا لاستخدام الجبائر، لأنها تساعد العظام حتى تنجبر وتلتئم، وتساعد الأنسجة كي تنمو مرة أخرى حول العظام¹.

استخدمت أشكال مختلفة من الجبائر بشكل متقن على مر التاريخ. وهو علاج قديم لجأ له الناس قبل أن يتوصلوا إلى العلاج الحديث، واكتسبت الجبيرة شعبية كبيرة في عمان، ويثقون في المجر أكثر من الطب الحديث. وتتألف الجبيرة من جملة أعواد خشبية الصغيرة، يضاف إليها بعض المواد كبودرة السدر، والمر، ممزوج بالشعر ثم يلف بقماش أو قطن ويربط برباط محكم؛ لتثبيت مكان المصاب. وهي عبارة عن دعامة يتم وضعها على مكان الكسر، ليتم سند وتدعيم منطقة الإصابة. وحتى يومنا هذا، يتم استخدام الجبيرة عادة لتأمين وتثبيت الكسور أو الالتواءات وتقويم العظام.

ولا تكاد تخلو أي محافظة من محافظات السلطنة من وجود مجبر. ولا يزال يمارس حتى يومنا هذا في عدد من ولايات السلطنة، وهو يعتمد على الدقة والمهارة في التعامل مع الكسور وتشخيصها وتجبيرها لتتعاوى.

وفي ترثنا ذكره كتاب فاكهة ابن السبيل للشيخ راشد بن عميرة بن محمد بن عبد الله العيني الرستاقى، وهو من الكتب التي تناولت الطب وعلاجه. وفي قصيد الشيخ راشد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن هاشم العيني الرستاقى المعروفة «بزياد الفقير وجبر الكسير»، الذي خصصها للكسور²

وفي فترة اليعاربة برز الطبيب علي بن عامر بن عبد الله النزوي وهو طبيب متجول وهو الذي أثنى عليه العلامة خلف بن سنان الغافري حيث تمكن من صنع له رجلا من الخشب بعد إن بتر ساقه. وللشاعر بشير بن عامر الفزاري الذي

١ مجهول، أوصاف علاجات تجبير الكسور. مخطوط بدار المخطوطات وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مخطوط رقم ١٨١٠
٢ المنتدس الأدبي، من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين. ط، وزارة التراث والثقافة، مسقط: ٢٠٠٨

عاصر الطبيب علي بن عامر النزوي بعض المسائل النظمي في طب، وتشير بعض المخطوطات أنه « تم مختصر الطب من نظم الطبيب الحاذق الماهر بشير بن عامر بن عبد الله الفزاري وعلي بن عبد الله بن عبد الله النزوي»¹.

وفي مقالة الكاتبة شيخة الفجرية بعنوان «التراث الطبي العماني»² التي استندت إلى الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه: (تنوير الأذهان بخصال أهل عمان): «كانت عمان في العهود التي مضت جامعة كل شيء من متطلبات الحياة، كان فيها أطباء معروفون، لهم دراية للأمور من نفس أفكارهم ومن ابتكارهم، فقلوبهم كتب مرشدة، وخزائن محيطية، ولهم معرفة تفوق الغير... وأطباء أهل عمان نوعان: بعض منهم أطباء بعقولهم، وبعضهم أطباء بمنقولهم، وكلهم على صواب، إلا أنهم تنقصهم الآلات هي الوسائل في العلاج... ومنهم: شيخنا الفارسي سعيد ووالده راشد بن مسلم، من أهالي خضراء بني دفاع، من وادي عندام، وكلاهما طبيب، له معلومات عالية متنوعة. ومنهم الشيخ الأكرم عبد الله بن حميد بن عبد الله الحارثي، في منطقة الشرقية كانت له في الطب نوادر معروفة، وبوادر موصوفة. ومن أطباء عمان الشيخ المعروف بابن طريف سلام بن حميد العبودي في سمائل، كان يدرك علة الجذام في الإنسان بمجرد الرائحة، وبنفس المقابلة، ويقال: أنه هو وعائلته كلهم لهم خبرة بهذا الداء الدفين، ولهم فيه نوادر... وكان عمل التجبير عند أهل عُمان سهلاً ميسوراً، كما أنه عند الدكاترة صعباً عسيراً، ومع ذلك لم يكونوا أخذوه عن مدرسين كما هو العمل في تعلم الطب العصري ويعرف بهذا الفن بعمان كثيرون، كما أنه يجهله من علماء الطب العصري كثيرون، وإن تعاطوه لم ينجحوا فيه».

وفي عصرنا شاع المجبر خميس بن سليم بن عبد الله آل فنه العريمي (1905م

1 الشيباني، سلطان بن مبارك والعيسري، محمد بن عامر. نوادر المخطوطات العمانية. ط، وزارة التراث والثقافة، مسقط:

٢٠١٥م، ص: ٣٠٩

2 نشرت الكاتبة شيخة مقالاتها في عالم الثقافة بتاريخ ١٩ يونيو ٢٠٢١م

- (1983)، في ولاية صور، وبعد وفاته أصبح ابنه علي بن خميس يقومون بذلك. وفي بركاء يوجد المجبر سعود بن خلف بن عبد الله الفليتي كأحد المجبرين للكسور وورث هذه المهارة عن والده الذي ورثها عن جده. وأكثر المجبرين توارثوها عن آبائهم وأجدادهم سواء ذكر أو أنثى، وسواء للتجبير الإنسان أو الحيوان على السواء

سادساً: العلاج باللقاح والتطعيم

كما أن العمانيين توصلوا الى لقاح للمصاب بالجذري، وهذا اللقاح جاء في فتوى الشيخ سعيد بن بشير الصبحي (ت: ذي الحجة 1150هـ/ مارس 1738م)¹ ونصها:

السؤال المطروح هو: «مسألة: وفيمن عنده ولد، وجاءه الجذري، في بلده، وصار أهل البلد يأخذون من المجدور (المريض) قشراً، ويشطبون أولادهم في أبدانهم حتى يخرج من الدم، ويضعون في الجرح قشر الجذري؛ لأنهم يقولون إذا فعلوا كذلك يجئ أولادهم قليلاً من حب الجذري، أيجوز لمن أراد أن يفعل ذلك لولده، على نظر الصلاح؟ أرأيت إذا فعل أحد لولده، وجاءه الجذري كثيراً، ومات الولد أيلزمه شيء أم لا؟ وجاء في عينيه وعميت عيناه، أو ضرب الجرح الذي جرحه إياه، أيلزمه شيء من الديات والأرش؟

الجواب: قال: «إني لا أحفظ في هذا شيئاً، وأحب إليّ ترك جميع ذلك، وإن فعل ما ذكرته (السائل) طلب السلامة والعافية، فأرجو أن لا شيء فيم يتولد منه، والله أعلم»

السعدني، فهد بن علي. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. ج ٢، ط ١، مكتبة الجيل الجديد، مسقط: ٢٠٠٧م، ص: ٦٤-٦٩

المحور الثالث: أثر الأمراض على المجتمع: اجتماعيا واقتصاديا

إن الحروب والأوبئة لها تأثير بالغ، وواقعي على المجتمعات، حيث ينكمش الديموغرافي للمجتمع، وتسبب انخفاض حاد في حجم السكان، مما تقل العمالة الوطنية، كما يقل الإنتاج الزراعي، ويتأثر الإنسان تأثيرا كبيرا في نفسيته وصحته، وبيئته وتفكيره، ومجتمعه. بالإضافة إلى الخسائر البشرية التي تتسبب بها، وحدوث تضخم اقتصادي، وشهد انخفاضا في إنفاق المستهلكين، وتباطأت النشاطات الزراعية والصناعة بسبب القيود التي فرضتها الأوبئة على الحركة. في هذا المحور نرصد المجالات التي تأثرت من جوانح الأوبئة والأمراض التي اجتاحت عمان عبر تاريخها الحديث.

1 المجال الاجتماعي:

لا شك أن للأمراض - كما حصل في وقتنا الحالي - أثرا كبيرا على المجتمع العماني صحيا واقتصاديا واجتماعيا. فهذه الأخطار التي تصيب السكان وتهدد الأمن الاجتماعي وتفكك العائلات وتزهق الأرواح في جميع فئات العمرية. وقد أشرنا خلال هذه البحث أن مات بسبب ذلك كثير من العلماء، والقضاة، والفقهاء، والأعيان، ورجال الإدارة والسياسيين، فشكل فراغا في الأمور الدينية ونقص في العلماء، والقضاة ورجال الدولة، فإذا كان في سمد الشأن ومن قبيلة الزكوانيين مات تسعين نفسا فقط من الفئات العمرية المختلفة. ترى الحفناوي أنه «تعد الأوبئة من الخبرات الاجتماعية التي تترك تأثيرات طويلة المدى، وتظل انعكاساتها لسنوات، وقد تساهم في تطوير أو تغيير الملامح الاجتماعية للدول، خاصة مع زخم التفاعلات التي تصاحب فترة وجود الوباء. وعلى الرغم من أن الأزمنة الحالية التي يمر بها العالم تأتي في سياق مغاير تماما للأزمات المشابهة التاريخية، حيث تلعب الحلول التكنولوجية عاملا في ظهور حلول مبتكرة، وتلعب وسائل

التواصل الاجتماعي عاملاً مركباً آخر بين نشر الوعي والشائعات وتخفيف حدة «التباعد الاجتماعي»¹.

وبهذا أدت هذه الأمراض إلى اختلال في التركيبة السكانية، ونقص في الخدمات الصحية مثل الأغذية والمياه والسكن المناسب؛ حيث يؤدي سوء التغذية الناتج عن الفقر الشديد إلى تدهور صحة الفرد الجسدية والذهنية وعدم توفر المياه الصالحة للشرب داخل منازلهم، يؤدي تلوث المياه التي دائما تكون مصدرها من الأفلاج الغيلية المكشوفة والآبار وبرك المياه غير الصحية. كما أن المنازل غير صحية خاصة المنازل التي تعاني من تمديدات صحية غير سليمة- مما يصابون الأطفال بأمراض عدّة منها الإسهال الشديد، والالتهابات المعويّة وغيرهما، كما تتسبب المنازل التي تفتقر إلى التهوية الجيدة لساكنيها بالإصابة بأمراض مختلفة مثل مرض السلّ، والملاريا²

وتفشي الحالات الاجتماعية كالأرامل والتيتيم والمجاعة، والجهل، وتكثر السرقات، وانعدام التعليم، وانتشار الأمية، والجهل، والانحراف الأخلاقي الذي يعد ركنا أساسيا من أركان السوك والقيم الاجتماعية التي تواضع عليها الناس في مجتمعهم. واختلال في الأمن، كذلك هناك حالات النفسية كالجنون والانتحار وغيرها. وبالتالي نقص في التركيبة السكانية.

② المجال الاقتصادي:

يتأثر الاقتصاد بانتشار الأوبئة في المجتمع؛ وذلك بأنه يتسبب النقص في العمالة المحلية وبالتالي يقل الإنتاج المحلي حيث تدهور الزراعة، والصناعة،

1 الحفناوي، هالة. سيكولوجيا الأوبئة: ماذا يحدث للمجتمعات عند تعرضها لوباء مفاجئ؟؛ مقالة نشرت في جوجل بتاريخ الثلاثاء ١٧ مارس ٢٠٢٠م.

٢ الحجري، هلال. عمان في عيون الرحالة البريطانيين. ترجمة: خالد البلوشي، دار النشر العربي، بيروت، ٢٠١٢م، ٤٦٦-٤٦٧

وانقطاع مصادر الرزق لفئات المجتمع لقلة العمل، أو العجز عن العمل، وكسب المال، وذلك لوجود إعاقة جسميّة أو علة نفسيّة، أو مرض مزمن يمنع الشخص أو الأسرة من تأمين الحاجات الأساسية للحياة وبالتالي تأثرت الواردات والصادرات مما يؤدي الى غلاء شديد في الأسعار. ويسبب انخفاض في معدل النمو الاقتصادي وانخفاض في عدد القوى العاملة الخبيّرة، وعدم توفر الوظائف المتاحة. والعجز عن تطوير قطاع الزراعة. وارتفاع معدل التضخم الاقتصادي خلال فترة الأزمات. ارتفاع معدل النمو السكاني. ارتفاع الفجوة الاقتصادية بين أفراد المجتمع الواحد في مستوى الدخل، أو الأملك، فيظهر الأثر الإيجابي أثناء فترة ازدهار الاقتصاد على فئة الدخل العالي فقط، فيما تبقى فئة الدخل المنخفض على حالها. التعرّض للحالات المفاجأة مثل الأزمات الاقتصادية، أو الكوارث الطبيعية، أو الفقر البيئي

3 المجال الثقافي:

ثقافة المجتمع، هي جملة المعلومات السائدة في المجتمع، والمكتسبة من عناصر متعدّدة كالتعليم، والدين، والعادات والتقاليد. وتعتبر هذه الثقافة من محدّدات العلاقات الاجتماعيّة بين أفراد المجتمع، والملزمة، وكلّها تتكامل مصادرّها لتشكل مرجعيّة موجهة للأنشطة الاجتماعيّة المختلفة، وأمام سوء الأحوال السائد في المجتمع صحياً، وبيئياً، واقتصادياً يجب أن نبحت عن معوقات الثقافة، قبل أن نكون موقفاً محدداً منها، ومن لا شك أنه للثقافة ثمرات إيجابيّة للالتزام بمعاييرها الصحيحة.

وأما الأمراض والأوبئة المعدية والتي تنتشر في المجتمع، وتؤثر فيه ثقافياً، لا بد للمجتمع أن يتمسك بالله تعالى وتعاليمه والإيمان بما كتبه الله علينا والمقدر بقضاء الله وقدره. والإنسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولا موتاً، ولا حياةً ولا نشوراً. قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: { سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ

أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا^١، وقال تعالى: {وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فَنَتَنَّهُ وَاللَّيْنَا تَرْجِعُونَ} ^٢.
 وقال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
 لَكُمْ} ^٣

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما
 أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»، كما روى الترمذي عن ابن
 عباس، قال: «كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ
 إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،
 وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ
 يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ
 إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

فلهذا فإن المجتمع مؤمن بقضاء الله وقدره، والإيمان بالقدر من أركان الإيمان،
 ولهذا فإن ثقافة المجتمع مستمدة من التعاليم الإسلامية السمحة، فالعقيدة الإسلامية
 وما ينبثق عنها من شريعة غراء، هي المرجعية الصحيحة لمعظم أنواع الثقافات،
 فما وافقها نأخذ به، وما عارضها وصادمها نتركه، وينطبق ذلك على كل المكونات
 الثقافية في المجتمع، كالعادات والقيم والتقاليد، ومتى جعلنا ثقافة المجتمع هي
 الموجه لكل الأمور وبدون تدقيق أو تمحيص، فقد نطغى في علاجنا لبعض
 القضايا، التي تتعارض نظرة المجتمع الثقافية لها عن الدين والعقيدة.

إن ثمار الالتزام بثقافة المجتمع الصحيحة هو الالتزام بالمعايير والأسس
 الصحيحة في ثقافة المجتمع، له آثار طيبة على الفرد وعلى المجتمع على حد

١ الآية رقم ٣٨ من سورة الأحزاب

٢ الآية رقم ٣٥ من سورة الأنبياء

٣ الآية ٢٦ من سورة البقرة

سواء. إذ أن الفرد يشعر بالراحة والطمأنينة، وإيجابية نظرة المجتمع نحوه، وبالتالي تزداد إنتاجيته ويزداد عطاؤه في المجتمع.

فإذا كان معيار الثقافة للمجتمع هو الإيمان بالله، فإن البحث عن وسائل العلاج، لا يتنافى مع الإيمان بقضاء الله وقدره، والأخذ بالأسباب.

إن الأحاديث السابقة تفيد النهي عن ترك العمل والالتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره، على حد قول النووي، ويتعين على الإنسان مع إيمانه بالقدر أن يحرص على ما ينفعه، ويستعين بالله في أموره، ويبذل الأسباب المشروعة في تحقيق مطالبه؛ لأنه متعبد بذلك من قبل الله تعالى، وبذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا؟ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان». إن الأخذ بالأسباب لا ينافي القدر بل هو من القدر أيضاً، ولهذا حين سئل عليه السلام عن الأدوية والأسباب التي يتقي بها المكروه، هل ترد من قدر الله شيئاً، كان جوابه الفاصل: «هي من قدر الله».

وسنن الله في كونه وشرعه تحتم علينا الأخذ بالأسباب كما فعل ذلك أقوى الناس إيماناً بالله وقضائه وقدره، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أخذ الحذر، وأعد الجيوش، وبعث الطلائع والعيون، وظاهر بين درعين، ولبس المغفر على رأسه، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخذق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة وهاجر هو بنفسه، واتخذ أسباب الحيطة في هجرته: أعد الرواحل التي يمتطيها، والدليل الذي يصحبه، وغير الطريق، واختبأ في الغار، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوت سنة، ولم ينتظر أن ينزل عليه الرزق من السماء.

بقي أن قول أن الأمراض المعدية التي تعرضت لها عمان أثرت ثقافياً في المجتمع، لانتشار الجهل، وتوقف التعليم وقلة المادة الاقتصادية التي تعين على التعليم وغيره، وأهتم الناس بالمحافظة على أرواحهم من العدوى والكتفاء بالاعتزال

الخاتمة والنتائج:

كشف البحث أن انتشار الأمراض المعدية وغير المعدية في عمان على حقب التاريخ، وذلك يعود إلى ترد الأوضاع الصحية، كتلوث المياه، وضعف في التغذية، والكثافة السكانية في بعض الأحياء والقرى.

استنتج البحث ان من مسببات تفشي الأمراض والأوبئة، هو ضعف دور المؤسسات الحاكمة، وتلوث المياه، وانعدام المصحات، وعدم توفر الأدوية، وقلة الوعي الصحي بين الناس، كانت أسباب كافية في انتشار الأمراض وكثرة الوفيات اثبت البحث أن العمانيين استخدم العلاج الروحي، والشعبي المكون من قراءة الرقية الشرعية، وتناول العقاقير المستخرجة من النباتات والأشجار في حينها.

بين البحث أن المجتمع أفرز من الأطباء والباصرين الذي سعوا لأشفاء المجتمع من بعض الأمراض، بتجاربههم المختلفة، واجتهاداتهم المضنية.

وضح البحث جملة من كتب الطب، والوصفات الأدوية من قبل الفقهاء والعلماء، والعارفين

وفرت الارسلات والوكالات الأجنبية بعض العقارات واللقاح والتطعيم في القرن العشرين

بين البحث أن المجتمع قد تأثر اجتماعيا واقتصاديا وثقافية حيث نقص في عدد السكان وازياد الفقر والبطالة والمجاعة وانتشار الأمية وقلة الإنتاج.

أبرز البحث عدد من الأطباء الذين أسهموا في ممارسة الطب ولهم فيه مؤلفات، ونشروا المعرفة العلاجية من الأدوية، والتجبير والكي والعزل، والجراحة.

المصادر والمراجع

- الأزدي، أبو محمد عبد الله بن محمد الصحاري (ت: 456هـ). كتاب الماء. تحقيق هادي حسن حمودي، 3ج، ط2، وزارة التراث والثقافة، مسقط: 2015م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. سنن أبي داود. ج6، دار الرسالة، دمشق: 2009م، ص: 23
- الأزرق، إبراهيم بن عبد الرحمن. تسهيل المنافع في الطب والحكمة. مخطوط بدار المخطوطات العمانية رقم 1792، نسخه محمد بن ناصر بن سليمان المعولي عام 1218هـ.
- الإسماعيلي، مهنا بن محمد بن أجمد. مختصر في علم الطب. مخطوط بدار المخطوطات، فهرس المخطوطات: الطب والكيمياء، ج4، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط: 2006م، مخطوط رقم 1810
- اطفيش، امحمد بن يوسف. تحفة الجب فيأصل الطب. تحقيق الحاج سليمان بن إبراهيم بزيذ الوارجلاني، ط2، وزارة التراث والثقافة، مسقط: 2019م
- البطاشي، سيف بن حمود. أتحاف الأعيان. ترتيب د سعيد بن محمد الهاشمي ج3، ط4، مكتبة السيد محمد بن حمد البوسعيدي، السيب: 2016
- البطاشي، سيف بن حمود. أتحاف الأعيان. ج2، ط4، مكتبة السيد محمد بن حمد البوسعيدي، السيب: 2016م
- البوسعيدي، حمد بن سيف. قلائد الجمان في أسماء بغض شعراء عمان. ط1، مسقط: 1993م
- البوسعيدي، راشد بن خميس بن عيسى البوسعيدي (كان حياً في عام 1248هـ/1832م) قيد وصفة طبية على على الجزء الثاني من كتاب جامع الأحكام تأليف محمد بن جعفر الأزكوي

الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان. اللؤلؤ الرطب. ط1، مسقط: 1985م
الحارثي، صالح بن علي بن ناصر. عين المصالح في جوابات الشيخ صالح.
جمعه ورتبه: أبو الوليد سعود بن حميد بن خليفين، تحقيق: أحمد بن سالم بن موسى
الخروصي، ط1، ذاكرة عمان مسقط: 2017م.
الحارثي، محمد بن عبد الله. موسوعة يوميات المقيمة في الخليج والوكالة
السياسية في مسقط. ج2، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت: 2022م
الحتروشي، سالم بن مبارك. الجغرافيا الطبيعية للسلطنة عمان. ط1، مجلس
النشر العلمي، جامعة السلطان قابوس، مسقط: 2014م
الحجري، هلال. عمان في عيون الرحالة البريطانيين. ترجمة: خالد البلوشي،
دار الانتشار العربي، بيروت: 2012م
الحفناوي، هالة. سيكولوجيا الأوبئة: ماذا يحدث للمجتمعات عند عرضها لوباء
مفاجئ؟! مقالة نشرت في جوجل بتاريخ الثلاثاء 17 مارس 2020م
الحضرمي، منير بن ناصر. بهجة المحل في أعلام نخل، نقلا من ندوة نخل
عبر التاريخ
الخنصوري، أمل بنت سيف. الأوضاع الصحية في عمان والساحل 1888 –
1975م. رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة السلطان قابوس، يناير 2020م
ابن رزيق حميد بن محمد. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين. تحقيق
عبد المنعم عامر ود. محمد مرسي عبد الله، ط5، وزارة التراث والثقافة، مسقط:
2001م
الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا. الحاوية في الطب. مراجعة د. محمد محمد
إسماعيل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 2000م
الزهرراوي، أبو قاسم خلف بن عباس. كتابالتصريف لمن عجز عن التأليف:

المقالة الثلاثون. تحقيق الدكتور محمد عباس زكور، منشورات هيئة العامة السورية، للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق ب.ت.

السالمي، عبد الله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. ج2، مكتبة الاستقامة، مسقط: 1997م

السالمي، محمد بن عبد الله. نهضة الأعيان بحرية عمان. ط1، القاهرة: ب.ت. السعدي، فهد بن علي. فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمد بن عبد الله بن حمد البوسعيدي بسمد الشآن. ط1، ذاكرة عمان، مسقط: 1441هـ/2020م

السعدي، فهد بن علي. معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية. ج2، ط1، مكتبة الجيل الجديد، مسقط: 2007م

السعدي، فهد بن علي. فهرس مخطوطات خزانة الشيخ محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي. ط1، ذاكرة عمان، مسقط: 2020م، مخطوط رقم 153 سيد، عبد الباسط محمد. التداوي بالأعشاب والطب النبوي. ط2، دار نوبار، القاهرة: 2003م

السيابي، صالح بن محمد بن سليمان. العمانيون والعلوم التجريبية: الطب والهندسة والفلك والملاحة. ط1، مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، مسقط: 1439هـ/2018م

السيفي، محمد بن عبد الله. النمير. ج1، مكتبة الأنفال، مسقط: 2009م
_____ . النمير. ج5، ط1، مسقط: 2012م

_____ . السلوى في تاريخ نزوى. ج1، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط:

2017م

الشامسي، حميد بن سلطان. نقل الأخبار في وفيات المشايخ وحوادث هذه الديار. تحقيق فالح حنظل، ط1، أبو ظبي: 1986م

الشعبي، عامر بن سليمان. ديوان الشيخ عامر بن سليمان الشعبي. تحقيق

محمد بن حمد المسروري، ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط: 2009م
 الشيباني، سلطان بن مبارك والعيسري، محمد بن عامر. نوادر المخطوطات
 العمانية. ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط: 2015م
 العبري، خميس بن راشد بن سعيد. شفاء القلوب من داء الكروب. ج2، ط1،
 مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 2010م
 العجمي، خليل بن عبد الله. الحياة العلمية في عمان خلال القرنين: 9-10هـ/15-
 16م. ط1، الجمعية العمانية للكتاب والأدباء، مسقط: 2022م
 العزري، ناصر بن حماد. إسهامات العمانيين في مجال الطب. بحث قدم لندوة
 إسهام العمانيين في العلوم التطبيقية، جامعة السلطان قابوس، المنعقدة في: 7
 ديسمبر 2015م
 ابن عماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار
 من ذهب. تحقيق محمود الأرنؤوط، ج1، ط2، بيروت: 1986م
 الغيلاني، حمود بن حمد بن محمد. ولاية صور. ط1، صور: 2009م
 الفجرية، شيخة. التراث الطبي العماني. نشرت المقال في عالم الثقافة بتاريخ
 19 يونيو 2021م
 الفزاري، بشير بن عامر بن عبد الله. ديوان الفزاري. تحقيق مهنا بن خلفان
 الخروصي، ط1، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، السيب: 2007م.
 الفزاري، بشير بن عامر بن عبد الله. مختصر في الطب. مخطوطة بدار
 المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم 1799
 الفزاري، بشير بن عامر بن عبد الله، علي بن عامر بن عبد الله. منظومة
 في الطب. مخطوط بدار المخطوطات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط،
 مخطوط رقم 4047

ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي. الطب النبوي. دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض: 1433هـ.

أبو كبد، إيمان بشير. علاج الأمراض بالأعشاب. ب. ت.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل. البداية والنهاية. ج7، مكتبة المعارف،

بيروت: 1992م

الكندي، خالد بن سليمان. أنباء الشفاء وأعلام الرواة. ج1، ص: 6 - 7 نقلًا عن

ندوة نخل عبر التاريخ، ط 1، المنتدى الأدبي، مسقط: 2016م

الكندي، خالد بن سليمان، الحضرمي، منير بن ناصر. أعلام نخل. بحث نشر

ضمن أبحاث ندوة نخل عبر التاريخ، ط1، المنتدى الأدبي، مسقط: 2016م

كنعان، أحمد محمد. المنهج الوفائي في الإسلام. عالم الفكر، ج28، العدد 1،

الكويت يوليو/سبتمبر 1999م، ص: 9 - 40

لوريمر، جي. جي. دليل الخليج العربي وعمان واواسط الجزيرة العربية. القسم

التاريخي، ج2، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت: 2013م

المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. تعداد 2020: المؤشرات الرئيسية

لنتائج التعداد الإلكتروني للسكان والمساكن والمنشآت 2020. مسقط: ديسمبر

2020م

المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. الكتاب الإحصائي السنوي 2020.

الإصدار رقم 49، مسقط: اعطس 2021م

مداد، أحمد بن مداد بن عبد الله. خزانة العباد من أجوبة أحمد بن مداد. مخطوط

بدار المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم المخطوط 2080

المنتدى الأدبي، من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين.

ط1، وزارة التراث والثقافة، مسقط: 2008م

المعدي، عمر بن سعيد. منهاج العدل. ج1، مخطوط بدار المخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم المخطوط 1239 منصور، زينب. معجم الأمراض وعلاجها، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان: 2010م

مجهول، كتاب في الطب، بدار المخطوطات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط في 20 صفحة مخصص لعلاج الحصبة والجدي، مخطوط رقم 1779، نسخه مسعود بن صالح بن مسعود بن رمضان في عام 1109هـ. مجهول، أوصاف علاجات تجبير الكسور. مخطوط بدار المخطوطات وزارة الثقافة والرياضة والشباب، مخطوط رقم 1810

ابن هاشم، راشد بن عميرة. فاكهة ابن السبيل. ج2، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط: 1984م.

ابن هاشم، راشد بن عميرة. رسالة في الكي بالنار ورسمه وهيئة آلاته الحديدية. مخطوطة بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالسيب رقم المخطوط: 1237. ابن هاشم، راشد بن خلف. منظومة زاد الفقير وجبر الكسير بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي بالسيب، مخطوط رقم 1815، ونسخت في يوم الأربعاء ربيع الثاني 942هـ/أكتوبر 1535م، وناسخها قاسم بن أحمد بن قاسم للشيخ عمر بن سعيد المعد. وكان مؤلفها انتهى من تأليفها في جمادى 934هـ/يناير 1528م.

الهنائي، ناصر بن علي بن مطر. الأسرار في فوائد عروق الأشجار. مخطوط بدار المخطوطات العمانية، وزارة التراث والثقافة، مسقط، مخطوط رقم 2125 الهوني، فرج محمد. تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي: 1986م

واتس، شلدون. الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والامبريالية. ترجمة أحمد

محمود عبد الجواد، مراجعة عماد صبحي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة:

2010م

Baily, R. w. (edited). Records of Oman (1867-1946). vols 311, 4-, London: 1988

Burdett, Anita. Records of Oman (1961-1971-). London: 1997, 2003.



المصدر: خزانة الشيخ محمد بن زياب الشهومي

د. محمود بن سعيد بن سالم العامري
 مدير دائرة صحة الهجن- شؤون البلاط
 السلطاني
 bnsaid77@gmail.com

الطب البيطري التقليدي نشأته وتطبيقاته عند مربّي الإبل في سلطنة عمان

المخلص

الاهتمام والايامن بعلاج الطب البيطري التقليدي لدى مربّي الإبل يقود الباحث الى محاولة توثيق ومعرفة بعض التفاصيل عن نشأته وممارسته وطريقة تنفيذه والامراض التي يستهدفها ومع وجود مربّي حيوانات يسعون إلى دمج الرعاية غير التقليدية (الطب البيطري الحديث) مع العلاج الشعبي مما يؤدي الى امكانية ظهور مصطلح الطب البيطري البديل كاسم حديث ومقبول بين الأوساط العلمية البيطرية. تم اخذ مربّي الابل من البيئة العمانية كعينة بحكم شيوع هذا النوع من العلاج بينهم حيث تهدف هذه الدراسة الى توثيق وتتبع نشأة العلاج بالطب البيطري التقليدي وبالتحديد عند مربّي الابل في سلطنة عمان وذلك من خلال معرفة استخدامات الطب الشعبي التقليدي من أنواع العلاج المستخدم والامراض التي تستهدفها ومدى انتشاره لدى مربّي الابل ولكن توجد معضلة توثيق هذه الممارسة التقليدية بسبب غياب المستندات المرجعية والتقييم العلمي للطب البيطري التقليدي يقودنا الى محاولة صياغة و توظيف طرق بديلة لجمع البيانات هدفها انشاء قاعدة بيانات يكون مصدرها مربّي الابل والمعالجين التقليديين والمؤسسات المستفيدة من الخدمات البيطرية التقليدية بحيث يساعد على إقامة مراجعة منهجية شاملة للعلاج الشعبي المستخدم وذلك لمعرفة طرق والأساليب التقليدية المحلية المستخدمة في معالجة الابل من حيث أنواع الكي والامراض المستهدفة لعلاجها وهل هي

خبرات فردية او جماعية وفي نفس الوقت البحث عن بيانات ترصد ممارسات الطب البيطري التقليدي عن طريق البحث الشبكي للمواقع المهمة بتربية الابل والمجالات العلمية ان وجدت وبعد ذلك يتم تجميع كل البيانات و رصدها وتوزيعها حسب طريقة العلاج المستخدمة والمرض المستهدف لعلاجه ومنها يتمكن البحث من معرفة بعض التفاصيل الدقيقة عن نشاء الطب البيطري التقليدي واثره وممارسته في سلطنة عمان. أيضا تم جمع البيانات من خلال الملاحظات العامة بناء على تخصصي في الطب البيطري ومخالطتي لملاك الإبل بمختلف اطرافهم. استطاع البحث ان يخرج بمعلومات أولية عن طبيعة العلاج المقدم وتخصيص كل علاج لنوع معين من الامراض ومما تجدر الإشارة اليه بان المعلومات كانت متناسقة مع بعضها البعض ووجد التوافق بين المصادر المختلفة بخصوص طبيعة العلاج البيطري الشعبي مما جعل هذه الدراسة أساس البيانات الأولية من خلالها تبني مسار لدراسات مستقبلية عميقة لمعرفة مدى التأثير الفعلي للعلاج الشعبي للعرض المرضي في الإبل والحيوانات الاخرى. أيضا من خلال هذه الدراسة الأولية يتضح انه في الماضي البعيد كان استخدام الطب البيطري التقليدي هو السائد والمحاولة العلاجية المتوفرة لمربي الحيوانات في ذلك الوقت، ونسبة الطب البيطري الحديث معدومة ولكن مع التطور في مشتى مجالات العلوم ومنها الطب البيطري أصبحت نسبة استخدام الطب التقليدي قليلة جداً وبحدود ضيقة وتكثر في مجال الإبل أكثر من غيرها من الحيوانات بحكم تواجدها في المناطق النائية جداً والتي لم تتأثر بالحدثة والتطور الاقتصادي الى حد ما والايامن العميق لدى أصحاب الابل بالعلاج التقليدي اكثر من غيرهم والاثار الإيجابية المترتبة على هذا المشروع .

الكلمات الافتتاحية (الطب البيطري التقليدي الطب البيطري الحديث أصحاب الإبل مربي الحيوانات التراث)

Traditional veterinary medicine its history and applied among Omani camels breeders

Dr. Mahmood Said Salim Al Amri
Directorate of Camel Health Division
Royal Court Affairs

Abstract:

The dromedary camel (*Camelus dromedarius*) plays an important role in the social and economic life of the nomadic pastoral communities scattered across the Middle East and Northern Africa. The traditional veterinary treatment in camel are highly encouraged and appreciated in the members of Gulf Cooperation Council (GCC) countries practically among Omani breeder's camels in Sultanate of Oman. Despite practices of traditional medicine are noted among animals breeders especially camel owners however absence of properly documented and scientifically evaluated of this kind of treatments could lead to the possibility of the loss of this part of the rich culture and tradition in the future and made it confined only between breeders. Additionally, it has led also to traditional veterinary medicine lacks a formal evaluation system, which may impacted negatively the accuracy of

treatment, and its value in camels. Therefore, this paper aims to document and scientifically evaluate traditional veterinary medicine bases on Omani camel breeder's data. To do this, a data collection strategy was implemented to search online for information related to veterinary medicine and traditional treatment. Data was also collected from governing bodies, and from my personal observations. After extracting the data, all types of traditional veterinary medicine were documented. The types of diseases treatment by traditional veterinary medicine were also identified and documented. We also identified how these treatments can be applied on animal's body. Our project will provide generate baseline information that will help in the understanding of diversity of traditional treatment in Omani camel that can be applied to improve traditional treatment systems and open new areas of research to investigated traditional veterinary. This may impact positively in the transparency and accuracy of evaluate traditional veterinary medicine which will be consider a support system to veterinary medicine.

Key Words (traditional medicine, veterinary medicine, Omani camels, culture)

المقدمة:

الطب البيطري مهنة ضاربة في القدم، وتعتبر من المهن التي تطورت مع تطور البشرية بشكل مستمر بتغير الظروف واحتياجات المجتمع وتطوره (5). بدايات الطب البيطري كانت بالطب البيطري التقليدي القديم (الطب الشعبي)، وله فضل كبير على ما وصل اليه الطب البيطري من تطور في العصر الحديث ، حيث كانت الظروف البيئية والاجتماعية صعبة للغاية، والإمكانيات الطبية تكاد تكون معدومة، ولولا هذا النوع من الطب الشعبي البيطري لانقرضت هذه الثروة الحيوانية وعانت البشرية نتيجة لذلك(4) ولكن بوجود الممارسين الشعبيين وتراكم الخبرات وتناقلها بين الأجيال كان له الأثر الكبير في ديمومة هذه المهارة وبقائها الى وقتنا الحاضر ومن الوثائق التي ذكر فيها الطب البيطري هي البرديات الطبية لقدماء المصريين مثل بردية كاهون التي وصفت الأنشطة البيطرية في وادي النيل سنة 1900 ق . م. (3) وأيضا اول اهتمام ظهر لرعاية الحيوان بيطريا هو انشاء مستشفى بيطري ليس بمفهومه الحالي ولكن كمكان يعتبر مركز لعلاج الحيوان بالطرق التقليدية حيث كان تم تشييده في التاريخ سنة 250 ق.م في الهند في عهد الملك آسوكا (2). أما الممارسات الحديثة والطرق البيطرية بمفهومها فقد نشأت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في أوروبا. حيث كانت الأوبئة وفي مقدمتها الطاعون البقري والسل البقري، تفتك بالأبقار والحيوانات الأخرى وتنتشر أحيانا لتشمل أوروبا كلها مسببة المعاناة الشديدة والمجاعات بسبب نفوق هذه الحيوانات وعدم القدرة على اجتثاث الامراض والسيطرة عليها (1).

اما عند العرب فقد بدء الاهتمام منذ العصر الجاهلي وكانت لها رعاية بيطرية خاصة، حيث كان للعرب مهنتين أساسيتين هما الرعي والتجارة، فكان العرب لا يستغنون عن استخدام الحيوان في مختلف مجالات حياتهم سواء في الرعي أو

التجارة أو التنقل وأيضا في الحروب كاستخدام الخيول لسلاح الفرسان، وكانوا يعتبرون الخيل من أعز ما يمتلكون حيث ارتبطوا بها ارتباطاً وثيقاً (7).

بناء على الارتباط الوثيق بالحيوان عند العرب كان للحيوان رعاية خاصة والمحافظة عليه ومن أساسيات تربية الحيوانات كانت الرعاية البيطرية التقليدية، حيث تعتبر رعاية الحيوان والعناية به وعلاجه ودراسة حياته وتطور الاستفادة منه مما عرفته المجتمعات المتحضرة في ذلك الزمان التي عرفت استئناس الحيوان، ففي هذا العهد الجاهلي للعرب عرفت العناية بالجمل والخيل، وقد ظهر معالج بيطري في العصر الجاهلي يُدعى العاص بن وائل، وهو أبو الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقيل إنه كان يعالج الخيل والأبل (16).

ولسلامة الخيل توجد دلالات على سلامة صحتها وعافيتها، إثارتها لغبار الأرض بحوافرها حال سيرها، قال تعالى: «والعاديات ضبحا» (العاديات: 1) فهي دعوة للنظر في الخيل حال جريها، ودراسة كيف تأخذ شهيقها وتُخرج زفيرها مع سرعتها الفائقة وقد دعا القرآن أيضاً إلى دراسة الإبل في قوله تعالى: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت» (الغاشية: 17)، فهي دعوة للإنسان إلى دراسة الإبل وما فيها من روائع خلق الله تعالى وجميل صنعه.

وفي نفس السياق استخدم البدو وأصحاب الإبل، طرق وأساليب تقليدية محلية عديدة في معالجة أمراض الإبل، للمحافظة على سلامة إبلهم أو علاجها عند تعرضها لأي عارض خارجي ومن ضمن هذه العلاجات الشعبية المعالجة بواسطة الكي بالنار، والذي يمارس هذه الطرق غالبا هم المتقدمين في العمر حيث يكون لهم دراية وخبرة في ممارسة العلاج التقليدي بما يسمى الطب الشعبي البيطري ويكون له دور فاعل في علاج بعض الأمراض التي تصيب الإبل ومنها حالات التسمم، حيث كان في الزمن القديم معظم مربي الإبل وخاصة البدو منهم يعتمدون

على الطب الشعبي في علاج الأمراض التي تصيب نوقمهم(13) ،اما الوقت الحالي تجدد مربى الابل يفضل الخلطة بين العلاج الشعبي والطب البيطري الحديث وذلك نتيجة تطور المجتمعات وتأثرها بالحدثة وفي نفس الوقت الوعي الكبير الذي تكون عند مربى الابل في الاستفادة من الطب البيطري الحديث وسهولة توفر هذه الخدمات بعد ان كانت شحيحة او تكاد تكون معدومة.

الطب الشعبي او التقليدي في الانسان يتم الإشارة اليه على انه جملة الممارسات و الوصفات المتوارثة عبر الأجيال لعلاج الامراض والوقاية منها، سواء بتناول جرعات معينة من خلطات غذائية معينة، أو وضع مواد موضعية او استخدام اداه معينة على أجزاء من الجسم، ، ويطلق على هذا النوع من الممارسات العديد من التسميات مثل «الطب التقليدي» أو «الطب التكميلي» أو «الطب البديل» أو «طب السكان الأصليين»، ويشمل أيضاً التراث الشفهي من العلاجات التي يغيب فيها استخدام مستحضرات صيدلانية، ويدخل فيه العلاج بالإبر الصينية والعلاج بالأعشاب والتدليك في ، وتعرفه منظمة الصحة العالمية بأنه: «مجموع المعارف والمهارات والممارسات القائمة على النظريات والمعتقدات والخبرات الأصلية للثقافات المختلفة، سواء أكانت قابلةً للتفسير أم لا، والمستخدمه في الحفاظ على الصحة وكذلك في الوقاية والتشخيص والتحسين أو العلاج من الأمراض الجسدية والعقلية، ويقابله «الطب الحديث»، وهو الطب الذي يتم تطوير بناء على أسس علمية تجريبية ونظرية وتفسيرات واضحة ويتم اعتماده بشهادة اكاديمية محددة تخول حاملها بممارسة المهنة بشكل قانوني (18).

يعتبر الطب الشعبي منتجاً ثقافياً يماثل القصص والأمثال، فهو نتاج جماعي

لخبرات وتجارب لأجيال سابقة ومحصورة تم تناقلها بينهم وفي محيط تم توظيفه لتطوير ورعاية حيواناتهم، لذلك نجد ان الطب الشعبي الممارس لعلاج البشر محل دراسة من علماء الأنثروبولوجي (علم الإنسان) وفي كتب الفلكلور (الثقافة الشعبية)، حيث في منتصف القرن الماضي ظهرت الأنثروبولوجيا الطبية بوصفها أحد فروع علم الأنثروبولوجي المختصة بعلاقات الصحة والثقافة، لتبحث في موضوعات من بينها تفسير الناس للمرض والعلاج واستقبالهم للأمراض والعلاجات الجديدة(8).

في كتابه (الأنثروبولوجيا الطبية.. دراسات نظرية وبحوث ميدانية) يحدد عالم الأنثروبولوجيا على المكاوي، عنصرين مهمين وهما انخفاض التكلفة والوصول في إطار إنساني للمتلقي ضمن أسباب لجوء الناس إلى العلاجات من الطب الشعبي، خاصةً مع الازمات الاقتصادية كانخفاض دخل الأفراد، وأيضا غياب الخلفية الاجتماعية والثقافية للمرضى عند ممارسي الطب الحديث (18).

محاولة تعريف الممارسة الشعبية لعلاج الانسان هي محاولة لفهم البيئة والخلفية الاجتماعية لهذا النوع من الممارسات بين البشر وتوضيح الممارسة الشعبية البيطرية نتيجة المكون ثقافي والاجتماعي للمارس الشعبي البيطري وتأثره بها مما يساعدنا لفتح باب لدراسة هذا النوع من الممارسة الشعبية البيطرية وتوثيقها تقودنا الى دراسة أنواع العلاجات المستخدمة وطرق تنفيذها وأنواع الامراض التي تستهدفها هذه العلاجات حيث يعتبر البحث في موضوع الطب البيطري التقليدي المحلي مهماً من الناحية التراثية أولاً، لآته توثيق لتراث معرض للاندثار، وهو تراث عربي أصيل وللمربي الإبل العمانية في سلطنة عمان خاصة حيث تتم ممارسته بينهم في مختلف مناطق السلطنة التي تكثر فيها تربية الإبل بمختلف

انواعها كابل سباق او المزاينة، او حتى مع مربى ابل الإنتاج في محافظة ظفار.

والقلق من حصر هذا الموروث وتناقله بين الأجيال التي تهتم بالإبل فقط بحيث سوف يكون مغيبا عن توثيقه والاستفادة منه لطلبة العلم او المختصين بعد أن يضيع الكثير منه نتيجة موت أصحاب الإبل القدامى والمعالجون. ومن عوامل ضياع توثيق هذا الموروث دخول الحداثة لمربى الإبل والتمتع بالرفاهية الاقتصادية وتوفير الخدمات الاجتماعية للبشر وحيواناتهم ومحاولة الحكومات الحديثة تدليل الصعاب لجميع المربين كتوفير العيادات البيطرية الثابتة والمتنقلة في مناطقهم وتوفير المختبرات الحديثة كإجراء الفحوصات المخبرية لحيواناتهم وحتى تشخيص الحمل ومتابعته تم تطويره لدى المهتمين في رعاية الإبل.

محاولة الربط بين افكار الطب الشعبي لدى الانسان واسقاط هذه الممارسة في العلاج الشعبي او التقليدي للحيوان لمحاول دراسة وتوثيق هذه الممارسة وايجاد بيئة ثقافية تهتم بهذا الموروث على اسس علمية يضع قواعدها هي الفكرة التي انطلق منها هذا البحث وهو الهدف الاساسي لهذه المحاولة الخجولة التي حاولت تتبع الطرق المقبولة علميا لدراسة الطب البيطري الشعبي وفي نفس الوقت يكون التوثيق وسيلة للمعرفة الثقافية والاجتماعية مما يحفظ هذه الممارسة من الاندثار وتتهي له سبل التطور والاستدامة وإيجاد القبول العلمي لها كبحوث مرجعية يعتد بها فيما بعد.

التجربة والأدوات

للقيام بهذه الدراسة تم توظيف طرق بديلة لجمع البيانات من ضمنها البحث عن طريق الشبكة العنكبوتية عن اي مصدر يتكلم عن الطب البيطري التقليدي او

الشعبي كيفية استخداماته ما هي المناطق التي يكثر استخدام هذا النوع من العلاج في الوطن العربي وسلطنة عمان خاصة وما هي الامراض التي يتم علاجها بالطريقة الشعبية. أيضا البيانات تم جمعها من خلال الملاحظات العامة بناء على تخصصي في الطب البيطري ومخاطبي لملاك الإبل بمختلف اطيافهم. محاولة التقصي الشامل تم الاستفادة منه في تجميع معظم المعلومات الخاصة بالعلاج الشعبي البيطري. الإجراءات التي تمت في جمع المعلومات والبيانات تم شرحها في الخطوات التالية.

مصادر المعلومة والاستراتيجية

لمعرفة أنواع العلاج الشعبي البيطري واصله وتاريخه تم الاستعانة ببعض المؤسسات الحكومية في سلطنة عمان المهتمة بالثروة الحيوانية كالاتحاد العماني لسباقات الهجن والهجانة السلطانية والتواصل مع مربي الإبل القدامى مع ملاحظة تجارب الخبراء في هذه الممارسة وأيضا خبرتي البيطرية في مجال الإبل كمسؤول عن صحة الإبل في الهجانة السلطانية واحتكاكي بطاقم العملاء الفني خلال ممارستي للعلاج البيطري الحديث وتحاوري مع الافراد في مختلف العلاجات البديلة.

اولا مصادر البحث الالكتروني

مصادر الشبكة العنكبوتية تم البحث خلال الفترة من شهر فبراير 2022م لغاية شهر يوليو 2022م ومحاولة الدخول لجميع المصادر العلمية او الأدبية وفي نفس الوقت تم البحث في المصادر التراثية المهتمة في شؤون الإبل. قمت بتصميم نمط معين من البحث من التقصي لإيجاد الدقة في إيجاد المعلومة التي نبحت عنها حيث قمت باستخدام كلمات محددة تقودني الى مصدر المعلومة التي نبحت عنها

مثل الطب البيطري التقليدي – الشعبي- تاريخ الطب البيطري – تطبيقات الطب الشعبي- الطب البديل- ممارسات الطب البيطري. الهدف من هذه الطريقة كان إيجاد اية مصادر تقودنا للبدء في كتابة البحث ووضع بعض الأساسيات الأولية لإيجاد أي مرجع او مستند يمكن ان يوضح لنا بدايات الطب البيطري التقليدي استخداماته، نشأته، وانواعه ومدى فاعليته.

ثانيا المصادر المؤسسية

في سلطنة عمان يعتبر الاتحاد العماني لسباقات الهجن والهجانة السلطانية المصدر الموثوق التي تستطيع ان تجد المعلومات الأولية للعلاج التقليدي البيطري وذلك لتواجد هذه الإبل وتربيتها حيث يقوم الاتحاد العماني لسباقات الهجن برعاية جميع المنافسات الرسمية من سباقات ومزايمة وإنتاج بمختلف محافظات السلطنة. وأيضا تقوم الهجانة السلطانية بتربية أنواع مختلفة من الإبل مع إنتاج إبل للمشاركة في جميع المنافسات المحلية وذلك تشجيعا لملاك الإبل وتحفيز لهم للمحافظة على سلالات الإبل العمانية وفي نفس الوقت وجود السجلات لديهم التي يمكن الوصول اليها واستخدامها كمصدر للمعلومة في هذا المجال بطبيعة عمل هذه المؤسسات واهتمام هذه المؤسسات بنوعية إبل معينة تشارك في منافسات محددة كمنوق السباق ومنوق المزايمة وأيضا المشاركة في بعض الاحتفالات والمهرجانات كمنوق العرضة والموسيقى

ثالثا المعلومات الشخصية

بناء على وظيفتي في الهجانة السلطانية كطبيب بيطري أقدم الخدمات العلاجية للإبل عن طريق العلاج الحديث ووجود موظفين خبرة في العلاج التقليدي ويتم استخدامه بتوازي مع الاستخدام الحديث هذه البيئة المختلطة اوجدت مجال خصب

لتبادل المعلومات واستخراج البيانات من مصادر قريبة تمارس العمل في نفس النطاق ولتحقيق هدف مشترك وهو رعاية الإبل وتطوير إنتاجها.

والمصدر الشخصي الثاني ويعتبر من اهم مصادر للمعلومات الشخصية هو تواصل مع مربى الإبل (المضمرين في العزب الخارجية) بحكم خلفيتي البيطرية واحتكاكي بالمربين كطبيب للإبل فاني قدرت ان ادخل في تفاصيل رعايتهم للإبل والطرق التقليدية التي يستخدموها للعلاج حيث تكثر معهم إصابات المفاصل والعرج ويتم استخدام العلاج التقليدي في كثير من الأحيان.

المصدر الثالث كان تواصل مع خبراء العلاج التقليدي بحكم تخصصي فانه كانت لدي القدرة في التواصل مع الخبراء في هذا المجال والجلوس معهم حيث أقوم بعرض نفسي كطبيب بيطري يتبع الأساليب الحديثة في العلاج ولدي الشغف في الاستفادة من خبرات الممارسين الشعبيين للعلاج التقليدي ومعرفة مدى نجاح الطريقة وكيفية اجراء العلاج وما هي الامراض المستهدفة لديهم.

النتائج

أولا مصادر الشبكة العنكبوتية

لم أستطع الحصول على دراسة محكمة تتحدث عن العلاج التقليدي الشعبي للحيوانات ومدى فعاليته او نتائج بطريقتة علمية موثقة ولكن الذي حصلت عليه هي عبارة عن مقالات واجتهادات شخصية في مواقع او منتديات تهتم بتربية الإبل وهي اجتهادات شخصية عبارة عن نبذة تاريخية ونشأته وتتحدث عن العلاج التقليدي وانواعه والحضارات التي مارسته.

ثانيا المصادر المؤسسية

من خلال السجلات الموجودة في بعض المؤسسات المهمة استطعت ان احصل

على بعض أنواع العلاجات المستخدمة لأمراض معينة يتم تسجيلها في سجلات النوق حيث لدى هذه المؤسسات قسم سجلات يهتم في جميع أنواع النوق ويتم رصد كل التعاملات معها بهدف توثيق كل اجراء تم للناقاة وتتبع تطورها ومشاركاتها ومن ضمن هذه الإجراءات العلاج التقليدي للإبل

ثالثا المعلومات الشخصية

بناء على وظيفتي وتواصلتي مع مربّي الإبل وأيضا خبراء العلاج التقليدي (ساعد السعيدى- حمدان الخميسى - سليمان العامري - زايد الجنيبى - خالد المبيحسى) استطعت ان اخرج بمعلومات أولية عن طبيعة العلاج المقدم وتخصيص كل علاج لنوع معين من الامراض ومما تجدر الإشارة اليه بان المعلومات كانت متناسقة مع بعضها البعض ووجدت التوافق فيما بين المصادر جميعها من حيث طبيعة العلاج البيطري الشعبي واستخداماته مما مكنتني من جمع البيانات الأولية التي أقدر ان اصنفها كأساسات تبني مسار لدراسات مستقبلية عميقة يتم فيها محاولة وضع الصغبة العلمية لهذا الموروث الشعبي في المستقبل.

أنواع وطرق العلاجات التقليدية المستخدمة:

المعالجة بواسطة الكي بالنار، وفي الحقيقة معظم أمراض الإبل، كانت تعالج بهذه الطريقة.

المعالجة بالأعشاب والنباتات الطبية، واستخدام أنواع مختلفة من النباتات في معالجة أمراض الإبل (الحنظل - الحبة السوداء - الشيح- القرص- القرع - الرمرام - الحرمل - السمسم - الحلبة - الكافور) المعالجة بالمواد الاخرى (الزيت - القطران - الكبريت - البترول - ماء الملح

المرکز) وتعطى بدرجة الحرارة العادية عن طريق الفم مباشرة، أو تصب على الجلد حامية أي حرارتها عالية (بعد تسخينها على النار) وتستخدم ضد امراض الجرب والقرع او بعض الامراض الجلدية لمكافحة الطفيليات والديدان الداخلية المعالجة بالمراهم التقليدية، التي يتم تحضيرها محلياً من قبل البدو أنفسهم، وأهم المواد التي تستخدم لتحضير المراهم هي / الحناء – الصبر – الشبة – الوبر- السمن –رماد البعر (البراز) ضد امراض الحي وعدم الاكل او التسمم المعوي المعالجة بعض الأمراض العصبية بالطرق الروحانية والتي يجدون انها الناقاة أصيبت نتيجة عين او حسد نتيجة تحقيقها لإنجازات في منافسات مختلفة.

الامراض وعلاجاتها

امراض الجهاز التناسلي

ابترام الرحم: وهو مرض يمنع اللقاح في الإبل نتيجة التواء في العصب في الرحم. ويعالج بإدخال اليد داخل الرحم، فقد يعالج المعالج أعصاباً ملتوية ويجد بعض جلق الرحم واسعة والأخرى ضيقة فيفضها بيديه ويضع ملحاً كدواء، ويسمى هذا العلاج التعديل، أما الملاح فهو معالجة حياء الناقاة إذا اشتكت بخرقة تطلّى بالدواء ثم تعلق على الحياء.

- الإرحام: وهو خروج رحم الناقاة عند الولادة ، ويقال له الترحيم أيضاً ، ، وقد يتلوث الرحم بالتراب عند خروجه ، فيؤتى بصحن كبير نظيف ويوضع تحت حياء الناقاة ويغسل الرحم الخارج جيداً بالماء الدافئ والصابون ، ثم يدهن بالسمن النظيف ويعاد إلى موضعه ، ثم يخاط حياء الناقاة من فوق ومن أسفل وتترك فتحة صغيرة للبول ، لكي لا يخرج الرحم مرة أخرى. ويستمر ذلك لمدة أربعة أيام وبعد ذلك يصبح الرحم طبيعياً فتفك الخيوط.

الإكسار: وهو عدم حدوث التلقيح بعد ظهور علامات الحمل في الأنثى كرفع الذنب. والإكسار قد لا يكون عن مرض، فتلقح الناقة إذا ضربها الفحل مرة أخرى، ولكن إذا تكرر ذلك فإن الخبير يدس يده في رحم الناقة، وقد يجد بقايا جنين بدأ في التخلق ثم مات ولصق بالرحم يكون هو السبب في عدم لقاحها مرة أخرى.

أمراض الأطراف (اليدين والرجلين)

اللّين: مرض يصيب اليد عن الرسغ، فيقال أن اليد مصابة بالليونة، وتسمى بالعامية المحلية (لين) أو (يد متلينه) وسبب المرض على الأرجح تراكم الشحم على بطن وظهر الجمل الصغير مع المبكر بالرساغ أي ربطه من يده بالحبل، ويعالج في الحالة بالوسم من الرسغين، أربع مرات أو أكثر.. ويسمى الوسم هنا (رز) عن مرض اللين، والرز هو الوسم على شكل (نخرة) دائرية بأداة حديدية مدبب.

العضاد: مرض يصيب يد الجمل ويسبب في (ضلعه)، والضلغ: هو عرج في

مشية الجمل وعلاجه الكي بالنار على اليد المصابة

الكعب: يصيب رجل الجمل في منطقة العرقوب، وأعراضه الضلع من الرجل

أي العرج وعلاجه الكي على شكل (عرقاه الكعب) أي على شكل إشارة (+)،

وتسمى هذه الإشارة (عرقاه الكعب)

الكهل: سببه السير الكثير والتعب أو الركض المتواصل.. وكلها أعراض له

حيث يظهر الإرهاق الشديد على الجمل وعلاجه الكي على المنطقة الأمامية من

الصدر ويكون الوسم على علامة الضرب (×) ويسمى (عراقي)

أمراض البطن والصدر

الطير: وأعراضه تقلب الجمل على جنبه متأثر من وجع في بطنه، ويكون

علاجه الوسم بالنار أمام وخلف السرة بمطرقين أي بقطعة حديدية تحمى على النار وتوضع عرضياً في المكان المصاب ويكوى كذلك بمطرقين في خاصرتيه وفي الغالب، تنفق الجمال التي تعالج بهذه الطريق.

النداس: يصيب الجمل في بطنه حيث يظهر المرض كورم أمام الضرع وعلاجه الوسم (عتنه) ويكون هذا على شكل ارزه أي وخزه وإذا لم يشف الجمل يوسم حلقة على الورم أي يكون الوسم بشكل دائري

الكر: يصيب الإناث بمنطقة الرضع التي تحمل لبناً.. وأعراضه تورم الضرع.. أم العلاج فيكون بالحييل على الضرع أي بكية على شكل حلقة.
جرب الشقاق: وهو مرض يصيب الجلد ويكون على شكل تشقق جربي في الجلد وعلاجه الوسم بواسطة التحييل على اليدين أي الوسم بشكل دائري.

أمراض الرأس

البقيض: مرض يضرب الجمل في رأسه.. ويظهر على شكل ورم وانتفاخ ويعالج بالكي الوسم على منطقة الورم، ويكون دائرياً.

القصر: أعراضه اتجاه الرأس إلى الأمام دون أن يتمكن الجمل من الالتفات، لأن تشنجاً أصاب الرقبة ويعالج هذا المرض بمطرق ورزة من كل جنب في الرقبة.

الخشم: يصيب الجمل في رأسه وعلاماته خروج دم من أنف الجمل عند إدخال الإصبع فيه وهو يشبه الرعف عن الإنسان ويعالج بإدخال الإصبع في أنف الجمل المصاب لإجباره على (الإسترعاف) أي إخراج الدم الجاف من داخ الأنف.

الفتاس: ويلاحظ بعد الركض أو السير المتواصل.. ويظهر على شكل انتفاخ في عرق الأنف.. وعند إدخال الإصبع في أنف الجمل يمكن ملاحظة برودة غير عادية في الداخل ويعالج بالكي على طرف الانف.

المناقشة

لمحاولة ربط البدايات التاريخية للطب البيطري التقليدي ومدى انسجامه وتوافقه مع الطب البيطري الحديث أتت فكرة هذه الدراسة الأولية حيث تعتبر هي محاولة مبدئية لتوثيق هذه المعلومات البيطرية التقليدية وممارستها من قبل معالجين تقليديين لهم باع طويل في هذا المجال مع محاولة استخراج البيانات والمعلومات بطريقة مقبولة بين الأوساط العلمية والأكاديمية.

من خلال هذه الدراسة الأولية يتضح ان المعالجة التقليدية للإبل علاقة وطيدة مع بيئتهم البسيطة بمفرداتها والعميقة بمدلولاتها، حيث استطاع أن يعيش ويتأقلم معها ويحقق من خلالها كل متطلبات حياته من طعام وشراب ومأوى وملبس ودواء سيشفى معظم الأمراض التي تصيبه أو تصيب الحيوانات التي يعتمد عليها في معاشه ورزقه فقد عرف المرض وبحث عن العلاج الخاص به بما يتناسب مع إمكانيات وما يتوفر لديه من أدوية يصنعها في الغالب من الحشائش ومن الملاحظ أنه كان يكثر من استخدام أسلوب الكي بالنار (الوسم) للإنسان والحيوان على حد سواء.

حيث تتم ممارسة العلاج التقليدي عبر الأجيال وتتناقل هذه الخبرات فيما بينهم وينتج عنها خبرات متراكمة لدى الأجيال ولكن نسبة النجاح والشفاء فيها غير موثقة علمية للأسف. ولكن في زمن لم تتوفر فيه العلاج الحديث حيث لم يكن هناك سوى الطب البيطري التقليدي القديم كان له فضل كبير في بقاء الثروة الحيوانية واستمراريتها، حيث كانت الظروف البيئية والاجتماعية صعبة للغاية، والإمكانيات الطبية تكاد تكون معدومة حيث يعتبر خيار ممارسة الطب البيطري التقليدي أو الشعبي المصدر الأساسي للعلاج والاعتناء بالحيوان والمضي في هذه الممارسة وتطويرها بناء على معطيات وامكانيات كل عصر وزمان.

محاولة الجمع بين الطب الحديث والطب البيطري التقليدي في ازدياد، لذلك فإنَّ المزيدَ والمزيدَ من مناهج كليات الطب بدأت بإدخال معلومات عن هذه المُعالجات، مثل الوخز بالإبر والطب البديل باستخدام الأعشاب والمعالجات اليدوية للحيوانات الاليفة وفي الخيول يزداد استخدام الوخز بالإبر الصينية.

من خلال هذه الدراسة الأولية يتضح انه في الماضي البعيد كان استخدام الطب البيطري القديم هو السائد والمحاولة العلاجية المتوفرة لمربي الحيوانات، ونسبة الطب البيطري الحديث معدومة ولكن مع التطور في مشتى مجالات العلوم ومنها الطب البيطري أصبحت نسبة استخدام الطب التقليدي قليلة جداً وبحود ضيقة وتكثر في مجال الإبل أكثر من غيرها بحكم تواجدها في المناطق النائية جداً والتي لم تتأثر بالحدثة والتطور الاقتصادي.

على الرغم من أنَّ التمييزَ بين الطب التقليدي والطب التكاملي أو التكميلي والبديل ليس من السهل تحديده دائماً، لكنَّ هناك فارقاً فلسفياً أساسياً. يميل الطب البيطري الحديث في ممارسته إلى الاعتماد على أفضل الأدلة العلمية المتاحة والتحليل المخبرية. وفي المقابل، يميل الطب البيطري التقليدي او الشعبي إلى أن يستند في ممارساته على الممارسات المستنيرة إلى الأدلة والممارسات التي قد لا تستوفي بالضرورة معايير العلمية والتوثيق (6). حيث يعرف الطب البيطري الحديث هو ممارسة العلاج بغياب المرض أو الخلل الوظيفي (11). حيث عادةً ما تُعتبر الأسباب الرئيسية للمرض والخلل عوامل يمكن تحديدها، مثل البكتيريا أو الفيروسات، والاختلالات الكيميائية الحيوية. اما في العلاج البيطري التقليدي فالممارسات تعتمد على الخبرات التراكمية ومحاولة علاج العرض بدون الدخول في معرفة الأسباب التي أدت الى هذا المرض المصدر المرض ويظهر ذلك في العلاج بالكي بالنار وما شابهه (12).

قد يكون من المعوقات التي منعت الباحثين في دراسة الطب البيطري الشعبي بطريقة علمية هو عدم وجود دراساتٍ مُصمَّمة جيِّدًا تصاميم معينة يقدر استخدامها الباحث من طرائق البحث التقليدية لدراسة الطبِّ التقليدي او الشعبي بالرغم من توجد بعض المحاولات القليلة والخجولة لتوثيق العلاج البيطري التقليدي ومدى تأثيره في علاج الحالات المرضية المختلفة للحيوانات يوثق بعض مُعالجات الطب البيطري التقليدي او الشعبي. وفي نفس الوقت عدم وجود دراسات علمية لا يعني أنَّ العلاج البيطري التقليدي غيرُ فعَّال قط. فقط نوضح إنَّ الأدلة العلمية باستخدام دراساتٍ مُصمَّمة جيِّدًا، ما زالت مفضَّلة لتحديد ما إذا كان العلاج البيطري التقليدي فعَّالًا او لا لبناء منظومة علاجية في المستقبل يعتمد عليها تكون موثقة علميا وعمليا وأكاديميا.

لذا لفهم التباين والتداخل الحاصل بين الطريقتين يجب ان نتتبع مجموعة قوية من الأبحاث التي تظهر أن العلاج البيطري الشعبي فعال في تطبيقه وله الأثر الواضح في صحة الحيوان. الهدف يتمحور حول إمكانية حصول المعالجين الشعبيين لشهادات رسمية من مؤسسات أكاديمية معتمدة وإمكانية اعتبار الممارس البيطري التقليدي كطبيب بيطري شمولي معتمد بمعنى يمزج بين الطب البيطري الحديث والشعبي، حيث يمكن أن يطلق على هذا التخصص مسمى الطب البيطري البديل ويمكن اعتبارهم أطباء بيطريين شعبيين قانونيين.

حيث الطب التقليدي أو الشعبي له قوة الانتشار والتأثير، لكونه جزءًا من الثقافة، بالتالي يجدر الاستفادة من ذلك بتنتيحه ودمجه مع الطب الحديث، واليوم هناك عددٌ من الدرجات العلمية في الطب الشعبي والتكميلي والعلاج بالنباتات في عدد من الدول الأوروبية بجانب الصين وماليزيا والولايات المتحدة وكندا، من درجة البكالوريوس حتى الدكتوراه، بالإضافة إلى تأسيس كيانات طبية مرموقة

متخصصة في الطب الشعبي، منها على سبيل المثال: جمعية العلاج بالأعشاب الكندية، ونقابة المعالجين بالأعشاب الأمريكية، وتأسست في بعض الدول معاهد لدراسة الطب التقليدي حتى ذلك الخارج عن تراثها (20).

يظهر من اللحظة الأولى أن الطب الحديث يلغي الطب الشعبي، أو أنه الأولى بالاتباع من ذلك المعتمد على موروثات يختلط فيها الصحيح بالخطأ، ما يخلق قدرًا من المعارضة من أنصار العلم للطب الشعبي، وفي ورقة بحثية بعنوان (الطب الشعبي بين الحتمية السوسيو-ثقافية وتحديات نسق الطب الحديث) تعتبر مريم الأنصاري أن «التجاذب الحاصل بين نمطي العلاج الشعبي والرسمي ما هو إلا انعكاس لتنوع البناء الاجتماعي الثقافي المنطلق من عدة ثنائيات للبناء السوسيو ثقافي للمجتمع، منها: (حضر/ ريف)، (أغنياء/ فقراء)، (متقنين/ عوام) (18).

لكن يبقى اتخاذ موقف تجاه الطب الشعبي أمرًا شائغًا، إذ يتداخل مع مفاهيم الأصالة الاجتماعية والتدين، وفي بحثها (ثقافة العلاج الشعبي)، تخلص طالبة الدكتوراه نجاة ناصر إلى أن العوامل الثقافية التي تفسر لجوء المرضى إلى العلاج الشعبي للمداواة هي: ارتباط الطب الشعبي بالدين، مما «أعطاه نوعًا من القدسية، بالإضافة إلى الاعتقاد بنجاعة العلاج الشعبي وفاعليته في علاج الأمراض»، وارتباط الطب الشعبي بالثقافة الشعبية، ما يجعل اللجوء إليه مظهرًا من مظاهر الأصالة الثقافية والارتباط بالمجتمع (9)، أي أنك عندما تأخذ بإحدى وصفات الطب التقليدي تعزز ارتباطك بالبيئة التي تعيش فيها وثقافتها، في حين قد يرى البعض أن رفض هذه الممارسة بمنزلة اعتراض على ثقافتك الاجتماعية.

المراجع

أولاً: المصادر العربية

- 1 - أحمد محمد عوف، عبقرية الحضارة الإسلامية، (مقالة علمية) عن www.arwikibooks.org.
- 2 - براك عبيد عوض المطيري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرن (3هـ): رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة القاهرة 2007م.
- 3 - البستاني (دائرة المعارف)، مج5، بيروت 1958.
- 4 - جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام في دار السلام، القاهرة، 1935م.
- 5 - حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني (254-292هـ / 868-1905م)، القاهرة 2004م.
- 6 - خالد حسين محمود: حضارة مدينة فاس في عصر الادارسة (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة 2000م.
- 7 - راضي عبد الله عبد الحليم، الجيش والأسطول في العصر العباسي الأول (132هـ-232هـ)، القاهرة 1995م.
- 8 - زهير حميدان، أعلام الحضارة العربية والإسلامية، ج1، دمشق 1995م.
- 9 - شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها. ط1، ج2، 1، بيروت 1993م.
- 10 - عادل السيد أحمد، الإسلام والطب البيطري، القاهرة 1987م.
- 11 - لطف الله قاري، نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي، الرياض 1986م.
- 12 - مجموعة باحثين عراقيين، حضارة العراق، ج5، 6، 8، بغداد 1980م.
- 13 - محمد بن إبراهيم ساعد الأنصاري: إرشاد القاصد إلى أنس المقاصد،

القاهرة 1900م.

- 14 - محمد محمود عبد الله، عالم الحيوان بين العلم والقرآن، ط1، القاهرة 1998م.
- 15 - محمد الطبيب النجار، محمد مصطفى النجار، الدولة الأموية والعباسية وحضارتها، ط1، القاهرة 1967م.
- 16 - محمد علي الباز، الحسبة في المجال الطبي ونظرة في كتاب نهاية الرتبة في مجال الحسبة. مقالة علمية عن: www.nooran.org.
- 17 - وليم نظير: الزراعة في مصر الإسلامية من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد الثورة، القاهرة، 1969م.
- 18 - الأنثروبولوجيا الطبية دراسات نظرية وبحوث ميدانية. د. علي المكاوي. 1992 دار المعارف، مصر

ثانيا: المصادر الاجنبية

<https://www.who.int/health-topics/traditional-complementary19->

Science struck, History of Veterinary Medicine [Web document] 20- Available from: <https://sciencestruck.com/history-of-veterinary-medicine>

O'Connor, B. B., & Hufford, D. J. (2001). Understanding folk21-

Healing logics: culture and medicine in modern health

belief

<https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-5625620322->

<https://www.americanherbalistsguild.com/23->





دراسة لأرجوزة في الطب العماني بعنوان:

«فيما يجب على الطبيب
معرفة من شروط الطب»
للطبيب العماني راشد بن
عميرة

د. ناصر بن علي الندابي

أستاذ التاريخ المساعد-جامعة الشرقية

Nasser.alnadabi@asu.edu.om

د. ناصر بن عبد الله الصقري

أستاذ التاريخ المساعد- جامعة السلطان قابوس

N.alsaqri@squ.edu.om

المخلص

يزخر التراث العماني المخطوط بثناء وتنوع كبيرين لا سيما في المواضيع الفقهية واللغوية التي نالت النصيب الأكبر في التراث العماني المخطوط، وهي وإن تركزت في هذه الجوانب، إلا أن هناك قدرا لا بأس به من المخطوطات التي تبحث في العلوم التجريبية ومن بينها علم الطب، ولا أدل على ذلك من مخطوطات الطبيب العماني راشد بن عميرة الرستاقى التي عالج فيها موضوعات مختلفة في علم الطب. وعلى الرغم من الجهود التي بذلت في دراسة وتحقيق بعض مؤلفاته، إلا أن معظمها ما زالت حبيسة الأدرج تنتظر من يزيل عنها غبار الزمن ليخرجها للباحثين والمهتمين ليتمكنوا من الاطلاع على مكونات التراث العماني في بعض جوانبه الفريدة.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إحدى مخطوطات الطبيب العماني راشد بن عميرة وهي عبارة عن أرجوزة في الطب تحمل عنوان: «فيما يجب على الطبيب معرفة من شروط الطب» وذلك من خلال دراسة هذا المخطوط بالاعتماد

على النسخ المتوفرة، والتي تمكن الباحثان من الحصول عليها، ومقارنتها للوصول إلى النص الصحيح الذي كان المؤلف يود أن يوصله إلى أيدي القراء والراغبين في دراسة هذا العلم من المهتمين آنذاك.

تسعى هذه الورقة لدراسة الأرجوزة بدءًا بالتعريف بالمؤلف، وحياته، ثم عرض المنهجية التي سار عليها المؤلف في هذه الأرجوزة وشرحها، والمواضيع التي تطرقت لها الأرجوزة، ومحاولة معرفة المصادر التي استقى منها المؤلف معلوماته في التأليف، وشرح بعض المصطلحات الطبية المستخدمة، والتي قد يصعب معرفة معناها للقارئ. وخلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها إبراز اهتمام العلماء العمانيين بجانب مهم في علم الطب، يتمثل في أخلاقيات الممارسة الطبية، وأيضاً الجوانب التقليدية التي كانت متداولة وممارسة لدى العمانيين في الأزمنة الماضية، وطرق التطبيب التقليدية التي كانت سائدة آنذاك، وأسماء بعض الأمراض، وأعراضها. ويوصي الباحثان في نهاية هذه الدراسة، أن يتم تحقيق هذه الأرجوزة وإخراجها ليستفيد منها الباحثون، والمهتمون في هذا الجانب.

الكلمات المفتاحية: ابن عميرة، مخطوطة في الطب، أرجوزة، شروط مهنة

الطب.

**A Study on Arjoza the Omani Physician Rashid bin Omaira in Medicine
Entitled "What the Doctor Should Know about Medical Requirements"**

Dr. Nasser bin Ali bin Salem Al-Nadabi, A'Sharqiyah University (ASU)

Dr. Nasser bin Abdullah bin Salem Al-Saqri, Sultan Qaboos University (SQU)

Abstract

The Omani manuscript heritage is very rich and diverse, especially in the various topics addressed by Omani authors. While concentrated in religious aspects, especially jurisprudence, there is a good deal of manuscripts that touched on experimental sciences, including medicine, and this is evidenced by the manuscripts of the Omani Physician Rashid bin Omaira Al-Rustaqi, which covered various medical subjects. Despite the efforts made to study and verify some of his books, most of them are still neglected waiting for someone to bring them out to researchers and interested people to be able to view Omani heritage in some of its unique aspects. This study aims to highlight an Arjoza in medicine and its explanation titled: "What the Doctor Should Know about Medical Requirements", a manuscript of the Omani physician Rashid bin Omaira, by studying this manuscript through its

copies available and comparing them to access the correct text that the author would have liked to convey to the readers and those interested in studying that science at that time. This paper seeks to study the Arjoza, starting with the definition of the author and his life, then presenting the methodology used by the author in this Arjoza and explaining it, reviewing the topics on which the Arjoza touched, trying to find out the sources from which the author drew his information in writing, and explaining the meanings of some medical terms used, which may be difficult for the reader to be understood. The study reached to results, the most important of which is highlighting the interest of Omani scientists in an important aspect of medical science, namely the ethics of medical practice, as well as traditional medical aspects that were in circulation and practice by Omanis in past times, traditional methods of medicine that were prevalent at that point and the names of certain diseases and their symptoms. At the end of this study, the researchers recommend that this Arjoza be checked and presented for the benefit of the researchers and those interested in this aspect.

Keywords: Ibn Omaira, Medical Manuscript, Arjoza, Requirements of the Medical Profession.

المقدمة

الحمد لله العليم، والصلاة والسلام على المعلم الأول والهادي إلى الصراط المستقيم محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه إلى يوم المعاد والدين.

زخرت عمان عبر تاريخها بعدد من العلماء الذين أثروا الحياة الفكرية والعلمية في مجالات مختلفة، وبقيت آثارهم العلمية وإسهاماتهم شاهدة على إبداعاتهم ونبوغهم من خلال التراث المخطوط الذي خلفوه لنا، وكان من المجالات التي أسهم فيها العلماء العمانيين هو علم الطب، فظهر عدد من الأطباء عبر عصور عمان المختلفة، منهم ابن الذهبي أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي الصحاري، الذي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي)، الذي برع في علم الطب ووضع معجما طبيا عربيا هو كتاب «الماء»، والأطباء المنتمون إلى عائلة ابن هاشم العيني الرستاقى، وأبرزهم راشد بن خلف وأخيه ثاني بن خلف، من علماء أواخر القرن التاسع والثالث الأول من القرن العاشر الهجريين (نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلاديين)، والطبيب عميرة بن ثاني من أطباء القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وكان طبيبا وفقهيا، وهو والد الطبيب راشد بن عميرة الذي سيكون الحديث في هذه الدراسة عن واحد من نتاجاته العلمية في علم الطب⁽¹⁾.

ومهما تعمقنا في دراسة حياة الطبيب العماني راشد بن عميرة، ونتاجه العلمي، لنستجلي ما تركه لنا من آثار في هذا الجانب، فإن القائمة تطول والجهد يخبو، نظرا لتلك الآثار التي ما زالت حبيسة الأدرج، تنتظر من يزيل عنها غبار الزمن،

(1) السبائي، صالح بن محمد بن سليمان، العمانيون والعولم التجريبية: الطب والهندسة والفلك والملاحة البحرية، مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، مسقط، ٢٠١٨، ص ١١٢.

ليخرجها للقراء، لينهلوا من معين ذلكم العلم. وها نحن اليوم نحاول أن نميط اللثام عن أحد نتاجاته العلمية في مجال الطب، لنثري المكتبة العمانية بدراسة حول أرجوزة مخطوطة له بعنوان: «فيما يجب على الطبيب معرفته من شروط الطب».

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها:

1 - تدرس هذا المخطوط الذي ما زال حبيس الخزائن، والذي قد لا يعرف عنه الكثير من الدارسين والمهتمين، أو سمعوا عنه فقط، وتناوله في هذه الدراسة بحثاً وتحليلاً، ليتسنى الاستفادة من مكنوناته ومعارفه، ولإبراز ما أنتجته العقول العمانية في مجال الطب والتمريض، ولتوضيح جانب مهم اهتم به ابن عميرة من خلال موضوع هذه الأرجوزة، وهو ما يعرف حالياً بأخلاقيات مهنة الطب، أو أخلاقيات الممارسة الطبية، وهو جانب فريد في النتاجات العلمية العمانية في مجال الطب.

2 - إبراز مكانة شخصية ابن عميرة بين أقرانه من الأطباء الذين عاصروهم أو من أتى من بعده.

3 - تسد ثغرة قد تساءل عنها من خاض غمار الطب، وقرأ مؤلفات ابن عميرة، ولعلمهم قد أبدوا تساؤلاً عن بقية مؤلفات هذا العالم وكنوزه، وهي في الوقت نفسه تعطي دافعا معنوياً لجيل اليوم للسير على منهاج هؤلاء العلماء الذين بذلوا العزيم والنفيس لإيصال هذه المعارف إلى الأجيال الماضية حتى بلغت إلينا.

أهداف الدراسة:

سعت الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف من أهمها:

1 - دراسة المخطوط بعد عملية رقته، وإخراجه من النص المخطوط إلى النص

- المقروء، لتسهيل عميلة القراءة واستخراج المعارف.
- 2 - مقابلة النسخ مع بعضها البعض في محاولة منا للإطلاع على النص الصحيح الذي رغب المؤلف في إيصاله إلى أيدي قرائه.
- 3 - التعريف بالمنهجية التي سار عليها المؤلف في تأليف هذا المخطوط.
- 4 - تتبع مصادر الطبيب ابن عميرة التي اعتمد عليها في تدوين هذا المخطوط من الكتب السابقة والعلماء الذين درس علي أيديهم أو الذين نقل عنهم.
- 5 - تعريف بعض المفاهيم الواردة في المخطوط، وإعطاء نماذج منها والتي من شأنها تبيان المنزلة العلمية التي بلغها ابن عميرة في التمكن من مفاهيم علم الطب على مستوى العالم الإسلامي.
- 6 - استنتاج النصوص للتعرف عن قرب على شخصية ابن عميرة من حيث تتبع تنقلاته والأماكن التي نزل بها، ومن التقى بهم من العلماء ومن أخذ منهم، واستنباط بنيته المعرفية والعلمية.

منهج الدراسة :

تقوم الدراسة على جمع النسخ المخطوطة، والمقارنة بينها، وقراءة المخطوطة قراءة دقيقة بعد رقتها وضبط النظم، مستخدمين في ذلك المنهج الوصفي في توضيح المواضيع التي تطرقت لها المخطوطة، والتي سيتم توضيحها لاحقاً، والتقسيم الذي اتبعه المؤلف، والمنهج الذي سار عليه، والتعريف بالمصطلحات المستخدمة. والمنهج التحليلي في تحليل الشروحات التي وضعها المؤلف على النظم، معولين في ذلك على عدة جوانب، منها النظر للفترة التاريخية التي عاش بها المؤلف، والأحداث المتعلقة بشخص المؤلف، أو ما يدور حوله من نهضة علمية بارزة سواء في عمان أو حولها.

مشكلة الدراسة :

تتمثل مشكلة الدراسة في التباين الواضح بين النسخ المخطوطة لها، هذا التباين والاختلاف شمل الأبيات، وأيضا شرحها، كما أن هناك سقط وأخطاء في بعض المواضع، وركاكة في العبارات أحيانا، فضلا عن تدخلات النساخ في النص المنظوم، وعدم ضبط بعض المفاهيم وكتابتها بطريقة صحيحة كما أراد لها مؤلفها.

أسئلة الدراسة :

ستسعى الدراسة للإجابة على هذه الأسئلة:

- ما طبيعة الظروف التي نشأ وترعرع فيها المؤلف والتي أثرت في تكوينه العلمي وميوله لعلم الطب؟
- ما هي الموضوعات التي تطرق لها المؤلف في هذه المنظومة؟
- ما المصادر التي استقى منها المؤلف معلوماته، سواء من الكتب أو العلماء أو التجارب الشخصية؟
- ما مدى توافق النسخ المخطوطة للأرجوزة وجوانب الاختلاف فيها؟
- ما المنهجية التي سار عليها المؤلف في تدوين هذه المنظومة والشرح الذي وضعه عليها؟

عناصر الدراسة:

ستتضم الدراسة عدد من العناصر وهي كالتالي:

- التعريف بالمؤلف.
- منهجية المؤلف ومصادره.
- وصف النسخ المخطوطة.

مواضيع الأرجوزة.
اجتهاداته وآراءه الطبية.
دراسة مقارنة بين النسخ الثلاث:
المصادر العلمية التي اعتمد عليها.
تعريف المفاهيم والمصطلحات الطبية.

نتائج الدراسة:

نتوقع من هذه الدراسة أن تظهر للمختص بصورة خاصة والقارئ على وجه العموم بعض المعلومات الطبية التي كانت متداولة في الأزمنة الماضية والمكانة العلمية التي بلغها هذا العالم الفذ، وإيضاح المكانة العلمية التي وصل لها علماء عمان في علم الطب وفنونه من خلال دراسة هذا النتاج العلمي للطبيب العماني راشد بن عميرة.

التعريف بالمؤلف:

1- اسمه ونسبه:

هو راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف بن محمد بن عبدالله بن هاشم العيني الرستاقى العماني⁽¹⁾، من قريته «عيني»، إحدى قرى ولاية الرستاق، والتي بها عين الكسفة، أحد أفلاج عمان المشهورة، وكان يسكن بجوارها⁽²⁾. أما الرستاقى فهي بطبيعة الحال نسبة إلى مدينته الرستاق. وقد عرف الطبيب راشد بن عميرة

(1) للمزيد حول نسب الطبيب راشد بن عميرة، ينظر: البطاشي، سيف بن حمود، اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، ج ٢، ط ٤، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ٢٠١٦ الصفحات ٢٥٤ - ٣٠١.

(2) ابن هاشم، راشد بن عمير، فاكهة ابن السبيل، ج ١، ط ٢، ١٩٨٤، مقدمة الطبعة للشيخ مهنا بن خلفان الخروصي.

بكنيته التي فاقت اسمه وهي (ابن هاشم)، وهو جده الخامس كما يظهر في سلسلة نسبه، ووصلت شهرته بهذه الكنية لدرجة أصبح يضرب المثل بها فيمن أراد أن يمارس مهنة الطب، ووصف الأدوية وهو غير حاذق فيها، أو غير مؤهل لذلك، بقولهم: «ما أنت بابن هاشم»⁽¹⁾.

عاش راشد بن عميرة في أواخر القرن العاشر وبدايات القرن الحادي عشر الهجريين/ السادس عشر والسابع عشر الميلاديين⁽²⁾.

1- أشيائه وتلامذته:

بعد العودة إلى كتب التراجم والأعلام، لا سيما العمانية منها، تبين أنها لم تذكر أسماء من أخذ عنهم راشد بن عميرة العلم من عمان أو خارج عمان، كما لم يشر إلى أحد منهم في هذه الأرجوزة وشرحها. ولكن، ونظرا لأن والده كان طبيبًا، بل إن عائلة ابن هاشم نبغ فيها عدد من الأطباء⁽³⁾، وفي مقدمتهم والده، فبلا شك أنه تتلمذ عليه، ونهل من علمه في مجال الطب، واستفاد مما توفر لدى والده من كتب في علم الطب. أما تلامذته فلا نجد أيضًا إشارة لأسماء تتلمذت على يديه، إلا أن ابنه عميرة أيضا كان ممن برع في الطب، بل إن والده ألف كتاب (منهاج

(1) نفسه.

(2) مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، م ٤، وزارة التراث القومي والثقافة، ٢٠١٣، ص ١٤٩٩.

(3) ذكر الشيخ البطاشي أسماء عديدة من أسرة ابن هاشم ممن برعوا في الفقه والطب، ومن أبرزهم راشد بن خلف الذي عاش في نهاية القرن التاسع والثلاث الأول من القرن العاشر الهجريين؛ إتحاف الأعيان، ص ٢٤٤.

المتعلمين⁽¹⁾ من أجل ابنه عميرة⁽²⁾.

ترك لنا الطبيب راشد بن عميرة العديدة من المؤلفات التي تنوعت بين النثر والنظم، وهي دليل على نبوغه وتمكنه في هذا الفن، فإلى جانب الأرجوزة التي هي موضع الدراسة في هذا البحث، تأتي المؤلفات الأخرى وهي كالآتي⁽³⁾:

فاكهة ابن السبيل (مطبوع)⁽⁴⁾.

مختصر فاكهة ابن السبيل، وهو اختصار للكتاب السابق (مطبوع)⁽⁵⁾.

منهاج المتعلمين، (مطبوع)⁽⁶⁾.

المنظومة الرائية التي ذكر فيها الأعضاء الرئيسية لجسم الانسان

(مخطوط)⁽⁷⁾.

(1) هو كتاب ألفه الطبيب راشد بن عميرة لابنه عميرة لكي يتمكن من تعلم الطب وسلك مسار والده في هذا الجانب، ويكون قادرا على مداواة الناس وعلاجهم، وأيضا أراد منه المؤلف أن يكون كتابا تعليميا لمن أراد أن يتعلم ويبحث عن وسائل العلاج المناسبة لمختلف الأمراض التي تصيب الإنسان من رأسه إلى قدميه، وذكر فيه الكثير من الأعشاب الطبية، وأبرز وسائل العلاج المستخدمة آنذاك مثل الصغد، والكي، والجراحة، وغيرها؛ ابن هاشم، راشد بن عميرة، منهاج المتعلمين، دراسة وتحقيق: عبدالله بن علي السعدي، وزارة التراث والثقافة، ٢٠١٣م، ص ٢٤.

(2) إتحاف الأعيان، ص ٢٥٧.

(3) ابن هاشم، راشد بن عميرة، مختصر فاكهة ابن السبيل، دراسة وتحقيق: عبدالله بن علي السعدي، وزارة التراث والثقافة، ٢٠١٦م، ص ٣٥-٣٧.

(4) تمت طباعته من قبل وزارة التراث والثقافة، بسلطنة عمان، في عام ١٩٨٤م، في جزئين اثنين بدون تحقيق .

(5) طبع من قبل وزارة التراث والثقافة، بسلطنة عمان، وقد خرج محققا بتحقيق الباحث : عبدالله بن علي السعدي، وصدر في عام ٢٠١٦م.

(6) صدر محققا من قبل الباحث : عبدالله بن علي السعدي، وقد طبع ونشر على نفقة وزارة التراث والثقافة، بسلطنة عمان، في عام ٢٠١٣م.

(7) وتوجد نسختان منها بالمديرية العامة للوثائق والمخطوطات، دائرة الوثائق، بوزارة الثقافة والشباب والرياضة، الأولى : تحت رقم (١٧٦٩) وقد نسخت عام ١٣٠٥هـ بيد الناسخ محمد بن حمد بن سلام الحراصي، والثانية تحت رقم (٣٠٥٠) نسخت في عام ١٢٧٤هـ بدون ذكر اسم الناسخ، انظر : فهرس المخطوطات، الطب والكيمياء، ط١، وزارة التراث والثقافة، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات، دائرة المخطوطات، ٢٠٠٦م، مجلد ٤ ، ص ٤٨-٤٩ .

زاد الفقير وجبر الكسير، (مخطوط)⁽¹⁾.
شرح على قصيدته الميمية في تشريح العين، (مخطوط)⁽²⁾.
أرجوزة في الفصد والحجامة والشرحها، (مخطوط)⁽³⁾.
المنظومة الدالية وشرحها في تشريح جسد الانسان من الرأس إلى القدم،
(مخطوط)⁽⁴⁾.

أرجوزة في مراحل عمر الإنسان من الطفولة إلى الهرم، (مخطوط)⁽⁵⁾.
زاد المسافر، يتضمن فصول في عدة مواضيع طبية، (مخطوط)⁽⁶⁾.
أما بالنسبة لوفاة الطبيب راشد بن عميرة، فلا يوجد تاريخ دقيق لوفاته، وكان ما
زال على قيد الحياة حتى سنة 1610/1019م، كما أشار إلى ذلك في كتابه منهاج

(1) توجد العديد من النسخة المخطوطة له، بدائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق
والمخطوطات، بوزارة الثقافة والشباب والرياضة، تحت رقم (3945)، (2500)، (1979)،
(3092) وغيرها، انظر: وزارة التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، مرجع سابق، ص 23-
32.

(2) توجد نسخة من المخطوط، بدائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات،
بوزارة الثقافة والشباب والرياضة، تحت رقم (1769)، نسخت عام 1305هـ، ناسخها محمد
بن حمد بن سلام الحرصي، انظر: وزارة التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، مرجع سابق،
ص 46.

(3) توجد نسخة من المخطوط، بدائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات،
بوزارة الثقافة والشباب والرياضة تحت رقم (3722)، نسخت عام 1117هـ، ناسخها محمد
بن سعيد بن محمد الشرجي، انظر: وزارة التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، مرجع سابق،
ص 37.

(4) توجد نسخة منها بدائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات، بوزارة الثقافة
والشباب والرياضة، تحت رقم (700)، بدون تاريخ للنسخ ولا اسم الناسخ، انظر: وزارة
التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، مرجع سابق، ص 47.

(5) توجد نسخة منها بدائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات، بوزارة الثقافة
والشباب والرياضة، تحت رقم (1764)، نسخت عام 1019هـ، بدون ذكر اسم الناسخ، انظر:
وزارة التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، مرجع سابق، ص 38.

(6) توجد نسخة منها بدائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات، بوزارة الثقافة
والشباب والرياضة، تحت رقم (2500)، نسخت عام 1255هـ، ناسخها شوين بن محمد بن
سعيد الرمحي، انظر: وزارة التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، مرجع سابق، ص 42.

المتعلمين⁽¹⁾، وقد جاوز عمره المائة عام عند وفاته.

وصف النسخ المخطوطة:

قبل الخوض في وصف النسخ، نود أن نشير إلى الخلط الحاصل في المراجع حول تسمية الأرجوزة، فالبطاشي يشير إليها بعنوان (مجلات المتطبين ومهبع السالكين) وذكر بأنها أرجوزة تقارب مائتين وعشرين بيتاً⁽²⁾، في حين أن النسخ الثلاث التي اعتمدنا عليها، لم تشر إلى هذا الاسم، كما أن أبيات القصيدة لا تصل للعدد الذي أشار إليه البطاشي. أما كاتب المقدمة التي تضمنها كتاب فاكهة ابن السبيل المطبوع، فقد أشار إليها بقوله: «الأرجوزة التي في طبائع الانسان»، واستشهد بأبيات منها⁽³⁾، في حين ذكرت الموسوعة العمانية بأن من بين مؤلفات الطبيب ابن هاشم (مجلات المتطبين ومنهج السالكين)⁽⁴⁾. في حين ذكر محقق كتابي مختصر فاكهة ابن السبيل، ومنهاج المتعلمين، بأن عنوانها (مجلات المتطبين ومنهج السالكين)⁽⁵⁾، وقد يكون سبب هذا التضارب التصحيف الذي قد يحصل في بعض النسخ المخطوطة، وأخطاء النساخ، ولكن الملفت للنظر، أن المؤلف لم يذكر أياً من هذه العناوين في النسخ الثلاث للأرجوزة، والتي اعتمدت عليها هذه الدراسة، حيث تكررت هذه العبارة في النسخ الثلاث، في بداية الأرجوزة بقوله: «فإن العبد الفقير إلى الله تعالى راشد بن عميره بن ثاني بن خلف بن محمد بن عبدالله بن هاشم العماني العيني الرستاقى، أراد أن يضع أرجوزة فيما يجب على الطبيب

(1) ابن هاشم، راشد بن عميرة، منهاج المتعلمين، دراسة وتحقيق: عبدالله بن علي السعدي، وزارة التراث والثقافة، ٢٠١٣، ص ٢٠.

(2) إتحاف الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٧.

(3) فاكهة ابن السبيل، ج ١، ط ٢، مقدمة الطبعة.

(4) الموسوعة العمانية، م ٤، ص ١٥٠٠.

(5) مختصر فاكهة ابن السبيل، ص ٣٦؛ منهاج المتعلمين، ص ١٩.

من معرفة الشروط الطبية، ومما أمر بها الحكماء ونهوا عنه، ومعرفة الطبائع بالذوق والنبض والبول، وفي معرفة العروق للإنسان كم هي، وفي معرفة العروق التي في بدن الإنسان التي تفصد، وفي معرفة الحجاماة ومواقعها ومنافعها، وفي معرفة دق أدوية العين وكيف استعمالها وفي أي وقت تدق»⁽¹⁾.

اعتمدت الدراسة على المقارنة بين ثلاث نسخ مخطوطة للأرجوزة محفوظة بدائرة المخطوطات بوزارة الثقافة والرياضة والشباب، وجميعها موجودة ضمن مجاميع (مخطوط يحيوي مجموعة مؤلفات)، وفيما يلي وصف لهذه النسخ المخطوطة:

المخطوط رقم 1764:

هذه النسخة من محفوظات وزارة الثقافة والرياضة والشباب تحت رقم (1764)، وهي جزء من مجموع بدايته أرجوزة في مراحل عمر الإنسان، ويقع المجموعة في 21 صفحة، وتحتوي الصفحة على 14 سطرا، وحجمها 12 × 15 سم.

استخدم في كتابتها اللون الأسود، ولا يوجد تاريخ نسخ المخطوطة، ولا ناسخ لها، ولا الشخص المنسوخ له، والمخطوطة بحالة جيدة ولا يوجد بها خرم ولا رطوبة بالنص الذي قمنا بدراسته، أما بصورة عامة فيوجد به رطوبة في بعض صفحاته في بعض المواضع الأخرى.

أما الأرجوزة موضوع الدراسة، فتبدأ من الصفحة 615 على حسب ترقيم المخطوط الداخلي أما إلكترونيا فهو يبدأ من الصفحة 300، وفي الصفحة 619 يوجد سقط مقداره صفحة كاملة تقريبا، أما شرح الأرجوزة فينتهي عند الصفحة

(1) المخطوطات رقم 1764، 1797، 700، المحفوظة بوزارة الثقافة والرياضة والشباب.

653 حسب ترقيم المخطوط أما إلكترونيا ينتهي عند الصفحة 319.

ينتهي بالبيت:

والآل والأصحاب طراً كلما ناخ الحمام الورق والغيث هما

يستمر الخط متشابه حتى الصفحة 701 (الالكترونيا 324) ثم يتغير الخط والذي يظهر ناسخاً آخر بدأ بالكتابة في الصفحة 711 إلكترونيا 328. ذكر تاريخ نسخ المجموع بقوله: «وكان الفراغ من كتابة هذه الوصية الشريفة يوم الخميس سبع والعشرون من شهر شعبان سنة 1113 هـ والحمد لله رب العالمين». بينما تاريخ بداية نسخ الأرجوزة كان في يوم الأحد عام 1000 هـ كما ظهر ذلك من قوله:

جاءت على البديّة يومَ الأحدِ في سنةِ الألفِ ولمّا يزدِ

منْ هجرةِ المختارِ خيرِ الأنبياءِ وسيّدِ الساداتِ بله الأولياءِ

المخطوط رقم 1797:

النسخة ملك وزارة الثقافة والرياضة والشباب تحت رقم (1797)، وهي جزء من مجموع، إذ يحتوي المجموع على قصيدة (زاد الفقير وجبر الكسير) التي تلت الأرجوزة التي بين أيدينا، وسبقت الأرجوزة بدعاء طويل، وتبلغ عدد صفحات المجموع 14 صفحة، وتحتوي كل صفحة على 17 سطرا، وحجم كل صفحة 22 × 17 سم، وكتبت بخط أسود وأحمر، وتستحوذ أرجوزتنا على 7 صفحات من صفحات المجموع، ولا يوجد ناسخ للمخطوط، ولا تاريخ النسخ، ولا المنسوخة له، والمخطوط بصورة عامة بحالة جيدة.

وظهرت الأرجوزة التي نقوم بدراستها ناقصة في هذه النسخة إذ نجد أن الناسخ يبدأ بشرح بعض الأبيات الأخيرة مبتدءا بالبيت الآتي:

وخذُ مقالاً في عروقِ الرأسِ والقصدُ فيها يا أبا العباسِ

وظفق بشرح هذه الأبيات والتي جاءت من بعدها ولكنه شرح مختصر ليس كالشرح في المخطوط رقم (1764)، ويظهر أن الشرح المختصر بهذه النسخة متشابه مع المخطوط السابق، ولكن في المخطوط السابق يوجد تفاصيل أكثر تتبع هذا الشرح المختصر.

وفي هذه النسخة ذكر الناسخ أن النظم انتهى بعد أن ذكر آخر بيت وهو:

والألُّ والأصحابُ طرّاً كلما ناحَ الحمامُ الورقُ والغيثُ هما

ثم أعقبه بقوله: «تمت الأرجوزة بعون الله وتوفيقه والصلاة والسلام علي خير خلقه وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم.....».

وينتهي المخطوط في الصفحة 12 وإلكترونياً الصفحة 14، ثم يدخل مباشرة بعد قوله «والله أعلم» قوله: «ومن كتاب الأزرق.....».

المخطوط رقم 700:

المخطوط أيضاً موجود بوزارة الثقافة والرياضة والشباب تحت رقم (700)، وهذه النسخة هي جزء من مجموع يبدأ بالجزء الخامس والعشرون من كتاب بيان الشرع، وهو الجزء الخاص بالنذور والاعتكاف وبعدها قصيدة زاد الفقير وجبر الكسير، ثم الأرجوزة محل الدراسة، وبعدها تأتي قصيدة في تشريح جسم الإنسان. صفحات المخطوط كتبت بالأسود والأحمر، ويقع في (45) صفحة، وكل صفحة تحتوي على 18 سطر، وحجمها 21 × 16 سم، والأرجوزة - محل الدراسة - تقع بين الصفحات (105 - 109) بالترقيم الداخلي للمخطوط، والصفحات (55 - 82) بالترقيم الإلكتروني للمخطوط.

يبدأ المخطوط المدروس بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله مدبر

الأمر، وعالم الغيب المستور...»، وينتهي عند قوله: «فهذا ما احتجت أن أقدم ذكره في هذا الفن من تذكرة الكحالين والله ولي التوفيق والله أعلم» ثم أتى ببقية الأرجوزة التي ختم بها.

وقد دون تاريخ نسخها في نهاية الأرجوزة، إذ نسخت في 29 / ربيع الثاني / 1207هـ، ونجد ذلك مدونا في الأبيات الشعرية التي ختم فيها الناسخ المخطوط:

في الجمعة الزهرا وتاسع مع عشر	من الربيع الثاني قولي قد نشر
ناسخها ومالكها مقدم	في الآخر الأولي الفقير المسلم
من هجرة المختار خير البارية	ألف ومائتي سبع سني سارية

ذيل الناسخ في النسخة 700 بعض شروح الأبيات عبارة: «والله أعلم قوله»، وقد يفهم من ذلك أن ابن عميرة ليس هو الشارح للأبيات وإنما شخص آخر، والشارح يجتهد في بيان معاني الأبيات بدلالة الضمير المتصل في كلمة (بقوله). في حين أن يكتب في مواضع أخرى «والله أعلم» وقد يفهم أيضا من هذا أن هذه اللفظة هي لابن عميرة التي تخالف ما تشير إليه اللفظة السابقة.

دراسة مقارنة بين النسخ الثلاث:

من خلال القراءة المتأنية للنسخ الثلاث للمخطوط نجد أن هناك تباين واختلاف في بعض الجوانب التي من شأنها أن تكون كل نسخة مكملة للنسخ الأخرى، وسنعرض هنا بعض تلك الاختلافات في هذه النسخ.

تتضح الصبغة الدينية بصورة عامة في جميع النسخ، وذلك من خلال إنهاء معظم نصوص شرح الأرجوزة بكلمات مثل (إن شاء الله تعالى)، وقوله (الله تعالى أعلم)... الخ. وأحيانا تكون الإضافة غير ملائمة لمفهوم النص ومثال ذلك قوله في

النسخة 1764: «.....فينبغي أن تكون المحجمة صغيرة إن شاء الله تعالى» فهي غير ملائمة لما قبلها.

ومما يلاحظ في النسخة 700 أن الذي قام بتحميم المخطوط وتحديد كلمة (فصل) لم ينتبه أحيانا، فقام بتحميم بعض الكلمات على أنها فصل، في حين أن المقصود بها فصول السنة، كما في الصفحة رقم 141 داخليا، الصفحة 73 الكرونيا.

وقد وجدنا أن النسخة 700 هي الأقرب للنسخة 1764 من النسخة رقم 1797، وذلك لعدة أسباب وهي:

هناك تشابه في العنوان الأول والكلام قبل بداية الأبيات. كما أن هذه النسخة من المخطوط مختلف أيضا في ترتيب شرح الأبيات كما يظهر في بداية الأرجوزة في البيت: ولا تقلد أمرَك الجهَّالا.....الخ.

في نسخة 700 يوجد تنظيم في فصل الأبيات عن الشرح في حين في 1764 تتداخل الأبيات مع الشرح كما في البيت:

ولا تقلد أمرَك الجهَّالا فَنُحِطُّ الصَّوَابَ وَالْمَقَالَا

وأیضا البيت:

لكنْ عليه عِلْمٌ كلَّ طَبَعٍ مِنْ الطَّبَائِعِ حَضْرَهَا بِالْجَمْعِ

في النسخة 700 هناك إضافات في وسط الشرح، أحيانا كلمات زائدة، غير موجود في النسخة الأخرى 1764، وهذا يحتمل أمرين: إما أن يكون زيادة من النساخ، أو أن المؤلف يضيف في النسخ كلما أعاد نسخها مرة أخرى، وهو ما

يطلق عليه في أبجديات علم المخطوطات بـ (الإبرازة) الثالثة. وإذا صح هذا فمعنى ذلك أن النسخة رقم 700 هي الأحدث.

في النسخة رقم 1764 وبعد الانتهاء من شرح البيت (لكن عليه علم كل طبع.....الخ) سقطت الأبيات حتى نهاية البيت (أن تضع الإبهام فوق العظم)، في حين وردت في النسخة رقم 1797 بدون شرح، أما في النسخة رقم 700 فقد وردت الأبيات مع الشرح.

في النسخة 1764 يوجد تداخل كبير في الأبيات من فصول مختلفة حتى في الصفحة الواحدة كما هو الحال عندما انتهى من شرح البيت:

فَاتِهِ مُعْتَدِلُ الطَّبَايعِ فَاحْكُمْ بِهِ تَحْكِيمَ غَيْرِ ضَائِعِ

فبعد شرح هذين البيتين انتقل إلى بيئتين آخريين هما من فصل متقدم (فصل في معرفة الدلالة الدالة على الموت والدخول على المريض). في حين أن النسخة رقم 700 لا يوجد بها هذا التداخل، والخلط. ويوضح بداية كل فصل في الأرجوزة، كما أنه لا يقوم بكتابة الأبيات داخل الشرح، مما يجعل من الصعوبة على قارئ المخطوطة التمييز بينها وبين الشرح، كما هو في 1764، وإنما يكتبها في النسخة 700 في سطر مستقل، ويوضح بداية كل فصل.

توجد إضافات أخرى أحيانا في الشرح والكلام أكثر مما في النسختين الأخرين. النسخة رقم 700 يوجد الكثير من الكلمات تم ضبطها بالشكل (الحركات) وهو ما نفتقده في النسختين الأخرين.

وبهذه الأسباب جميعها، نرى أن النسخة رقم 700 هي النسخة الأصح والأضبط من النسخ الأخرى، ويمكن التعويل عليها بجعلها النسخة الأم لمن رغب في خوض غمار تحقيق هذه الأرجوزة.

تقسيمات الأرجوزة:

بلغت عدد أبيات المنظومة مائة وعشرة أبيات، ثم قام الناظم بشرحها واحتوى الشرح على مقدمة وتسعة عشر فصلا.

وبداً أولاً بأبيات كمقدمة، وكانت فحوى هذه المقدمة هي نصائح لطالب العلم الذي يرغب في دخول غمار الطب والتطبيب، والأساسيات التي يجب على الطبيب معرفتها، ثم اعتمد على تقسيم الأرجوزة إلى فصول حسب المواضيع وجاءت مرتبة كالاتي:

فصل في معرفة الطبائع بالريق: تحدث فيه المؤلف عن الأعراض التي تظهر في الريق والتي من خلالها يمكن معرفة الأمراض التي أصابت الإنسان، والتي من علاماتها البلغم، وكذلك تغير الذوق، والطعم، الذي يشعر به المريض.

فصل في معرفة الطبائع في نبض العروق: بين فيه المؤلف كيفية الوصول إلى نبض الأوردة والشرايين وكيف يمكن معرفة مدى انتظام النبض من عدمه، وأوضح كيفية الفحص للوصول إلى تلك النتيجة، وأين يمكن للطبيب وضع إصبعه لقياس النبض، وبعض الأمراض التي يمكن معرفتها من خلال نبض العروق.

فصل في معرفة الطبائع في البول: أوضح المؤلف في هذا الفصل كيفية فحص البول، وكيف يمكن معرفة العلل التي تصيب المريض من خلال لون البول، وأعطى الطريقة المناسبة لفحص البول، ومتى يمكن أخذ العينة وكيف، وتحدث عن ألوان البول ودلالاتها.

فصل في معرفة البول خاصا وعماما: في هذا الفصل فصل ما تعرض له في الفصل السابق من الحديث عن ألوان البول، وأعطى نماذج لهذه الألوان مثل الأحمر القاتم، والفسقي والأخضر، والأبيض الناصع، والروائح التي تصاحب البول عند المريض، وكذلك بعض الإفرازات التي تخرج مع البول ودلالة كل هذا.

فصل في معرفة الدلالة الدالة على الموت والدخول على المريض: نجد في هذا الفصل قدرة من الطبيب ابن عميرة في معرفة بعض علامات الوفاة عند المريض الذي لا يرجي بُرؤه، وذكر من بينها أن المريض يكره أن ينظر الزائر في وجهه، وتجده كذلك كثير الدموع، ويفتح فمه من غير تثاوب، وينقل مرقده من مكان لآخر، وفي المقابل أوضح العلامات التي تدل على إمكانية بُرء المريض من مرضه.

فصل في عدد عروق الجسد: تعرض المؤلف في هذا الفصل لعدد العروق في بعض جوارح الإنسان، مثل اليد والرجل والرأس والأكل، والجميل هنا أن المؤلف حدد أعداد هذه العروق بالسنة والشهور والأيام، وذلك لمزيد من الدقة والتفصيل.

فصل في معرفة افتراق العروق: شرح المؤلف في هذا الفصل افتراق العروق مشبها إياه بعروق الشجر، ولحائها، وكثرتها وتفرعها، وذكر أن الإنسان رُكَّبَ في عروقه كتركيب الشجر، وخلق من التراب والماء، وخلق فيه دم وريح، بعدها فصل هذه العروق ومساراتها في جسم الإنسان والأجزاء التي تغذيها، وحدد أماكنها ومساراتها في جسد الإنسان.

فصل في عدد العروق التي تفصد: توسع المؤلف في هذا الفصل الحديث عن العروق، متعرضا لعددتها حيث قال أن عددها ثلاثة وثلاثون عرقا، ثم وزرع هذه الأعداد على الجسم محدد أماكنها وعدد العروق في كل جراحة من جوارح الإنسان.

فصل في عدد عروق اليدين: في هذا الفصل نجد المؤلف يفصل الحديث عن فصد عروق اليدين بدقة متناهية، حيث ركز على الأجزاء الدقيقة في اليدين، وتعرض للجوانب الإيجابية من فصد كل جزء من هذه الأجزاء، وذكر الأمراض

التي يمكن يفصد فيها كل جزء على حده.

فصل في الشروط التي تجب على الطبيب عند الفصد: أبدع المؤلف في الحديث عن شروط الفصد بدأها بالاستئذان من المريض قبل فصده سواء كان طفلاً أو شيخاً كبيراً أو عبداً، وأوضح الأوقات المناسبة للفصد، وبين الوضعيات المناسبة للفصد وكذلك الأعمار وأنواع الأمراض التي تحتاج إلى فصد، والجميل في هذا الفصل أنه أعطى الطبيب الأعراض الجانبية التي قد تلحق بالمريض إن إخطأ الطبيب في الفصد.

فصل في معرفة الفصد: شرح الطبيب ابن عميرة في هذا الفصل الطريقة الصحيحة في معرفة الفصد، واستخدم أسلوب التعليم لكل فئة الأطباء، مبتدئاً الحديث عن الطبيب المبتدئ وكيفية تعلم الفصد، ثم بدأ التعمق في عملية الفصد وحدد بدقة مواضع الفصد والأصابع التي على الطبيب استخدامها للفصد.

فصل في فصد عروق اليدين: وضع المؤلف في هذا الفصل الطريقة الدقيقة في فصد عروق اليد محدداً بالدقة المكان الأنسب للفصد وطريقة الضربة واتساعها، وتعرض لطريقة فصد الأطفال أيضاً، وكذلك اتجاه الفصد عرضاً وطولاً، وذكر بعض المخاطر التي قد تقع في حال أخطأ الطبيب في طريقة فصد اليد، وأوضح نوع الأداة المستخدمة المستخدمة في الفصد وبعض مواصفاتها التي تتناسب مع الفصد.

فصل في فصد عروق الرأس: ذكر أن عدد عروق الرأس تبلغ ثلاثة عشر عرقاً، ثم طفق يصف موضوع هذه العروق من الرأس وأتبعها بطريقة فصدها الصحيحة، ووضح أيضاً الأداة المستخدمة في فصد عروق الرأس (الفأس)، وإن لم يجد فيمكنه الفصد بالمبضع، ثم ختم هذا الفصل بذكر الآثار السلبية التي قد تصيب المريض في حال خطأ الطبيب في الفصد.

فصل في صفة سل شريان الصدغين: في هذا الفصل ما زال حديثه عن عروق الرأس وصفدها أو كيهها، أو قطعها في بعض الأحيان، وأوضح المؤلف أن على الطبيب حلق رأس المريض قبل الفصد ثم دلكه بالكمد حار ثم شد الرقبة وخنق المريض خنقا رقيقا، كل ذلك من أجل المساعدة على وضوح العرق، وتعرض أيضا إلى طريقة الصدف و الكي وكيفية التعامل مع موضع الصدف أو الكي عند الانتهاء.

فصل في فصد عروق الرجلين: وصف المؤلف عدد عروق الرجلين وقال أنها ثمانية عروق، وحدد موضع كل عرق، ووصف بعد ذلك الطريقة الصحيحة لفصد الأرجل بأن يوضع الرباط فوق الركبة، على طرف الفخذ وينام المريض على ظهره ويرفع قدميه، ومضى على هذا المنوال في تحديد الطريقة الأنسب للفصد في كل عرق من عروق الرجلين.

فصل في الحجامة وأجناسها: بدأ الحديث في الحجامة بذكر أهميتها متعرضا لأحاديث للمصطفى صلى الله عليه وسلم، كما تحدث عن الأماكن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتجم فيها وكذلك الأيام المناسبة والأوقات، وتعرض لبعض أقوال العلماء في الحجامة وأهميتها، ثم فصل في أدوات الحجامة والأنسب لكل من الطفل والرجل والمرأة.

فصل في التقيء: بدأ المؤلف هذا الفصل بالحديث عن فوائد التقيء، منها تقوية المعدة وتنقيتها ويحد البصر وغيره، وحدد أي فصول السنة يكون التقيء مناسبا فيها، ثم تعرض لطريقة التقيء وكيف يتعامل مع المتقيء بعد إفراغه وما المواد التي يعطى إياها وحتى الطريقة الدقيقة للتقيء تعرض لها وأوضحها بتفاصيلها، وذكر بعض الآثار الجانبية في حال الخطأ في طريقة التقيء.

فصل في ذكر أدوية العين: عدد المؤلف في هذا الفصل اعداد أدوية العين وذكر

أنها سبعة أدوية (مسدد، مفتاح ، جلا، مغص، قابض، منصح، محدر) ثم بدأ بشرح هذه الأدوية، وذكر كل علة للعين والدواء المناسبة لها من هذه الأدوية، وتعرض لأعراض تلك الأمراض التي تصيب العين.

فصل في دق أدوية العين: في هذا الفصل تعرض للأدوية التي ذكرها أنفا في الفصل الماضي وطريقة صناعتها والمواد التي تصنع منها وكيفية خلط المواد المصنوعة منها والأدوات التي تستخدم والأوقات المناسبة لذلك.

منهجية المؤلف في الأرجوزة:

نرى أن المؤلف تقيد بالمنهج الذي نراه في تأليف الكتب من إيراد عنوان الكتاب في المقدمة، فوجد ابن عميرة يذكر عنوان نظمه بقوله: «أرجوزة فيما يجب على الطبيب من معرفة الشروط الطبية، ومما أمر بها الحكماء ونهوا عنه، ومعرفة الطبائع بالذوق والنبض والبول، وفي معرفة العروق للإنسان كم هي، وفي معرفة العروق التي في بدن الإنسان التي تقصد، وفي معرفة الحجامه ومواضعها ومنافعها، وفي معرفة دق أدوية العين وكيف استعمالها وفي أي وقت تدق».

والذي نلاحظه من العنوان أن المؤلف لم يتبع المنهجية المعروفة عند السابقين من وضع العنوان مسجوعاً لغوياً، أو على الأقل مختصراً لفنّه، وإنما نجد أن المؤلف قد أورد العنوان مضمناً فيه كل المواضيع التي سيوردها في أرجوزته، ولعل ما يميّز هذا الأمر أننا تمكّنا من معرفة أن المنظومة كاملة، وأنه لا يوجد خلل بها فقد كانت نهاية المنظومة الحديث عن أدوية دق العين واستعمالاتها، ناهيك أن هناك أبيات جميلة ختم بها الناظم منظومته هذه والتي تدل على انتهاء النظم.

وتتضح منهجية المؤلف في إيراده لأبيات النظم ثم القيام بشرحها، وقبل الدخول في شرح أبيات الأرجوزة قدّم لذلك سواء بالنظم أو شرح ذلكم النظم، وكانت المقدمة فريدة من نوعها فقد تعرض لأدق التفاصيل فيما ينبغي للطبيب معرفته قبل

دخول غمار الطب والتطبب.

أما منهجيته في شرح النظم فإنه يفصل تلك الأبيات ويوضح كل ما يتعلق بها من مفاهيم الطب، ويدعم ذلك بالآيات والأحاديث وأقوال علماء الطب القدامى، ويتعرض للأدوية وكيفية استخدامها، والمواد والنباتات الداخلة في العلاج، وكيفية استخلاص الأدوية من النباتات، ثم كيفية التداوي بها.

نظم ابن هاشم هذه الأرجوزة، وشرحها، والنظم كما هو معلوم يقتضي معرفة بعلوم اللغة، والعروض، وهذا دليل على تمكن المؤلف في هذه العلوم، حيث جاءت خمسة من تأليفه في الطب ما بين قصائد وأراجيز⁽¹⁾. كما تميز شرح الأرجوزة باللغة البسيطة والتراكيب السهلة، لولا تلك المفاهيم والمصطلحات الطبية وأسماء الأدوية والأعشاب التي لا يعرفها إلا المتخصص لتمكن كل قارئ مهما كان مستواه العلمي أن يفهم ويعي الطريقة والأسلوب الناجح في العلاج نظرا لدقة وصف العلاج والدواء وطريقة التطبب بلغة سهلة جزلة كما بينا آنفا.

ونجد المؤلف يوضح بالدقة كيفية العلاج، وتبيان المواضع التي يستخدم فيها العلاج والحالات، وفي حال احتياج الوصول إلى موضع محدد من الجسد فإنه يصفه بدقة متناهية كقوله: « ينبغي أن تضع اصبعك الإبهام من اليد اليمنى فوق عظم الساعد الفوقاني من باطن الذراع وتعرف نبض العروق».

كما نجد بصورة جلية إيراد المؤلف لطريقة التشخيص الدقيق للمريض، وعلامات المرض، وحال المريض، وعلامات الأمراض التي تصيب الإنسان، وكيف يمكن للطبيب التوصل إليها، كما أبدع المؤلف في العلامات التي يمكن أن يعرف بها أن المريض لا يرجى برؤه، من خلال طرح بعض العلامات والإشارات

⁽¹⁾ الحارثية، جوخة بنت محمد، الحارثي، جوخة بنت محمد، المنزوع السردى في مختصر فاكهة ابن السبيل، مجلة الآداب، مج ٣٠، ٢٤، ص 107.

الدالة على دنو أجله ونهاية عمره.

ونرى أن المؤلف حدد الأوقات المناسبة لتناول العلاج أو العلاج بصورة عامة، أو حتى التشخيص، ومن ذلك قوله: «ومتى أردت أن تفصد محموما وكانت حمّاه بأدوارٍ فينبغي أن يتجنب الفصد أول النهار ويتجنب الفصد يوم الدوران، وإن كانت الحمى مطبقة فليكن الفصد أول النهار في الوقت الذي تكون فيه القوة قوية والحرارة ساكنة...».

وكذلك قوله: «وأما الساعات التي ينبغي أن توضع فيها المحاجم فصل الربيع أول ساعة من النهار إلى ثلاث ساعات، وفي الصيف وشدة الحرارة أول ساعة، وفي الشتاء ثلاثة ساعات تمر من النهار إلى الثامنة قبل طلوع الشمس إلى ساعات تمر منه، وفصل الخريف من بعد طلوع الشمس إلى الساعة الثالثة، وفي الشتاء ثلاث ساعات تمر من النهار إلى الثامنة».

ويرى القارئ أن المؤلف يعطي الآثار الجانبية للعلاج، والأسلوب الخاطيء في استخدام الأدوية، ويوضح الإشكاليات التي قد تنجم عن الأخطاء الطبية المتعلقة بالتشخيص أو طريقة التعامل مع المريض أو الخطأ في صناعة الأدوية، من ذلك قوله: «وينبغي أن يكون فصدك هذه العروق كلها طولاً لئلا ينال العصب أو الوتر آفة من طرف المبضع فيجلب على المفصود الزمانة وربما هلك من ذلك لأنه يعرض منه التشنج حتى يبلغ الدماغ فيموت صاحبه».

وتجد ابن عميرة يدقق حتى في مسألة الصغر والكبر والمرأة والرجل، ويعطي لكل عمر ما يناسبه من العلاج والدواء والأسلوب المناسب في التداوي وكذلك في طريقة وأسلوب التشخيص أو بعض الأحيان في التعامل معه في الكشف السريري، منها قوله: «الحجامة على ثلاثة أوجه: أحدها مع شرط والثانية بغير شرط والثالثة محجمة النار، فأما التي مع شرط فإننا نستعملها في الصبيان الصغار والذين لا

يمكن فيهم الفصد إذا كانت عليهم من قبل الدم عوضاً من الفصد». وقوله: «وأما الرجال والنساء فقد نستعمل فيهم الحجامة مع شرط لانجذاب الدم الرديء من قعر الأعضاء».

مصادره العلمية:

اعتمد المؤلف في مؤلفاته الطبية على العديد من المصادر التي أشار إليها في بعض مؤلفاته، وأبرزها، كتاب الرحمة في الطب والحكمة للصُّبُّرِي(1)، وكتاب حل الموجز لجمال الدين الأقسرائي(2)، وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان، لابن جزلة(3)، وكتاب مختصر أبقراط(4)، وكتاب برء ساعة للرازي(5)، وكتاب كامل الصناعة للمجوسي(6)، وكتاب زاد المسافر لابن الجزار الأندلسي(7)، وكتاب لقط

(1) هو مهدي بن علي بن ابراهيم الصبيري اليميني المهجمي، طبيب ومن علماء القراءات (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢م)، وهو غير كتاب السيوطي المشهور الذي يحمل نفس اسم الكتاب؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج٧، دار العلم للملايين، ط٧، بيروت، ١٩٨٦، ص٣١٣.

(2) هو محمد بن محمد بن محمد بن فخر الدين جمال الدين، (توفي بعد عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، عالم في التفسير والطب والأدب، وله عدة مؤلفات، من أبرزها هذا الكتاب في الطب؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٧، ص٤٠-٤١.

(3) هو أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت ٤٩٣هـ/١١٠٠م)، إمام الطب في عصره، وكان مسيحياً ثم أسلم، وله عدة مؤلفات، الزركلي، المصدر السابق، ج٨، ص١٦١.

(4) هو الطبيب اليوناني أبقراط (ق.م. ٤ ق.م)، السيابي، العمانيون والعلوم التجريبية، ص١١٠.

(5) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١-٣١٣ هـ / ٨٦٥ - ٩٢٥م)، من أشهر علماء الطب، وله مؤلفات كثيرة في الطب، منها الكتاب المشار إليه أعلاه، وهو مطبوع؛ الزركلي، المصدر السابق، ج٦، ص١٣٠.

(6) هو علي بن عباس المجوسي، وكتبه ما زال مخطوطاً؛ ابن هاشم، راشد بن عميرة، مختصر فاكهة ابن السبيل، دراسة وتحقيق: عبدالله بن علي السعدي، وزارة التراث والثقافة، ٢٠١٦م، ص٤٢.

(7) هو أحمد بن ابراهيم الجزار القيرواني، وذكره البعض باسم أحمد الجرمان، ولد بالقيروان ومات فيها عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، له عدة مؤلفات من بينها الكتاب المشار إليه أعلاه، وعنوانه كاملاً (زاد المسافر، وقوت الحاضر)، ترجم إلى اللاتينية وجزء منه إلى اليونانية، عابنة، سليم، معجم أعلام الطب في التاريخ العربي الاسلامي، ج١، دار البيروني، عمان، ٢٠١٠م، ص٢٩.

المنافع لابن الجوزي⁽¹⁾. وغيرها الكثير، كما له مراسلات في الطب مع بعض أطباء فارس⁽²⁾، وهذا مما يدل على سعة أفاقه، وإطلاعه على ما كان متاحا في عصره، وهو ما انعكس في غزارة مؤلفاته، ونتاجاته العلمية⁽³⁾.

أما فيما يتعلق بمصادر ابن هاشم في أرجوزته التي تدور حولها هذه الدراسة، فنجد أنه اطلع على العديد من المصادر التي استقى منها معارفها ومعلوماته الطبية القيمة، ومن خلال قراءة المخطوط ورقته ومقابلته تبين لنا وجود المصادر الآتية: **- القرآن الكريم:** فقد كانت آيات الكتاب الحكيم حاضرة عند الطبيب ابن عميرة، فقد طعم بها بعض العلاجات مرشدا للمريض والطبيب بعدم الاستغناء عن كتاب الله العزيز، ومن ذلك قوله: «ومن قرأ فاتحة الكتاب عند شرط الحجامة كان شفاء من علته».

- الأحاديث النبوية الشريفة: وقد اعتمد المؤلف عليها لتبنيان وتأكيد ما يذكره من معارف ومن ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم القائل: «من تطيب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن»⁽⁴⁾، ومن ذلك أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(1) هو عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ / ١١١٤ - ١٢٠١ م)، عالم في التاريخ والحديث، ولد وتوفي ببغداد، له نحو ٣٠٠ مؤلف، الزركلي، المصدر السابق، ج٣، ص٣١٦-٣١٧.

(2) الخروصي، مهنا بن خلفان، آل هاشم الرستاقيون ومكانتهم العلمية، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط٢، مسقط، ٢٠١٢م، ص١٤٨.

(3) أفرد أحد الباحثين في بحثه عن الطبيب راشد بن عميرة مبحثا كاملا عن التقاطع الكبير بين طب ابن سينا في كتابه القانون في الطب، والطب الذي مارسه راشد بن عميرة وما أوردع تحديدا في كتابه فاكهة ابن السبيل. وهذا يفسر لنا العمق والثراء المعرفي الذي نجده في مؤلفات ابن هاشم، وإطلاعه على أهم المؤلفات الطبية لابن سينا؛ للمزيد ينظر: الفارسي، عبدالعزيز، قراءة في كتاب فاكهة ابن السبيل للطبيب راشد بن عميره بن ثاني العيني الرستاقى العماني، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط٢، مسقط، ٢٠١٢م، ص١٢٥.

(4) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الديات، حديث رقم (٤٥٨٦)؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج٤، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٩٤.

«وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «من احتجم يوم الأربعاء فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه»⁽¹⁾.

-الطبيب المشهور «أبقراط»، وقد أورد عنه معلومات كثيرة منها ما جاء في بداية المخطوط أنه اطلع على الكتاب الذي دونه أبقراط⁽²⁾ متحدثاً فيه عن الأخطاء التي وقع فيها وكيفية تفاديها، كما أورد في ثنايا الشرح بعض حكم أبقراط منها قوله: «وقد جاء في وصية مقدم الحكماء أبقراط الحكيم: العمر قصير والصناعة طويلة والوقت ضيق والتجربة خطر والقضاء عسر»، وأورد أيضاً مقولات عنه ونصوص بحذافيرها كقوله: «فإن أبقراط يقول: «إن الأبدان الرديئة كلما غذوتها زدتها وبالاً وكلما عالجت بدواء حار جلبت على المريض آفة عظيمة». ويشير ابن هاشم عموماً في ختام أبيات أرجوزته، بأنه استفاد من أقوال العلماء في مجال الطب بقوله:

وهذه أرجوزة ابن هاشم
منظومة من قول كل عالم

- **الحكماء العرب والمسلمين:** يورد حكم في الطب وأساليب التعامل مع المريض ولكن دون أن ينسبها إلى أصحابها من ذلك قوله: «وقال بعض الحكماء: «عجبا لمفتصد كيف سلم ولمحتجم كيف ألم»⁽³⁾.

⁽¹⁾ رواه أبو داود في المراسيل في كتاب الطهارة، باب الطب، رقم الحديث (٤٥١)؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث، المراسيل، تحقيق: شعيب الأرووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ، ص ٣١٩.

⁽²⁾ لم يذكر الطبيب راشد بن عميرة في مؤلفاته أيّ كتاب من كتب (أبقراط) التي استفاد منها، ويرجح الدكتور وليد محمود خالص أن يكون كتب (الفصول) لأبقراط من الكتب التي استفاد منها ابن هاشم، وخاصة في كتابه (فاكهة ابن السبيل)، وتشريح جسم الانسان، ويعلل ذلك للتقارب الشديد في مواضيع الكتابين، وطريقة العرض؛ خالص، وليد محمود، لمحات منهجية وأدبية في مؤلفات الأطباء آل هاشم: الطبيب راشد بن عميرة أنموذجاً، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط٢، مسقط، ٢٠١٢م، ص ٩٠.

⁽³⁾ ابن هاشم، راشد بن عميرة، (حي سنة ١٠١٩/١٦١٠م)، أرجوزة في الطب، دائرة المخطوطات بوزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم (٧٠٠)، ص ٤١ب. وسيشار إليه عند وروده لاحقاً: ابن هاشم، أرجوزة في الطب، رقم (٧٠٠).

-الإمام الشافعي: يحتج المؤلف ببعض المقولات عن الإمام الشافعي منها قوله: روي عن الشافعي أنه كان يقول: «عجبا لمن يدخل الحمام ثم لا يأكل كيف يعيش، وعجبا لمن يحتجم ثم يأكل من ساعته كيف يعيش»⁽¹⁾.

-تذكرة الكhalين: وهو كتاب لمؤلفه علي بن عيسى بن علي الكحال، قيل أن وفاته كانت عام 430هـ، وقيل غير ذلك، وقد أخذ منه ابن عميرة ما يتعلق بطب العيون وعلاج الأمراض التي تصيبها وقد صرح بذلك بقوله: «فهذا ما احتجت أن أقدم ذكره من هذا الفن منقول من تذكرة الكhalين»⁽²⁾، وقد كانت هذه العبارة خاتمة فصل «دق أدوية العين»، وهي أيضا آخر عبارة في متن الشرح، وبعدها ختم النظم بأبيات الختام.

-كتاب الماء: وهو أول معجم طبي لغوي في التاريخ، للعلامة أبو محمد عبدالله بن محمد الأزدي العماني، إذ أننا استنتجنا ذلك من خلال المفاهيم الطبية التي أوردها ابن عميرة والأعشاب التي تعرض لها، وكذلك الأدوات الطبية المستخدمة، حيث نجد أن كل هذا موجود في كتاب الماء، وهو ما يوضح أن ابن عميرة اطلع على كتاب الماء الذي ألف في القرن الخامس الهجري، وكان مصدرا من مصادر الطبيب ابن عميرة⁽³⁾.

- كتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق (حي 890/1485م): ولعل ما يدفعنا على اعتبار هذا الكتاب من المصادر التي اطلع عليها واستفاد منها

(1) ابن هاشم، أرجوزة في الطب، رقم (٧٠٠)، ص ٤١ أ.ب.
(2) ابن هاشم، أرجوزة في الطب، رقم (٧٠٠). ص ١٥٩ أ.
(3) وقد توصلنا إلى ذلك من خلال المفاهيم والمصطلحات المتشابهة، انظر الملحق المتعلق بنماذج من المفاهيم والمصطلحات.

الطبيب راشد بن عميرة هو التشابه في طريقة وصف أعراض الأمراض، ووصف العلاج والدواء، فضلا عن التشابه في المصطلحات الطبية المستخدمة⁽¹⁾.

-اجتهاداته الشخصية: نجد ابن عميرة يدون ما يراه مناسباً وحتماً لا يتأتى ذلك إلا من خلال ما قام به من تجارب وما مر به من خبرات، ويورد ذلك بقوله في بعض الأحيان «ونحب» كقوله: «ونحب أن تختار من الأدوية ما كان منها طريا جيدا لا عتيقا مغشوشا وأن تسحق كل واحد من الأدوية على حدته ثم يزن المسحوق المنخول الوزن المذكور في نسخة ذلك الدواء...»⁽²⁾، ولا نستبعد أن تكون هناك آراء كثيرة للمؤلف لكنه لم يصرح بها، ويمكن فهم ذلك من خلال الأساليب والأدوات التي استخدمها وأشار إليها كثيرا وهي من البيئة العمانية، ويبدو من هذا أن ابن عميرة قد جرب هذه الأدوية والعلاجات بنفسه، ناهيك أن بعض الأعشاب هي نباتات معروفة في البيئة العمانية.

نماذج من المفاهيم والمصطلحات بالأرجوزة:

أحببنا هنا تسطير بعض المفاهيم والمصطلحات التي وردت في الأرجوزة، وقد اعتمدنا على أحد المصادر المعجمية الطبية العمانية – كتاب الماء – للعلامة الأزدي العماني لأبي محمد عبدالله بن محمد الصحاري، لتبيان اطلاع المؤلف على هذا المصدر الطبي الفريد في فنه، وفي الجدول التالي نماذج على تلك المفاهيم والمصطلحات:

(1) انظر: أبو بكر الأزرق، ابراهيم بن عبدالرحمن، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، جزآن، وزارة التراث والثقافة، ط ٢، مسقط، ٢٠١٥.

(2) ابن هاشم، أرجوزة في الطب، رقم (٧٠٠)، ص ١٥٥ أ.

م	المفهوم / المصطلح	معناه	الجزء / الصفحة
1	الأسيلمين	الأسيلم بضم الهمزة وفتح اللام عرق في اليدين بين الخنصر والبنصر ولم يأت إلا مصغرا وإنما سمي بذلك لأن فصده أسلم من فصد أوردة الذراع	ج2، ص324
2	التوتيا	التوتيا حجر معروف منه معدني يوجد في سواحل بحر الهند والسند وقد رأيت منه في نواحي اليمن، نافع من أجواع العين مانع الفضول الخبيثة المحترقة في عروقها...	ج1، ص311
3	الجرب	الجرب هو بثور صغار تبتدئ بحمرة مع حكة شديدة وربما تقيحت وربما لم تنقيح وأكثر ما يحدث في اليدين وخصوصا بين الأصابع وقد يحدث في جميع البدن	ج1، ص367

4	الحلتيت	الحلتيت صمغ الأنجدان ج1، ص477 وينبت في الأندلس وبلاد - 478. المغرب يطبخ ويؤكل وأجوده ما كان إلى الحمرة صافيا قوي الرائحة ...
5	الدستك	الدستج : الإناء من ج2، ص94. الزجاج، والدساتيج جمعه، وهي التي يضع فيها الصيدلي أدويته السائله، وبه جرت العادة
6	السليخة	عطر معروف، كأنه ج2، ص319 قشر منسلخ وهو أنواع أجودها المائل إلى السواد، الزكي الرائحة...والسليخة أيضا دهن ثمرة البان قبل أن يريب..
7	العفص	ثمر مدور ، وهو حمل ج3، ص60 نوع من شجر البلوط، والعَفَص الالتواء في الأنف، والعفوصة المرارة.

8 فصد الفصد هو شق العرق ج3، ص156

وهو تفرق اتصال إرادي بآلة
مخصوصة يتبعه استقراغ
كلي للأخلاق على نسبة ما
هي عليه العروق والغرض
منه التقليل والإصلاح أو
أحدهما

9 الكمنة الكمنة من أمراض العين ج3، ص292

وقد اختلف في تعريفها فقيل
هي ظلمة تأخذ في البصر أو
جرب وحمرة تبقى في العين
من رمد يساء علاجه، أو
ورم في الأجفان...

الخاتمة

في ختام هذا الدراسة التي قمنا بها لهذا المخطوط القيم، فإنه يمكننا الخروج ببعض النتائج التي نرى أنها مهمة، وداعية إلى بذل المزيد من التنقيب والتحقيق للمؤلفات العمانية، سواء في الطب أو غيرها من العلوم التطبيقية التي لم تلق ذلك الاهتمام الذي لفته باقي العلوم الإنسانية الأخرى، ومن أهم تلك النتائج:

-سعة اطلاع الطبيب ابن عميرة: وهذا يتضح من خلال القراءة المتأنية لهذا المخطوط، حيث نرى مدى اطلاعه على المصادر الطبية التي اشتهرت بها الحضارة الإسلامية، وكذلك الكتب التي تركها علماء الطب القدامى من عهد ابقرات وغيرهم من علماء اليونان.

-شاعر وطبيب: نجد أن ابن عميرة قد جمع بين الأدب والطب، فقد طوع الشعر في خدمة الطب، إذ نجد أن هذه الأرجوزة التي بين أيدينا قد نسجه نسجا دقيقا، يمكننا أن نقول أن كل بيت فيها هو عبارة عن قاعدة طبية أو علاج لمرض أو وصف لدواء.

-مجرب حاذق: من خلال تتبع الشرح الذي أورده الطبيب ابن عميرة على أرجوزته نجد أن ما قاله هو أغلبه إن لم يكن جله ناتج عن تجارب قام بها مع مرضاه، سواء في أسلوب التشخيص أو خلط الأعشاب لانتاج الأدوية الشافية، أو النتائج التي قد تؤثر على المريض حين الوقوع في الخطأ سواء في التشخيص أو في نوع الدواء وأسلوب استخدامه.

-البيئة العمانية: كانت البيئة العمانية حاضرة وبقوة في كتابات ابن عميرة سواء في وصف النباتات التي تصلح للدواء، أو أساليب خلطها عن طريق تلك الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية في المجتمع العماني، وكذلك أسماء تلك الأعشاب في البيئة العمانية.

-أن هناك اشكاليات كثيرة جدا في النسخ المخطوطة وأن هذا الأمر يستدعي تحقيق النص المخطوط لاستخراج النص الذي أراده المؤلف، وذلك نظرا لوجود الكثير من السقط في النسخ ناهيك عن التقديم والتأخير في النصوص، وبعض الأخطاء الإملائية واللغوية في النظم والشرح.

التوصيات :

-تحقيق هذا المخطوط تحقيقا علميا يمكن من خلاله استخراج النص الصحيح الذي أراده المؤلف .

-إطلاق اسم الطبيب العماني على أحد المستشفيات الكبرى في عمان أو على المستشفيات التي ستبنى حديثا .

-عمل المزيد من الندوات العلمية والمؤتمرات حول شخصية الطبيب العماني ابن عميرة ونتاجه العلمي، لاستخراج مكنونات العلم التي لم تخرج حتى اليوم للقارئ.

-تأسيس لجنة علمية مكونة من أطباء وشعراء ومؤرخين للإطلاع على مؤلفات الطبيب ابن عميرة وتنقيحها وإخراجها في موسوعة واحدة تحت عنوان :« موسوعة ابن عميرة الطبية»، تجمع فيها كل مؤلفات ابن عميرة المطبوعة وتحقيق المخطوطة منها.

- نأمل أن يدرج مركز العلوم الطبيعية والطبية بجامعة نزوى في مشاريعه البحثية القادمة عمل وإجراء بحوث علمية وتجارب حديثة على الأدوية التي طرحها ابن عميرة في مؤلفاته الطبية لمعرفة مدى إمكانية استخراج أدوية ناجعة للأمراض الموجودة بالمجتمع العماني من خلال ما دونه ابن البيئة العمانية العلامة

ابن عميرة⁽¹⁾.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو بكر الأزرق، ابراهيم بن عبدالرحمن، تسهيل المنافع في الطب والحكمة،
جزآن، وزارة التراث والثقافة، ط2، مسقط، 2015.

- الأزدي، أبو محمد عبدالله بن محمد، الماء: أول معجم طبي لغوي في التاريخ،
تحقيق: هادي حسن حمودي، ط2، وزارة التراث والثقافة، 2015م.

- البطاشي، سيف بن حمود، اتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان،
ج2، ط4، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية،
2016م.

- الحارثي، جوخة بنت محمد، المنزاع السردى في مختصر فاكهة ابن السبيل،
مجلة الآداب، مج30، ع2، الصفحات 103 – 119، الرابط:

<http://search.mandumah.com/Record/959748>

- خالص، وليد محمود، لمحات منهجية وأدبية في مؤلفات الأطباء آل هاشم:
الطبيب راشد بن عميرة أنموذجاً، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين
التاسع والعاشر الهجريين، ط2، مسقط، 2012م، الصفحات 55 – 95.
- الخروصي، مهنا بن خلفان، آل هاشم الرستاقيون ومكانتهم العلمية، ندوة

(1) توجد ورقة علمية نشرها المنتدى الأدبي ضمن أعمال ندوة من أعمال الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، قام بها أحد الأطباء، حملت عنوان: «التطبيقات الطبية في مؤلفات راشد بن عميرة»، وهذه الورقة تعتبر نموذج رائع في محاولة فهم ومقارنة ما كتبه الطبيب راشد عميرة مع الطب الحديث، والتطبيقات والأسس والمبادئ التي قام عليها الطب العربي في مؤلفات الطبيب راشد بن عميرة، والعلوم الطبية الأساسية في مؤلفاته، وهذه الورقة تؤسس لأعمال بحثية أكثر تعمقا لفهم ما كتبه هذا الطبيب، والنظر لمؤلفاته، على أنها مادة علمية في مجال الطب يمكن الاستفادة منها، وليس فقط على أنها تراث فكري؛ الهنائي، علي بن طالب، التطبيقات الطبية في مؤلفات راشد بن عميرة الرستاقى، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط2، مسقط، 2012م، الصفحات 29 – 54.

من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط2، مسقط، 2012م، الصفحات 139-179.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الحديث، القاهرة، 1988.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث، المراسيل، تحقيق: شعيب الأرووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ.

- الزركلي، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط7، بيروت، 1986.

- السيابي، صالح بن محمد بن سليمان، العمانيون والعولم التجريبية: الطب والهندسة والفلك والملاحة البحرية، مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، مسقط، 2018.

- عباينة، سليم، معجم أعلام الطب في التاريخ العربي الاسلامي، ج1، دار البيروني، عمان، 2010م.

- الفارسي، عبدالعزيز، قراءة في كتاب فاكهة ابن السبيل للطبيب راشد بن عميره بن ثاني العيني الرستاقى العماني، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط2، مسقط، 2012م، الصفحات 97-138. -مجموعة مؤلفين، الموسوعة العمانية، م4، وزارة التراث القومي والثقافة، 2013م.

-وزارة التراث والثقافة، فهرس المخطوطات، الطب والكيمياء، ط1- دائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات، 2006م.

-ابن هاشم، راشد بن عمير، فاكهة ابن السبيل، ج1، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، 1984م.

-----، مختصر فاكهة ابن السبيل، دراسة وتحقيق: عبدالله بن علي السعدي، وزارة التراث والثقافة، 2016م.

-----، منهاج المتعلمين، دراسة وتحقيق: عبدالله بن علي السعدي، وزارة التراث والثقافة، 2013م.

-----، مخطوط أرجوزة فيما يجب على الطبيب معرفة الشروط الطبية، دائرة المخطوطات، المديرية العامة للوثائق والمخطوطات، وزارة الثقافة والرياضة والشباب، رقم المخطوط (1797).

-----، رقم المخطوط (1764).

-----، رقم المخطوط (700).

-الهنائي، علي بن طالب، التطبيقات الطبية في مؤلفات راشد بن عميرة الرستاق، ندوة من أعلام الطب في عمان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، ط2، مسقط، 2012م، الصفحات 29 – 54.

د. محمد بن سيف بن دويّم الشعيلى
 msdalshuaili1984@gmail.com
 باحث شؤون قانونية أول
 المكتب الفني بالمحكمة العليا

منهج القضاء العماني في دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية - دراسة لبعض الأحكام ومبادئ المحكمة العليا -

المخلص :

يتناول هذا البحث أهم المحاور المرتبطة بالأسس والتشريعات المنظمة لدعاوى التعويضات عن الإصابات والأخطاء الطبية، والمنهج القضائي الذي سارت عليه الأحكام بمحاكم السلطنة كإرث تاريخي علمي يتناول مجالات الطب في عمان؛ حيث معرفة التكيف والتوصيف والطرق التي كان يعول عليها في نظر الإصابات المختلفة كالحوادث وإصابات العمل وبعض الممارسات الطبية التي تتم ممن يتولون معالجة المصابين وإعداد تقاريرهم، كما يتناول البحث المقارنة بين أسس تقدير التعويضات وتسوية هذه الدعاوى في بعض الأحكام القديمة قبل إصدار قانون السلطة القضائية مع ما هو معمول به بعد صدور هذا القانون من خلال استقرار المنهج المتبع في أروقة القضاء العماني واستظهار أهم معالمه وصوره. وخرج بعد ذلك الباحث بتوصيات ونتائج تصبّ في إثراء البحث العلمي في التخصصات الطبية، وبيان الوجه المشرق للإرث القضائي العماني للباحثين والمؤسسات المعنية بهذا المجال. والله ومن وراء القصد والهادي سواء السبيل.

The Omani judiciary's approach to injury and medical error claims

- A study of some rulings and principles of the Supreme Court -

D.R. MOHAMED SAIF DUWAIM AL SHUALI

Legal affair researcher- first

Technical bureau of the supreme court

msdalshuaili1984@gmail.com

Abstract:

This research deals with the most important axes related to the foundations and legislations regulating claims regarding compensation of injuries and medical errors. It also deals with the judicial approach conducted by the Sultanate's courts as a historical and scientific legacy that deals with the fields of medicine in Oman. It also highlights the conditioning and characterizing and methods conducted in studying various injuries such as work injuries and different accidents as well as some medical practices carried out by those who treat the injured people and prepare their reports. The research also deals with the comparison between the bases of estimating compensation and claim settlement in some old provisions before the judicial authority law was issued and what is applicable after this law was issued through extrapolating the

followed curriculum in the faculties of the Omani judiciary bringing out its most important features. The researcher has come out with some results and recommendation, which enrich the scientific research in the medical specializations and showing the bright side of the Omani judicial legacy of the researchers and the concerned institutions in this field.



مقدمة

تعتبر قضايا التعويضات عن الإصابات والأخطاء الطبية من أهم الموضوعات التي كان للإرث القضائي العماني إسهام نوعي بها على مختلف الحقب التاريخية إلى عصرنا هذا؛ حيث نجد الموسوعات الفقهية العمانية المتناولة للمسائل الحكيمة زاخرة بالعديد والفريد من قواعد تلك التعويضات بشكل دقيق مما ينتج عنه توصيف صحيح لكل إصابة أو خطأ وما يناسب ذلك التوصيف من تقدير للمصاب، الأمر الذي يؤدي إلى إيصال الحقوق إلى أصحابها على أكمل وجه وتحقيق إصلاح وردع للمتسبب أو المباشر في وقوع تلك الحوادث، وتأتي الورقة البحثية لتكشف اللثام عن المنهج القضائي الذي اعتمده المحاكم العمانية في تقدير تلك التعويضات.

أهمية البحث:

تشكل الأخطاء الطبية وما ينتج عن الإصابات الأخرى أهمية كبيرة في حياة الناس تتمثل في وجوب الحفاظ على الأنفس البشرية وأعضائها المختلفة بجبر ما يتعرض له المصاب من فقدٍ للذات أو للعضو أو تعطيل لمنفعته، كما أن الآثار الناتجة عن تلك الإصابات والأخطاء مؤثرة بشكل مباشر على أفراد الأسر والمجتمع من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها كقطع مصدر رزق ومعيشة، أو رمز أسرة بقوامته، أو تهديد طمأنينة وأمن مجتمع مما يستوجب ذلك كله توجيه العناية بدراسة هذه القضايا من مختلف الاتجاهات والنظرات.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز دور القضاء العماني ومساهمته في مجال الطب وعلومه من خلال المقارنة بين منهجه الذي سارت عليه أحكامه السابقة قبل تطبيق قانون السلطة القضائية وبين مبادئ المحكمة العليا باعتبارها محكمة قانون تعنى

بمراقبة تطبيق القانون على الوجه الصحيح وكذا تفسيره وتأويله؛ لأننا من خلال تطبيق المنهج المقارن في هذا الجانب نستطيع أن نتعرف على ما هو الأصح تطبيقه من المعايير والأطر القضائية عند نظر دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية بما يناسب دلالة النصوص ومستجدات الواقع والعلم الحديث، كما أن المقصد من هذا البحث جعله إضافة ومرجعا لأرفف المكتبات العمانية وغيرها المختصة في مجال الطب وقانونه وعلومه، وتنوير المشتغلين بهذه المجالات والفصل في مسائلها ومنازعاتها بأصول التعويضات عن الأخطاء الطبية والإصابات بتأصيل علمي وتطبيق قضائي من خلال الأحكام والمبادئ والأسس التي دأب عليها قضاء العمانيين.

إشكالية الدراسة:

تتجذر الإشكالية البحثية لهذه الدراسة من سؤال جوهري يمكن صياغته على النحو الآتي:

ما أهم مظاهر منهج القضاء العماني في دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية؟
وتتفرع عن التساؤل السابق عدة تساؤلات فرعية كالآتي:
ما هي الأسس والتشريعات المنظمة لدعاوى التعويض عن الإصابات والأخطاء الطبية في السلطنة

كيف كانت منهجية الحكم في دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية قديما وحديثا؟
هل أسهمت أحكام القضاء العماني في تكوين إرث تاريخي في مجالات الطب؟

مناهج البحث:

تعتمد صناعة هذا البحث على مناهج علمية معمول بها في البحث العلمي، ومنها المنهج الاستقرائي حيث تتبع الأحكام القضائية العمانية ومبادئها بشأن

التعويض عن الإصابات والأخطاء الطبية متبوعا بالمنهج الاستنباطي والتحليلي؛ حيث استخراج أهم مظاهر المنهجية المتبعة في تسبيب الأحكام قديما وحديثا، مع الاعتماد على المنهج المقارن بين حقبة القضاء قبل صدور قانون السلطة القضائية وبعده، كما يعتمد البحث على المنهج الوصفي في بيان التشريعات والأسس التي تعدّ مرجعا وقواعد للحكم بها في هذا النوع من الدعاوى.

خطة البحث:

تُنظّم صياغة محاور البحث وموضوعاته عبر هيكل تخطيطي كما يأتي:

خطة البحث تضم (المقدمة، الأهمية، الأهداف، الإشكالية، المناهج، الخطة).

المبحث الأول: الأسس والتشريعات المنظمة لدعاوى الإصابات والأخطاء الطبية.

المبحث الثاني: مظاهر المنهج القضائي العماني في دعاوى الإصابات والأخطاء الطبية قديما وحديثا.

الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول: الأسس والتشريعات المنظمة لدعوى الإصابات والأخطاء الطبية.

اتبع القضاء العماني في فصل النزاع القواعد (المبادئ) التي أقرتها الشريعة الإسلامية، فالقاضي يفصل في القضايا بما هو ثابت بكتاب الله أو سنة نبيه أو بالإجماع أو بالقياس فإن لم يجد يجتهد لاستنباط الحكم من القواعد العامة للشريعة ومقاصدها، وكانت القواعد الموضوعية (قوانين الموضوع) هي المنظمة والمعتمدة في نظر كافة القضايا بأنواعها وتخصصاتها، فأنشئ القانون المدني، والتجاري، والعمل، والشركات، والأحوال الشخصية وغيرها⁽¹⁾.

وقد كان القضاء الشرعي منذ 23/يوليو/1970م وإلى تاريخ 21/مايو/1972م هو المرجع القضائي لجميع القضايا بشتى أنواعها، ونتيجة للتطور السريع في مناحي الحياة طرأ معه تطور قضائي بحيث أنشئت لجنة حسم المنازعات التجارية ومحكمة الشرطة الجزائية ليستقلا بقضائيهما المتخصصة في الجانب التجاري والجزائي.

إننا عندما نتحدث عن النظام القضائي في عمان بفترة الإمامة نجد حقيقة غائبة وهي ضالة المصادر التي تتحدث عن هذا النظام، وقد تكون شبه منعدمة ويعزو البعض ذلك إلى أسباب عدة؛ كعدم وجود نظام قضائي منظم لعملية التقاضي، والاشتغال بالأمور السياسية ومرور عمان بصراعات ومطامع من الخارج والداخل، والاهتمام بالعلوم الفقهية وموسوعاتها والتي تضم أحكام القضاء كباب منها، وارتباط منصب القضاء بمنصب الإمامة والأعمال السياسية⁽²⁾. وكانت منهجية العمل في المحاكم الشرعية بأن يعمل القاضي بجانب الوالي، فتقدم القضية

(1) إبراهيم بن يحيى العبري، القضاء في عمان، مركز الغندور، القاهرة، ٢٠١٢. ص ١٠٣.
(2) محمد بن عبدالله الهاشمي، السلطة القضائية في سلطنة عمان بين الشريعة والقانون، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، سلطنة عمان - مسقط، ١/١١٢.

للأخير وعند عجزه عن تسويتها صلحا، يحيلها للقاضي ليحكمها، وفي هذه الفترة تم تطوير العمل بمرافق القضاء باتخاذ مقر لكل محكمة أو بتخصيص جانب من مكتب الوالي⁽¹⁾.

ثم توالى تطوير القضاء بأن بدأ العمل على إصدار الأنظمة واللوائح المنظمة للعمل القضائي: منها مثلا: قرار وزير العدل رقم (1973/28م) بشأن تقديم جميع الدعاوى للمحكمة الشرعية بدلا من مكاتب الولاية. والتعميم رقم (41) الصادر بتاريخ 1400/11/22 هـ الموافق 1980/10/2م والمعتمد من وزير العدل والقاضي بعدم قبول الموظفين كوكلاء في أي خصومة سوى أقاربهم وذويهم. وأنشئت بتاريخ 1972/5/21م لجنة حسم المنازعات التجارية بموجب مرسوم سلطاني، ثم غير اسمها إلى هيئة حسم المنازعات التجارية بموجب المرسوم السلطاني رقم (81/79)، ثم تغير اسمها لتصبح المحكمة التجارية بموجب المرسوم السلطاني رقم (97/13). ثم تلت لجنة حسم المنازعات إنشاء لجان منازعات الإيجار بموجب القرار السلطاني رقم (73/4)، فانترجت بإنشائها اختصاص المنازعات الإيجارية من القضاء الشرعي⁽²⁾.

ومع تعاقب التطور التشريعي والمؤسسي للقضاء جاء صدور القوانين المنظمة لمختلف جوانب الحياة ومصالح الناس، ففيما يتعلق بتنظيم القضاء صدر قانون السلطة القضائية الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (99/90) وعدل بالمرسوم السلطاني رقم (2001/14) ويعتبر ذلك حدثاً تشريعياً هاماً حيث يعد نقلة للقضاء

(1) أنظر لتفاصيل ذلك إلى ورقة عمل أعدها الباحث بعنوان: (التطور القضائي ومرافقه في سلطنة عمان في عصر النهضة المباركة)، قدمت بندوة (عمان الماضي والحاضر)، تنظيم وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، الأردن، يوم الأحد 30/11/2014م.

(2) محمد بن هلال بن ناصر المعولي، القضاء العماني تاريخه وتطوره - تطور التقنين القضائي العماني، الطبعة الأولى، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب - سلطنة عمان. ص 403 وما بعدها.

من التعددية إلى الوحدة ومن المحدودية إلى الانتشار ليمتد ظل العدالة ويعم كافة ولايات السلطنة، وقد رتب المحاكم على اختلاف أنواعها إلى ثلاث درجات كما ذكر في المادة (1) من الباب الأول (في المحاكم) منه بالقول «ترتب المحاكم على النحو الآتي: المحكمة العليا، ومحاكم الاستئناف، والمحاكم الابتدائية، والمحاكم الجزئية. وتختص كل منها بالمسائل التي ترفع إليها طبقاً للقانون»⁽¹⁾.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن التشريعات والأسس التي كانت تحكم النظر في قضايا الإصابات والأخطاء الطبية والتعويض بشأنها كانت تدخل ضمن القضاء الشرعي على مراحل تطوره المختلفة إلى أن توالى صدور بعض التشريعات العمانية -بمختلف درجاتها وقوتها- المنظمة للجهات والمؤسسات والقواعد في تقدير التعويضات عن الإصابات والأخطاء الطبية والتي من بينها:

المرسوم السلطاني رقم (٧٥/٢٤) في تقدير الديات والأروش. وكانت أهم مواده المادة الأولى التي قررت أن تكون دية الرجل ألفين وأربعمائة ريال عماني (٢٤٠٠) ودية المرأة نصف دية الرجل. والمادة الثانية التي قررت أن يقدر الأرش في الجروح حسب القاعدة التي قررت على أساسها الدية الأصلية⁽²⁾.

القرار السلطاني رقم (83/2) بتعديل الديات والأروش، وقد نشر في الجريدة الرسمية رقم (261) بتاريخ 1983/4/2.

المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٨/١١٨) بتعديل الديات والأروش. وقد كانت أبرز ملامح هذا التعديل رفع دية النفس المشار إليها في القرار السلطاني رقم (٨٣/٢) إلى خمسة عشر ألف ريال عماني وتقدر الأروش في الإصابات والجروح

(١) وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، قانون السلطة القضائية، الصادر بالمرسوم السلطاني رقم ٩٩/٩٠، نشر في الجريدة الرسمية رقم (٦٦٠)، ١٢/١/١٩٩٩م، ص ٣.
(٢) المرسوم السلطاني رقم (٧٥/٢٤) في تقدير الديات والأروش، صدر في ٤ جمادى الثاني ١٣٩٥هـ الموافق ١٤ يونيو ١٩٧٥م، نشر في الجريدة الرسمية رقم (٨٢) الصادرة في ١٩٧٥/٧/١، ص ٦٤.

من منطلق الدية كما قررتها المادة الأولى، كما بيّنت المادة الثانية منه تحدد الديات والأروش في الإصابات والجروح على النحو المبين في الملحق المرافق، وذلك دون الإخلال بالحق في الديات أو الأروش في الحالات غير الواردة في هذا الملحق، وجاءت المادة الثالثة مشيرة إلى أن تكون الديات والأروش جابرة لجميع الأضرار المادية والمعنوية(1).

المرسوم السلطاني رقم (92/73) بإصدار قانون مكافحة الأمراض المعدية.
المرسوم السلطاني رقم (96/43) بإصدار نظام مزاوله مهنة الطب البيطري وإنشاء العيادات البيطرية الخاصة.

المرسوم السلطاني رقم (96/41) بإصدار قانون مزاوله مهنة الصيدلة وتنظيم المؤسسات الصيدلانية.

المرسوم السلطاني رقم (96/22) بإصدار قانون مزاوله مهنة الطب البشري وطب الأسنان.

المرسوم السلطاني رقم (2004/67) بإنشاء صندوق للتعويضات عن الأخطاء الطبية.

المرسوم السلطاني رقم (2006/31) بإصدار نظام المجلس العماني للاختصاصات الطبية.

المرسوم السلطاني رقم (2014/36) بتحديد اختصاصات وزارة الصحة واعتماد هيكلها التنظيمي.

المرسوم السلطاني رقم (2019/75) بشأن إصدار قانون تنظيم مزاوله مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة. وكان أبرز ما تناوله إلغاء المرسوم السلطاني رقم

(١) أنظر تفاصيل ذلك: المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٨/١١٨) بتعديل الديات والأروش، صدر في ٦ من ذي القعدة سنة ١٤٢٩ هـ الموافق ٥ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨م، ونشر في عدد الجريدة الرسمية رقم (٨٧٥) الصادر في ١٥ / ١١ / ٢٠٠٨م، ص ٩.

(96/22) بشأن قانون مزاوله مهنة الطب البشري وطب الأسنان، وتناوله لبعض الأحكام العامة والمفاهيم المرتبطة بالجانب الطبي وتكييف أعماله مثل التعريف بمفهوم الخطأ الطبي الذي كان غائبا في التشريع العماني.

القرار الوزاري رقم (2013/157) بشأن تشكيل اللجنة الطبية العليا.

القرار الوزاري (2017/101) بشأن تشكيل لجان طبية فنية بالمديريات العامة للخدمات الصحية والمستشفى السلطاني ومستشفى خولة.

والمتتبع لنصوص التشريعات العمانية بمختلف درجاتها وقوتها يجد ما يؤكد على جعل الشريعة الإسلامية وأحكامها ومبادئها أساس التشريع على العموم والخصوص في مختلف القضايا والدعاوى بما فيها دعاوى التعويضات ومن تلك النصوص:

المادة (٢) من النظام الأساسي للدولة القائلة: «دين الدولة الإسلام، والشريعة الإسلامية هي أساس التشريع»^(١).

في المادة (9) من قانون الإثبات في المعاملات المدنية والتجارية -التي من بينها قضايا التعويضات والإصابات- ما يدل على جعل مرجعية الشريعة الإسلامية في الإثبات: «إذا لم يجد القاضي نصا في هذا القانون حكم بمقتضى القواعد العامة في الشريعة الإسلامية»^(٢).

كما تأكد جعل أحكام الشريعة أساسا في الفصل بقضايا التعويضات والأروش

(١) وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، المرسوم السلطاني رقم (٢٠١٩/٧٥) بشأن إصدار قانون تنظيم مزاوله مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة، صدر في: ٩ من ربيع الأول سنة ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ من نوفمبر سنة ٢٠١٩م، نشر في عدد الجريدة الرسمية رقم (١٣١٧) الصادر في ١١ / ١١ / ٢٠١٩م، ص ٩.

(٢) وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، قانون الإثبات في المعاملات المدنية والتجارية بالمرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٨/٦٨)، صدر في ١١ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٩ هـ الموافق: ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٨م، نشر هذا المرسوم في عدد الجريدة الرسمية رقم (٨٦٤) الصادر في ١ / ٦ / ٢٠٠٨م، ص ٢.

بمختلف المبادئ والأحكام الصادرة عن قضاء المحكمة العليا ومنها:
المبدأ القائل: « عدم مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية أثناء تقدير التعويض
الجابر للإصابات سبب ناقض. أثره: نقض الحكم»⁽¹⁾.
والمبدأ: «تطبيق قانون الديات والأروش (شرطه) استصحاب أحكام
الشريعة الإسلامية»⁽²⁾.

وهناك بعض المبادئ القضائية الصادرة عن المحكمة العليا أقرت بعض القوانين
التي يجب أن يعول عليها عند تقدير التعويضات والحكم في قضاياها ومن ذلك:
المبدأ القائل: « صندوق التعويضات عن الأخطاء الطبية هو الجهة المسؤولة
عن التعويض عن الأخطاء الطبية. إلزام وزارة الصحة مع الصندوق بالتعويض
مخالف للقانون».

والمبدأ «تقدير التعويض الناشئ عن الأخطاء الطبية مقيد بموجب قانون مزاوله
مهنة الطب البشري وطب الأسنان، تقدير التعويض بما يخالف ذلك. أثره نقض
الحكم»⁽³⁾.

إن من أهم المفاهيم المرتبطة بهذه الدراسة التي يعول عليها تقدير التعويضات

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٢/٩٨٢ م مدنية عليا (ب) جلسة يوم السبت ٨/ديسمبر/٢٠١٢م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة أحكام الديات والأروش «الديات والأروش»، الصادرة عن المحكمة العليا مع المبادئ المستخلصة منها والدليل الاسترشادي بالإصابات والديات والتعويضات المقدرة لها، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ١٨١.

(2) حكم في الطعن رقم ٢٠١١/٩٩٣ م مدنية عليا (ب) جلسة يوم الإثنين ٨/ديسمبر/٢٠١٢م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (من ٢٠١١/١٠/١ وحتى ٢٠١٢/٦/٣٠ م) - السنة القضائية (١٢)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ٢٣١.

(3) الطعن رقم (١٥٤ و ٢٠١٠/١٥٥) الدائرة المدنية (ب)، جلسة يوم الأحد الموافق ٢٠١٠/٦/٢٠م المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (من ٢٠١٠/١٠/١ وحتى ٢٠١١/٦/٣٠ م) - السنة القضائية (١١)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ٢٠٠.

عن الإصابات الخطأ الطبي من حيث تكييفه ومفهومه وما يترتب عليه من آثار ومسؤوليات مدنية وجزائية بين المريض والطبيب. والملاحظ من خلال بعض الدراسات أنها تناولت هذا المفهوم بالاعتماد على القواعد القانونية وتطبيقات القضاء، ومن ضمن التعريفات الواردة لهذا المفهوم:

في التشريع العماني وتطبيقاته القضائية:

تطرق قانون تنظيم مزاولة مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة في الفصل الأول (تعريفات وأحكام عامة) بالمادة (١) إلى تعريف الخطأ الطبي بالقول: «أي إجراء طبي، بالفعل، أو بالتزك لا يتفق مع الأصول العلمية والفنية، ويحدث ضرراً بالمريض، ولا علاقة له بالمضاعفات الطبية»^(١).

ومن مبادئ المحكمة العليا بالسلطنة التي تطرقت إلى تعريف الخطأ الطبي: «إن الخطأ الموجب للمسؤولية التقصيرية هو إخلال بالتزام قانوني يتمثل في حرص الشخص من خلال سلوكه على اليقظة حتى لا يضر الغير، فإذا انحرف في هذا السلوك كان هذا الانحراف خطأ يستوجب المسؤولية، لكن الطبيب قد راعى كل التدابير العلاجية والعلوم الطبية والوسائل الفنية وبذل العناية اللازمة وقام بإعطاء الطاعن العلاج والوصفات الطبية الصحيحة مع مثل هذه الحالات التي تؤدي إلى الكسر، وذلك بوضع اليد بالجيب واستعمال كل الوسائل، وتصدرت مقابلات الطاعن للطبيب المعالج للدرجة التي يمكن القول معها أنه لا من الإهمال أو التقصير في معالجة الطاعن، ولم يثبت إهمال الطبيب المعالج إن بنى فحصه

(١) وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، قانون الإثبات في المعاملات المدنية والتجارية بالمرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٨/٦٨)، صدر في ١١ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٩ هـ الموافق: ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٨م، نشر هذا المرسوم في عدد الجريدة الرسمية رقم (٨٦٤) الصادر في ١ / ٦ / ٢٠٠٨م، ص ٢.

على قواعد طبية خاطئة أو بجهل لذا تنتفي المسؤولية لانتفاء الخطأ»⁽¹⁾.
ومما سبق يتضح لنا تحرر المشرع العماني من فكرة حصر مسؤولية الخطأ
الجسيم في عمل الطبيب، وأخذه بالاتجاه القائل بأن مسؤولية الخطأ تتم سواء
أكان خطأ جسيماً أو بسيطاً طالما أن الطبيب لم يبذل العناية في علاجه للمريض
وقصّر⁽²⁾.

الدراسات الأخرى المتناولة تعريف مفهوم الخطأ الطبي.

من التعريفات التي ذكرها بعض الباحثين للخطأ الطبي ما يأتي:
- أي عمل أو نشاط طبي سواء بالفعل أم بالترك لا يتفق مع القواعد المهنية،
وينتج عنه ضرر لمتلقي العلاج. والقواعد المهنية هي تلك القواعد والأعراف التي
تفرضها أي مهنة صحيّة أو طبيّة والمتوافقة مع المعايير العلمية المقررة، وقد
استأنس بهذا التعريف قانون مزاولة مهنة الطب في سلطنة عمان⁽³⁾.
- ذهب رأي من الفقه إلى تعريف الخطأ الطبي بأنه: كل مخالفة من الطبيب في
مسلكه على القواعد والأصول الطبية التي يقضي العلم بها، أو المتعارف عليها
نظرياً أو عملياً وقت تنفيذه للعمل الطبي، أو إخلاله بواجبات الحيطة واليقظة التي
يفرضها القانون، متى ترتب على فعله ضرر بالمريض، في حين كان في قدرته

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٣/٧٩ م مدنية عليا (ج) جلسة يوم الإثنين ٣٠ /ديسمبر/ ٢٠١٣.
المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا
والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ٣٨٧.
(2) د/ يوسف بن سالم الفليتي، ورقة بحثية بعنوان: (المفهوم القانوني للخطأ الطبي)، ضمن
بحوث ندوة الخطأ الطبي في ميزان العدالة، التي نظمها المعهد العالي للقضاء في سلطنة عمان،
بتاريخ الخميس ٢٧ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠١٨ م، ص ٢٦.
(3) د/ وليد بن خالد الزدجالي، ورقة بحثية بعنوان: (المشكلات العلمية وانعكاساتها على
تحديد الخطأ الطبي)، ضمن بحوث ندوة الخطأ الطبي في ميزان العدالة، التي نظمها المعهد
العالي للقضاء في سلطنة عمان، بتاريخ الخميس ٢٧ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ الموافق ٦ ديسمبر
٢٠١٨ م، ص ٥١.

وواجبا عليه أن يتخذ في تصرفه اليقظة والتبصر، حتى لا يضر بالمريض^(١).

المبحث الثاني: مظاهر المنهج القضائي العماني في دعاوى الإصابات

والأخطاء الطبية قديما وحديثا.

ذكرنا في المبحث السابق أهم التشريعات التي تنظم موضوع التعويض عن الإصابات والأخطاء الطبية للولوج عبرها إلى إبراز مظاهر المنهج الذي دأب عليه القضاء العماني في إنزاله تلك الأطر والقواعد على وقائع الحوادث والأخطاء في هذه القضايا، سواء كان من حيث التكييف والتوصيف لكل إصابة أو خطأ أو من حيث تقدير التعويض المناسب بما يتفق مع الأحكام والقواعد المقررة. وقد اتبع الباحث في كشف واستظهار ذلك المنهج من خلال استقراء وتتبع بعض الأحكام القضائية من أرشيف المحاكم العمانية، وبعض المبادئ القضائية الصادرة عن قضاء المحكمة العليا بالسلطنة وإجراء المقارنة بينها؛ نظراً لأهمية الربط بين التشريعات والأصول المعتمدة في الحكم بهذه الدعاوى أمام أروقة المحاكم قديما وحديثا وما صاحب ذلك من تجديد للتشريع، وتأثير التقدم والجانب العلمي الطبي بالمرافق والجهات المعنية بالسلطنة في تكييف وتأطير قواعد الإصابات والأخطاء الطبية.

يمكن أن نخرج ببعض مظاهر وملامح المنهج القضائي العماني في تقدير ونظر هذه الدعاوى قبل إصدار قانون السلطة القضائية بموجب المرسوم السلطاني رقم (99/90) وبعده على النحو الآتي:

أولاً: اعتماد الشريعة الإسلامية وأحكامها ومبادئها في توصيف الإصابات والأخطاء وتقدير تعويضاتها قديما وحديثا، مع التشريعات القانونية الخاصة حالياً

(١) د/ أيمن مصطفى البقلي، ورقة بحثية بعنوان: (المسؤولية المدنية عن الخطأ الطبي)، ضمن بحوث ندوة الخطأ الطبي في ميزان العدالة، التي نظمها المعهد العالي للقضاء في سلطنة عمان، بتاريخ الخميس ٢٧ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠١٨ م، ص ٨٤.

ومنها المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٨/١١٨) بتعديل الديات والأروش وملحقاته وغيرها من القوانين.

إن ما يتضح لنا من خلال معرفة المراحل المنظمة لمرفق القضاء العماني وتطور تشريعاته المختلفة، أن منهجية الفصل في منازعات وقضايا التعويض عن الإصابات والأخطاء الطبية كانت معتمدة على أحكام الشريعة ومبادئها العامة والاجتهادات الفقهية التي كان القضاة يرونها سابقا قبل أن تكون هناك لجان أو جهات متخصصة تساند جهة القضاء في تقعيد وتوصيف هذا النوع من القضايا بتقارير طبية وخبرات علمية في نوعية الإصابات والأخطاء، ولا متخصصين في هذا المجال إلى أن بدأت مراحل التشريع العماني في التطور، وتجلت النهضة العمانية في ظل بانيها جلالة السلطان الراحل قابوس بن سعيد، حيث توالى التشريعات المتخصصة في مختلف المجالات، وتم تأهيل كفاءات ومرافق متخصصة في هذا الجانب. وهو ما أكدته نصوص التشريع العماني ومبادئ القضاء بالمحكمة العليا في أكثر من موضع ومنها ما جاء في أحد أحكام ومبادئ القضاء المدني بالمحكمة العليا بشأن التعويض عن الإصابات الواقعة على النفس البشرية خطأ التأريش عن إصابة معينة من خلال تقدير القاضي، فنقضت دائرة الديات والأروش بالمحكمة العليا بجلسة يوم السبت الموافق 8/ديسمبر/2012م هذا الحكم وأقرت المبدأ الآتي: «عدم مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية أثناء تقدير التعويض الجابر للإصابات سبب ناقض. أثره. نقض الحكم»^(١)، والملاحظ وجوب اعتبار وجعل أحكام الشريعة أساسا لدراسة الإصابات والأخطاء والتعويض عنها عند الفصل في منازعاتها.

(١) الدائرة المدنية (ب) «الديات والأروش» في الطعن رقم ٢٠١١/٩٨٢م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (من ١/١٠/٢٠٠٦م وحتى ١/٦/٢٠٠٧م) - السنة القضائية (٧)، وزارة العدل - سلطنة عمان.

ثانياً: الاختصاص الولائي في الفصل بدعاوى الإصابات والتعويضات عن الأخطاء الطبية.

ويراد بذلك تعيين الجهة التي تتولى الفصل في قضية أو دعوى معينة بموجب الصفة القانونية والاختصاص المؤسسي لها من الأهمية بمكان وهو ما يعرف في الاصطلاح القانوني بالاختصاص الولائي، وعرفه البعض بالقول: «توزيع المنازعات على الجهات القضائية الموجودة بالدولة، بمعنى تحديد نصيب كل جهة قضائية من ولاية القضاء»⁽¹⁾.

وفي عمان ارتبط منصب القضاء بمنصب الإمام وولي الأمر. مع التأكيد بأنه لم يكن هناك ضابط شرعي يرجع ويستند إليه بكل كلها اجتهادات شخصية ونظم وضعية يعترضها الشك في سيادة الأقوى وغلبة القبيلة، وبعد دخول الإسلام عمان سادت قيم الفضيلة ومبادئ العدالة الناجزة والمساواة ودخل أهل عمان الإسلام، ولم يتيسر الحصول على أفضية عمانية في عهد النبوة، كما إن النظام القضاء في عمان تأثر بنظام القضاء العباسي لتبعية عمان لها في فترة إلى أن استقلت عمان بحكمها⁽²⁾. وكانت القضايا تعرض أمام القاضي أو الإمام مباشرة بموجب دعوى يرفعها المتضرر دون الحاجة إلى جهة متخصصة ترفعها وتحولها للقضاء. والقضاء غالبا ما يكون في المسجد، وقد يقضي القاضي في منزله، أو في موقع النزاع إذا كانت الواقعة نظرية تحتاج إلى الوقوف على محل النزاع، وكان تنفيذ الأحكام يتم من قبل الإمام أو واليه إذا كان في بلد الإمام، وغالبا ما يقوم المحكوم

(1) عبدالحكيم عكاشة، شرح قانون الإجراءات المدنية والتجارية العماني (النظام القضائي - الدعوى - الاختصاص)، تصميم المكتب الفني للأجيال، طبع بشركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، رجب/شعبان ١٤٢٦هـ - سبتمبر ٢٠٠٥، ص ١٦٦.
(2) إبراهيم بن يحيى العبري، القضاء في عمان، مركز الغندور، القاهرة، ٢٠١٢. ص ٤٠ وما بعدها.

عليه بتنفيذ الحكم بنفسه لتوفر الوازع الديني معتبرا ذلك فريضة كالصلاة⁽¹⁾.
مع تطوّر القضاء ومرفقاته وانفصاله ككيان وجهة مستقلة أصبحت قضايا الإصابات الناتجة عن الحوادث بشكل عام تحال من قبل شرطة عمان السلطانية إلى المحاكم الشرعية، ونجد ذلك بمطالعة أحكام القضاء قبل صدور قانون السلطة القضائية بموجب المرسوم السلطاني رقم (99/90)، نجد ذلك بمطالعة بعض عبارات نصوص الأحكام بالقول: (ليعلم الواقف على كتابنا هذا بأنه في اليوم ... عرضت علينا شرطة عمان السلطانية بنزوى ملف القضية رقم...، حول حادث اصطدام بين السيارة التي كان يقودها...، ذكرت الشرطة أنهن عفون عن السائق)⁽²⁾.

أصبح الاختصاص الولائي لقضايا الحوادث والأخطاء الطبية في التشريع القانوني الحالي ينعقد لمحاكم القضاء العام بالدوائر المدنية والجزائية؛ إذ تعتبر محاكم القضاء العادي مختصة بنظرها جميعاً وفق الاختصاص الولائي المبين بالمادة (٨)⁽³⁾ من قانون السلطة القضائية العماني.

المنهج المتبع في تقديم شكوى عن الأخطاء الطبية وما ينتج عنها من آثار ابتداءً يكون عبر تقديم المتضرر شكوى لوجود الخطأ الطبي إلى اللجنة الطبية العليا، وهي لجنة طبية مشكلة بقرار وزير الصحة القرار الوزاري رقم (2013/157)

(١) مبارك بن عبدالله الراشدي، السلطة القضائية في تونس وعمان بين الفقه والقانون، كلية الشريعة والقانون بمسقط، ٢٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ١٩٦ وما بعدها.

(٢) حكم رقم (م ن ش ٧٨/١١٥) صادر عن محكمة نزوى الشرعية، يوم ١٣٩٨ / ٤ / ٧ هـ الموافق ١٩٧٨/٣/١٦م، القاضي أحمد بن ناصر السيفي، وزارة العدل بسلطنة عمان، أُرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(٣) إذ نصت على: «فيما عدا الخصومات الإدارية، تختص المحاكم المنصوص عليها في هذا القانون بالحكم في الدعاوى المدنية والتجارية ودعاوى الأحوال الشخصية، والدعاوى العمومية والعملية والضريبية والإيجارية وغيرها التي ترفع إليها طبقاً للقانون، إلا ما استثني بنص خاص، وتبين النصوص الإجرائية قواعد اختصاص المحاكم». انظر: قانون السلطة القضائية، بسلطنة عمان، الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (١٩٩٩/٩٠م)، مرجع سابق، ص ٣.

بشأن تشكيل اللجنة الطبية العليا تضم في عضويتها ممثلين عن المؤسسات الصحية (العسكرية والمدينة والخاصة)، والقرار الوزاري (2017/101) بشأن تشكيل لجان طبية فنية بالمديريات العامة للخدمات الصحية والمستشفى السلطاني ومستشفى خولة.

وتقوم هذه اللجنة ببحث الشكوى واستدعاء الطبيب المعالج والمتضرر ولها أن تدعوا كذلك حضور من ترى ضرورة لمناقشته، وترفع اللجنة تقريرها عن الحالة خلال 90 يوماً. أو يحق للمتضرر التوجه مباشرة إلى القضاء ومساءلة الطبيب جزائياً عن طريق تقديم شكوى إلى الادعاء العام ثم للمحكمة، وفي جميع الأحوال على المحكمة أن تعرض الحالة على اللجنة الطبية المذكورة لتقرير ثبوت الخطأ الطبي من عدمه. ويكون التعويض عن الأخطاء الطبية في حال ثبوتها كالوفاة أو العجز الكلي أو الجزئي مؤسسا في حسابه على دية الإنسان وفقا لأحكام المرسوم بشأن تقدير الديات والأروش رقم 118/2008 وتعديلاته.

ثالثاً: دقة العمل والاجتهاد في دعاوى الإصابات وتوصيفها وتقدير التآريش والتعويض بها.

جاء في أحد الأحكام القديمة قبل صدور قانون السلطة القضائية والقوانين المنظمة لطرق التعويض وتوصيف الإصابات: «وعلى حسب النظر في الموضوع فأرى لهما مائتين ريال، عن كل جانب مائة ريال فقط، وهناك جرح حسب تقرير الطبيب في الرأس يحتاج إلى نظر ولم توافق المرأة على نظره ولم تطلب تأريشه هذا ما أراه»⁽¹⁾. ومن عبارات أحد الأحكام الأخرى: «ونظرت هذه الدعوى

(1) حكم رقم (م م ٩٢/ م - رقم ١ ص ٨٠ ج ١٧) صادر عن المحكمة الشرعية بقريات، يوم ٢٣/٦/١٤١٢ هـ الموافق ٣٠/١١/١٩٩٢ م، القاضي سيف بن محمد الفارسي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

والتأريش الشرعي صعب بعد البرء...»⁽¹⁾. وفي حكم آخر: «...وقد قررنا لهذه الجروح خمسمائة ريال تأريشاً حسب اجتهادنا»⁽²⁾. وفي آخر: «...هذا الذي تحرّيناه حسب اجتهادنا والذي استنتجناه من التقارير الطبية»⁽³⁾.

وفي نظام القضاء العماني الحالي قررت النصوص والأحكام أن القاضي له صلاحية الاجتهاد في وزن البيّات وتقرير ما يستقر بعقيده في التوصيف لكل إصابة، وتقدير ما يناسبها شرط ألا يحيد عن الصواب أو عما تقتضيه الأدلة والوقائع، ومما جاء في ذلك المبدأ القائل: «تقدير التعويض من إطلاقات محكمة الموضوع ولها السلطة التقديرية في استنتاج عناصره متى ما كان ذلك سائغاً، سالمًا من الشطط والغلو، وله ما يسانده في الواقع»⁽⁴⁾. والمبدأ «الأحكام القضائية هي ميزان الحق توازن بين ما يطلبه المضرور وما يوجب القانون والشرع إذ هذه وظيفتها، إن تقدير التعويض لا يؤسس على مجرد السلطة التقديرية بل على أسس وقواعد الفقه الإسلامي التي جاءت واضحة وعادلة»⁽⁵⁾. وكذلك المبدأ: «تقدير

(1) حكم رقم (٨٧ ص ١١ ج ١٨) صادر عن المحكمة الشرعية بقریات، يوم ١٤١٣/٤/١ هـ الموافق ١٩٩٢/٩/٢٨ م، القاضي سيف بن محمد الفارسي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(2) حكم رقم (١٤٣ ص ٩ ج ١٦) صادر عن المحكمة الشرعية بقریات، يوم ١٤١٠/٥/٢٧ هـ الموافق ١٩٨٩/١٢/٢٦ م، القاضي سالم بن سعيد البويقي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(3) حكم رقم (١٠٢ ص ٧٥ ج ١٥) صادر عن المحكمة الشرعية بقریات، يوم ١٤١٠/٢/١٨ هـ الموافق ١٩٨٩/٩/١٩ م، القاضي سالم بن سعيد البويقي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(4) حكم في الطعن رقم ٢٠١٢/٣٦٠ م مدنية عليا (ب) جلسة يوم السبت ٨/ديسمبر/٢٠١٢ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من ٢٠١٢/١٠/١ م وحتى ٢٠١٤/٦/٣٠ م)، السنة القضائية (١٤،١٣)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ٦٣٦.

(5) حكم في الطعن رقم ٢٠٠٨/٦٨٠ م مدنية عليا، جلسة يوم السبت ١٠/يناير/٢٠٠٩ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة أحكام الدييات والأروش «الدييات والأروش»، مرجع سابق، ص ٦١.

حكومة العدل من إطلاقات محكمة الموضوع بشرط مناسبة مقدار التعويض لعناصر الضرر»⁽¹⁾.

رابعاً: سيادة مبدأ الصلح والعفو والمسامحة بين المصابين والمتسببين في الإصابات.

مبدأ الصلح منهج متبع في القضاء العماني، وهو ما بينته المادة (99) من قانون الإجراءات المدنية والتجارية في شأن ابتداء القاضي جلسة المرافعة القضائية بالمحكمة بقولها: «تبدأ المحكمة في الجلسة الأولى بعرض الصلح على الخصوم، فإذا لم يتم الصلح تجرى المرافعة في ذات الجلسة»⁽²⁾. وهذا النص القانوني يتكامل معرفياً مع قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)⁽³⁾، وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «الصلح جائز بين المسلمين - زاد أحمد- إلا صلحا أحل حراماً أو حرم حلالاً»⁽⁴⁾.

جاء في أحد الأحكام القديمة قبل صدور قانون السلطة القضائية والقوانين

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٧/٨٧٧ م مدني جلسة يوم الأحد الموافق ٢٤/١٢/٢٠١٧م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من ١/١٠/٢٠١٦م وحتى ٣٠/٦/٢٠١٨م)، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ٤٥٤.

(2) وزارة الشؤون القانونية، سلطنة عمان، قانون الإجراءات المدنية والتجارية، الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٢/٢٩)، نشر في الجريدة الرسمية رقم (٧١٥) الصادرة في ١٧/٣/٢٠٠٢م، ص ١٢٥.

(3) سورة الأعراف/١٩٩.

(4) أخرجه أبو داؤد في سننه، باب في الصلح، حديث رقم: (٣٥٩٤). سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٣/٤٠٣. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب الصلح ذكر الإخبار عن جواز الصلح بين المسلمين ما لم يخالف الكتاب أو السنة أو الإجماع، ١٧ - كتاب الصلح، حديث رقم (٥٠٩١). ومحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ١١/٤٨٨. وأخرجه غيرهما من رواة الحديث.

المنظمة لطرق التعويض وتوصيف الإصابات: «وعلى حسب التحري في الأمر جعلنا بينهما صلحا أن يسلم المدعى عليه المعترف للمدعي عن جميع إصاباته ثمانمائة ريال عماني، وافق الطرفان على ذلك وبذلك انتهت الدعوى»⁽¹⁾. وفي حكم آخر «ونحن سألنا المرأة المسماة شمسا التي أصيبت بكسر في يدها، فقالت: إني عفوت السائق سيف وسمحت من حقي، وذكرت الشرطة أيضا أن راكبا واحدا كان راكبا مع ناصر بن أحمد اسمه صالح بن حارث وأصيب بجروح لكنه قد سمح»⁽²⁾. وفي آخر: «حضر المدعين والمدعى عليه وقبل إجراء الحكم اصطالح الحال بينهما على أن يدفع المدعى عليه.....»⁽³⁾.

غير إننا نجد تقييدا مهما وإطارا دقيقا في مسألة تنازل المضرور في الحوادث والإصابات وهو عدم اعتبار هذا التصالح والتنازل إن كان يجهل قيمة ومقدار التعويض، قرر ذلك المبدأ القضائي القائل: «تنازل المضرور من حادث السير عن التعويضات التي يستحقها بسبب الفعل الضار أمام الشرطة وقبل اكتمال التقارير الطبية عن إصاباته تنازل غير معتبر ولا يمنعه لاحقا من المطالبة بالتعويضات أمام المحكمة. علته ذلك أن التنازل صلح، والصلح في المعاوزات لا يصح إن كان العوض مجهول القيمة جهالة فاحشة، وعدم صدور التقارير النهائية بالإصابات يجعل مقدار التعويض عنها مجهولا جهالة فاحشة»⁽⁴⁾.

(1) حكم رقم (٨٧ ص ١١ ج ١٨) صادر من المحكمة الشرعية بقريات، يوم ١٤١٣/٤/١ هـ الموافق ١٩٩٢/٩/٢٨ م، القاضي سيف بن محمد الفارسي، مرجع سابق.

(2) حكم رقم (م ن ش ٧٨/١١٥) صادر من محكمة نزوى الشرعية، يوم ١٣٩٨ /٤/٧ هـ الموافق ١٩٧٨/٣/١٦ م، القاضي أحمد بن ناصر السيفي، وزارة العدل بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(3) حكم رقم (٢/ج-٨٤/٣٦٧) صادر من المحكمة الشرعية ببوشر، يوم ١٩٨٤ /٨/٢٨ هـ، القاضي محمد بن سيف الرواحي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(4) حكم في الطعن رقم ٢٠١٧/٤٢٢ م مدني جلسة يوم الأحد الموافق ٢٠١٧/١١/١٢ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مرجع سابق، ص ٤٣٢.

خامساً: السلطة التقديرية لمحاكم وقضاة الموضوع في تكييف وتوصيف الإصابات الناتجة عن الحوادث والأخطاء الطبية والحكم فيها بما يتفق مع الأصول والوقائع والتقارير الطبية وعمل الجهات المختصة في هذا شأن بوجه شامل ومفصل.

كان منهج القضاء العماني سابقا الاستناد والاستعانة بتقارير الشرطة التي ترفعها للمحاكم في بيان الخطأ الواقع من الحوادث، حيث جاء في أحد الأحكام القديمة ما يدل على ذلك بالقول: «ورأينا تقرير الشرطة ينبئ أن الخطأ وقع من المدعي والمدعى عليه، وفعلا أن الحادث وقع على هلال بن حميد بسبب صدمة سيارة ناصر بن سيف وعلى كل حال أن هلالا بعد أن صدم تعطلّ منه النطق وفسدت يده ورجلاه»⁽¹⁾.

ومن المبادئ القضائية التي تدل على وجوب أن تمحص المحكمة بموجب سلطتها الأخطاء والإصابات المبدأ القائل: «لئن كان تقدير عناصر الضرر من مشمولات محكمة الموضوع فإن ذلك مشروط بحسن التعليل وبيان كافة أوجه الضرر وهو ما افتقد إليه الحكم المطعون فيه وتوجب تبعاً لذلك النقض والإحالة». والمبدأ «لم يلتزم الحكم المطعون فيه بتمحيص الأضرار التي لحقت المضرور ولا من تقدير التعويض للأضرار التي تعرض لها الوجه الذي يعد أشرف عضو في الإنسان وعلى ذلك الأساس فإن تعويض إصاباته تكون ضعف إصابات باقي الجسم»⁽²⁾.

(1) حكم رقم (٨٠/٨٠) صادر عن محكمة نزوى الشرعية، القاضي سعود بن سليمان الكندي، وزارة العدل بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

(2) أنظر: الحكيم في الطعن ١٤٨٧/١٧/٢٠١٧ ج- جلسة ٢٠١٨/١٠/٨ م، والطعن رقم ٢٠١٨/٩٨٣ ب- جلسة ٢٠١٩/٤/٢١ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر بالمحكمة العليا الهيئة العامة لتوحيد المبادئ - المحكمة الشرعية - المدنية والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من ٢٠١٨/١٠/١ م وحتى ٢٠١٩/٦/٣٠ م)، السنة القضائية (١٩)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ٣٤٠ و ٣٦٧.

والمبدأ: «إن السلطة التقديرية للمحكمة في التقدير إنما تنحصر في حدود ما قرره القانون، فإن لم يكن للإصابة دية محددة أو أرش مقدر فيعوض عنه حكومة عدل بالتعويض المناسب، ولا رقابة على محكمة الموضوع في هذا التقدير متى ما بنته على أسباب سائغة لها أصلها الثابت بالأوراق». وتعتبر التقارير الطبية مرجعا ومستندا في تقرير كافة الإصابات والتعويض المترتب عليها، جاء في ذلك المبدأ القائل: «على المحكمة تقصي كل الإصابات والجروح التي لحقت بالطاعن من جراء الحادث وتمحيصها بكل دقة من جميع التقارير الطبية الكاشفة للإصابات والجروح وما آلت إليه تلك الإصابات من فوات نفع وحدث ضرر سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة؛ لأن التعويض لا يقتصر على الإصابات المباشرة وإنما يمتد إلى ما ترتب عن إصابة من أضرار مرتبطة بها كالعوامل الجراحية والآثار التي ترتبت على هذه الإصابات لأن الطاعن يستحق تعويضاً عن كافة الإصابات سواء نتجت عن الحادث مباشرة أو ترتبت على الإصابات من آثار أو اقتضى التطبيب تسببها كجميع أنواع العمليات التي يحتاج لها المضرور وبعد الإحاطة الشاملة بحقيقة وضبط عناصر الضرر فعندئذ يجب على المحكمة إعطاء كل عنصر من عناصر الضرر حقه المشروع من دية أو أرش أو حكومة عدل بدون زيادة ولا نقصان لأن (الحكم على الشيء فرع من تصوره) وبالنظر الحكم المطعون فيه فإنه لم يلتزم هذا النظر ولعدم تقيد الهيئة المغايرة في محكمة الاستئناف بحكم المحكمة العليا فيما بينه من المسائل القانونية الواضحة مما يجعل الحكم المطعون فيه خالف صحيح القانون طبقاً لمقتضيات المادة (260) من قانون الإجراءات المدنية والتجارية ويتعين نقضه»⁽¹⁾.

(1) حكم في الطعن رقم ٤٣٤/١٨/٢٠١٨ م مدني، جلسة يوم الأحد في ٢٠/١/٢٠١٩ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر بالمحكمة العليا الهيئة العامة لتوحيد المبادئ - المحكمة الشرعية - المدنية والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٩)، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

سادساً: المعايير الحاكمة للخطأ الطبي، مفهوماً، وإثباتاً، وأثراً مادياً ومعنوياً تنشأ وفق القواعد وأحكام القضاء وتقارير الخبرة والجهات المختصة.

عرّف الخطأ الطبي بموجب المادة الأولى من قانون تنظيم مزاوله مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة بالقول: «أي إجراء طبي، بالفعل، أو بالترك لا يتفق مع الأصول العلمية والفنية، ويحدث ضرراً بالمريض، ولا علاقة له بالمضاعفات الطبية»⁽¹⁾.

وكان منهج القضاء العماني بيّنا في مسائل الأخطاء الطبية وآثارها من حيث صورته وكيفية إثباته، وتكليف المسؤولية المترتبة عنه، وبيان مقدار التعويض المترتب عن تلك المسؤولية ونوعها، نستقرئ ذلك من مبادئ القضاء العماني كالاتي:

من حيث صورته:

«إن عدم تظن الدكتور المباشر لحالة المطعون ضده لتواجد الأنبوب السابق تثبيته لعلاج عينه من قبيل الخطأ الطبي، وكان من المتيسر عدم الوقوع فيه لو أجرى تصويراً بالمنظار للتأكد من ذلك، وقد تسبب هذا الخطأ في استمرار آلام المطعون ضده والتجائه إلى مستشفى أهلي شخّص الحالة بدقه وأجرى عليه عملية جراحية واستأصل الأنبوب البلاستيكي»⁽²⁾.

الخطأ الموجب للمسؤولية التقصيرية هو إخلال بالتزام قانوني يتمثل في حرص

(1) وزارة الشؤون القانونية، سلطنة عمان، قانون تنظيم مزاوله مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة رقم (٢٠١٩/٧٥)، صدر في ٩ من ربيع الأول سنة ١٤٤١هـ الموافق: ٦ من نوفمبر سنة ٢٠١٩م، ونشر هذا المرسوم في عدد الجريدة الرسمية رقم (١٣١٧) الصادر في ١١/١١/٢٠١٩م، ص ٩.

(2) حكم في الطعن رقم ٦٦٣ و٢٠١٣/٦٦٤م مدنية عليا (ج) جلسة يوم الإثنين ٣١/٣/٢٠١٤. مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ٤٣٥.

الشخص من سلوكه على اليقظة والتبصر حتى لا يضر الغير، فإذا انحرف هذا السلوك كان هذا الانحراف خطأ يستوجب المسؤولية، وأن عدم مراعاة الطبيب للتدابير العلاجية والعلوم الطبية والوسائل الفنية والإهمال إذ بنى فحصه على قواعد طبية خاطئة أو يجهل في احتساب مدة الحمل وفقاً لما قرره التقرير الصادر من اللجنة للأخطاء الطبية وعلى ذلك توافرت الأسس الموجبة للمسؤولية»⁽¹⁾.

من حيث الإثبات يكون عبؤه على المتضرر، ووفق تقارير اللجنة الطبية العليا وما لها من خصوصية في الإثبات:

«عبء إثبات الخطأ الطبي يقع على كاهل المدعي في حالة عدم وجود دليل مباشر. يجوز اللجوء للخبرة والركون لأحد التقارير»⁽²⁾.

«إثبات الخطأ الطبي لا يكون إلا بتقرير صادر من اللجنة العليا للأخطاء الطبية متى قررت اللجنة عدم وجود خطأ طبي واتَّجه الحكم إلى إثبات الخطأ فإنَّ الحكم جدير بالنقض»⁽³⁾.

« لا تسري بحق اللجنة الطبية العليا القواعد العامة في قانون الإثبات المتعلقة بشأن خبراء الجدول مثل دعوة الخصوم وغيرها بل يكفي أن تكون قناعتها ورأئها الفني شريطة مراعاة الأصول الفنية المعمول بها في مجال مهنة الطب البشري. اللجنة الطبية العليا تزاول مهنة الطب البشري وطب الأسنان بموجب قانون مزاوله

(1) حكم في الطعن ٢٧٧/٢٠١٤م مدني عليا (ج) جلسة يوم الاثنين الموافق ٢٤/نوفمبر/٢٠١٤م. مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ٤٣٥.

(2) حكم في الطعن رقم ١١٠٨/٢٠١٢م مدنية عليا (أ) جلسة يوم الإثنين ١١/مارس/٢٠١٣م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من ١/١٠/٢٠١٢م وحتى ٣٠/٦/٢٠١٤م)، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ١٤٢.

(3) حكم في الطعن رقم ٦١٦/٢٠١٨م، مدني أ، جلسة ٧/١/٢٠١٩م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٩)، مرجع سابق، ص ٢١٩.

مهنة الطب البشري وطب الأسنان الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (96/22) وتعديلاته ولا يوجد في هذا القانون ما يلزم بأن تؤدي اللجنة الطبية العليا اليمين عند أداء مهمتها بموجب المادة (19) من ذات القانون»⁽¹⁾.

«تقرير اللجنة الطبية العليا من المحررات الرسمية التي هي حجة على الكافة ما لم يطعن فيها بالتزوير فهو حجة عليهم بما دون فيه بموجب المادة (11) من قانون الإثبات»⁽²⁾.

من حيث مسؤولية الطبيب وصورها وحدودها، وكيفية تقدير التعويض على إثرها:

«نظرة المحكمة توافقية بين حماية المريض وبين اعتبار أن الطبيب يسعى بحسن نية لمعالجة مرضاه»⁽³⁾.

«مسئولية الطبيب لا تستوجب أن يكون هذا الخطأ جسيماً، ولا يعفى الطبيب إذا كان خطؤه يسيراً»⁽⁴⁾.

«المسؤولية الطبية: صورة من صور المسؤولية المدنية- يلزم فيها التعويض»⁽⁵⁾.

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١١/٧٠م الدائرة المدنية (ج) - جلسة يوم الأحد ٢٩/يناير/٢٠١٢م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٢)، مرجع سابق، ص ٤٥٥.

(2) حكم في الطعن رقم ٢٠١٢/١٧٦م مدنية عليا (ج) جلسة يوم الأحد ٢٣/ديسمبر/٢٠١٢م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٢)، مرجع سابق، ص ٣٤٤.

(3) حكم في الطعن رقم ٢٠١٢/١١٠٨م مدنية عليا (أ) جلسة يوم الإثنين ١١/مارس/٢٠١٣م. مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(4) حكم في الطعن رقم ٢٠١٣/٧٩٨م، ورقم ٢٠١٣/٧٩٩م مدنية عليا (ج) جلسة يوم الإثنين ٢٠١٤/٤/٢٨. مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ٤٥١.

(5) حكم في الطعن رقم ٢٠١٢/١١٠٨م مدنية عليا (أ) جلسة يوم الإثنين ١١/مارس/٢٠١٣م. مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ١٤٢.

«تحديد التعويض المناسب عن الخطأ الطبي يتوقف على تحديد درجة ذلك الخطأ في حصول الوفاة، إن كان ذلك الخطأ السبب المباشر في حصول الوفاة أم أن الخطأ ساهم في تعكر الحالة الصحية للمريض مما أدى إلى الوفاة، وهو ما لم تبحته محكمة الموضوع في ظل اختلاف الطرفين المتنازعين في الدعوى حول ذلك، إذ إن التعويض يجب أن يتناسب ودرجة الخطأ المؤدي إلى حصول الضرر»⁽¹⁾.

«يكون التعويض عن الأخطاء الطبية التي تترتب عليها أضرار معنوية فقط بما لا يجاوز دية النفس المنصوص عليها في مرسوم تقدير الديات والأروش»⁽²⁾.

سابعاً: اعتماد قاعدة (المباشر ضامن وإن لم يتعمد أو يتعد)، في نظر قضايا التعويضات نتيجة وقوع الأخطاء بمختلف الحوادث والإصابات.

ومما دل على ذلك من مبادئ: «المستقر عليه في القانون والعمل القضائي لهذه المحكمة أن دعوى التعويض المبنية على الضرر لا تلقي على المضرور سوى إثبات أن الضرر وقع بفعل الشيء. أثر ذلك عدم الحاجة لبحث وجود الخطأ لافتراضه من المتسبب في الفعل الضار. أساس ذلك أن الفقه الإسلامي يؤسس هذه المسؤولية على قاعدة (المباشر ضامن وإن لم يتعمد أو يتعد)⁽³⁾». والمبدأ: «لا يختلف الفقه الإسلامي عن القانون الوضعي في أن القانون لا يلقي على

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٥/٢٥٤ م مدني عليا جلسة يوم الاثنين الموافق ٢٣/١١/٢٠١٥ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من ١٠/١/٢٠١٤ م وحتى ٣٠/٦/٢٠١٦ م)، السنة القضائية (١٦،١٥)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان، ص ٣٣٢.

(2) حكم في الطعن رقم ٢٠١٧/٦٢٧ م مدني جلسة يوم الإثنين الموافق ٣٠/١٠/٢٠١٧ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(3) حكم في الطعن رقم ٢٠١٦/١٦٣٦ م مدني جلسة يوم الأحد الموافق ١٩/٣/٢٠١٧ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مرجع سابق، ص ٣٩٥.

المضرور من عبء إثبات سوى أن الضرر وقع بفعل الشيء ليفترض الخطأ في جانب المدعى عليه، والفقه الإسلامي يؤسس هذه المسؤولية على قاعدة فقهية هي (المباشر ضامن وإن لم يتعمد أو يتعد) وتطبيقاً لهذه القاعدة فإن من يباشر الفعل ضامن له دون حاجة إلى إثبات تعمد ارتكاب الفعل أو تعديه، ذلك أن المباشرة فعل إيجابي يحدث الضرر بمجرد اتصال الآلة بالشيء وتحقق رابطة السببية بين الفعل المباشر والضرر إذا كان الفعل هو الذي أحدث الضرر ومن ثم يكون عبء الإثبات على المدعى عليه المباشر لنفي هذه المسؤولية خلافاً للقاعدة العامة في الإثبات البينة على المدعي ولا يكلف المضرور إثبات الخطأ إلا في حالة حدوث الضرر بالتسبب ومعنى هذا يتعين على المدعى عليه أن يثبت أن الضرر قد وقع إما بسبب أجنبي أو بخطأ الغير أو القوة القاهرة⁽¹⁾.

ثامناً: اعتماد قيمة الدية الكبرى كأساس ومعيار لتقدير التعويض عن الإصابات على النفس وما دونها.

وذلك بموجب المبادئ المستقر عليها بالمحكمة العليا بالسلطنة ومنها: «الواجب على المحكمة الرجوع إلى الفقه الإسلامي فإن كان لها دية أو أرش طبقته على الإصابة وإن لم يكن لها دية أو أرش مقدر ففي هذا الحالة للمحكمة سلطة تقدير التعويض الجابر للضرر استناداً إلى ما يطلق عليه حكومة العدل على أن يكون التقدير من مطلق الدية الكبرى»⁽²⁾.

تاسعاً: الأخذ بمبدأ ورأي (دية المرأة نصف دية الرجل) فيما نصَّ عليه، واعتبار

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٨/٤١١ ب- جلسة ٢٠١٨/١١ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٩)، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

(2) حكم في الطعن رقم ٢٠١٦/٨٦١ م مدني عليا جلسة يوم الأحد الموافق ٢٧/١١/٢٠١٦ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

باقي الإصابات حكومة عدل تخضع لتقدير مستوى الضرر والتعويض عنه بحكم أهل الخبرة.

جاء تقرير ذلك بعدة مبادئ من القضاء العماني ومنها: «الدية الشرعية للأنتى نصف دية الرجل؛ وذلك فيما نص عليه بصريح اللفظ في أحاديث الديات والأروش، مع اعتبار ما لم ينص عليه حكومة عدل غير مقيد بقدر معين سوى كونه جابرا للضرر وبقدر ذلك الضرر وبتقدير العدول العارفين بأحكام الديات والأروش كما هو معلوم في محله»⁽¹⁾. والمبدأ «دية المرأة على النصف من دية الرجل»⁽²⁾. والمبدأ «دية المرأة على النصف من دية الرجل. علة ذلك أنّ المرسوم السلطاني رقم (1975/24) نصّ على كون ديتها على النصف من دية الرجل، أمّا القوانين اللاحقة فقد تعرّضت لتعديل مقدار دية الرجل دون تعرّض لإلغاء فقرة أنّ دية المرأة على النصف من دية الرجل»⁽³⁾.

عاشراً: الحكم بنصف دية المسلم في تأريش إصابات غير المسلم.

جاء في أحد الأحكام القديمة في تقرير ذلك ما نصه: «حضر عندي المدعي والمدعى عليه وقد اعترف عليه بالخطأ، وقد حكمت عليه له بمائة وعشرين ريالاً دية ضرسية نصف دية المسلم؛ لكونه مجوسي الديانة»⁽⁴⁾.

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٨/١٥٦٠/ب- جلسة ٢٠١٩/٥/٢٦ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٩)، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

(2) حكم في الطعن رقم ٢٠١٧/١٤٣٧/م مدني جلسة يوم الإثنين الموافق ٢٠١٨/٢/٢٦ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(3) حكم في الطعن رقم ٢٠١٧/١١٥٠/م مدني جلسة يوم الأحد الموافق ٢٠١٨/٥/٢٠ م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٧ - ١٨)، مرجع سابق، ص ٥١٢.

(4) حكم رقم (٢/ج-٨٤/٣٦٧) صادر من المحكمة الشرعية ببوشهر، يوم ١٩٨٤/٨/٣٠ هـ، القاضي محمد بن سيف الرواحي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حادي عشر: تطبيق ملحق الحوادث الشخصية على الإصابات المترتبة عن الحوادث والإصابات استثناء عن قانون الديات والأروش وأحكامها.

عرفت مبادئ القضاء ملحق الحوادث الشخصية بأنه: «تأمين اختياري يبرمه المؤمن له مع المؤمن ضد الإصابات البدنية أو الوفاة التي تقع له من حوادث مركبته - الفقرة (أ) من المادة (9) من قانون تأمين المركبات»⁽¹⁾.

ومن منهج القضاء العماني أن تطبيق ملحق الحوادث يكون على حالات استحقاق الدية الكبرى بشرط عدم مجاوزة المبلغ حدود ذلك الملحق، دلّ على ذلك المبدأ: «مطالبة شركة التأمين وفقاً لملحق الحوادث الشخصية لا يصح أن تزيد على المبلغ المتفق عليه في وثيقة التأمين، والحكم القاضي بإلزام الشركة بالدية كاملة جدير بالنقض»⁽²⁾.

كما أنه يجوز -خروجاً عن الأصل- شمول غطاء ملحق الحوادث أسرة المتسبب في الإصابات، دلّ عليه قاعدة المبدأ: «إن الأصل العام أن المتسبب في الحادث هو المحاسب على فعله أولاً وآخرًا ملوم على تصرفه معاقب على عدم احترازه إذ لأموال الناس حرّمات كحرّمات دمائهم وأعراضهم فهو وإن لم يتسبب لأضرار نفس فقد أضر بما يؤمّ النفس ويعينها على حياتها في هذه البسيطة والكل مضمون عليه والكتاب والسنة والعادة والعرف والقياس والاجماع والقوانين جميعها ناطقة بذلك ولا يجوز أن يكافأ أحد على ذنب فعله إلا بالعقوبة الرادعة له ولأمثاله هذا هو الاطار العام واستثناء من هذه القاعدة أجاز القانون الاتفاق بين المؤمن والمؤمن له

(1) حكم في الطعن رقم ٢٠١٢/٦٣٩م مدنية عليا (ب) جلسة يوم السبت ٩/فبراير/٢٠١٣م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(2) الطعن رقم ٢٠١٨/١٥٨٣أ- جلسة ١٥/١٠/٢٠١٨م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٩)، مرجع سابق، ص ١٦٧.

على مدّ غطاء التأمين ليشمل المالك وأسرته أو السائق للمركبة إن كان غير المالك هو السائق المتسبب وهو ما يسمى بملحق الحوادث الشخصية»⁽¹⁾.

ثاني عشر: الحكم بتعدد الديات عند تعدد الإصابات، ويستحق من توفي نتيجة تلك الإصابات تلك الديات لا الدية الكبرى واحدة.

دل على ذلك المبدأ: «القضاء بتعدد ديات في حق المضرور بتعدد فقد الأعضاء والمنافع قضاء صحيح وفق الشريعة الإسلامية التي هي أساس التشريع. سنده. موت المصاب الذي فقد بعض أعضائه أو منافعها بعد فترة من زمن الحادث لا ينقله من استحقاقه لجميع ديات تلك الأعضاء ومنافعها إلى دية النفس. سنده. إطلاق الأحاديث النبوية وآثار الفقهاء»⁽²⁾.

ثالث عشر: الحكم بالدية الكاملة في فقد العضو الفردي أو منفعة كاملاً، وبنصفها في فقد عضو زوجي أو منفعة كاملة، والتعويض فيما دون ذلك حسب القواعد الشرعية والقانونية.

دلت على ذلك قواعد ملحق الديات والأروش بالمرسوم السلطاني رقم (2008/118). والمبدأ القائل: «فقد المنفعة في العضو الفردي - أثره: استحقاق الدية كاملة للمضرور. فقد المنفعة في العضو الزوجي - أثره: استحقاق نصف الدية»⁽³⁾.

(1) الطعن رقم ٢٠١١/٢٦٤م المدنية (ب) بجلسة يوم السبت الموافق ٢٠١١/١٢/٣١م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٢)، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(2) الطعن رقم ٢٠١٠/٣٩٥م الدائرة المدنية (أ)، جلسة يوم السبت الموافق ١٨/ديسمبر/٢٠١٠م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١١)، مرجع سابق، ص ١١٨.

(3) الطعن رقم ٢٠١٢/٣٦٠م مدنية عليا (ب) جلسة يوم السبت ٨/ديسمبر/٢٠١٢م. المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، السنة القضائية (١٣، ١٤)، مرجع سابق، ص ٦٣٦.

الخاتمة

في نهاية كل دراسة بحثية تأتي النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال إجابة محاور البحث عن الإشكاليات المطروحة بالخطوة، وفي هذه الورقة توصل الباحث إلى الآتي:

ارتبط منصب القضاء في التاريخ العماني بمنصب السياسة والحكم في البلاد والأمة.

تعتبر أحكام الشريعة الإسلامية ومبادئها العامة أهم المراجع والمصادر المعتمدة في الفصل والأحكام عبر تاريخ القضاء العماني.

ينعقد الاختصاص الوظيفي في ابتداء رفع دعاوى الحوادث والأخطاء الطبية أمام القضاء العماني للقاضي العام قبل نشوء المحاكم، ثم تدرج ذلك لمراكز الشرطة بتقرير يرفع للمحاكم الشرعية وذلك قبل إصدار قانون السلطة القضائية، ثم بعد إصدار قانون السلطة انعقد الاختصاص وفقاً لنوع ومكان وقيمة هذه الدعاوى.

سلك القضاء العماني في نظره أحكام وقضايا ومنازعات الحوادث والأخطاء الطبية مسلك الجمع بين النصوص الشرعية والقانونية والاجتهاد مع الاستفادة من مستجدات الواقع والعلم الحديث في الوصول إلى التوصيف الدقيق للإصابات وما يناسب تعويضها.

سيادة مبدأ التصالح بين الخصوم في دعاوى الحوادث والأخطاء الطبية وبما يتناسب مع مبادئ العدالة والأنظمة والقواعد المنظمة كافة حقوق المتقاضين في هذا الشأن.

إعطاء الأوصاف والتكليف للإصابات وما يناسبها من سلطة المحاكم التقديرية بشرط مراعاة القوانين والقواعد المحققة النسبة والتوازن والمصلحة بين الإصابة وتأريثها.

تعتبر أحكام القضاء العماني في شأن دعاوى الديات والأروش أنموذجا لرسوخ العدالة ومرونة الوصول إليها نظرا وتنفيذا، كما أن تلك الأحكام تشكل جزءا مهما لتأريخ الفقه الإسلامي وملفاته الفقهية في مجال الحكم والقضاء.

التوصيات

أولاً: ضرورة التكاتف والتعاون بين الجهات والباحثين لإخراج التراث التاريخي لأحكام دعاوى الديات والأروش وتحقيقها وأرشفتها بالتنسيق والتعاون مع المجلس الأعلى للقضاء (مشروع أرشفة الأحكام القضائية قبل قانون السلطة القضائية).

ثانياً: دعوة الباحثين والمهتمين والمؤسسات إلى تبني مشاريع ودراسات أكاديمية في مواضيع الديات والأروش والأخطاء الطبية باعتماد عدة منهاج بحثية أهمها المنهج المقارن والاستنباطي لمعرفة التوجهات الحديثة للعلم في المجال الطبي ومقارنتها بمنهج القضاء العماني ومعرفة المناسب للواقع و حياة الناس.

ثالثاً: التنسيق مع مختلف الجهات التنفيذية والأكاديمية والقضائية لعقد مؤتمرات وندوات وبرامج تدريب لتغذية المستهدفين بمجالات الأخطاء الطبية والمعنيين بالحكم في قضاياها وقضايا الإصابات الأخرى بما يحقق كفاءات وطنية في هذا المجال وفق أولويات رؤية عمان 2040 المختلفة التي تخدم هذا المجال.

رابعاً: تخصيص مساحة كافية من منح الابتعاث ضمن البرنامج الوطني للبعثات بالسلطنة لدراسة تخصصات الطب المقارنة مع أحكام الفقه وقواعد الديات والأروش.

خامساً: تدريس تخصصات الطب باللغة العربية بالسلطنة أسوة ببعض الدول العربية وإيفاد مجموعة من القضاة والعاملين بقطاع التأمين والمحامين ورواد العدالة لدراسة مجال الإصابات وأحكامها وأخلاقيات مهنة الطبيب وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم بن يحيى العبري، القضاء في عمان، مركز الغندور، القاهرة، 2012.
أيمن مصطفى البقلي، ورقة بحثية بعنوان: (المسؤولية المدنية عن الخطأ الطبي)، ضمن بحوث ندوة الخطأ الطبي في ميزان العدالة، التي نظمها المعهد العالي للقضاء في سلطنة عمان، بتاريخ الخميس 27 ربيع الأول 1440 هـ الموافق 6 ديسمبر 2018م.

حكم رقم (م ن ش 78/115) صادر عن محكمة نزوى الشرعية، يوم 4/7/1398 هـ الموافق 16/3/1978م، القاضي أحمد بن ناصر السيفي، وزارة العدل بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (م ن ش 78/115) صادر من محكمة نزوى الشرعية، يوم 4/7/1398 هـ الموافق 16/3/1978م، القاضي أحمد بن ناصر السيفي، وزارة العدل بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (2/367-84/ج) صادر من المحكمة الشرعية ببوشهر، يوم 8/28/1984 هـ، القاضي محمد بن سيف الرواحي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (2/367-84/ج) صادر من المحكمة الشرعية ببوشهر، يوم 8/30/1984 هـ، القاضي محمد بن سيف الرواحي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (80/80) صادر عن محكمة نزوى الشرعية، القاضي سعود بن سليمان الكندي، وزارة العدل بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (م م 92/ - رقم 1 ص 80 ج 17) صادر عن المحكمة الشرعية

بقریات، يوم 1412 / 6 / 23 هـ الموافق 1992/11/30م، القاضي سيف بن محمد الفارسي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (87 ص 11 ج 18) صادر عن المحكمة الشرعية بقریات، يوم 1413/4/1 هـ الموافق 1992/9/28م، القاضي سيف بن محمد الفارسي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (143 ص 9 ج 16) صادر عن المحكمة الشرعية بقریات، يوم 1410/5/27 هـ الموافق 1989/12/26م، القاضي سالم بن سعيد البويقي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

حكم رقم (102 ص 75 ج 15) صادر عن المحكمة الشرعية بقریات، يوم 1410/2/18 هـ الموافق 1989/9/19م، القاضي سالم بن سعيد البويقي، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية بسلطنة عمان، أرشيف مشروع أرشفة الأحكام بالمجلس الأعلى للقضاء.

سليمان بن الأشعث بن إسحاق السّجّستاني، سنن أبي داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

عبدالحكيم عكاشة، شرح قانون الإجراءات المدنية والتجارية العماني (النظام القضائي - الدعوى - الاختصاص)، تصميم المكتب الفني للأجيال، طبع بشركة مطبعة عمان ومكتبتها المحدودة، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، رجب/شعبان 1426 هـ - سبتمبر 2005.

مبارك بن عبدالله الراشدي، السلطة القضائية في تونس وعمان بين الفقه

والقانون، كلية الشريعة والقانون بمسقط، 2423هـ - 2002م.

محمد بن حبان التميمي الدارمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب:
الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب
الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408هـ/ 1988م.
محمد بن سيف بن دويّم الشعلي، ورقة بحثية بعنوان: التطور القضائي ومرافقه
في سلطنة عمان في عصر النهضة المباركة)، قدمت بندوة (عمان الماضي
والحاضر)، تنظيم وحدة الدراسات العمانية، جامعة آل البيت، الأردن، يوم الأحد
2014/11/30م.

محمد بن عبدالله الهاشمي، السلطة القضائية في سلطنة عمان بين الشريعة
والقانون، الطبعة الأولى، 1431هـ/ 2010م، سلطنة عمان - مسقط.

محمد بن هلال بن ناصر المعولي، القضاء العماني تاريخه وتطوره - تطور
التقنين القضائي العماني، الطبعة الأولى، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب
- سلطنة عمان.

المرسوم السلطاني رقم (٧٥/٢٤) في تقدير الديات والأروش، صدر في 4
جمادى الثاني 1395هـ الموافق 14 يونيو 1975م، نشر في الجريدة الرسمية رقم
(82) الصادرة في 1975/7/1م.

المرسوم السلطاني رقم (٢٠٠٨/١١٨) بتعديل الديات والأروش، صدر في ٦
من ذي القعدة سنة ١٤٢٩هـ الموافق ٥ من نوفمبر سنة ٢٠٠٨م، ونشر في عدد
الجريدة الرسمية رقم (٨٧٥) الصادر في ١٥ / ١١ / ٢٠٠٨م.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة أحكام الديات والأروش «الديات
والأروش»، الصادرة عن المحكمة العليا مع المبادئ المستخلصة منها والدليل
الاسترشادي بالإصابات والديات والتعويضات المقدّرة لها، مجلس الشؤون

الإدارية للقضاء- سلطنة عمان.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (من 2006/10/1م وحتى 2007/6/31م) – السنة القضائية (7)، وزارة العدل - سلطنة عمان.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (من 2010/10/1م وحتى 2011/6/30م) – السنة القضائية (11)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (من 2011/10/1م وحتى 2012/6/30م) – السنة القضائية (12)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من 2012/10/1م وحتى 2014/6/30م)، السنة القضائية (13،14)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من 2014/10/1م وحتى 2016/6/30م)، السنة القضائية (15،16)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان.

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من 2016/10/1م وحتى

سلطنة عمان. (2018/6/30م)، السنة القضائية (17 - 18)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء-

المكتب الفني بالمحكمة العليا، مجموعة الأحكام الصادرة عن الدوائر المدنية بالمحكمة العليا والمبادئ المستخلصة منها، (في الفترة من 2016/10/1م وحتى 2018/6/30م)، السنة القضائية (19)، مجلس الشؤون الإدارية للقضاء- سلطنة عمان.

وزارة الشؤون القانونية، سلطنة عمان، قانون الإجراءات المدنية والتجارية، الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (2002/29)، نشر في الجريدة الرسمية رقم (715) الصادرة في 2002/3/17م.

وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، قانون السلطة القضائية، الصادر بالمرسوم السلطاني رقم 99/90، نشر في الجريدة الرسمية رقم (660)، 1999/12/1م.

وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، النظام الأساسي للدولة رقم (2021/6م)، صدر في: ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٤٤٢ هـ الموافق: ١١ من يناير سنة ٢٠٢١م، نشر في ملحق عدد الجريدة الرسمية رقم (١٣٧٤) الصادر في ١٢/١/٢٠٢١م.

وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، قانون الإثبات في المعاملات المدنية والتجارية بالمرسوم السلطاني رقم (2008/68)، صدر في ١١ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٩ هـ الموافق: ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٨م، نشر هذا المرسوم في عدد الجريدة الرسمية رقم (٨٦٤) الصادر في ١ / ٦ / ٢٠٠٨م.

وزارة الشؤون القانونية، سلطنة عمان، قانون تنظيم مزاولة مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة رقم (2019/75)، صدر في ٩ من ربيع الأول سنة ١٤٤١ هـ الموافق: ٦ من نوفمبر سنة ٢٠١٩م، ونشر هذا المرسوم في عدد الجريدة الرسمية

رقم (١٣١٧) الصادر في ١١/١١/٢٠١٩م.

وزارة الشؤون القانونية بسلطنة عمان، المرسوم السلطاني رقم (2019/75) بشأن إصدار قانون تنظيم مزاولة مهنة الطب والمهن الطبية المساعدة، صدر في: ٩ من ربيع الأول سنة ١٤٤١هـ الموافق: ٦ من نوفمبر سنة ٢٠١٩م، نشر في عدد الجريدة الرسمية رقم (١٣١٧) الصادر في ١١ / ١١ / ٢٠١٩م.

وليد بن خالد الزدجالي، ورقة بحثية بعنوان: (المشكلات العلمية وانعكاساتها على تحديد الخطأ الطبي)، ضمن بحوث ندوة الخطأ الطبي في ميزان العدالة، التي نظمتها المعهد العالي للقضاء في سلطنة عمان، بتاريخ الخميس 27 ربيع الأول 1440هـ الموافق 6 ديسمبر 2018م.

يوسف بن سالم الفليتي، ورقة بحثية بعنوان: (المفهوم القانوني للخطأ الطبي)، ضمن بحوث ندوة الخطأ الطبي في ميزان العدالة، التي نظمتها المعهد العالي للقضاء في سلطنة عمان، بتاريخ الخميس 27 ربيع الأول 1440هـ الموافق 6 ديسمبر 2018م.